المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية
قسم الدراسات العليا
شعبة العقيدة

الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة

رسالة مقدمة لنيل شهادة العالمية (الماجستير)

إعداد الطالب:
المجذوب العلوي مولاي الحسن

إشراف:
فضيلة الدكتور: أحمد سعد حمدان الغامدي
الأستاذ المشارك بقسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية

عام
١٤١٣ - ١٩٩٢

المقدمة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

** المقدمة **

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾(١)

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾(٢) .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا سديدا ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴾(٣) .

أما بعد : فإن علم التوحيد أشرف العلوم وأفضلها ، وأرفعها مكانة وأجلها ، لتعلقه بذات الباري جل وعلا وأسمائه وصفاته - إذ شرف العلم تابع لشرف المعلوم - ، ففيه بيان حقوقه تعالى على عباده من معرفة ما يجب له ويفرد به وينزه عنه ، فيوحد ويطاع ويعبد .

ولبالغ أهميته وعلو شأنه ، ونبل غايته وعظيم منزلته ، خلق من أجله الخلق وأجرى لهم الرزق ، كما قال سبحانه : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾(٤) .

---

(١) سورة آل عمران آية (١٠٢) .
(٢) سورة النساء : آية (١) .
(٣) سورة الأحزاب : آية (٧٠ - ٧١) .
(٤) سورة الذاريات آية (٥٦ - ٥٨) .

ولقد كانت دعوة جميع الرسل — عليهم الصلاة والسلام — إليه، كما في قوله سبحانه: ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾.(١)

فكلما كان العبد بهذا أعرف وله أتبع كان إلى ربه أقرب، وإلى نيل النجاة والفلاح والسعادة في الدنيا والآخرى.

هذا ولما كان نظام الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية يحتم على الطلاب الملتحقين بقسم الدراسات العليا تقديم بحث في تخصصهم العلمي — وكنت بفضل الله من المسجلين الدارسين بشعبة العقيدة —، اخترت الكتابة عن الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة.(٢)

ومما دفعني إلى هذا الموضوع ورغبتي فيه ما يأتي:

١) إن الإمام أبا سليمان الخطابي من الأئمة المشاهير وأحد أعلام الأمة الإسلامية، فقد كانت له اليد الطولى في تأليف كثير من الكتب القيمة الباهرة، وشرح غيرها من أمهات الكتب الحديثية من دواوين السنة النبوية، إذ كان من أوائل من تناول شرح صحيح الإمام البخاري، وأول من شرح سنن أبي داود — فيما أعلم — وإن لم يكن تعرض لجميع ما فيهما حرفا حرفا.(٣)

---

(١) سورة الأنبياء: آية (٢٥).

(٢) قد كان وقع اختياري — قبل — على تحقيق ودراسة جزء من كتاب إبطال التأويلات لأخبار الصفات للإمام القاضي أبي يعلى الفراء المتوفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، وبعد الموافقة عليه ومضي شوط من تسجيله والعمل فيه ظهرت طباعته محققةً مدروسة، وبمقدار ما أخذته من عدد أوراق المخطوط، فألغي الموضوع لهذا السبب. والله المستعان.

(٣) أعني حديثا حديثا.

٢) مكانته العلمية المنوه بها ، فيحسن إبراز شخصيته في الجانب العقدى كما أُبرزت قبل في الجانب الحديثي[1] واللغوى[2] .

٣) بغية الوقوف على منهجه مفصلا في أبواب العقيدة كلها ، وخاصة منهـا في باب الأسماء والصفات ، إذهو في عموم كلامه ـ في مواضع عدة من كتبه ـ مُوافق للسلف .

٤) اعتماد كثير من أهل العلم المحققين ـ ممن جاء بعده ـ على جملة وافرة من أقواله في هذا المجال ، سواء منها ما كتبه بنفسه أو نقله عن غيره ، ومن هؤلاء المذكورين : البيهقي والسمعاني والبغوى والنووى وابن تيمية وابن القيم وغيرهم ـ رحمهم الله جميعا ـ

---

(١) فقد سجلت رسالة علمية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض تقدم بها الطالب / أحمد بن عبد الله الباتلى ، لنيل الشهادة العالمية (الماجستير) تحت عنوان : الإمام الخطابي حياته ومنهجه في آثاره الحديثية .
وقد تمت مناقشتها في يوم الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة عام عشرة وأربعمائة وألف .

(٢) أخبرني أستاذ مغربي أنه أشرف على موضوع في ذلك تقدم به أحد الطلبة الدارسين بإحدى الجامعات المغربية .

خطة البحث :

الخطة التى رسمتها وسرت عليها في إعداد هذا البحث مكونةً من مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة ،تفصيلها فيما يلي :

فالمقدمة اشتملت على أهمية علم التوحيد وبيان منزلته وشرفه وعلو مرتبته ، وذكر أسباب اختيار الموضوع وخطته ومنهج العمل فيه .

الباب الأول : ترجمة الإمام الخطابي .

ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : حياته الشخصية

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : اسمه و نسبه و كنيته .

المبحث الثاني : نسبته ومولده .

المبحث الثالث : وفاته ورثاءبعض معاصريه له .

الفصل الثاني : حياته العلمية . وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول : طلبه العلم ورحلاته .

المبحث الثاني : شيوخه وتلاميذه .

المبحث الثالث : ثقافته ومؤلفاته .

المبحث الرابع : ثناء العلماء عليه .

المبحث الخامس: منهجه في تقرير مسائل العقيدة .

الباب الثاني : منهج الخطابي في التوحيد وبيانه لنواقضه .

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : توحيد الربوبية .

** **

**

منهـــج البحـــث :

يتضح منهج عملي الذى سلكته في بناء هذه الرسالة وإعدادها في النقاط التالية :

١) قمت بجمع ما طبع من كتب الإمام الخطابي ومؤلفاته ، والبحث عما لم يطبع منها مما قد يكون مخطوطا حبيس الخزائن والدور ، فلم أظفر بشيء من ذلك رغم سعيي الحثيث في البحث وسؤالي المتواصل لأهل العلم والخبرة ، ودأبي في الاطلاع على أسامي المخطوطات وأماكن وجودها من خلال الفهارس وإخباريات كتب التراث ، وكذا ما يوجد في حوزة بعض الجامعات مما هو مدون في بطاقات مكتباتها وسجلات فهارسها .

٢) حاولت جاهدا الرجوع إلى مصادر عدة ومراجع وفرة بحثا عما نقله مؤلفوها عن الخطابي من تآليفه التي تعد - اليوم - مفقودة أو لم يكتب لها الظهور إلى الآن .

٣) بعد قرآتي لجميع ما وجد من ذا وذاك نقلت ما يخص البحث ، وجعلت لكل قول عنوانا يناسبه على حسب أبواب العقيدة ومباحثها وفق ما رسمه السلف في كتبهم ومؤلفاتهم .

٤) أصدر كل مسألة بالنص المتعلق بها إذ جل أقوال الخطابي - إن لم تكن كلها - مبنية على ذلك .

٥) بعد الإنتهاء من نقل النص أُورد كلام الخطابي مباشرة بدون اختصاره أو التصرف فيه ، ثم أذكر عقيبه موافقته لمنهج السلف - في المسألة - أو مخالفته لهم ، وأسوق الأدلة الشرعية لتأييد ما ذهب إليه ، أو الدالة على مخالفته وإقامة الحجة عليه ، وأشفع ذلك بكلام السلف وسرد ما وقفت عليه من أقوالهم أو أكتفي ببعضها .

٦) قد أذكر في الحاشية بعض المسائل المتعلقة بموضوع القضية ، وقد أشير الى المصادر والمراجع التى تناولتها بالتفصيل والاطناب أو أومأت اليها وذلك لمن شاء الاستزادة والافادة .

٧) أعزو كل نص الى مصدره الا عند تعذر ذلك فأنقله بالواسطة مع ذكرى للأصل والمرجع .

٨) بينت مواضع الآيات القرآنية في المصحف الكريم بذكر اسم السورة ورقم الآية ، مع التزامي بكتابتها على وفق رسم المصحف العثماني .

٩) خرجت الأحاديث النبوية في مصادرها الأصلية مع التوسع أحيانا في ذلك بغية الوقوف على النص بجميع رواياته وألفاظ متنه ، وكذا الشأن بالنسبة للآثار .

١٠) خرجت الأبيات الشعرية في دواوينها وهو الغالب ـ أو باحالتها الى مظان ومصادر معتبرة .

١١) ترجمت لجميع الأعلام الواردة أسماؤهم في نص البحث بدون توسع ولا اطالة وان كانوا من الأعلام المشاهير لخفاء تاريخ مواليدهم ووفياتهم على الكثير . وذلك عند أول موطن ذكروا فيه .

١٢) عرفت بالفرق والطوائف من الكتب المؤلفة في ذلك .

١٣) شرحت الكلمات الغريبة وبينت الألفاظ الغامضة والمصطلحات المذكورة من كتب الغريب ومعاجم اللغة وكتب التعريفات .

١٤) ما ذكرته في هذا المنهج هو غالب صنيعي المتبع ، وقد أخالفه أحيانا لاعتبارات ومناسبات تقتضي ذلك .

١٥) وضعت عدة فهارس في آخر الرسالة تسهيلا للوصول إلى ما حوته من مسائل وغيرها ، وهي كالتالي :

أ) فهرس للآيات القرآنية .

ب) فهرس للأحاديث النبوية .

ج) فهرس للآثار .

د) فهرس للأبيات الشعرية .

هـ) فهرس للأعلام المترجم لهم .

و) فهرس للفرق والطوائف والمصطلحات المعرف بها .

ز) فهرس للمصادر والمراجع .

ح) فهرس عام للموضوعات .

===============

وبعد ، فإنه لا يفوتني في ختام هذه المقدمة أن أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان الجميل إلى القائمين على هذه الجامعة الاسلامية المباركة ،أدامها الله حصنا منيعا ،وطودا منيفا ،ووفق الساهرين عليها ومسيريها ـ علماء وعاملين ـ لتبقى معلمة شامخة ، وركنا متينا شديدا ،خدمة للكتاب العزيز والسنة المطهرة ونشرا للعلم الشرعي وحماية للعقيدة السلفية ـ جزاء ما قدموه لي ولإخواني طلبة العلم من أنحاء المعمورة من خدمات جليلة تسهيلا للطلب وترغيبا في التحصيل .

كما أتوجه بالشكر وأخص بالذكر وأنوه بالفضل لأستاذى الموقر المكرم الدكتور/أحمد سعد حمدان الغامدي الذى أشرف على هذه الرسالة من البدء إلى الختام، لم تفته من ذلك جملة ولم تند عنه عبارة ، مع إتحافي بتوجيهاته النيرة وآرائه الصائبة ،واستقباله لي دوما في بيته بصدر رحب ووجه طلق ، سعيا في تسديد قوسي وتقويم ساعدي مما كان له الأثر الكبير البالغ في إبراز وإخراج هذا العمل على هذه الصورة . جزاه الله عني خير الجزاء ،وأجزل له الأجر والمثوبة والعطاء وجعله من عباده الصالحين العالمين العاملين .

كما لا يفوتني ـ أيضا ـ دعائي الصالح والتوفيق الدائم لمشايخي الجلة الكرام الذين أفدت منهم وأخذت عنهم بارك المولى فيهم وفي جهودهم وأوقاتهم ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

والحمد لله رب العالمين أولا وآخرا وصلاته وسلامه على
نبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

= = = = = = = = = = = = =
= = = = = = = =
= = = =

الباب الأول

((الباب الأول))

ترجمة الإمام الخطابي

ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : حياته الشخصية .

الفصل الثاني : حياته العلمية .

================

((البـاب الأول))

** ترجمـــة الإمـــام الخطابي (*) **

(*) مصادر ومراجع الترجمة :

* اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير (ت ٦٣٠) (١/ ١٥١ و٤٥٢) .
* يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩) (٣/ ٣٣٤ - ٣٣٦) .
* طبقات الفقهاء الشافعية للعبادي (ت ٤٥٨) (ص ٩٤ - ٩٦) .
* الأنساب المتفقة لابن القيسراني (ت ٥٠٧) (ص ٤٩) .
* الأنساب للسمعاني (ت ٥٦٢) (٢/ ٢٢٦) و (٥/ ١٥٨ - ١٥٩) .
* الفهرسة لابن خير الإشبيلي (ت ٥٧٥) (ص ١٩٠ و ٢٠١) .
* مقدمة الحافظ أبي طاهر السلفي (ت ٥٧٦) لمعالم السنن ، انظر مختصر سنن أبي داود ومعه معالم السنن (٨/ ١٥٨ - ١٦٣) .
* المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي (ت ٥٩٧) (١٤/ ١٢٩) .
* معجم الأدباء لياقوت الحموي (ت ٦٢٦) (٤/ ٢٤٦ - ٢٦٠) و (١٠/ ٢٦٨ - ٢٧٢) .
* معجم البلدان لياقوت الحموي (ت ٦٢٦) (١/ ٤١٥) .
* إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي (ت ٦٤٦) (١/ ١٦٠) .
* الوافي بالوفيات للصفدي (ت ٦٧٤) (٧/ ٣١٧ - ٣١٨) .
* وفيات الأعيان لابن خلكان (ت ٦٨١) (٢/ ٢١٤ - ٢١٦) .
* دول الإسلام للذهبي (ت ٧٤٨) (١/ ٢٣٥) .
* تاريخ الإسلام للذهبي (ت ٧٤٨) (وفيات سنة ٣٨٨)
* سير أعلام النبلاء للذهبي (ت ٧٤٨) (١٧/ ٢٣ - ٢٨) .
* العبر للذهبي (ت ٧٤٨) (٢/ ١٧٤) .

....

---

* تذكرة الحفاظ للذهبي (ت ٧٤٨) (٣/١٠١٨ - ١٠٢٠).
* مرآة الجنان لليافعي (ت ٧٦٨) (٢/٤٣٥ - ٤٣٦).
* طبقات الشافعية للسبكي (ت ٧٧١) (٣/٢٨٢ - ٢٩٠).
* طبقات الشافعية للأسنوى (ت ٧٧٢) (١/٤٦٧ - ٤٦٨).
* طبقات الشافعية لابن كثير (ت ٧٧٤) (مخطوط ل ١٠٠/أ - ب).
* البداية والنهاية لابن كثير (ت ٧٧٤) (١١/٣٤٦).
* الوفيات لابن قنفذ (ت ٨٠٩) (ص ٢٢٢).
* طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (ت ٨٥١) (١/١٤٠ - ١٤١).
* تبصير المنتبه بتحرير المشتبه للحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢) (١/١٤٩)
* النجوم الزاهرة لابن تغرى (ت ٨٧٤) (٤/١٩٩).
* طبقات الحفاظ للسيوطي (ت ٩١١) (ص ٤٠٣ - ٤٠٤).
* بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي (ت ٩١١) (١/ ٥٤٦ - ٥٤٧).
* مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨) (٢/١٢٨)
* كشف الظنون لحاجي خليفة (ت ١٠٦٧) (١/٥٤٥).
* شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩) (٣/١٢٧-١٢٨)
* خزانة الأدب للبغدادى (ت ١٠٩٣) (٢/١٢٣ - ١٢٥).
* التاج المكلل لصديق حسن القنوجي (ت ١٣٠٧) (ص ٤٢ - ٤٣).
* روضات الجنات لمحمد باقر الخوانسارى (ت ١٣١٣) (٣/٢٥١-٢٥٣).
* الرسالة المستطرفة للكتاني (ت ١٣٤٥) (ص ٤٤).
* تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان (ت ١٣٧٥) (٣/٢١٢-٢١٣).
* الأعلام للزركلي (ت ١٣٩٦) (٢/٢٧٣).
* أدب الفقهاء لعبد الله كنون (ت ١٤١١) (ص ٤٦ - ٤٧).

. . . .

---

* تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين (١/٤٢٧ - ٤٢٩).

* معجم المؤلفين لرضا كحالة (٢/٦١)و(٤/٧٤).

(((الفصل الأول)))

حياته الشخصية

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : اسمه و نسبه و كنيته .

المبحث الثاني : نسبته ومولده .

المبحث الثالث : وفاته ورثاء بعض معاصريه له .

= = = = = = = = = = = =

الفصل الأول

* حياته الشخصية *

المبحث الأول : اسمه و نسبه و كنيته .

هو الإمام العلامة الحافظ المحدث الفقيه الأديب اللغوى حمْد[1] بن محمد ابن ابراهيم بن الخطاب الخطابي البستي[2] الشافعي أبو سليمان .

---

(١) بفتح الحاء وسكون الميم ، وهو الصواب في اسمه ، وقد سماه أبو عبيد الهروي بأحمد ووافقه الثعالبي في اليتيمة (٣/٣٣٤) . وتبعهما على ذلك ياقوت في معجميه ، وآخرون غيره ، قال في معجم الأدباء (٤/٢٥١) (وإنما ذكرته أنا في هذا الباب لأن الثعالبي وأبا عبيد الهروى - وكانا معاصريه وتلميذيه - سمياه أحمد) . وكأنه لم يقتنع بذلك فأعاد ذكره مرة أخرى في حرف الحاء من معجمه (١٠/٢٦٨) فسماه " حمْد " .

قال أبو طاهر السِّلفي في مقدمة معالم السنن (كما في مختصر سنن أبي داود) (٨/١٦١) : (والصواب في اسمه حمد ، كما قاله الجم الغفير والعدد الكثير ، لا كما قالاه) . - يعنى الهروى والثعالبي - .

وقال ابن خلكان في وفيات الأعيان (٢/٢١٥) : (وقد سمع في اسم أبي سليمان حمْد المذكور أحمد أيضا - بإثبات الهمزة - والصحيح الأول ، قال الحاكم أبو عبد الله محمد بن البيع : سألت أبا القاسم المظفر بن طاهر بن محمد البستي الفقيه عن اسم أبي سليمان الخطابي أحمد أو حمد ، فإن بعض الناس يقول أحمد ، فقال : سمعته يقول : اسمي الذي سميت به حمد ولكن الناس كتبوا أحمد فتركته عليه) .
ولهذا عد كثير من العلماء هذا من الأغلاط .

انظر : روضات الجنات (٣/٢٥١) والرسالة المستطرفة (ص ٤٤) .

(٢) قال السمعاني في الأنساب (٢/٢٢٤) : (هذه النسبة إلى بست بضم الباء المعجمة الموحدة وسكون السين المهملة والتاء المنقوطة بنقطتين في آخرها ، وهي بلدة من بلاد كابل بين هراة وغزنة ، وهي بلدة حسنة كثيرة الخضر والأنهار والبساتين) . =====

المبحث الثاني
(((نسبته ، ومولده)))

ينسب أبو سليمان الخطابي - رحمه الله - لجده الخطاب[١] ، وقيل لزيد ابن الخطاب - رضي الله عنه[٢] - وهو ما أفاده جمع من أهل العلم ممن ترجموه ، وهو - أيضا - ما نصت عليه عامة كتب السيرة والأنساب ، إلا ما كان من التاج السبكي[٣] والحافظ ابن كثير[٤] - رحمهما الله تعالى - حيث ذهبا إلى القول

(=) وانظر معجم البلدان (١/ ٤١٤ - ٤١٥) .
قلت : وهي اليوم خراب وأطلال بالية كما حدثني بذلك بعض طلبة العلم الأفغانيين .

(١) لم أقف على ترجمته ، وانظر : وفيات الأعيان (٢/ ٢١٥) وطبقات الشافعية للأسنوى (١/ ٤٦٨) .

(٢) هو أبو عبد الرحمن زيد بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوى ، من جلة الصحابة وأخو عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - لأبيه ، وقد كان أسن منه ، كما أنه أسلم قبله ، استشهد يوم اليمامة سنة ١٢ .
الاستيعاب (٢/ ٥٥٠ - ٥٥٣) وأسد الغابة (٢/ ٢٨٥ - ٢٨٦) والإصابة (٢/ ٦٠٤) .

(٣) هو أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي تاج الدين ، فقيه مؤرخ من أعلام الشافعية ، ولد بالقاهرة سنة ٧٢٧ ومات بدمشق سنة ٧٧١ .
طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٣/ ١٤٠ - ١٤٣) وحسن المحاضرة (١/ ٣٢٨ - ٣٢٩) والبدر الطالع (١/ ٤١٠ - ٤١١) .

(٤) هو أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، عماد الدين ، إمام حافظ فقيه مفسر مؤرخ ، أحد الأعلام ولد سنة ٧٠١ وتوفي بدمشق سنة ٧٧٤ الدرر الكامنة (١/ ٣٩٩ - ٤٠٠) والبدر الطالع (١/ ١٥٣) والأعلام (١/ ٣٢٠) .

بعدم ثبوت ذلك وصحته[(١)] ، وهو أمر يحتاج منهما إلى حجة وبيان وإقامة برهان ، علما بأنه قد صرح الكثير بصحة هذا النسب ووثوقه[(٢)] .

ولقد كان مولده بمدينة بست في شهر رجب سنة تسع عشرة وثلاثمائة من الهجرة[(٣)] من أبوين لم أقف على ترجمة أي منهما ، كما لم أعثر على خبر أحد أقربائه أو أفراد عشيرته ، ولعل السبب في ذلك هو عدم اشتغالهم بطلب العلم وشهرتهم به وشيوعه فيهم قبله .

---

(١) انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٢٨٢) وطبقات الشافعية لابن كثير (مخطوط، ل ١٠٠/أ) .

(٢) كأبي عبيد الهروي وأبي منصور الثعالبي، انظر معجم الأدباء (٤/ ٢٤٦ - ٢٤٧) .

(٣) معجم الأدباء (٤/ ٢٤٩) نقلا عن تاريخ هراة لعبد الرحمن بن عبد الجبار الفامي الهروي .

وانظر: بغية الوعاة (١/ ٥٤٧) وخزانة الأدب (٢/ ١٢٣) .

وفي اللباب (١/ ٤٥٢) : أن مولده سنة سبع عشرة وثلاثمائة .

المبحث الثالث

وفاتـــه ورثـــاء بعض معاصريه له

اتفقت المصادر كلها وكذا كتب الوفيات جميعها على أن وفاة أبي سليمان الخطابي كانت بمدينة بست (مسقط رأسه) في رباط بها على شاطئ نهر (هندمند)(١)، واتفق أكثرها على أن ذلك كان يوم السبت السادس عشر من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة(٢)، وقيل : في شهر ربيع الأول أو في الآخر من السنة المذكورة(٣)، وأرخ بعضهم وفاته سنة ست وثمانين(٤)، والأول أصح كما قال ياقوت .

وقد غلط ابن الجوزي في عده من وفيات سنة ٣٤٩، وهذا ليس بشيء .(٥)

---

(١) بكسر الهاء وسكون النون، وبعد الدال ميم مفتوحة ونون ساكنة ، وهو اسم لنهر مدينة سجستان ، وتقع عليه مدينة بست .
انظر : معجم البلدان (٥/٤١٨) ومختصر كتاب البلدان (ص ٢٠٨)

(٢) معجم الأدباء (٤/٢٥٠ و ١٠/٢٦٩) وسير أعلام النبلاء (١٧/٢٧) وتذكرة الحفاظ (٣/١٠٢٠) والعبر (٢/١٧٤) ، وطبقات الشافعية للسبكي (٣/٢٨٣) وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص ٤٠٤) .

(٣) وفيات الأعيان (٢/٢١٥) والبداية والنهاية (١١/٣٤٦) والتاج المكلل (ص ٤٣) وروضات الجنات (٣/٢٥٢) .

(٤) معجم الأدباء (١٠/٢٦٩) وبغية الوعاة (١/٥٤٧) وخزانة الأدب (٢/١٢٣ - ١٢٤) .

(٥) المنتظم (١٤/١٢٩) .

ولقد رثاه ـ رحمه الله ـ غير واحد من العلماء والأدباء ، فهذا صديقه أبو منصور الثعالبي يقول في ذلك :

انظروا كيف تخمُدُ الأنوارُ * انظروا كيف تَسْقُطُ الأقمارُ

انظُرُوا هكذا تزول الرواسي * هكذا في الثَّرى تغيض البحارُ (١)

كما رثاه أبو بكر عبد الله بن إبراهيم الحنبلي ، من ذلك قوله :

وقد كان حمداً كاسمه حَمِدَ الورى * شمائلَ فيها للثناء مَمَادِحُ

خلائقُ ما فيها معابٌ لعائبٍ * إذا ذُكِرَتْ يوماً فهُنَّ مَدَائِحُ

تغمده الله الكريم بعفوه * ورحمته واللَّهُ عافٍ وصافحُ (٢)

---

(١) معجم الأدباء (٤/ ٢٦٠) .

(٢) المصدر السابق (٤/ ٢٥١ - ٢٥٢) .

((الفصل الثاني))

حياته العلمية

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : طلبه العلم ورحلاته .

المبحث الثاني : شيوخه وتلامذته .

المبحث الثالث : ثقافته ومؤلفاته .

المبحث الرابع : ثناء العلماء عليه .

المبحث الخامس : منهجه في تقرير مسائل العقيدة .

= = = = = = = = = = = = = = =

(الفصل الثاني)

حياته العلمية

المبحث الأول : طلبه العلم ورحلاته :

أخذ أبو سليمان العلم عن علماء بلده وأعلامهم ، ثم طوّف كثيرا في البلاد الإسلامية وجال في مناكبها شرقا وغربا طلبا للاستزادة وسماع الحديث وتلقي العلوم - كما هي عادة الأسلاف رحمهم الله تعالى - فكان ينتقل ما بين بست وسجستان [1] ، ثم أقام بنيسابور [2] مدة عامين أو أكثر فحدَّث بها [3] وأخذ عن عالمها أبي العباس الأصم وعدة من طبقته ، كما زار بخارى [4] ورحل إلى العراق فدخل بغداد ، فسمع من إسماعيل بن محمد الصفار ، وأبي عمر الزاهد وأحمد ابن سلمان النجاد وأبي عمرو السماك ومكرم القاضي وجعفر الخلدى وحمزة العقبي وأبي جعفر الرزاز ، وآخرين من طبقتهم ونظرائهم ، ودخل البصرة فسمع من أبي بكر بن داسة التمار ومن غيره ، ثم ذهب إلى الحجاز فأقام بمكة ، وسمع بها من أبي سعيد بن الأعرابي ، وعاد إلى خراسان فجالها ، ثم خرج أخيرا إلى بلاد ما وراء النهر [5] ، فانتهت به الرحلة ببلده بست إلى حين وفاته بها رحمه الله .

(١) انظر معجم البلدان (٣/ ١٩٠ - ١٩٢) .

(٢) انظر المصدر السابق (٥/ ٣٣١ - ٣٣٣) .

(٣) الأنساب للسمعاني (٥/ ١٥٩) .

(٤) قال في مقدمة كتابه غريب الحديث (١/ ٥١) : (وأما كتابنا هذا فقد كان خرج لي بعضه وأنا إذ ذاك ببخارى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة) .

(٥) بلاد ماوراء النهر يراد بها ما وراء نهر جيحون بخراسان ، فما كان في شرقيه يقال له بلاد الهياطلة ، وفي الإسلام سموه ما وراء النهر ، وما كان في غربيه فهو خراسان وولاية خوارزم . معجم البلدان (٥/ ٤٥) .

المبحث الثاني

((شـيوخـه وتلامذتـه))

أ) شيوخـه :

كان بسبب محبته العلم وشغفه به ونهمته في طلبه ورحلته الطويلة في تحصيله ، لقاؤه بمشايخ عدة وأعلام جلة من أئمة عصره وأعيان وقته ، أمكنه الأخذ عنهم جملة وافرة من العلوم الشرعية المختلفة ، كعلوم القرآن الكريم والحديث والفقه واللغة وعيون الأدب والشعر .

ولقد تتبعت أسامي أولئك الأشياخ - قصد حصرهم وعدهم - من خلال قراءتي لكتبه وتآليفه فوجدتها تربو على المائة ، ونظرا لطول ذلك - إن شيء بسطه - فسوف أعرض بالذكر لبعضهم دون كليتهم بما يقتضيه المقام ويحسن به البيان ، وهم على ما يلي - مرتّبين على أوائل حروف المعجم - :

١) أبو بكر أحمد بن سلمان بن الحسن بن إسرائيل بن يونس البغدادي ، المعروف بالنجاد ، الإمام الحافظ المحدث الفقيه المفتي ، شيخ العراق وأحد مشاهير أئمة الحنابلة . قال الخطيب : (وهو ممن اتسعت رواياته وانتشرت أحاديثه ، وكان صدوقا عارفا ، جمع المسند وصنف في السنن كتابا كبيرا) . سمع أبا داود السجستاني - وهو خاتمة أصحابه - والحسن ابن مكرم وأبا بكر بن أبي الدنيا وخلقا وحدث عنه أبو بكر القطيعي ، والحافظ الدارقطني وأبو عبد الله الحاكم ، وسواهم .

وقد كان مولده سنة ٢٥٣ ووفاته سنة ٣٤٨ . وكف بصره في أواخر عمره[1] .

---

(١) تاريخ بغداد (٤/١٨٩ - ١٩٢) وطبقات الحنابلة (٢/٧ - ١٢) وشذرات الذهب (٢/٣٧٦ - ٣٧٨) .

٢) أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم بن الأعرابي[1] البصري ، الإمام العلم المحدث الثقة الزاهد ، نزيل مكة وشيخ حرمها وصاحب المصنفات البديعة ، له مشايخ كثر خرج عنهم معجما حافلا.[2] منهم أبو داود السجستاني - صاحب السنن - والحسن بن محمد الزعفراني وعباس بن محمد الدوري ، وطائفة ، وروى عنه أبو عبد الله ابن خفيف ، وأبو بكر بن المقرئ وأبو عبد الله بن منده ، وآخرون . وقد ولد سنة ٢٤٦هـ وتوفي بمكة سنة ٣٤٠هـ.[3]

٣) أبو علي اسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن صالح بن عبد الرحمن البغدادي الملحي - نسبة إلى الملح والنوادر - الصفار ، مسند العراق وأحَدُ أعلامها . قال ياقوت : (علامة بالنحو واللغة ، مذكور بالثقة والأمانة ، صحب المبرد صحبة اشتهر بها وروى عنه ، وسمع الكثير وروى الكثير ، أدركه الدارقطني وقال هو : ثقة صام أربعة وثمانين رمضانا وكان متعصبا للسنة) . سمع من الحسن بن عرفة العبدي وعبد الله ابن محمد المخرمي وزكريا بن يحي المروزي وعدة ، وعنه الحافظ الدارقطني ومحمد بن المظفر وأبو الحسن بن مخلد وجماعة .

مولده سنة ٢٤٧ ووفاته ببغداد سنة ٣٤١ . (٤)

---

(١) وهو غير محمد بن زياد الأعرابي اللغوى المتوفى سنة ٢٣١ .

(٢) وقد طبع بعضه بتحقيق الدكتور / أحمد بن ميرين سياد البلوشي .

(٣) سير أعلام النبلاء (١٥/٤٠٧ - ٤١٢) وتذكرة الحفاظ (٣/٨٥٢-٨٥٣) ولسان الميزان (١/٣٠٨ - ٣٠٩) .

(٤) تاريخ بغداد (٦/٣٠٢ - ٣٠٤) ومعجم الأدباء (٧/٣٣ - ٣٦) وسير أعلام النبلاء (١٥/٤٤٠ - ٤٤١) .

٤) أبو علي الحسن بن الحسين بن أبي هريرة ، العلامة الفقيه القاضي البغدادي ، أحد أئمة الشافعية المشاهير ، قال السبكي : (أحد عظماء الأصحاب ورفعائهم ، المشهور اسمه ، الطائر في الآفاق ذكره) .

أخذ الفقه عن أبي العباس بن سريج وأبي إسحاق المروزي - وصحبه إلى مصر - وغيرهما . وأخذ عنه أبو علي الطبري ، والحافظ الدارقطني وسواهما ، وتخرج عليه خلق . مات ببغداد سنة ٣٤٥ .(١)

٥) أبو عمرو عثمان بن أحمد بن عبد الله بن يزيد البغدادي الدقاق ، المعروف بابن السماك .

قال الحافظ الدارقطني : (شيخنا أبو عمرو كتب عن العطاردي ومن بعده ، وكتب المصنفات الطوال بخطه وكان من الثقات) .

وقال الخطيب : (كان ابن السماك ثقة ثبتا) . وحلاه الذهبي بقوله : (الشيخ الإمام المحدث المكثر الصادق مسند العراق) .

سمع أبا جعفر محمد بن عبيد الله بن المنادي والحسن بن مكرم وحنبل ابن إسحاق وغيرهم . وحدث عنه الدارقطني وابن شاهين وأبو عبد الله الحاكم ، وسواهم . توفي في شهر ربيع الأول سنة ٣٤٤ .(٢)

٦) أبو بكر محمد بن بكر بن محمد بن عبد الرزاق بن داسة البصري التمار ، الشيخ الثقة العالم - كذا وسمه الذهبي - سمع أبا داود السجستاني وروى عنه السنن - وهو آخر من حدث بها كاملة - وأبا جعفر محمد بن

---

(١) تاريخ بغداد (٧/٢٩٨ - ٢٩٩) ، ووفيات الأعيان (٢/٧٥) وطبقات الشافعية للسبكي (٣/٢٥٦ - ٢٦٣) .

(٢) تاريخ بغداد (١١/٣٠٢ - ٣٠٣) وسير أعلام النبلاء (١٥/٤٤٤-٤٤٥) وشذرات الذهب (٢/٣٦٦ - ٣٦٧) .

الحسن الشيرازي وإبراهيم بن فهد الساجي ، وعنه أبو بكر بن المقرئ وأبو بكر بن لال وأبو الحسين بن جميع وآخرون .

مات سنة ٣٤٦ .(١)

٧) أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم المطرز البغوي الباوردي البغدادي الزاهد المعروف بغلام ثعلب ، إمام علامة لغوي محدث لازم ثعلبا النحوي في العربية زمانا فأكثر عنه إلى الغاية حتى لقب بغلام ثعلب .

قال الخطيب : (رأينا جميع شيوخنا يوثقونه فيه - يعني الحديث - ويصدقونه) وقال : (كان له جزء قد جمع فيه الأحاديث التي تُروى في فضائل معاوية ، فكان لا يترك واحداً منهم يقرأ عليه شيئاً حتى يبتدئ بقراءة ذلك الجزء ثم يقرأ عليه بعده ما قصد له) .

سمع أحمد بن عبيد الله النرسي وموسى بن سهل الوشاء والحارث بن أبي أسامة وغيرهم ، وحدث عنه أبو عبد الله الحاكم وعلي بن أحمد الرزاز وأبو علي بن شاذان وسواهم كثير .

وقد كان مولده سنة ٢٦١ ووفاته ببغداد سنة ٣٤٥ .(٢)

٨) أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل القفال الكبير الشاشي الشافعي ،أحد الأئمة الأعلام ،حلاه الذهبي بقوله : (الإمام العلامة الفقيه الأصولي

---

(١) الوافي بالوفيات (٢/٢٥٥) ، والعبر (٢/٧٤) والشذرات (٢/٣٧٣) .

(٢) تاريخ بغداد (٢/٣٥٦ - ٣٥٩) وطبقات الحنابلة (٢/٦٧ - ٦٩) والمنهج الأحمد (٢/٤٨ - ٥٠) .

اللغوى ، عالم خراسان ، إمام وقته بما وراء النهر وصاحب التصانيف) .

وقال السبكي : (الإمام الجليل ، أحد أئمة الدهر ، ذو الباع الواسع في العلوم ، واليد الباسطة ، والجلالة التامة ، والعظمة الوافرة ، كان إماما في التفسير ، إماما في الحديث ، إماما في الكلام ، إماما في الأصول ، إماما في الفروع ، إماما في الزهد والورع ، إماما في اللغة والشعر ، ذاكرا للعلوم ، محققا لما يورده ، حسن التصرف فيما عنده ، فردا من أفراد الزمان) .

وقد روى عن ابن خزيمة وابن جرير الطبرى وأبي القاسم البغوى وطائفة وروى عنه أبو عبد الله الحاكم وأبو عبد الرحمن السلمي وأبو عبد الله الحليمي وغيرهم . وقد كان من مواليد سنة ٢٩١ ووفاته سنة ٣٦٥ .[١]

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢/٢٨٢ - ٢٨٣) وسير أعلام النبلاء (١٦/٢٨٣ - ٢٨٥) وطبقات السبكي (٣/٢٠٠ - ٢٢٢) .

٩) أبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان بن عبد الله المعقلي النيسابوري الأصم الأموي مولاهم ، الإمام الحافظ محدث عصره بلا مدافعة ، حدث في الإسلام ستا وسبعين سنة ، ولم يختلف في صدقه وصحة سماعه ، قاله الحاكم . وقد سمع - الأصم - من أحمد ابن يوسف السلمي وعباس بن محمد الدوري ومحمد بن إسحاق الصغاني وخلق . وحدث عنه الحافظ أبو علي النيسابوري والإمام أبو بكر الاسماعيلي وأبو عبد الله بن منده وآخرون . مات سنة ٣٤٦ .[(١)]

١٠) أبو بكر مكرم بن أحمد بن محمد بن مكرم القاضي البزاز البغدادي من الأعلام الحفاظ ، قال الخطيب : (وكان ثقة) . سمع يحيى بن أبي طالب وأحمد بن عبيد الله النرسي ومحمد بن عيسى بن حيان المدائني ، وسواهم .

وعنه أبو عبد الله الحاكم وأبو علي بن شاذان وأبو الحسين بن الفضل القطان . وجمع . توفي في جمادى الأولى سنة ٣٤٥ .[(٢)]

---

(١) الأنساب للسمعاني (١ / ٢٩٠) وما بعدها والوافي بالوفيات (٥ / ٢٢٣) والعبر (٢ / ٧١) .

(٢) تاريخ بغداد (١٣ / ٢٢١) وسير أعلام النبلاء (١٥ / ٥١٧ - ٥١٨) وشذرات الذهب (٢ / ٣٧١) .

ب) -((تلامذته))-

رزق أبو سليمان الخطابي كثرة في التلاميذ والآخذين عنه ، كشأنه في كثرة مشايخه وعظم مشيخته ، ولم يكن هؤلاء الطلاب أقل شأنا من أولئك المشايخ معرفة ونباهة وشهرة ، وسأوجز الحديث عنهم بإجمال غير مخل وبيان غير ممل مرتبين - أيضا - على حروف المعجم ، وهم على ما يأتي :

١) أبو حامد أحمد بن محمد بن أحمد الاسفرايني ،أحد الأعلام ، شيخ الشافعية ببغداد ، قال النووي : (واعلم أن مدار كتب أصحابنا العراقيين أو جماهيرهم مع جماعات من الخراسانيين على تعليق الشيخ أبي حامد وهو في نحو خمسين مجلدا جمع فيه من النفائس ما لم يشارك في مجموعه من كثرة المسائل والفروع وذكر مذاهب العلماء وبسط أدلتها والجواب عنها ، وعنه انتشر فقه طريقة أصحابنا العراقيين) .
وقال السبكي : (الشيخ أبو حامد شيخ طريقة العراق ، حافظ المذهب وإمامه ، جبل من جبال العلم منيع ، وحبر من أحبار الأمة رفيع) .
ولد الاسفرايني سنة ٣٤٤ ومات ببغداد سنة ٤٠٦ .[1]

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٠٨ - ٢١٠) وطبقات الشافعية للسبكي (٤/ ٦١ - ٧٤) وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١/ ١٦١ - ١٦٣) .

٢) أبو عبيد أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الفاشاني - نسبة إلى فاشان قرية من أعمال هراة - الهروى الشافعي ، العلامة اللغوى المؤدب ، صاحب كتاب الغريبين . قال عنه ابن خلكان : (كان من العلماء الكبار ، وما قصر في كتابه المذكور ، وسار في الآفاق ، وهو من الكتب النافعة .) .

توفي في شهر رجب سنة ٤٠١ . (١)

٣) أبو ذر عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن غفير الأنصارى الخراساني الهروي المالكي ، المعروف بابن السماك ، الإمام العلامة الحافظ المجود ، شيخ الحرم . قال عنه الخطيب : (وكان ثقة ضابطا دينا فاضلا) .

وقد ولد سنة ٣٠٥ أو في التي تليها ، ومات بمكة في شهر ذى القعدة من سنة ٤٣٤ على الأصح . (٢)

---

(١) وفيات الأعيان (١/ ٩٥ - ٩٦) وطبقات الشافعية للسبكي (٤/ ٨٤-٨٥) ، وشذرات الذهب (٣/ ١٦١) .

(٢) تاريخ بغداد (١١/ ١٤١) ، وترتيب المدارك (٧/ ٢٢٩ - ٢٣٣) والديباج المذهب (٢/ ١٣٢ - ١٣٣) .

٤) أبو الحسين عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر بن أحمد بن محمد ابن سعيد الفارسي ثم النيسابوري قال حفيده الحافظ أبو الحسن عبد الغافر بن اسماعيل : (الجد الثقة الأمين الصالح الصائن المحظوظ من الدين والدنيا) . وحلاه الذهبي بقوله : (الشيخ الإمام الثقة المعمر الصالح) .

ولد أبو الحسين سنة خمسين ونيف بعد الثلاثمائة، ومات بنيسابور سنة ٤٤٨ . (١)

٥) أبو عمرو محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسين ابن موسى الرزجاهي ـ نسبة إلى رزجاه، بفتح أوله وسكون ثانيه ثم جيم، قرية من قرى بسطام ـ ، قال الحافظ أبو الحسن عبد الغافر الفارسي : (الأديب الثقة الشافعي الفاضل المحدث المكثر) .

كان مولده سنة ٣٤١ ووفاته في ربيع الأول سنة ٤٢٦ وقيل في التي تليها . (٢)

---

(١) المنتخب من السياق (ص ٣٦١ - ٣٦٢) وسير أعلام النبلاء (١٨ / ١٩-٢١) والعبر (٢ / ٢٩٢) .

(٢) المنتخب من السياق (ص ٤١) وطبقات الشافعية للسبكي (٤ / ١٥١-١٥٢) وشذرات الذهب (٣ / ٢٣٠) .

٦) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم بن البيع الضبي الطهماني النيسابوري ، الشافعي الشهير بالحاكم ، حلاه الذهبي بقوله : (الإمام الحافظ الناقد العلامة ، شيخ المحدثين صاحب التصانيف) .

وقال الخطيب : (كان من أهل الفضل والعلم والمعرفة والحفظ ، وله في علوم الحديث مصنفات عدة) .

ولد بنيسابور سنة ٣٢١ وبها توفي سنة ٤٠٥ .(١)

*) ومن تلاميذه أيضا : أبو مسعود الحسين بن محمد الكرابيسي وأبو نصر محمد بن أحمد البلخي الغزنوي ، وعلي بن الحسن السجزي الفقيه ، ومحمد بن علي بن عبد الملك الفارسي الفسوي ، وجعفر بن محمد بن علي المروزي المجاور ، وأبو بكر محمد بن الحسين الغزنوي المقرئ .(٢)

---

(١) تاريخ بغداد (٥/٤٧٣ - ٤٧٤) ووفيات الأعيان (٤/٢٨٠ - ٢٨١) وسير أعلام النبلاء (١٦٢/١٧ - ١٧٧) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٧/٢٥) ولم أقف على تراجمهم .

((المبحث الثالث))

ثقافته ومؤلفاته

اتسعت ثقافة أبي سليمان في علوم شتى ، وتنوعت معارفه في فنون عدة ، وهذا ملحظ تنم عنه تآليفه القيمة المختلفة ، وما قد سطره ببراعته من مسائل وقضايا علمية في ثنايا كتاباته وطي تقييداته ، يثيرها كلما وجد لذلك سببا ، أو من القول مدخلا ، - مطولا أو مقصرا - ، ولهذا كثيرا ما ينص على مسألة فقهية في مصنف لغوى ، أو لطيفة نحوية في مصنف حديثي وما إلى ذلك من التنبيهات العلمية الدقيقة ، مع استحضاره المدهش لمتون الأحاديث وحفظ غريبها ، وذكره لشواهد العربية وشواردها ، واتسامه بالدقة والإتقان فيما يكتبه ويدونه بأسلوب رصين ، وروعة في البيان ، وجمال في الإيجاز ، وبلاغة في التعبير ، وأمانة في النقل .

يقول الحافظ أبو طاهر السلفي : (إذا وقف منصف على مصنفاته واطلع على بديع تصرفاته في مؤلفاته ، تحقق إمامته وديانته فيما يورده وأمانته ، وكان قد رحل في طلب الحديث وقرأ العلوم وطوف،ثم ألف في فنون العلم وصنف)[1] .

وقال ابن الجوزى : (سمع الكثير وصنف التصانيف ، وله فهم مليح وعلم غزير ومعرفة باللغة والمعاني والفقه)[2] .

كما كان - رحمه الله - شاعرا مفلقا ، يقرض الشعر ويجيده في معان شتى

---

(١) مقدمته لمعالم السنن ، انظر مختصر سنن أبى داود للحافظ المنذرى (١٥٨/٨) .

(٢) المنتظم : (١٢٩/١٤) .

وقوالب عدة ، تدور معانيه على الزهد والورع والحكم ، والحديث عن مفهوم الحياة وترك التعلق بها ومعاملة أهلها بالمداراة والتسامح وبذل النصح لهم وإسداء العفو عنهم ، وهذا طرف من تلك الأشعار :

ذكر ياقوت[1] أن أبا سعد الخليل بن محمد الخطيب قال : كنت مع أبي سليمان الخطابي ، فرأى طائرا على شجرة ، فوقف ساعة يستمع ، ثم أنشأ يقول :

يَاليتني كنتُ ذاكَ الطائرَ الغَرِدَا * مِن البَرِيّةِ مُنحازاً ومُنفرِدَا

في غُصن بانٍ دَهَتْهُ الرِّيحُ تَخْفِضُه * طَوْراً وترفعُهُ أفنانُهُ صُعُدَا

خِلْوَ الهُمُومِ سِوَى حبٍّ تلقّطهُ * في التُّربِ أو نُفيةٍ[2] يَرْوِي بِهَا كَبِدَا

مَا إِن يُؤرِّقهُ فِكْرٌ لِرزقِ غدٍ * ولاَ عَليه حِسَابٌ في المعَادِ غَدَا

طُوباكَ مِن طَائِرٍ طُوباكَ وَيْحَكَ طِبْ * مَنْ كَانَ مِثْلكَ في الدُّنيا فَقَد سَعِدَا

وعن أبي الحسن بن أبي عمر قال أنشدني أبو سليمان الخطابي لنفسه :

ارضَ لِلنَّاسِ جَمِيعاً * مثل ما تَرْضَى لِنَفْسِكْ

إنَّما النَّاسُ جَميعاً * كُلُّهُم أبناءُ جِنْسِكْ

غيرُ عَدْلٍ أن تَوَخَّى * وحْشَةَ الناس بِأُنْسِكْ

فَلَهُم نفسٌ كَنَفْسِكْ * وَلَهُم حِسٌّ كَحِسِّكْ .[3]

---

(١) في معجم الأدباء (٤/٢٥٥) .

(٢) النُّفية : ما يبقى من الشيء . المعجم الوسيط (مادة نفى) ص ٩٤٣

(٣) طبقات الشافعية للسبكي (٣/٢٨٤) .

وقال :

تَسامَحْ ولا تسْتَوْفِ حقَّكَ كُلَّهُ * وأَبْقِ فَلَمْ يستقِصِ قطُّ كَرِيمُ

وَلَا تَغْلُ في شَيءٍ مِن الأمرِ واقْتَصِد * كِلَا طَرَفَيْ قَصْدِ الأمورِ ذَمِيمُ[1]

وقال :

مادُمتَ حيّاً فَدارِ النَّاسَ كُلَّهُمُ * فإنَّما أنتَ في دارِ المُدَاراةِ

مَنْ يَدْرِ دارَى ، وَمَن لَم يَدْرِ سَوْفَ يُرَى * عَمَّا قَلِيلٍ نَدِيماً للنَّدامَاتِ[2]

وقال :

شَرُّ السِّباعِ العَوادِي دُونَهُ وَزَرُ[3] * والنَّاسُ شَرُّهُمُ ما دُونَهُ وَزَرُ

كَم مَعْشَرٍ سَلِمُوا لَمْ يُؤذِهِمْ سَبُعٌ * وَمَا تَرَى بَشَراً لَمْ يُؤذِهِ بَشَرُ[4]

وقال :

وَقَائِلٍ وَرَأَى مِنْ حَجْبَتِي عَجَباً * كَمْ ذا التَّوَارِي وَأَنْتَ الدَّهرَ محجُوبُ ؟

فقلت : حَلَّتْ نُجُومُ العُمْرِ مُنْذُ بَدا * نَجْمُ المَشِيبِ وَدَيْنُ اللَّهِ مَطْلُوبُ

فَلُذْتُ مِنْ وَجَلٍ بِالإِستِتَارِ عَنِ الـ * أَبْصَارِ إنَّ غَرِيمَ المَوْتِ مَرْهُوبُ[5]

وقال :

لَعَمْرُكَ ما الحَياةُ وإن حَرَصْنَا * عليها غيرُ رِيحٍ مُسْتَعَارَه

وَمَا للرِّيحِ دائِمَةً هُبُوبٌ * وَلَكِنْ تَارَةً تَجْرِى وَتَارَه[6]

---

(١) يتيمة الدهر (٤/٣٣٦) ومعجم الأدباء (٤/٢٥٩) .

(٢) يتيمة الدهر (٤/٣٣٥) ومعجم الأدباء (٤/٢٥٨) .

(٣) أى وقاية وتحرز .

(٤) يتيمة الدهر (٤/٣٣٥) ومعجم الأدباء (٤/٢٥٨) .

(٥) يتيمة الدهر (٤/٣٣٥) ومعجم الأدباء (٤/٢٥٨-٢٥٩) . وفي الأول : مرعوب بدل مرهوب .

(٦) يتيمة الدهر (٤/٣٣٥) ومعجم الأدباء (١٠/٢٧٠) .

وقال :

تَغَنَّمْ سُكُونَ الحَادِثَاتِ فَإِنَّهـا * وَإِنْ سَكَنَتْ عَمَّا قَلِيلٍ تَحَـرَّكُ

وَبَادِرْ بِأَيَّامِ السَّلَامَةِ إِنَّهـا * رُهُونٌ وَهَلْ لِلرَّهْنِ عِنْدَكَ مَتْـرَكُ(١)

وقال :

قَدْ جَاءَ طُوفَانُ البَلَاءِ وَلَا أَرَى * فِي الأَرْضِ وَيْحِي لِلنَّجَاةِ سَفِينَهْ

فَاصْعَدْ إِلَى وَزَرِ السَّمَاءِ فَإِن يَكُنْ * يُعْيِيكَ فَابْكِ لِنَفْسِكَ المِسْكِينَهْ(٢)

** **

**

(١) يتيمة الدهر (٤/٣٣٦) ومعجم الأدباء (٤/٢٥٩) .

(٢) يتيمة الدهر (٤/٣٣٦) .

أما تآليفه فهي متنوعة الأغراض والفنون - كما ألمحت إلى ذلك سابقا - نتيجة لتمكنه من علوم عدة ومشاركته في فنون شتى ، فلقد صنف - رحمه الله - في علوم القرآن والتوحيد والحديث والفقه والفرائض واللغة .

وفيما يلي قائمة بأسماء مؤلفاته مع بيان ما طبع منها وما هو مخطوط - حسب المكنة والاستطاعة - مرتبة على حروف المعجم :

* ١) إصلاح غلط المحدثين .[1]

* ٢) أعلام الحديث في شرح صحيح البخارى .[2]

* ٣) كتاب بيان إعجاز القرآن .[3]

---

(١) وذكره بعضهم بإصلاح خطأ المحدثين ، وسماه الزبيدى في التاج (١ / ٤) : إصلاح الألفاظ وعده من الكتب التي اعتمد عليها في تأليفه التاج .
وقد طبع الكتاب بالقاهرة سنة ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م نشره الأستاذ عزت العطار ، وأعيدت طباعته سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م بتحقيق الدكتور محمد علي عبد الكريم الرديني ، كما طبع - أيضا - بتحقيق الدكتور حاتم الضامن ونشرته مؤسسة الرسالة .

(٢) وقد وقع في تسمية هذا الكتاب اضطراب شديد جدا ، وبلغ مجموع ما قيل في تسميته أحد عشر اسما .
انظر مقدمة محققه الدكتور محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود (١ / ٦٤ - ٦٥) .
وقد طبع في جامعة أم القرى بمكة المكرمة سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م تحقيق محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود . ثم طبع مرة أخرى بالمغرب بتحقيق الدكتور يوسف الكتاني .

(٣) نشره عبد الله بن الصديق الغمارى سنة ١٣٧٢هـ بمطبعة دار التأليف بالقاهرة ، كما نشره - أيضا - الدكتور عبد العليم عميد القسم العربي
=====

* ٤) تفسير اللغة التي في مختصر المزني .[(١)]

* ٥) تفسير الفطرة .[(٢)]

* ٦) كتاب الجهاد .[(٣)]

* ٧) دلائل النبوة .[(٤)]

* ٨) الرسالة الناصحة فيما يعتقد في الصفات .[(٥)]

* ٩) السراج[(٦)] ، والظاهر أنه تأليف في موضوع الإيمان وما يتعلق به من مسائل .

* ١٠) شأن الدعاء .[(٧)]

(=) في الجامعة الإسلامية بعلي كره (الهند) سنة ١٣٧٢ ، وأخيرا طبع بتحقيق وتعليق محمد خلف الله أحمد والدكتور محمد زغلول سلام مع رسالتين أخرتين في الإعجاز إحداهما للجرجاني والأخرى للرماني .

(١) نص عليه السبكي في الطبقات (٣ / ٢٩٠) .

(٢) ذكره في المعالم (٤ / ٣٢٧) عند شرحه للحديث : ((كل مولود يولد على الفطرة)) .

(٣) ذكره بعض مترجميه بدون عزو ، ولم أقف عليه في مظانه .

(٤) ورد اسمه في أعلام الحديث (٢ / ١٣٨٤) حيث قال : (والخبر مشهور قد أمليناه في دلائل النبوة) .

(٥) ذكرها برهان الدين الداغستاني في ترجمته لأبي سليمان الخطابي (مجلة الرسالة ٣ / ٨٦٥) .

(٦) ذكره المؤلف في أعلام الحديث (١ / ١٤٥) قائلا : (فمن أحب أن يستوفي ما ذكرناه من علمه فليأخذ من كتاب السراج) وقال في المصدر نفسه (١ / ١٥٩) : (وقد أشبعت بيان هذا الباب في كتاب السراج) .

(٧) وقد سمي بتفسير أسامي الرب عز وجل ، وبشرح دعوات ابن خزيمة وبشرح الأسماء الحسنى . انظر معجم الأدباء (٤ / ٢٥٢) و (١٠ / ٢٦٩) وتذكرة الحفاظ (٣ / ١٠١٩) .

= = = = =

* ١١) الشجاج .(١)
* ١٢) شعار الدين في أصول الدين .(٢)
* ١٣) كتاب العروس .(٣)
* ١٤) العزلـــــــة .(٤)

(=) وطبقات الشافعية للسبكي (٣ / ٢٨٣) وطبقات الحفاظ للسيوطـــــي (ص ٤٠٤) .
وقد طبع الكتاب بدار المأمون للتراث سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م بتحقيق أحمد يوسف الدقاق .

(١) هكذا ورد في معجم الأدباء (١٠ / ٢٦٩) وإنباه الرواه (١ / ١٦٠) وعند ابن خلكان في الوفيات (٢ / ٢١٤) : الشحاح بالحاء المهملـــة في الحرفين .

(٢) عده برهان الدين الداغستاني من تآليف الخطابي (مجلة الرســـالة : ٣ / ٨٦٥) .
وقد اقتصر شيخ الإسلام ابن تيمية على تسميته : (شعار الدين) في بيان تلبيس الجهمية (١ / ١٧٧ و ٢٤٩) وكذا ابن القيم في مختصـــر الصواعق (٢ / ٣٨١ و ٣٨٦) وفي تهذيب السنن (٧ / ١٠٨) .
ثم سماه ابن تيمية في الدرء (٧ / ٣١٦) : (شعار الدين وبراهيـــن المسلمين) .

(٣) كذا ذكره ياقوت في معجم الأدباء (٤ / ٢٥٣) .

(٤) طبع لأول مرة في القاهرة سنة ١٣٥٢هـ بالمطبعة المنيرية ، ثم طبـــع بدار ابن كثير بدمشق سنة ١٤٠٧هـ بتحقيق ياسين محمد الســـواس .

* ١٥) علم الحديث .[1]

* ١٦) غريب الحديث .[2]

* ١٧) الغنية عن الكلام وأهله .[3]

* ١٨) معالم السنن .[4]

* ١٩) معرفة السنن والآثار .[5]

---

(١) ذكره كارل بروكلمان في تاريخ الأدب العربي (٣ / ٢١٣) ، وفؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي (١ / ٤٢٨) .

(٢) حقق بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوى وطبع سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م بدار الفكر بدمشق .

(٣) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية (ص ٣٤) ونقل عنه .

(٤) واسمه الكامل : (معالم السنن في تفسير كتاب السنن لأبي داود السجستاني) . وبعضهم يقول (في شرح) بدل (في تفسير) .
والكتاب قد طبع في حلب سنة ١٩٢٠م بتحقيق محمد راغب الطباخ وطبع في القاهرة سنة ١٩٤٨م بتحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد حامد الفقي .
وقد سماه الفيومي في آخر كتابه المصباح المنير (ص ٢٧٢) : (معالم التنزيل) .
وغلط الدكتور محمد على عبد الكريم الرديني محقق إصلاح غلط المحدثين (ص ٢٣) في عده كتاب : (عجالة العالم من كتاب المعالم) للخطابي وهو للإمام الحافظ شهاب الدين أبو محمود أحمد بن محمد بن إبراهيم جمال الدين المقدسي (ت ٧٦٥) لخص فيه معالم السنن .
انظر : كشف الظنون (٢ / ١٠٠٥) وهدية العارفين (١ / ١١٢)

(٥) كشف الظنون (٢ / ١٧٣٩) والرسالة المستطرفة (ص ٤٤) .

كما أفرد الخطابي - رحمه الله - بحوثا عدة مستقلة لمسائل وقضايا علمية مختلفة، أشار إليها في بعض كتبه أو أشار إليها بعض العلماء في ثنايا كتبهم ونسبوها إليه، ومما وقفت عليه من ذلك ما يأتي :

* ٢٠) مصنف في التوحيد .[١]
* ٢١) مسألة في الدجال وابن صياد .[٢]
* ٢٢) مسألة في الطب .[٣]
* ٢٣) مسألة في الكلالة .[٤]
* ٢٤) مسألة مستوفاة (في قضية علمية) .[٥]

---

(١) ذكره الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم (ص ٢١٠) بقوله - أثناء كلام له - : (ورجح هذا القول الخطابي في مصنف له في التوحيد وهو حسن) .

(٢) انظر أعلام الحديث (١ / ٧١٠ - ٧١١) .

(٣) انظر المصدر السابق (٣ / ٢١٠٧) .

(٤) معالم السنن (٤ / ٩٤) قال : (وقد أفردت مسألة الكلالة وتفسيره وأودعتها من الشرح والبيان أكثر من هذا، وهو من غريب العلم ونوادره) .

(٥) انظر أعلام الحديث (٣ / ١٨٥١ - ١٨٥٢) .

المبحث الرابع

(((ثناء العلماء عليه)))

للإمام الخطابي - رحمه الله - مكانة علمية رفيعة، وجهد بالغ وعمل متين في خدمة علوم الشريعة الإسلامية، بأسلوبه العلمي الرصين، وذوقه الأدبي الرزين، مع ما كان يتحلى به من الخلق الحسن، ويوصف به من الزهد والورع مما أكسبه الثناء العطر من الأئمة الأعلام الأخيار، وإشاداتهم بفضله وتمكنه، ونعته بالأوصاف الحميدة والخصال النبيلة.

وهذه بعض أقوالهم في ذلك - رحمهم الله تعالى -:

* قال أبو منصور الثعالبي: (كان يشبه في عصرنا بأبي عبيد القاسم ابن سلام في عصره، علما وأدبا وزهدا وورعا وتدريسا وتأليفا، إلا أنه كان يقول شعرا حسنا، وكان أبو عبيد مفحما).[1]

* وقال أبو المظفر السمعاني: (قد كان من العلم بمكان عظيم، وهو إمام من أئمة السنة، صالح للاقتداء به والإصدار عنه).[2]

* وقال أبو سعيد السمعاني: (إمام فاضل، كبير الشأن، جليل القدر صاحب التصانيف الحسنة).[3]

* وقال أبو طاهر السلفي: (إذا وقف منصف على مصنفاته واطلع على

---

(١) يتيمة الدهر (٤/٣٣٤).

(٢) كتاب القواطع في أصول الفقه، نقلا عن طبقات الشافعية للسبكي (٣/٢٨٣).

(٣) الأنساب (٥/١٥٩).

بديع تصرفاته في مؤلفاته ، تحقق إمامته وديانته فيما يورده وأمانته ، وكان قد رحل في طلب الحديث ، وقرأ العلم وطوف ، ثم ألف في فنون العلم وصنف)[١] .

* وقال ابن خلكان : (كان فقيها أديبا محدثا ، له التصانيف البديعة)[٢] .

* وقال الذهبي : (الإمام العلامة المفيد المحدث الرحال)[٣] .

* وقال التاج السبكي : (كان إماما في الفقه والحديث واللغة)[٤] .

* وقال ابن كثير : (أحد المشاهير الأعيان ، والفقهاء المجتهدين المكثرين)[٥] .

* وقال ابن العماد : (كان أحد أوعية العلم في زمانه ، حافظا فقيها مبرزا على أقرانه)[٦] .

---

(١) مقدمة المعالم ، وهي بآخر مختصر سنن أبي داود للمنذري (٨ / ١٥٨) وما بعدها وكذا بآخر معالم السنن (٤ / ٣٥٥) وما بعدها .

(٢) وفيات الأعيان (٢ / ٢١٤) .

(٣) تذكرة الحفاظ (٣ / ١٠١٨) .

(٤) طبقات الشافعية (٣ / ٢٨٢) .

(٥) البداية والنهاية (١١ / ٣٤٦) .

(٦) شذرات الذهب (٣ / ١٢٨) .

* المبحث الخامس *

((منهجه في تقرير مسائل العقيدة))

يمكن إدراج منهج أبي سليمان الخطابي في تقريره لمسائل العقيدة ومعالجته لقضاياها تحت الفقرات الآتية :

١) استدلاله بالنص في غالب ما يقرره ، فإن أكثر كلامه - رحمه الله - إنما ورد في أثناء شرحه للأحاديث النبوية كشرحه لصحيح البخاري ، وسنن أبي داود السجستاني ، وهذا أظهر من أن يحتاج إلى أمثلة ، ولعل غالب ما سأورده في هذه الرسالة هو على هذا النحو .

٢) استعماله للصناعة الحديثية في تقريره - أيضا - لما يعرض له من المسائل ، وهذا الصنيع منه واضح جلي في مواطن متعددة من مؤلفاته ، وإن كان الموجود منها في هذه الرسالة قليلا .

ومن أمثلته الواردة - هنا - حديثه عن بعض الأسانيد التي لا يرتضي متونها ، كما في قوله عليه الصلاة والسلام : ((لا شخص أغير من الله)) . فهو يرى أن الراوي صحف في الرواية، وهذا يقول : (والدليل على ذلك أن أبا عوانة قد روى هذا الخبر عن عبد الملك ، فلم يذكر هذا الحرف ، وروته أسماء بنت أبي بكر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت : ((لا شيء أغير من الله)) ، هكذا رواه أبو عبد الله ، وعن يحي أن أبا سلمة حدثه أن أبا هريرة حدثه أنه سمع عن النبي - صلى الله عليه وسلم - مثله . فدلت رواية أسماء وأبي هريرة قوله : ((لا شيء أغير من الله)) على أن الشخص وهم وتصحيف ، والشيء والشخص في السطر الأول من الاسم سواء ، فمن لم يمعن الاستماع لم يأمن الوهم .

وليس كل الرواة يراعون لفظ الحديث حتى لا يتعدوه ، بل كثير منهم يحدث على المعنى ، وليس كلهم بفقيه ، وفي كلام آحاد الرواة منهم جفاء وتعجرف . . وحري أن يكون لفظ الشخص إنما جرى من الراوي على هذا السبيل إن لم يكن من قبل التصحيف .

ثم إن عبيد الله بن عمرو قد تفرد به عن عبد الملك ولم يتابع عليه ، فاعتوره الفساد من هذه الوجوه ، فدل على صحة ما قلناه ، والله أعلم) .اهـ

وكذا كلامه عن حديث أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ مرفوعا في إثبات صفة القدم ، قائلا : (قد أضيف القدم في هذه الرواية إلى الرب سبحانه ، إلا أن الراوي كان يقفه مرة ويرفعه أخرى ، وأكثره الوقف على ما ذكر في الحديث ، وقد رواه أيضا من طريق أنس فلم يصرح بإضافته إلى الرب سبحانه . . فذكر الرِّجل والقدَم من غير إضافة كما ترى) .

٣) اعتماده على اللغة العربية في الشرح والبيان والتقرير ، فالمتتبع لمؤلفاته تتبين له القدرة اللغوية والبلاغية التي يتمتع بها بما يظهر في أسلوبه المتين الرصين ، بل إنه يوجه ويدعو إلى ضرورة الاهتمام باللغة حتى لا يقع الجاهل بها في خطإ ربما أدى إلى كفره . وفي هذا المعنى يقول ـ وهو يتحدث عما يجب أن يُراعىٰ في الدعاء ـ : (ومما يجب أن يراعى في الأدعية : الإعراب الذي هو عماد الكلام وبه يستقيم المعنى ، وبعدمه يختل ويفسد ، وربما انقلب المعنى باللحن حتى يصير كالكفر إن اعتقده صاحبه ، كدعاء من دعا أو قرآة من قرأ «إياك نعبد وإياك نستعين» بتخفيف الياء من «إياك» ، فإن الأيا ضياء الشمس ،

فيصير كأنه يقول : شمسك نعبد ، وهذا كفر) .

أما تقريره لبعض المسائل العقدية باستخدام التحليل اللغوي فمنها حديثه عن تفسير ((الساق)) الوارد في قول النبي-صلى الله عليه وسلم- : ((يكشف ربنا عن ساقه . .)) . قال : (وهذا الحديث مما قد تهيب القول فيه شيوخنا فأجروه على ظاهر لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم في التوقف عن تفسير كل مالا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب .

وقد تأوله بعضهم على معنى قوله : ((يوم يكشف عن ساق)) .

ثم ساق بسنده إلى ابن عباس أنه قال — وقد سئل عن هذه الآية — : (إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر ، فإنه ديوان العرب ، أما سمعتم قول الشاعر :

اصبر عناق إنه شر باق * قامت الحرب بنا على ساق .

وهو يوم كرب وشدة .

وقال غيره من أهل التفسير والتأويل في قوله : ((يوم يكشف عن ساق)) أى عن الأمر الشديد ، وأنشدوا :

قد شمرت عن ساقها فشدوا * وجدت الحرب بكم فجدوا

وقال بعض الأعراب : عجبت من نفسي ومن إشفاقها

ومن طرادي الطير عن أرزاقها

في سنة قد كشفت عن ساقها

وإنما جاء ذكر الكشف عن الساق على معنى الشدة ، فيحتمل - والله أعلم — أن يكون معنى الحديث أنه يبرز من أمر القيامة وشدتها ما يرتفع معه سواتر الإمتحان

فيتميز عند ذلك أهل اليقين والإخلاص فيؤذن لهم في السجود وينكشف الغطاء عن أهل النفاق ، فتعود ظهورهم طبقا لا يستطيعون السجود) . إلى أن قال : (وفيه وجه آخر لم أسمعه من قدوة وقد يحتمله معنى اللغة ، سمعت أبا عمر يذكر عن أبي العاص أحمد بن يحيى النحوي فيما عد من المعاني المختلفة الواقعة تحت هذا الإسم ، قال : (والساق : النفس) قال : ومنه قول علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ حين راجعه أصحابه في قتال الخوارج فقال : (والله لأقاتلنهم ولو تلفت ساقي) . يريد نفسه ، فقد يحتمل على هذا أن يكون المراد به التجلي لهم وكشف الحجب حتى إذا رأوه سجدوا له ، ولست أقطع به القول ولا أراه واجبا فيما أذهب إليه من ذلك ، وأسأل الله أن يعصمنا من القول بما لا علم لنا به) .

٤) تقريره لمنهج السلف ودعوته إليه وتأكيده على ضرورة اتباعه وقفو أثره وإن كان ـ رحمه الله ـ لم يلتزم به في بعض جوانبه ، لكنه اعتمده وسلكه من حيث الجملة ، ومما قاله بهذا الصدد عند حديثه عن صفة اليدين : (إنما هي صفة جاء بها التوقيف ، فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها وننتهي إلى حيث انتهى بنا الكتاب والأخبار المأثورة الصحيحة ، وهو مذهب أهل السنة والجماعة) .

ويقول متحدثا عن عموم الصفات : (فأما ما سألت عنه من الصفات وما جاء منها في الكتاب والسنة ، فإن مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها ، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله ، وحققها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف) .

وقال عند عرضه لحديث النزول : (هذا الحديث وما أشبهه من الأحاديث في الصفات كان مذهب السلف فيها الإيمان بها وإجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية عنها) .

٥) تأثره بمنهج المتكلمين في بعض تقريراته ، فإنه — كما تقدم — يوافق المسلك السلفي في أغلب مسائل العقيدة وقضاياها ، لكنه يخرج أحيانا عن طريقهم ومذهبهم . ومن ذلك استخدامه لبعض المصطلحات كلفظ الجسم مثلا ، فإن المتكلمين يستعملونه لنفي الجسمية عن الله عز وجل وهم يريدون بذلك أنه سبحانه ليست له ذات يشار إليها بالبنان أو لا يحكم له عز وعلا أنه مستو على عرشه فوق مخلوقاته .

والخطابي — رحمه الله — قد استعمل هذا الإصطلاح لنفي ثبوت حديث ((لا شخص أغير من الله)) فقال : (إطلاق الشخص في صفة الله تعالى غير جائز ، وذلك لأن الشخص لا يكون إلا جسما مؤلفا ، وإنما يسمى شخصاً ما كان له شخوص وارتفاع ، ومثل هذا النعت منفي عن الله سبحانه) .

كما أنه كثيرا ما يشير إلى عدم قبوله لأحاديث الآحاد والأخذ بها في نصوص العقيدة ، وهذا منهج المتكلمين ، فقد قال عند حديث عبد الله ابن مسعود — رضي الله عنه — مرفوعا في مجيء الحبر إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، وذكر أن الله عز وجل (يجعل السموات على إصبع والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع . .) الحديث . : (الأصل في هذا وما أشبهه من أحاديث الصفات والأسماء

أنه لا يجوز ذلك إلا أن يكون بكتاب ناطق أو خبر مقطوع بصحته ، فإن لم يكونا فيما يثبت من أخبار الآحاد المستندة إلى أصل في الكتاب أو في السنة المقطوع بصحتها) .

وقال في موضع آخر : (وما لم يكن له منها في الكتاب ذكر ولا في التواتر أصل ولا له بمعاني الكتاب تعلق ، وكان مجيئهُ من طريق الآحاد وأفضى بنا القول إذا أجريناه على ظاهره إلى التشبيه فإنا نتأوله على معنى يحتمله الكلام ويزول معه معنى التشبيه) .

هذه أهم الجوانب البارزة والمعالم الظاهرة في منهج الخطابي ـ رحمه الله تعالى ـ ، وسوف يتضح ذلك بمزيد من البيان عند عرض كلامه على مسائل الاعتقاد المفصلة ، والذي يعتبر الجانب التطبيقي لهذه الجوانب التي عرضتها هنا باختصار شديد ، وذلك تلافيا لما قد يحدث من التكرار هنا وفي أبواب الرسالة وفصولها .

** **

**

الباب الثاني

((البـاب الثانـــي))

-(((منهج الخطابي في التوحيد وبيانه لنواقضــه)))-

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأولـــــ : توحيـــــد الربوبيــــــــة .

الفصل الثانـــي : توحيد الأسـماء والصفـــات .

الفصل الثالـــث : توحيد الألوهية ونواقضـــــه .

===========

الفصل الأول توحيد الربوبية .

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : تعريف توحيد الربوبية لغة .

المبحث الثاني : تعريف توحيد الربوبية اصطلاحا .

المبحث الثالث : منهج الخطابي في معرفة الله تعالى .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : هل معرفته - سبحانه - فطرية أم نظرية ؟

المطلب الثاني : دلالات معرفة الخالق - جل وعلا - وإثبات وحدانيته .

الباب الثاني : منهج الخطابي في التوحيد وبيانه لنواقضه :

الفصل الأول

—((توحيـــد الربوبيـــة))—

المبحث الأول : تعريف توحيد الربوبية لغة :

الربوبية مصدر من رب يرب ربا وربابـــة .

قال ابن قتيبة[١] : (الرب : المالك ، يقال : هذا رب الدار ورب الضيعة ورب الغلام ، أى مالكه ،قال الله سبحانه : ﴿ ارجع إلى ربك ﴾[٢] أي إلى سيدك ، ولا يقال لمخلوق هذا الرب ، معرفا بالألف واللام كما يقال لله ،إنما يقال : هـذا رب كذا فيعرف بالإضافة ، لأن الله مالك كل شيء ، فإذا قيل : الرب دلت الألف واللام على معنى العموم ، وإذا قيل لمخلوق رب كذا ورب كذا نسب إلى شيء خاص، لأنه لا يملك شيئا غيره) .[٣]

وقال ابن الأنبارى[٤] : (الرب ينقسم على ثلاثة أقسام ،يكون الرب : المالك ، ويكون الرب : السيد المطاع[٥] ، قـــال اللـــه تعالـــى :

---

(١) هو : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ،الإمام العلامـة ، خطيب أهل السنة ، من أئمة الأدب واللغة والنحو والشرع ، ولد سنة ٢١٣ وتوفي ببغداد سنة ٢٧٦ .
انظر: تاريخ بغداد (١٠/ ١٧٠ - ١٧١) ووفيات الأعيـان (٣/ ٤٢ - ٤٤) وسير أعلام النبلاء : (١٣/ ٢٩٦ - ٣٠٢).

(٢) سورة يوسف بعض آية (٥٠) ، وانظر تفسيرها بجامع البيان :(١٢/ ٢٣٤) وتفسير أبى السعود : (٣/ ١٥٦) ، وفتح القدير : (٣/ ٣٣).

(٣) تفسير غريب القرآن ص (٩) .

(٤) هو : أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنبارى الإمام الحافظ اللغوى الأديب ، كان صدوقا فاضلا دينا خيرا ،ولد ببغداد سنة ٢٧١ وبها توفي سنة : ٣٢٨ .
طبقات الحنابلة :(٢/ ٦٩ - ٧٣) ، ومعرفة القراء :(١/ ٢٨٠ - ٢٨٢)والمقصد الأرشد : (٢/ ٤٨٨ - ٤٨٩)

(٥) ومنه قول لبيد :
وأهلكن يومـا رب كندة وابنه . . ورب معد بين خبت وعرعـر
ديوانه ص (٧١)

﴿ فيسقي ربه خمرا ﴾[1] ، ويكون الرب : المصلح) [2] .

وقال الزجاجي :[3] (الرب : المصلح للشيء ، يقال : ربيت الشيء أربه ربا وربابة : إذا أصلحته وقمت عليه ، ورب الشيء مالكه . . ومصدر الرب : الربوبية ، وكل من ملك شيئا فهو ربه . .) [4] .

وقال ابن فارس :[5] (رب ، الراء والباء يدل على أصول ، فالأول إصلاح الشيء والقيام عليه ، فالرب : المالك والخالق والصاحب ، والرب : المصلح للشيء ، يقال رب فلان ضيعته إذا قام على إصلاحها ، وهذا سقاء مربوب بالرب . . والله جل ثناؤه الرب ، لأنه مصلح أحوال خلقه) [6] .

(١) سورة يوسف بعض آية (٤١) .

(٢) تهذيب اللغة :(١٥/ ١٧٧) وانظر : تفسير الطبري :(١/ ١٤١-١٤٣)

(٣) هو : أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي ، العلامة اللغوي النحوي - ينسب إلى شيخه أبي إسحاق ابراهيم الزجاج - ولد في سنة لم يذكرها العلماء ، وتوفي سنة ٣٤٠ ، وقيل غير ذلك .
طبقات النحويين واللغويين(ص ١١٩) ، وسير أعلام النبلاء : (١٥/ ٤٧٥ - ٤٧٦) وبغية الوعاة :(٢/ ٧٧)

(٤) اشتقاق أسماء الله ص (٣٢) .

(٥) هو : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، العلامة المحدث اللغوى الشهير ، مولده بقزوين سنة ٣٢٩ . ووفاته بالري سنة ٣٩٥ .
يتيمة الدهر :(٣/ ٣٩٧ - ٤٠٤)، والوافي بالوفيات:(٧/ ٢٧٨-٢٨٠) وسير أعلام النبلاء :(١٧/ ١٠٣ - ١٠٦) .

(٦) معجم مقاييس اللغة :(٢/ ٣٨١ - ٣٨٢).

والخطابي رحمه الله قد أشار إلى معنيين من المعاني الثلاثة هما :
السيد والمالك ولم يذكر المعنى الثالث الذى هو المصلح . فقال :
(فأما الرب فقد روى عن غير واحد من أهل التفسير [(١)] في قوله تعالى :
﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [(٢)] أن معنى الرب ، السيد ، وهذا يستقيم إذا
جعلنا العالمين معناه : المميزين دون الجماد ، لأنه لا يصلح أن يقال : سيد
الشجر والجبل ونحوها ، كما يقال : سيد الناس ، ومن هذا قوله سبحانه :
﴿ ارجع إلى ربك فسئله ما بال النسوة ﴾ [(٣)] أي إلى سيدك .
ومنه قول الشاعر [(٤)] :

بقتل بني مالك ربهم . . ألا كل شيء سواه جلل [(٥)]

يريد سيدهم .

وقيل : إن الرب : المالك ، وعلى هذا تقسيم الإضافة على العموم ، وذهب كثير
منهم إلى أن اسم العالم يقع على جميع المكونات ، واحتجوا بقوله سبحانه ﴿ قال
فرعون وما رب العالمين ، قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ﴾ [(٦)] [(٧)] .

---

(١) انظر : تفسير الطبرى : (١ / ١٤١ - ١٤٣).

(٢) سورة الفاتحة آية (١) .

(٣) سورة يوسف بعض آية (٥٠) .

(٤) هو امرؤ القيس .

(٥) ديوانه ص (٢٦١) .

(٦) سورة الشعراء : آية (٢٣ - ٢٤) .

(٧) شأن الدعاء ص (٩٩ - ١٠٠) .

هذا ما أورده الخطابي لمعنى الرب حسب الوضع اللغوى فكان موافقـــا لما ذكره علماء العربية ونصت عليه معاجمها .[1]

---

(١) انظر : كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية :(٢ / ٢٧ - ٣١)، والصحاح :(١ / ١٣٠) والمخصص :(٥ / ١٥٤) ، السفر السابع عشـــر والمفردات للراغب ص (١٨٤) ولسان العرب : (١ / ٣٩٩) وما بعدهـــا .

التوحيد وذلك كالخلق والرزق والإحياء والإماتة والضر والنفع والمنع والعطاء والتدبير والمشيئة بمناسبة شرحه لأسماء الله الحسنى ، وسأورد كلامه مراعيا ترتيبه واختصاره قدر المكنة والاستطاعة وبالله التوفيق .

قال - رحمه الله - عند شرحه لاسمه تعالى : الخالق [(١)] : (هو المبدع للخلق والمخترع له على غير مثال سابق ، قال سبحانه : ﴿ هل من خالق غير الله ﴾ [(٢)] .

فأما في نعوت الآدميين فمعنى الخلق : التقدير [(٣)] كقوله - جل وعز - (على لسان عيسى بن مريم) ((أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير)) [(٤)]

وكقول زهير [(٥)] :

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ . . ض القوم يخلق ثم لا يفري [(٦)]

---

(١) سأترك التدليل على ما سيرد من أسماء الله تعالى لحين مبحثه المعقود له .

(٢) سورة فاطر بعض آية (٣) .

(٣) انظر كتاب الزينة ص :(٥٢ - ٥٥) ، وتفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٣٥ - ٣٦). واشتقاق أسماء الله ص :(١٦٦ - ١٦٨).

(٤) سورة آل عمران بعض آية (٤٩) .
وانظر تفسيرها بالمحرر الوجيز :(٣ / ٩٣) وتفسير البحر المحيط :(٢ / ٤٦٥) وتفسير التحرير والتنوير :(٣ / ٢٥٠).

(٥) هو زهير بن أبي سلمى - واسم أبي سلمى ربيعة - بن رباح بن قرط بن الحارث ، من فحول شعراء الجاهلية لم يدرك الإسلام ، وأدركه ابناه كعب وبُجير فهما من الصحابة .

طبقات فحول الشعراء :(١ / ٥١) والشعر والشعراء :(١ / ١٤٧) ، وما بعدها .

(٦) ديوانه (ص ٢٩) ، والبيت من قصيدة يمدح فيها هرم بن سنان ، مطلعها :
لمن الديار بقنة الحجر . . أقوين من حجج ومن شهر ؟

يقول : إذا قدّرت شيئا قطعته ، وغيرك يقدر ما لا يقطعه ، أي يتمنى مالا يبلغه ، ومن هذا قوله ـ جل وعز ـ : ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ [1] [2] .

وقال عند شرحه لاسمه تعالى : الرزاق : (هو المتكفل بالرزق والقائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها ، وسع الخلق كلهم رزقه ورحمته ، فلم يختص بذلك مؤمنا دون كافر ، ولا وليا دون عدو ، يسوقه إلى الضعيف الذى لا حيل له ولا متكسب فيه ، كما يسوقه إلى الجلد القوى ذي المرة السوى ، قال سبحانه : ﴿ وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم ﴾ [3] ، وقال تعالى ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾ [4] .

وكان من دعاء داود صلوات الله عليه : « يارازق النّعاب في عشه » [5]

---

(١) سورة المؤمنون بعض آية (١٤) .

(٢) شأن الدعاء ص (٤٩ - ٥٠) وانظر أيضا شرح الخطابي لاسمه تعالى : ﴿ المبدى المعيد ﴾ و ﴿ البارى ﴾ و ﴿ المصور ﴾ و ﴿ البديع ﴾ و ﴿ الفاطر ﴾ بالمصدر نفسه .

(٣) سورة العنكبوت بعض آية (٦٠) .

(٤) سورة هود بعض آية (٦)

(٥) ذكره ابن الأثير في النهاية (نعب) (٥ / ٧٩) والدميرى في حياة الحيوان (٢ / ٣٣٢) قائلا : وفي المجالسة للدينورى في أول الجزء العاشر عن الأحوص بن حكيم قال : كان من دعاء داود عليه الصلاة والسلام : (يارازق النعاب في عشه) . . ثم ذكر الدميرى قصة النعاب المذكورة أعلاه مع اختلاف يسير في بعض ألفاظها ، ثم قال : وكذا ذكره ـ أي الدعاء ـ صاحب كتاب الحجة لبيان المحجة وغيره عن مجاهد وغيره . . وأن الحريرى أشار إلى ذلك ـ أي إلى قصة النعاب ـ في المقامة الثالثة عشرة ـ وتعرف بالبغدادية ـ بقوله :

يارازق النعاب في عشه . . وجابر العظم الكسير المهيض

أتح لنا اللهم من عرضه . . من دنس الذم نقي رحيض . اهـ

يريد : فرخ الغراب ، وذلك أنه يقال : إنه إذا تفقأت عنه البيضة خرج أبيض كالشحمة ، فإذا رآه الغراب أنكره لبياضه فتركه ، فيسوق الله -جل وعز- إليه البق ، فتقع عليه لزهومة ريحه فيلقطها ويعيش بها إلى أن يحمم ريشه فيسود ، فيعاوده الغراب عند ذلك ويألفه ويلقطه الحب ، فهذا معنى رزقه النعاب في عشه ، وقد يكون وصول الرزق بسبب وبغير سبب ، ويكون ذلك بطلب وبغير طلب، وقد يرث الإنسان مالا فيدخل في ملكه من غير قصد إلى تملكه وهو من جملة الرزق ، وكل ما وصل منه من مباح وغير مباح فهو رزق الله على المعنى أنه قد جعله له قوتا ومعاشا ، كقوله سبحانه : ﴿ رزقا للعباد ﴾[1] إثر قوله سبحانه : ﴿ والنخل باسقات لها طلع نضيد ﴾[2] وكقوله : ﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون ﴾[3] ،إلا أن الشيء إذا كان مأذوناً له في تناوله فهو حلال حكما ، وما منه غير مأذون له فيه فهو حرام حكما ، وجميع ذلك رزق على المعنى الذى بيناه) .[4]

(=) وانظر الحجة في بيان المحجة : (١/ ١٣٧) ، فإنه أورد الخبر أيضا .

(١) سورة ق بعض آية (١١) .

(٢) سورة ق بعض آية (١٠)

(٣) سورة الذاريات آية (٢٢) .

(٤) شأن الدعاء (ص ٥٤ - ٥٦).

وما ذكره الخطابي هنا من كون الرزق يشمل الحلال والحرام هو قول السلف - رحمهم الله تعالى - وهو أيضا رأى الأشاعرة .

قال في المواقف ص(٣٢٠) : (وهو عندنا كل ماساقه الله إلى العبد فأكله فهو رزق له من الله حلالا كان أو حراما ، إذ لا يقبح من الله شيء) .

قلت : وخالف في هذا المعتزلة وأنكروه بدعوى أنه تعالى منع اكتساب الحرام وإنفاقه ، فلو كان رزقا منه لم يجز منعه - وهذا مبني على قاعدتهم الشوهاء النكراء في الحكم عليه جل وعلا - .

===

ويزيد الخطابي وضوحا لمسألة الرزق فيقول عند شرحه لاسمه تعالى : « القابض الباسط » : (قد يحسن في مثل هذين الإسمين أن يقرن أحدهما في الذكر بالآخر ، وأن يوصل به ليكون ذلك أنبأ عن القدرة وأدل على الحكمة [1] ، كقوله تعالى : « والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون » [2] ، وإذا ذكرت القابض مفردا عن الباسط كنت كأنك قد قصرت بالصفة على المنع والحرمان ، وإذا أوصلت أحدهما بالآخر فقد جمعت بين الصفتين منبئا عن وجه الحكمة فيهما ، فالقابض الباسط هو الذي يوسع الرزق ويقتره ، ويبسطه بجوده ورحمته ، ويقبضه بحكمته على النظر لعبده كقوله : « ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء » [3] فإذا زاده لم يزده سرفا وخرقا ، وإذا نقصه لم ينقصه عدما ولا بخلا..) [4].

وأما ما يتعلق بالإحياء والإماتة فيقول عند شرحه لاسمه تعالى :"المحيي المميت":

(المحي : هو : الذي يحيي النطفة الميتة فيخرج منها النسمة الحية ، ويحيي الأجسام البالية بإعادة الأرواح إليها عند البعث ، ويحيي القلوب بنور المعرفة ، ويحيي الأرض بعد موتها بإنزال الغيث وإنبات الرزق .

(=) انظر لهذه المسألة : مقالات الاسلاميين : (١/ ٢٠٦ ، ٢٢٢ ، ٣٤٩)، وشرح الأصول الخمسة(ص ٧٨٤ - ٧٨٨)، وأصول الدين للبغدادي (ص ١٤٤ - ١٤٥) ، والمعتمد لأبي يعلى(ص ١٥٠) ، والقصيدة النونية مع شرحها للهراس :(٢/ ١٠٨ - ١٠٩) ، والقلائد في تصحيح العقائد (ص ٩٩) ، ولوامع الأنوار البهية :(١/ ٣٤٣ - ٣٤٥) ، وشرح جوهرة التوحيد للباجوري(ص ٤٤١ - ٤٤٣) ، والحق الواضح المبين ص:(٨٥ - ٨٦)

(١) انظر تفسير اسماء الله الحسنى للزجاج (ص: ٤٠) والمنهاج للحليمي(١/ ٢٠٣) والقصيدة النونية مع شرحها للهراس(٢/ ١٢٠) ، والحق الواضح المبين(ص ٨٩)

(٢) سورة البقرة بعض آية (٢٤٥) .

(٣) سورة الشورى بعض آية (٢٧) .

(٤) شأن الدعاء(ص ٥٧ - ٥٨) ، وانظر المصدر نفسه عند شرح اسمه تعالى : (الجبار) و(الوكيل) و(البر) و(المغني) و (الواسع) .

والمميت هو الذي يميت الأحياء ، ويوهن بالموت قوة الأصحاء الأقوياء ﴿ يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ﴾ [(١)] . تمدح سبحانه بالإماتة كما تمدح بالإحياء ليعلم أن مصدر الخير والشر والنفع والضر من قبله ، وأنه لا شريك له في الملك ، استأثر بالبقاء ، وكتب على خلقه الفناء ﴾ . [(٢)]

وقال متحدثا عن الضر والنفع عند شرحه لاسمه تعالى : "الضار النافع": ﴿ وهذان الاسمان مما يحسن القران في الذكر بينهما ، لأن في اجتماعهما وصفا له بالقدرة على نفع من شاء وضر من شاء [(٣)] وذلك أن من لم يكن على النفع والضر قادرا لم يكن مرجوا ولا مخوفا ، وفيه إثبات أن الخير والشر من قبل الله ـ جل وعز ـ [(٤)] وقد يكون معناه أيضا : أنه يقلب الضار بلطيف حكمته منافع ، فيشفي بالسم القاتل إذا شاء ، كما يميت به إذا شاء ليعلم أن الأسباب إنما تنفع وتضر إذا اتصلت المشيئة بها ﴾ . [(٥)]

---

(١) سورة الحديد بعض آية (٢) .

(٢) شأن الدعاء : ص : (٧٩ - ٨٠) .

(٣) مما ينبغي أن يعلم أن أسماء الله تعالى المزدوجة المتقابلة ينبغي أن لا يفرد أحدها عن الآخر في الذكر والدعاء ، إذ في ذلك ما يوهم نقصا في حقه تعالى ، بل الكمال في ذكرها جميعا ، فيقال : يا معطي يا مانع ، ياضار يانافع ، يامقدم يامؤخر ، يا معز يامذل ، ياخافض يارافع وهكذا فيما جاء على هذه الشاكلة .

انظر القصيدة النونية مع شرحها للهراس : (٢ / ١٢٠) ، وبدائع الفوائد : (١ / ١٦٧) ، والحق الواضح المبين (ص ٨٩) ، ومعارج القبول (١ / ١١٧ - ١١٨) ، .

(٤) سيأتي الكلام على هذه المسألة - إن شاء الله تعالى - في مباحث القضاء والقدر .

(٥) شأن الدعاء (ص : ٩٤ - ٩٥) .

وقال عند شرحه لاسمه تعالى :"الوهاب": (هو الذي يجود بالعطاء عن ظهر يد من غير استثابة ، ومعنى الهبة : التمليك بغير عوض يأخذه الواهب من الموهوب له ، فكل من وهب شيئا من عرض الدنيا لصاحبه فهو واهب ، ولا يستحق أن يسمى واهبا إلا من تصرفت مواهبه في أنواع العطايا فكثرت نوافله ودامت . والمخلوقون إنما يملكون أن يهبوا مالا أو نوالا في حال دون حال ، ولا يملكون أن يهبوا شفاء لسقيم ، ولا ولدا لعقيم ، ولا هدى لضلال ولا عافية لذي بلاء ، والله الوهاب - سبحانه - يملك جميع ذلك ، وسع الخلق جوده ورحمته ، فدامت مواهبه واتصلت منه وعوائده) .(1)

وقال عند شرحه لاسمه تعالى : المانع : (هو الناصر الذي يمنع أولياءه، أي يحوطهم وينصرهم على عدوهم ، ويقال : فلان في منعة من قومه ، أي في جماعة تمنعه وتحوطه .

ويكون المانع من المنع والحرمان لمن لا يستحق العطاء ، كقوله صلى الله عليه وسلم: « لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت »(2) ، فهو سبحانه يملك المنع والعطاء ، وليس منعه الشيء بخلا به ، لكن منعه حكمة ، وعطاؤه جود ورحمة) .(3)

---

(١) شأن الدعاء (ص (٥٣)).

(٢) متفق عليه ، وهو طرف من حديث المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأذان باب ١٥٥ ح ٨٤٤ ، (الفتح ٢ / ٣٢٥) وفي مواضع أخرى من الصحيح ، انظر ح ٦٣٣٠ ، ٦٦١٥ و ٧٢٩٢ .
ومسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ح ١٣٧ و ١٣٨ ، (١ / ٤١٤ - ٤١٥) ، وكذا أخرجه من حديث شعبة عن الحكم وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن عباس في كتاب الصلاة ح ١٩٤ و ٢٠٥ و ٢٠٦ . ورواه غيرهما من أصحاب السنن والمصنفات .

(٣) شأن الدعاء (ص ٩٣ - ٩٤) .

وقال عند شرحه لاسمه تعالى :"المدبر": (والمدبر هو العالم بأدبار الأمور وعواقبها ، ومقدر المقادير ومجريها إلى غاياتها ، يدبر الأمور بحكمته ، ويصرفها على مشيئته) .(١)

أما ما يتعلق بمشيئة الله تعالى - فإضافة لما سبق - فيقول الخطابي عند شرحه لاسمه تعالى : المقدم المؤخر : (هو المنزل الأشياء منازلها ، يقدم ما يشاء منها ويؤخر ما شاء ، قدّم المقادير قبل أن خلق الخلق ، وقدّم من أحب من أوليائه على غيرهم من عبيده ، ورفع الخلق بعضهم فوق بعض درجات ، وقدّم من شاء بالتوفيق إلى مقامات السابقين ، وأخر من شاء عن مراتبهم وثبطهم عنها ، وأخر الشيء عن حين توقعه لعلمه بما في عواقبه من الحكمة ، لا مقدم لما أخر ولا مؤخر لما قدم ..) .(٢)

ويقول أيضا شارحا اسمه تعالى :"الوالي" : (هو المالك للأشياء ، والمتولي لها ، والمتصرفة مشيئته فيها ، يصرفها كيف شاء ، ينفذ فيها أمره ويجرى عليها حكمه ....) .(٣)

ويقول في موضع آخر عند تفسيره لاسمه - جل وعلا - :"الواجد" :(... وهو الذي لا يؤوده طلب ولا يحول بينه وبين المطلوب هرب ، فالخلق كلهم في قبضته يتقلبون ، وعلى مشيئته يتصرفون) .(٤)

---

(١) شأن الدعاء ص :(١٠٣ - ١٠٤).
(٢) المصدر السابق ص :(٨٦ - ٨٧) .
(٣) المصدر السابق ص :(٨٩)
(٤) المصدر السابق ص :(٨١).

المبحث الثالث

ـ((منهج الخطابي في معرفة الله تعالى))ـ

المطلب الأول : هل معرفته ـ سبحانه ـ فطرية أم نظرية ؟

إنه مما لا شك فيه ولا ارتياب أن الإيمان بوجوده ـ جل وعلا ـ وتحقيق كمال وحدانيته ، أصل الدين وقوامه ، ولبه وصميمه ، وهو في الواقع أمر لا يحتاج إلى سرد الأدلة وحشد البراهين ، لمعلوميته في النفوس بحكم فطرتها وجبلتها ، ((فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله))[1] ، وإنما يصار إلى ذلك عند تغير الفطرة وفسادها ، أو عند ضعف الإيمان وقلة اليقين .

يقول ابن تيمية[2] ـ رحمه الله تعالى ـ : (إن الإقرار بالخالق وكماله يكون فطريا ضروريا في حق من سلمت فطرته ، وإن كان مع ذلك تقوم عليه الأدلة الكثيرة ، وقد يحتاج إلى الأدلة عليه كثير من الناس عند تغير الفطرة وأحوال تعرض لها)[3] .

وهذه المسألة ـ مع منتهى وضوحها وجلائها ـ تخبط الناس فيها خبط عشواء ، وأكثروا فيها القيل والقال ، واشتد بينهم النزاع وطال الجدال ، فالمتكلمون[4] من المعتزلة[5]

---

(١) سورة الروم بعض آية (٣٠) .

(٢) هو أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ، الشهير بابن تيمية الشيخ الإمام العلم المجتهد الرباني ، ناصر السنن وقامع البدع ، ذاع صيته وعم الآفاق ذكره ، ولد بحران سنة ٦٦١ وتوفي سجينا بدمشق سنة ٧٢٨ . حفلت كتب التراجم والطبقات بترجمته وأفرده الكثير بخاص سيرته .

(٣) مجموع الفتاوى : (٦/٧٣) ، وانظر المصدر نفسه : (٢/٦) و(٦/٧٣) .

(٤) المتكلمون هم المنتسبون إلى ما يسمى بعلم الكلام ، قال التفتازاني : (الكلام هو العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية) . شرح المقاصد (١/١٦٣) وعن موضوع الكلام وذكر مسائله وغايته . انظر كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي : (١/٣٠ - ٣١) ، ولوامع الأنوار البهية (١/٤ - ٥)

(٥) المعتزلة فرقة ظهرت في الإسلام أوائل القرن الثاني ، وسلكت منهجا ===

وجمهور الأشاعرة [1] أنكروا المعرفة الفطرية التي تحصل ضرورة في قلب العبد ، وأوجبوا عليه النظر أو القصد إلى النظر المفضي - في نظرهم - إلى قيام الاستدلال وصحة البرهان .

يقول القاضي عبد الجبار [2] المعتزلي : (إن سأل سائل فقال : ما أول ما أوجب

(=) عقليا متطرفا في مسائل العقائد الإسلامية وبحثها ، سموا بهذا الاسم لاعتزال زعيمهم واصل بن عطاء الغزال حلقة الإمام الحسن البصري - رحمه الله - في قصة مشهورة معلومة .

انظر : الملل والنحل للشهرستاني : (١ / ٤٣) وما بعدها ، وذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين لليافعي ص (٤٩) وما بعدها ، والخطط للمقريزي : (٢ / ٣٤٥) وما بعدها ، وتاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة (١ / ١٢٤) وما بعدها .

(١) الأشاعرة هم المنتسبون لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، الإمام المعروف ، ولا يخفى على كل حصيف منصف أن أبا الحسن - رحمه الله - قد رجع إلى معتقد أهل السنة والجماعة في آخر حياته ، بعد أن كان على مذهب المعتزلة مدة أربعين سنة ، يدافع عن ذلك وينافح ، ثم اختار بعض أقوال ابن كلاب في بعض المسائل العقدية وبقي على ذلك فترة من الزمن ، وفي الأخير اعتنق واعتقد مذهب السلف ونبذ كل قول خالفه ، كما صرح بهذا وسطره في آخر كتبه كالإبانة والمقالات ، واعترف به جمع كثير من أهل العلم ، لا يسع المقام ذكرهم وسرد أقوالهم ، والحق أن المنتسبين للأشعري - اليوم - تصدق عليهم تسميتهم بالأشاعرة الكلابية لانتسابهم إليه - وهو - في تلك الفترة الزمنية المحدودة التي كان عليها بعد أن ترك مذهب الاعتزال ، وقبل أخذه لمنهج أهل السنة والجماعة واتباعه له .

وللمزيد من إثبات ما ذكرت انظر : رسالة ابن درباس في الذب عن أبي الحسن الأشعري ، ومجموع الفتاوى : (٤ / ٧٢) و (٥ / ٥٥٦) وخطط المقريزي : (٢ / ٣٥٨) ، وما بعدها . وراجع ما كتبه شيخنا حماد بن محمد الأنصاري في مقدمة كتاب الإبانة ، فإنه وفّى الموضوع حقه بالرجوع إلى كثير من المصادر المعتمدة والنقل عنها بما يروي الغليل ويشفي العليل .

(٢) هو أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن خليل ، الهمذاني الأسدأبادي ،
= = = =

الله عليك ؟ فقل : النظر المؤدى إلى معرفة الله تعالى ،لأنه تعالى لا يعرف ضرورة ولا بالمشاهدة ، فيجب أن نعرفه بالتفكر والنظر . . والأصل في ذلك أن المعرفة والدراية والعلم نظائر ، ومعناها : مايقتضي سكون النفس وثَلَج الصدر وطمأنينة القلب . . والذى يدل على أن العلم بالله تعالى ليس بضرورى وإنما هو اكتسابي ما قد ثبت أنه يقع بحسَب نظرنا على طريقة واحدة ووتيرة مستمرة ، فيجب أن يكون متولدا عن نظرنا ، وإذا كان كذلك فالنظر من فعلنا فيجب أن تكون المعرفة أيضا من فعلنا ،لأن فاعل السبب ينبغي أن يكون فاعل المسبِّب، فإذا كان من فعلنا لم يجز أن يكون ضروريا ،لأن الضرورى هو ما يحصل فينا لا من قبلنا . .) الخ .[1]

ويقول عبد القاهر البغدادى[2] : (الصحيح عندنا قولُ من يقول :إن

(=) المتكلم المعتزلي ، صاحب شرح الأصول الخمسة والمغنى وغيرهما ، لم تحدد كتب الطبقات والتراجم تاريخ ولادته ، مات سنة ٤١٥ .
تاريخ بغداد :(١١/١١٣ - ١١٥)، وطبقات الشافعية للسبكي (٥/٩٧ - ٩٨) ولسان الميزان :(٣/٣٨٦ - ٣٨٧).

(١) شرح الأصول الخمسة(ص ٣٩ و ص ٤٦ و ص ٥٢ - ٥٣) وانظر له أيضا المحيط بالتكليف(ص : ٢٦)وما بعدها .

(٢) هو أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادى الشافعي الأشعرى لم أجد - فيما بين يدى - من أرخ تاريخ مولده ، توفي سنة ٤٢٩ .
وفيات الأعيان :(٣/٢٠٣) وسير أعلام النبلاء :(١٧/٥٧٢ — ٥٧٣) وطبقات الشافعية للسبكي :(٥/١٣٦ - ١٤٨).

أول الواجبات على المكلّف النظر والاستدلال المؤديان إلى المعرفة بالله تعالى وبصفاته وتوحيده وعدله وحكمته ، ثم النظر والاستدلال المؤديان إلى جواز إرسال الرسل منه وجواز تكليف العباد ما شاء ، ثم النظر المؤدي إلى وجوب الإرسال والتكليف منه ، ثم النظر المؤدي إلى تفصيل أركان الشريعة ثم العمل بما يلزمُه منها على شروطه﴾ .(١)

ويقول الجويني :(٢) ﴿أول ما يجب على العاقل البالغ باستكمال سن البلوغ أو الحلم شرعاً القصد إلى النظر الصحيح المفضي إلى العلم بحدوث العالم ..﴾(٣)

أما الخطابي - رحمه الله - فإنه قد تحدث عن هذه المسألة بما يوهم موافقته المتكلمين(٤) من أن معرفة الله - عز وجل - ليست فطرية ، وإنما تعرف بالنظر والاستدلال فقال : ﴿ القول فيما يجب من معرفة الله سبحانه وتعالى :

---

(١) أصول الدين ص : (٢١٠).

(٢) هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني - نسبة لجوين من قرى نيسابور - الشافعي الأشعري المشهور بإمام الحرمين ، ولد سنة ٤١٩ ، وتوفي سنة ٤٧٨ .

وفيات الأعيان : (٣/ ١٦٧ - ١٧٠) وسير أعلام النبلاء : (١٨/ ٤٦٨-٤٧٧) ، وطبقات الشافعية للسبكي : (٥/ ١٦٥ - ٢٢٢) .

(٣) كتاب الإرشاد (ص ٢٥) ، وانظر : الإنصاف للباقلاني (ص ٢٢) و(ص : ٤١) وما بعدها ، وشرح المقاصد : (١/ ٢٧١) وما بعدها ، والمواقف (ص ٣٢) وما بعدها .

(٤) إذ جعلوا أول واجب على المكلف النظر أو القصد إلى النظر ، وهو قول على خلاف ما عليه أهلُ السنة والجماعة في جعلهم أول واجب على المكلف شهادةَ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، كما دلت على ذلك وأثبتته النصوص الصحيحة الصريحة ، كحديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : = = =

أول ما يجب على من يلزمه الخطاب أن يعلم أن للعالم بأسره صانعا ، وأنه هو الواحد لا شريك له ، وقد جرى كثير من عوام المسلمين في هذا على عادة النشوء وحكم الولادة ، فكان إيمانهم إيمانَ تلقين وتربية ، وذلك أنهم يولدون في دار الإسلام ويتربون في حجور المسلمين وينشأون في بلادهم فيتلقنون كلمة التوحيد من الآباء والأمهات ، ويسمعون الأذان من المؤذنين ، ويتلقون القرآن من الأئمة في الصلوات ومن المعلمين في المكاتب ، فيستحكم حب الدين في قلوبهم ويعتقدون حسنه وصحته تقليدا ، فينتفعون به ويقتصرون عليه ، ودين الإسلام إذ كان موثوقا بصحته مشهوداً له بالفضل على كل دين سواه فقد يجب على كل متدين به أن يكون مصدر اعتقاده إياه عن نظر واستدلال ليكون العلمُ به أصح والوثيقةُ به أشد ، وقد نصب الله تعالى الأدلة ، وأزاح بها العلة ، ووسع من

(=) (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) الحديث ، أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان باب ١٧ ح ٢٥ (الفتح : ١/ ٧٥) ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ح ٣٦ : (١/ ٥٣) ، وحديث عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال : (لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذا إلى نحو أهل اليمن قال له : (إنك تقدُم على قومٍ من أهل الكتاب فليكن أولَ ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى ") الحديث ، أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد باب ١ ح ٧٣٧٢ (الفتح : ١٣/ ٣٤٧) وكذا في مواضع أخرى من الصحيح ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ح : ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، (١/ ٥٠ - ٥١) وفي بعض ألفاظه : (إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله) . قال أبو بكر بن المنذر - رحمه الله - : (أجمع كل من نحفظ عنه أن الكافر إذا قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأن كل ما جاء به محمد حق ، وأبرأ من كل دين يخالف دين الإسلام - وهو

=====

وجوهها ، وكثّر - من عددها ، فهي على اختلاف مراتبها في الوضوح والغموض معروضةٌ للاستدلال بها والاستشهاد بمواضعها ، فلا أحد يعقل من آحاد الناس إلا وله في جليها مستدل وفي واضحها مستشهد ، وإن كان نزل فهمه عن دقيقها ولطيفها ، فالواجب على كل من الناس أن يبذُل وسعه فيه ويبلغ جهده في دركه ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ والذين جٰهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾ [1]) [2] .

فهذا الكلام من أبي سليمان الخطابي - رحمه الله - له احتمالان :

الأول : أنه أراد هنا المعرفة الشرعية التي لا تعرف إلا عن طريق الوحي ، وهذا حق .

الثاني : أنه أراد بالمعرفة أن الإنسان منذ ولادته إلى أن يصل سن التكليف - الذي يسميه هو بمن يلزمه الخطاب - أنه إلى هذا السن يكون خالي الذهن ، ليس لديه أي معرفة بخالقه ، وأن المعرفة لا توجد إلا عن طريق النظر فقط ، فهذا غير صحيح لمخالفته للأدلة الواردة في القرآن والسنة ، والتي فسرها علماء السلف بما يقرر وجود معرفة فطرية في قلب كل مولود كما تقدمت الإشارة إليه .

وأما زيادة معرفة الله عز وجل فلا شك أنه أمر مطلوب ، إذ أنه كلما زاد النظر في الكون وما بث فيه من الآيات زادت المعرفة بالله - سبحانه - ، وهذا المعنى قد

(=) بالغ صحيح يعقل - أنه مسلم) . الإجماع ص (١٥٤) .
وانظر : درء تعارض العقل والنقل : (٨/ ١٠ - ١١) ، وما بعدهما فهو جيد جدا ، وسيأتي - إن شاء الله - مزيد إيضاح وبيان لمذهب السلف في هذه المسألة عند الكلام على طريق الحدوث في الدلالة على معرفة الله جل وعلا .

(١) سورة العنكبوت آية (٦٩) .

(٢) شعار الدين وبراهين المسلمين ، نقلا عن بيان تلبيس الجهمية (١/ ١٧٧) .

أشار إليه بعض علماء السلف - رحمهم الله تعالى - منهم الإمام : أبو محمد بن عبد البصري المالكي .[1]

حيث قال : ﴿ وفي هذه المعرفة يتفاوت الناس ، ثم يتفاوتون في معرفة المزيد على قدر أحوالهم وصدق الهمم واتباع العلم وقوة اليقين وصفاء الإخلاص وصحة المعتقد ولزوم السنة ﴾ .[2]

وأبو المظفر السمعاني[3] بقوله : ﴿ وعلى أن لا ننكر النظر قدر ما ورد به الكتابُ والسنةُ لينال المؤمن بذلك زيادة اليقين وثَلَجَ الصدر وسكون القلب ﴾ .[4]

فالمؤمن العالم بالله عز وجل وبشرعه وما يطلب منه ويجب عليه أحسنُ حالا وأرفعُ مقاما ممن لم يحصل له ذلك في الاستجابة والامتثال والانقياد ، إذ بالعلم والمعرفة تُؤتى محابه - تعالى - وتُجتنب نواهيه ومساخطُه ، وهكذا الشأن في أمر العقيدة ومسائل التوحيد ، بل هذا أعظم وآكد وألزم من غيره ، طلبا لزيادة اليقين في المعتقد والوثوق به والثبات عليه ، يشهد لهذا قوله - جل وعز -

---

(١) لم أقف على من ترجمه فيما بين يدي من كتب التراجم والطبقات والوفيات، إلا ما ذكره عنه ابن تيمية بقوله : ﴿ وهذا الشيخ أبو محمد بن عبد البصري المالكي ، طريقته طريقة أبي الحسن بن سالم وأبي طالب المكي وأمثالهما من المنتسبين إلى السنة والمعرفة والتصوف واتباع السلف وأئمة السنة والحديث ، كمالك وسفيان الثوري وحماد بن زيد وحماد بن سلمة ، وعبد الرحمن بن مهدي والشافعي ، وأحمد بن حنبل وأمثالهم ، وكذلك ينتسبون إلى سهل بن عبد الله التستري وأمثاله من الشيوخ ﴾
درء تعارض العقل والنقل : (٨ / ٥٠٢).

(٢) أصول السنة والتوحيد - مع بعض الاختصار - نقلا عن درء تعارض العقل والنقل (٨ / ٥١٤) .

(٣) وهو منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي المروزي الشافعي ، أحد الأئمة المشاهير الأعلام ، ولد سنة ٤٢٦ . وتوفي سنة ٤٨٩ .
الأنساب لحفيده (٧ / ٢٢٢ - ٢٢٦) وسير أعلام النبلاء : (١٩ / ١١٤ - ١١٩) وطبقات الشافعية للسبكي : (٥ / ٣٣٥ - ٣٤٦).

(٤) الانتصار لأهل الحديث ، نقلا عن صون المنطق ص (١٧١) .

﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾[1] قال الحافظ ابن كثير :(أي إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به ،لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال ،المنعوت بالأسماء الحسنى ،كلما كانت المعرفة به أتمّ والعلم به أكملَ كانت الخشية له أعظم وأكثر)[2] .

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدى :[3](فكل من كان بالله أعلم كان أكثر له خشية ،وأوجبت له خشية الله الانكفاف عن المعاصي والاستعداد للقاء من يخشاه ،وهذا دليل على فضيلة العلم ،فإنه داع إلى خشية الله)[4] .

إلا أنه يجب التفريق بين مسألة أول الواجب على المكلف وبين طلب الزيادة عن طريق المعرفة الشرعية ،بالتماسها والرغبة فيها لعمق اليقين وترسيخ المعتقد .

فالخطابي - رحمه الله - رغم أن كلامه يوهم موافقته أهل الكلام إلا أنه لا يتفق معهم على المنهج الذي اتخذوه للمعرفة ،بل قد ذمه وحذر منه وأعرض عنه كما سيأتي ذكر ذلك وبيانه بحول الله تعالى .

---

(١) سورة فاطر بعض آية (٢٨) .

(٢) تفسير القرآن العظيم :(٣/ ٥٦١).

(٣) هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر آل سعدى ، علامة بلاد القصيم، فقيه أصولي بارع ،ولد في عنيزة سنة ١٣٠٧ ،ومات بها سنة ١٣٧٦ . علماء نجد خلال ستة قرون :(٢/ ٤٢٢ - ٤٣١) ، وروضة الناظرين (١/ ٢١٩ - ٢٣٠)، وعلماء آل سليم :(٢/ ٢٩٥ - ٣٠٠) .

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان :(٤/ ٢١٦) .

المطلب الثاني

-((دلالات معرفة الخالق -جل وعلا- وإثبات وحدانيته))-

بعد التتبع لما ذكره الخطابي في هذا المضمار يمكن حصر ما سلكه فيه في ثلاث طرق :

الأولى : طريق المعجزة .

الثانية : طريق النظر إلى المخلوقات -بنوعيها : الأفقية والنفسية- .

الثالثة : طريق الحدوث .

وفيما يلي عرض لهذه الطرق :

==============

((المطلب الثاني))

((دلالات معرفة الخالق - جل وعلا - واثبات وحدانيته))

أولا : طريق المعجزة :[1]

وهي الاستدلال بمقدمات النبوة ومعجزات الرسالة ،إذ أن أمر النبوة وما يصحبها من الآيات البينات والمعجزات الباهرات ، مع ما يوصف به المرسل بها من الصدق والرزانة وكمال الخلق والخلق ودعوته إلى الفضائل ومكارم الأخلاق يدل كل هذا على صحة دعوته وتثبيت نبوته .

لو لم تكن فيه آيات مبينة . . كانت بداهته تأتيك بالخبر[2]

ومعلوم أنه إذا ثبت هذا الأمر لزم تصديق صاحب الرسالة ووجوب قبول كل ما يخبر به وينبىء عنه ، لكونه رسولا مأمورا بالبلاغ والبيان .

وفي بيان هذا الطريق يقول الخطابي : (ولقد سلك بعض مشايخنا في هذا

---

(١) المعجزة هي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة ، وهي إما حسية تشاهد بالبصر أو تسمع ، كخروج الناقة من الصخرة وانقلاب العصا حية وكلام الجمادات ونحو ذلك ، وإما معنوية تُشاهد بالبصيرة كمعجزة القرآن .
أعلام السنة المنشورة ص (٩٢) .

(٢) هو لعبد الله بن رواحة - رضي الله عنه - يمدح به رسول الله صلى الله عليه وسلم .
انظر : البيان والتبيين للجاحظ :(١/ ٥١) ، ومن الضائع من معجم الشعراء للمرزباني(ص ٩١) ، والإصابة(٤/ ٨٦) ، ونُسب البيت - أيضا - لحسان بن ثابت ، ديوانه :(١/ ٤٨٢)
ويشهد لهذا المعنى كذلك قول عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - : (لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس إليه ، وقيل : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت في الناس لأنظر إليه فلما استبنت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب) . الحديث أخرجه الترمذي في سننه ح ٢٤٨٥ ، وابن ماجه في سننه ح ١٣٣٤ ، والإمام أحمد في مسنده(٥/ ٤٥١) =====

- يعني معرفة الصانع وإثبات وحدانيته - طريقة الاستدلال بمقدمات النبوة ومعجزات الرسالة ، لأن دلائلها مأخوذة من طريق الحس لمن شاهدها ، ومن طريق استفاضة الخبر لمن غاب عنها ، فلما ثبتت النبوة صارت أصلا في وجوب قبول ما دعا إليه صلى الله عليه وسلم ، وهذا النوع مقنع في الاستدلال لمن لا يتسع فهمه لاستدراك وجوه سائر الأدلة ولم يتبين تعلقَ الأدلة بمدلولاتها ولن يكلف الله نفسا إلا وسعها) .[1]

ويقرر - رحمه الله - أن هذه الطريق إحدى المسالك التي نهجها الصحابة الكرام في أمر التوحيد وتحقيق الوحدانية ، وأن القرآن الكريم كان له الأثر البالغ في نفوسهم وإقناعهم بنبوة الرسول-صلى الله عليه وسلم-وصدق دعوته ، فقال متحدثا عنهم : (وإنما ثبت عندهم أمرُ التوحيد من وجوه ، أحدها : ثبوت النبوة بالمعجزات التي أوردها نبيهم من كتاب قد أعياهم أمره وأعجزهم شأنه ، وقد تحداهم به وبسورة من مثله[2] وهم العرب الفصحاء والخطباء والبلغاء ، فكل عجز عنه ولم يقدر على شيء منه بوجه .

إما بأن لا يكون في قولهم ولا في طباعهم أن يتكلموا بكلام يضارع القرآن في جزالة لفظه وبديع نظمه وحسن معانيه .

(=) وصححه الحاكم : (٣/ ١٣)ووافقه الذهبي .

(١) شعار الدين وبراهين المسلمين ، نقلا عن بيان تلبيس الجهمية (١/ ٢٥١).

(٢) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ﴾ سورة البقرة بعض آية (٢٣) .
وقوله تعالى : ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله ﴾ سورة يونس بعض آية (٣٨) .
وقوله تعالى : ﴿ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ سورة الطور آية (٣٤) .

وإما أن يكون ذلك في وسعهم وتحت قُدرهم طبعا وتركيبا ، ولكن منعوه وصرفوا عنه[(١)] ليكون آية لنبوته وحجة عليهم في وجوب تصديقه .

وإما أن يكونوا إنما عجزوا عن علم ما جمع في القرآن من أنباء ما كان والإخبار عن الحوادث التي تحدث وتكون ، وعلى الوجوه كلها فالعجز موجود والانقطاع حاصل)[(٢)] .

ثم أخذ الخطابي يسرد ما شاهده الصحابة من الآيات ويعدد ما وقفوا عليه من المعجزات الدالة على تثبيت النبوة وصحة دعوى الرسالة[(٣)] فقال : (فلما استقر ما شاهدوه من هذه الأمور في نفوسهم ، وثبت ذلك في عقولهم ، صحت عندهم

---

(١) القول بالصرفة معناه : أن الله تعالى صرف العرب عن معارضة القرآن مع استطاعتهم وقدرتهم على ذلك ، فسلب عقولهم وأعجز هممهم لئلا يجيئوا بمثله ، ولا يخفى أن هذا القول ظاهر الفساد متحقق البطلان ساقط الاعتبار ، ويكفي في رده قوله تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ سورة الإسراء : آية : (٨٨) .
ولمعرفة الذاهب إلى هذا القول انظر : مقالات الإسلاميين : (١ / ٢٩٦) والملل والنحل : (١ / ٥٦ - ٥٧) ، وللرد على هذه المقالة انظر : القول في بيان إعجاز القرآن للخطابي (ص ٢٢ - ٢٣) وإعجاز القرآن للباقلاني (ص ٢٩ - ٣١) والرسالة الشافية لعبد القاهر الجرجاني (ص ١٤٦) ، والبرهان الكاشف عن إعجاز القرآن للزملكاني (ص : ٥٣) وما بعدها .

(٢) الغنية عن الكلام وأهله ، نقلا عن درء تعارض العقل والنقل :(٧ / ٢٩٧-٢٩٨) وصون المنطق (ص ٩٦) .

(٣) أرجأت ذكر تلك المعجزات إلى المطلب المعقود لها في المبحث الثالث بالفصل الثاني من الباب الثالث في هذا البحث .

نبوته وظهرت عن غيره بينونتُه ، ووجب تصديقه على ما أنبأهم عنه من الغيـــوب ، ودعاهم إليه من أمر وحدانية الله - عز وجل - وأمر صفاته . .) [١] .

ومما تقدم عرضه يتبين مراد الخطابي في جعله طريق المعجزة أحد مسالك معرفة الله تعالى وإثبات وحدانيته ، إذ أن القرآن الكريم وهو المعجزة الكبرى للرسول - عليه الصلاة والسلام - قد أقنع الصحابة بصدق النبوة وصحة الدعوة . وبهذا دلل البيهقي [٢] - رحمه الله - على صحة هذا المسلك ، فقال - بعد أن ذكر قصة جعفر بن أبي طالب وأصحابه - رضي الله عنهم جميعا - مع النجاشي ملك الحبشة [٣] : (فهؤلاء مع النجاشي وأصحابه استدلوا بإعجاز القرآن على صدق النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما ادعاه من الرسالة فاكتفوا به وآمنوا به وبما جاء به من عند الله ، فكان فيما جاء به إثبات الصانع* وحدوث العالم) [٤] .

---

(١) الغنية عن الكلام وأهله ، نقلا عن درء تعارض العقل والنقل : (٧ / ٢٩٩) وصون المنطق (ص ٩٧) .

(٢) هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله ، الإمام الحافظ المصنف ، ولد بخسروجرد - من قرى بيهق - سنة ٣٨٤ . ومات بنيسابور سنة ٤٥٨ . وحمل في تابوت إلى بيهق فدفن بها .
سير أعلام النبلاء : (١٨ / ١٦٣ - ١٧٠) وطبقات الشافعية للسبكي (٤ / ٨ - ١٦) وشذرات الذهب : (٣ / ٣٠٤ - ٣٠٥) .

(٣) قصة خروج الصحابة - رضي الله عنهم - إلى أرض الحبشة هي ما يسمى بالهجرة الأولى .
انظر تفصيلها بالسير والمغازي لابن إسحاق ص : (٢١٣ - ٢٢٩) ودلائل النبوة للبيهقي : (٢ / ٢٩٣ - ٢٩٥)

(٤) الاعتقاد ص (٤٦) .

* الظاهر من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - إثبات هذا الاسم لله تعالى .
انظر على سبيل المثال لا الحصر : الرد على المنطقيين ص ٣٤٤ و٣٤٥ وبيان تلبيس الجهمية (١ / ٨٩ و١٦٧ و١٦٩ و١٧٥ و١٧٦) وهذا هو الظاهر أيضا من كلام ابن القيم رحمه الله تعالى كما في الصواعق (٣ / ٩٦٢ و٩٦٣ و٩٨١ و١١٩٤ و١١٩٧) الخ إلا أني وقفت على كلام له آخر يصرح فيه بعدم

وقد قال ابن عبد البر [١] ـ رحمه الله ـ : ﴿إنه من نظر إلى إسلام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وسعد وعبد الرحمن وسائر المهاجرين والأنصار وجميع الوفود الذين دخلوا في دين الله أفواجا علم أن الله عز وجل لم يعرفه [٢] واحد منهم إلا بتصديق النبيين بأعلام النبوة ودلائل الرسالة﴾ [٣] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ مؤيدا ومصوبا هذا الطريق : ﴿وقد جاء بها القرآن ـ يعني طريق المعجزة ـ في قصة فرعون ، فإنه كان منكراً للرب ، قال تعالى : ﴿ فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العٰلمين أن أرسل معنا بني إسراءيل ، قال ألم نُربك فينا وليدا ـ إلى قوله ـ : قال فرعون وما رب العٰلمين ، قال رب السمٰوٰت والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ، قال لمن حوله ألا تستمعون ، قال ربكم ورب ءابائكم الأولين ، قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ، قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون ، قال لئن اتخذت إلٰها غيري لأجعلنك من المسجونين ، قال أولو جئتك بشيء مبين ، قال فأت به إن كنت من الصٰدقين ، فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ، ونزع يده فإذا هي بيضاء للنٰظرين ﴾ [٤] .

---

(١) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى القرطبي ، حافظ المغرب وبخاريه ، أحد الأئمة الأعلام المشار إليهم بالبنان حفظا وفقها وفهما ، ولد سنة ٣٦٨ ، ومات بشاطبة سنة ٤٦٣ .
كتاب الصلة(ص ٦٧٧ - ٦٧٩) ، وبغية الملتمس(ص ٤٨٩- ٤٩١)
والديباج المذهب : (٢/ ٣٦٧ - ٣٧٠).

(٢) أي المعرفة التفصيلية بأسمائه وصفاته ـ عز وجل ـ وإلا فإن العرب كانوا يعرفون أن الله تعالى هو خالقهم ومدبرهم ، كما نص على ذلك القرآن في غير موضع .

(٣) التمهيد (٧ / ١٥٢) ، وانظر كتاب الحجة في بيان المحجة(٢ / ١٩٩-٢٠٠)

(٤) سورة الشعراء : آية (١٦ - ٣٣) .

فهنا قد عرض عليه موسى الحجة البينة التي جعلها دليلا على صدقه في كونه رسولَ رب العالمين ، وَفي أن له إلها غير فرعون يتخذه ، وكذلك قال تعالى : ﴿ فإلم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو ﴾ .[(١)]

فبين أن المعجزة تدل على الوحدانية والرسالة ، وذلك لأن المعجزة - التي هي فعل خارق للعادة - تدل بنفسها على ثبوت الصانع كسائر الحوادث ، بل هي أخص من ذلك ، وأن الحوادث المعتادة ليست في الدلالة كالحوادث الغريبة ولهذا يسبح الرب عندها ويمجد ويعظم مالا يكون عند المعتاد ويحصل في النفوس ذلة من ذكر عظمته مالا يحصل للمعتاد ، إذ هي آيات جديدة فتُعطى حقها وتدُل بظهورها على الرسول وإذا تبين أنها تدعوا إلى الإقرار بأنه رسول الله فتقرر بها الربوبية والرسالة) .[(٢)]

ويقول أيضا : (نفس المعجزات يُعلم بها صدق الرسول المتضمن إثبات مرسله ، لأنها دالة بنفسها على ثبوت الصانع المحدِث لها ، وأنه أحدثها لتصديق الرسول وإن لم يكن قبلَ ذلك قد تقدم من العبد معرفة الإقرار بالصانع ، وقد يقال : إن قصة موسى من هذا الباب ، قال تعالى : ﴿ كلا فاذهبا بآيتنا إنا معكم مستمعون - إلى قوله - إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطينا أن كنآ أولَ المؤمنين ﴾[(٣)] وفي سورة طه : ﴿ فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسراءيل ولا تعذبهم قد جئنك بآية من ربك والسلم على من اتبع الهدى ﴾[(٤)]

---

(١) سورة هود بعض آية (١٤) .

(٢) مجموع الفتاوى : (١١ / ٣٧٨ - ٣٧٩).

(٣) سورة الشعراء آية (١٥ إلى ٥١) وقد سردها ابن تيمية جميعها .

(٤) آية (٤٧) .

إلى آخر القصة ، ففرعون كان منكرا للصانع مستفهما عنه استفهام إنكار سواء كان في الباطن مقرا به أو لم يكن ، ثم طلب من موسى آية فأظهر آيته ودل بها على إثبات إلهية ربه وإثبات نبوته جميعا . . فكانت المعجزة مبينة للعلم بالصانع وبصدق رسوله ، وذلك أن الآيات التي يُستدل بها على ثبوت الصانع تدل المعجزة كدلالتها وأعظم . . وإنما المقصود التنبيه على أن المعجزات قد يعلم بها ثبوت الصانع وصدق رسوله معا) .[1]

ثم نسب - ابن تيمية - هذه الطريقة إلى أئمة السلف فقال : (وهذه طريقة السلف من أئمة المسلمين في الاستدلال على معرفة الصانع وحدوث العالم ، لأنه إذا ثبتت نبوته بقيام المعجز)[2] وجب تصديقه على ما أنبأهم عنه من الغيوب ودعاهم إليه من أمر وحدانية الله تعالى وصفاته وكلامه) .[3]

وبعد هذا البيان الجلي الواضح من هؤلاء الأعلام يظهر أن ما سلكه الخطابي طريق شرعي دل عليه الكتاب ونهجه سلف الأمة وأئمتها الدلالة على معرفته تعالى وثبوت وحدانيته وتصديق النبوة وصحة الرسالة . والله أعلم .

---

(١) درء تعارض العقل والنقل : (٩ / ٤١ - ٤٤) .

(٢) العبارات ما بين القوسين من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ، في درء تعارض العقل والنقل : (٨ / ٣٥٢) وما بعدها من كلام الخطابي .

(٣) الغنية عن الكلام وأهله ، نقلا عن درء تعارض العقل والنقل : (٨ / ٣٥٢) وانظر : صون المنطق ص (٩٧) .

ثانيا : طريق النظر في المخلوقات :

تمهيـــد :

إن النظر إلى هذا الكون الفسيح الأرجاء ، المترامي الأطراف ، البديع الصنع ، وماحواه من مخلوقات بديعة ، وكائنات عجيبة ، على اختلاف أنواعها وتعداد أشكالها وتباين أوصافها ، ليشهد أن لهذا الكون خالقا أوجده ، ومدبرا أحكم أمره وتسييره ، وإن المتأمل في الكتاب العزيز ليجده غنيا بالآيات الكونية وحافلا بالدلائل القطعية الداعية إلى التفكر والتدبر فيما هو محسوس ومشاهد في الآفاق والأنفس دلالة على عظم الخالق وكمال قدرته وسعة علمه . . ﴿ أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ﴾[١] ، ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ،أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾[٢] ﴿ وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾[٣] إلى غير ذلك من نصوص كثيرة دالة على هذا المعنى .

يقول الراغب الأصفهاني[٤] : (جَعَل ـ أي الله تعالى ـ لكل إنسان من بدنه ونفسه عالما صغيرا ، أوجد فيه مثال كل ما هو موجود في العالم الكبير ،ليجرى ذلك من العالم مجرى مختصر من الكتاب البسيط ، يكون مع كل أحد نسخة يتأملها في الحضر والسفر

---

(١) سورة الأعراف بعض آية (١٨٥) .

(٢) سورة فصلت آية (٥٣) .

(٣) سورة الذاريات آية (٢٠ - ٢١) .

(٤) هو أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني الملقب بالراغب، اختلف في سنة مولده وسنة وفاته على أقوال عدة ، أقربها بالنسبة للوفاة سنة ٥٠٢ سير أعلام النبلاء : (١٨ / ١٢٠ - ١٢١) ، وبغية الوعاه : (٢ / ٢٩٧) ، وكنوز الأجداد : (ص ٢٥٦ - ٢٥٩) .

والليل والنهار ، فإن نشط وتفرغ للتوسع في العلم نظر في الكتاب الكبير الذى هو العالم ، فيطلع منه على الكون ليغزُرَ علمُه ويتسع فهمه ، وإلا فليقنع بالمختصر الذى معه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾[1] .[2]

ويقول ابن القيم: (لما كان أقرب الأشياء إلى الإنسان نفسُه دعاه خالقه وبارئُه ومصوره وفاطره من ماء إلى التبصر والتفكر في نفسه ، فإذا تفكر الإنسان في نفسه استنارت له آياتُ الربوبية ، وسطعت له أنوارُ اليقين ، واضمحلت عنهُ غمرات الشك والريب . .) .[3]

ويقول أيضا : (وإذا تأملت ما دعى الله سبحانه في كتابه عباده إلى الفكر فيه أوقعك على العلم به سبحانه وتعالى وبوحدانيته وصفات كماله ونعوت جلاله من عموم قدرته وعلمه وكمال حكمته ورحمته وإحسانه وبره ولطفه وعدله ورضاه وثوابه وعقابه ، فبهذا تعرف إلى عباده وندبهم إلى التفكر في آياته) .[4]

والخطابي - كما ذكرت سابقا - يوجه النظر إلى الكون وما فيه من مخلوقات، وإلى الإنسان نفسه ، لما فيهما جميعا من آثار الصنعة ودلائل الحكمة وكمال القدرة . فأما النظر في الملكوت فيقول بشأنه : (إنك إذا تأملت هيئة هذا العالم ببصرك واعتبرتها بفكرك وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميعُ ما يحتاج إليه ساكنه من آلة

---

(١) سورة الذاريات آية (٢١) .

(٢) كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص ٢٠٢) .

(٣) التبيان في أقسام القرآن (ص : ٢٠٣) .

(٤) مفتاح دار السعادة : (١/ ١٨٧) .

وفي هذين الكتابين عدة فصول بديعة ومباحث نفيسة وفوائد مشوقة تتعلق بهذا الموضوع يحسن مطالعتها والوقوف عليها .

وعتاد ، فالسماء مرفوعة كالسقف ، والأرض ممدودة كالبساط ، والنجوم منضودة كالمصابيح ، والجواهر مخزونة كالذخائر ، وضروب النبات مهيأةٌ للمطاعم والملابس والمشارب ، وصنوف الحيوان مسخرةً للمراكب ، مستعملةً في المرافق ، والإنسان كالمملك البيت المخولِ ما فيه ، وفي هذا كله دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتدبير وتقدير ونظام ، وأن له صانعا حكيماً تام القدرة بالغَ الحكمة) .[1]

ويقول - بعد سوقه لقوله تعالى : ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ﴾ الآية[2] : (هذا من قريب ما يستدركه العاقل من وجوه الأدلة من غير كثير استقصاء في فعل ومعاناة بدقيق فكر ، وذلك أنه خطاب للعرب ، ومن سنة العربي أن يركب راحلته فيسيرَ عليها فيما قرب من الأرض ، باغياً حاجته ، وفيما بعد عنها ظاعنا في السفر في الحال يكثر في بلادهم ، فإذا خلا بالمكان لم ير إلا سماءً فوقه وأرضاً تحته وجبلا عن يمينه وجبلا عن شماله ، ومطيةً هو راكبها ، فإذا تأمل هذه الأشياء استبان فيها أثرَ الصنعة ولطفَ الحكمة ، مما جمع الله له من المرافق فيها : أن صانعها لطيف خبير ، عالم قدير ، حكيم عليم ، وقد قيل : إن الإبل خصت بالذكر من بين سائر الحيوان ، وذلك أن الأنعام ضروبُها أربعة : حلوبة وركوبة وأكولة وحمولة ، والإبل تجمع هذه الخلالَ كلَّها) .[3] [4]

---

(١) شعار الدين وبراهين المسلمين ، نقلا عن بيان تلبيس الجهمية (١/ ١٨٠) وانظر : الاعتقاد للبيهقي (ص : ٣٩) فإنه سرد الكلام المذكور أعلاه ثم قال عقبه : (وهذا فيما قرأته من كتاب أبي سليمان الخطابي رحمه الله) .

(٢) سورة الغاشية آية : (١٧ - ٢٠).

(٣) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : (٤/ ٥٣٨) متحدثا عن الإبل : (فإنها خلق عجيب ، وتركيبها غريب ، فإنها في غاية القوة والشدة ، وهي مع ذلك تلين للحمل الثقيل ، وتنقاد للقائد الضعيف ، وتؤكل وينتفع بوبرها ، ويشرب لبنها) . وانظر : الجواهر في تفسير القرآن الكريم : (٢٥/ ١٤٥- ١٤٦).

(٤) شعار الدين وبراهين المسلمين نقلا عن بيان تلبيس الجهمية : (١/ ١٨١).

حديثه

ويواصل الخطابي في ذكره لآي القرآن الكريم استدلالا على مراده فيقول :

(وقال سبحانه وتعالى : « إن في خلق السموات والأرض واختلف الليل والنهار والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الريح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون »(١). فذكر خلق السموات بما فيها من الشمس والقمر والنجوم وسيرها في أفلاكها الذي يختلف الليل والنهار به ويتبين زيادتها ونقصانها ودخول أحدهما على الآخر وأخذ بعضها من بعض فيكون بها انقسامُ فصول السنة ، وتعاقب الحر والبرد اللذين بأحدهما لقاح الشجر وبالآخر نُضجُ الثمار ، وذَكر الله ((الأرض)) التي هي مسكن الحيوان والدواب ، وفيها قرار البحار التي تجمع المياه التي تحمل السفن والفلك ، وذَكَر ((الريح)) التي تُنشىء السحابَ وتجريها إلى حيث أذن لها أن تمطر فيحيي بها البلاد والزرع والأنعام ، وبها يجرى الفلك والسفن في البحار ، فتصلح بهذه الأمور معايشُ الناس وتكثر بها منافعهم ، وباجتماع هذه الأمور ومعاونة بعضها بعضا يتم صلاح أمر العالم وينتظم ، وفي ذلك دليل على أن صانع العالم قادر حكيم عالم خبير ، ووقع ذكر هذه الأمور عقب قوله تعالى : « وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم »(٢) ليدل بها على صدق الخبر عما قد يدلنا به من وحدانيته سبحانه) .(٣)

---

(١) سورة البقرة : آية (١٦٤) .

(٢) سورة البقرة آية (١٦٣) ..

(٣) شعار الدين وبراهين المسلمين ، نقلا عن بيان تلبيس الجهمية : (١/ ١٨١ - ١٨٢). وانظر ما جاء في كتاب العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني عن النجوم والسحاب والمطر . (٤/ ١٢١١ - ١٢٧٨) .

ثم أورد أبو سليمان - رحمه الله - بعض الآيات القرآنية وبين مدى تأثيرها في نفوس الصحابة - رضي الله عنهم - كقوله تعالى : ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ [(١)] ، وقوله تعالى : ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف اليل والنهار لآيت لأولي الألبب ﴾ [(٢)] ثم قال : (وما أشبه ذلك من جلال الأدلة وظواهر الحجج التي يدركها كافة ذوي العقول وعامة من يلزمه حكم الخطاب مما يطول تتبعه واستقراؤه ، فعن هذه الوجوه ثبت عندهم - يعني الصحابة - أمرُ الصانع وكونُه ، ثم تبينوا وحدانيته وعلمه وقدرته بما شاهدوه من اتساق أفعاله على الحكمة واطرادها في سبلها وجريها على إدلالها . فكان ما اعتمده المسلمون من الاستدلال في ذلك أصح وأبين ، وفي التوصل إلى المقصود به أقرب ، إذ كان التعلق في أكثره إنما هو بمعاني درك الحس وبمقدمات من العلم مركبة عليها لا يقع الخلق في دلالتها) . [(٣)]

وبعد هذا العرض من أبي سليمان - رحمه الله - فيما يخص النظر للآيات الأفقية ، ينقلنا إلى الشق الآخر ، وهو النظر للآيات النفسية ، وما أودع فيها - هي الأخرى - من الآثار الدالة على كمال القدرة وإحكام الصنعة ولطيف الحكمة ، ويعتبر ذلك من أبين الدلالات على معرفة الخالق - جل وعلا - وظهور عظمته واتساق أفعاله وحسن تدبيره ، فيقول : (فمن أوضح الدلالة على معرفة الله

---

(١) سورة الغاشية آية (١٧ - ٢٠) .

(٢) سورة آل عمران آية (١٩٠) .

(٣) الغنية عن الكلام وأهله ، نقلا عن درء تعارض العقل والنقل : (٧ / ٣٠٠ - ٣٠٢) وصون المنطق : (ص ٩٧ - ٩٨) .

سبحانه وتعالى على أن للخلق صانعا ومدبرا أن الإنسان إذا فكر في نفسه رآها مدبرة ، وعلى أحوال شتى مصرفة ، كان نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ولحماً[1] فيعلم أنه لا ينقل نفسه من حال النقص إلى حال الكمال ، لأنه لا يقدر أن يُحدث في الحال الأفضل التي هي حال كمال عقله وبلوغ أشده عضواً من الأعضاء ولا يمكنه أن يزيد في جوارحه جارحة ، فيدله ذلك على أنه في وقت نقصه وأوان ضعفه عن فعل ذلك أعجز ، وقد يرى نفسه شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً وهو لم ينقل نفسه من حال الشباب والقوة إلى حال الشيخوخة والهرم ، ولا اختار لنفسه ولا في وسعه أن يزايل حال المشيب ويراجع قوة الشباب فيعلمّ بذلك أنه ليس هو الذي فعل هذه الأفعال بنفسه ، وأن له صانعاً صنعه ، وناقلاً نقله من حال إلى حال ، ولولا ذلك لم تتبدل أحواله بلا ناقل ولا مدبّر . .) .[2]

وقد ذكر بعد إيراده لقوله تعالى : ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾[3] أن هذا إشارة إلى ما فيها من آثار الصنعة ولطيف الحكمة ، الدالين على وجود الصانع الحكيم ، لما رُكب فيها من الحواس التي عنها يقع الإدراك ، والجوارح التي

---

(١) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسٰن من سلٰلة من طين ، ثم جعلنٰه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظٰما فكسونا العظٰم لحما ثم أنشأنٰه خلقا ءاخر فتبارك الله أحسن الخٰلقين ﴾ سورة المؤمنون آية : (١٢ - ١٤).

(٢) شعار الدين وبراهين المسلمين ، نقلا عن بيان تلبيس الجهمية :(١ / ١٧٨) وانظر : رسالة إلى أهل الثغر للأشعري(ص ١٤٣) وما بعدها والاعتقاد للبيهقي ص (٤٣) والملل والنحل (١ / ٩٤) وشرح حديث النزول (ص ٢٧ - ٢٨).

(٣) سورة الذاريات آية (٢١) .

يباشر بها القبض والبسط ، والأعضاء المعدة للأفعال التي هي خاصة بها كالأضراس الحادثة فيهم عند استغنائهم عن الرضاع وحاجتهم إلى الغذاء ، فيقع بها الطحن له ، وكالمعدة التي اتخذت لطبخ الغذاء ، والكبد التي يسلك إليها صفاوته وعنها يكون انقسامه على الأعضاء في مجارى العروق المهيأة لنفوذه إلى أطراف البدن ، وكالأمعاء التي يرسب إليها تفل الغذاء وطحانه فيبرز عن البدن).[1]

ويواصل أبو سليمان الخطابي حديثه عن خلق الإنسان وما يوجد في جسده - والحيوان أيضا - من أشياء متضادة متباينة متنافرة ،لا يمكن اجتماعها بحال ، إلا أن وجودها واجتماعها - والحالة هذه - مما يدل على أن هناك من قهرها وقدر على اجتماعها والتئامها فيقول : (إنا رأينا أشياء متضادة ، من شأنها التباين والتنافر والتفاسد ، مجموعة في بدن الإنسان وأبدان سائر الحيوان وهي الحرارة والبرودة فعلمنا أن جامعاً جمعها وقهرها على اجتماع وأقامها بلطفه ، ولولا ذلك لتنافرت وتفاسدت ، ولو جاز أن تجتمع المتضادات المتنافرات وتتقاوم من غير جامع يجمعها لجاز أن يجتمع الماء والنار ويتقاوما من ذاتهما من غير جامع يجمعهما ومقيم يقيمهما ، وهذا محال لا يتوهم ، فتعين إنما كان اجتماعهما بجامع قهرهما على الاجتماع والالتئام) .[2]

وبعد هذا الاستعراض الجلي لبعض آيات الله الكونية الأفقية والنفسية

---

(١) الغنية عن الكلام وأهله ، نقلا عن درء تعارض العقل والنقل :(٧ / ٢٩٩- ٣٠٠) وصون المنطق ص (٩٧) (مع اختلاف يسير جدا في بعض الألفاظ) ، وانظر : المراجع المذكورة آنفا هامش (٢) ص(٨٧)

(٢) شعار الدين وبراهين المسلمين نقلا عن بيان تلبيس الجهمية (١ / ١٨٠). وانظر : الإعتقاد للبيهقي(ص٢٤) ومفتاح دار السعادة(١ / ١٨٧) ومابعدها .

وما ساقه الخطابي منها ، يمكن الخلوص إلى أنه اعتمد على الأدلة العقلية الخالية من الغموض ، والبعيدة عن التعقيد في الاستدلال على معرفته تعالى بالنظر إلى مخلوقاته ، لما أودع فيها من بديع صنعته ودقة تدبيره وأسرار حكمته ، فهي - إذاً - آيات منصوبة نفس العلم بها يوجب العلم بخالقها ومدبّرها ، فكل دليل في الوجود لا بد أن يكون مستلزما للمدلول ، كاستلزام العلم بوجود الشمس العلم بوجود النهار.
كما أن هذا المسلك شرعي أيضاً ، دل عليه الكتاب العزيز وشهد له التنزيل ، ووافق منهج السلف في قبولهم كل ما اتفقت عليه العقول السليمة لمنصوصات الشرع الصحيحة الصريحة .

يقول ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : ﴿فالاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة ، وهي طريقة عقلية صحيحة ، وهي شرعية دل القرآن عليها وهدى الناس إليها ، وبينها وأرشد إليها وهي عقلية ، فإن نفس كون الإنسان حادثا بعد أن لم يكن ، ومولودا ومخلوقا من نطفة ثم من علقة ، هذا لم يعلم بمجرد خبر الرسول ، بل هذا يعلمه الناس كلهم بعقولهم سواء أخبر به الرسول أو لم يخبر ، لكن الرسول أمر أن يستدل به ودل به وبينه واحتج به ، فهو دليل شرعي ، لأن الشارع استدل به وأمر أن يستدل به ، وهو عقلي لأنه بالعقل تعلم صحته . . ﴾ . [1]

ولقد عقد الإمام ابن منده [2] - رحمه الله تعالى - في كتابه : (التوحيد) عدة فصول تدل على هذا المعنى ، وساق تحتها النصوص القرآنية والحديثية مردفا

---

(١) كتاب النبوات (ص٩٢) .
(٢) هو الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحي بن
= = = = =

لها بأقوال السلف وتفسيراتهم لها .

فمن تلك الفصول - وهي كثيرة - : ﴿ ذِكر آية تدل على وحدانية الله عز وجل من انتقال الخلق من حال إلى حال ﴾ .[1]

و﴿ذِكر آية تدل على وحدانية الخالق وإحكام صنعته في خلق الرحم والمشيمة في مدة استقرار النطفة فيها إلى التارات التي تمر عليها إلى أن تصير بشرًا حيًا ﴾[2]

و﴿ذِكر آية تدل على وحدانية الخالق بأنه خلق الخلق وجعلهم سميعا وبصيرا يسمعون ويبصرون ﴾ .[3]

إلى غير ذلك من الفصول الدائرة في هذا الفلك والمضمار .

والإمام ابن تيمية بعد أن عرض استدلال الخطابي بطريق المعجزة وطريق النظر للمخلوقات علق على ذلك بقوله : ﴿قلت : ذكر الخطابي طريقين إلى معرفة الله وصفاته، طريقاً سمعية وطريقاً عقلية ، وكلاهما طريق شرعية معروفة بالقرآن ، أما الأولى : فهو أن تعلم نبوة النبي-صلى الله عليه وسلم-بما أظهره الله على يديه من المعجزات وبغير ذلك ، ثم يعرفون ما أخبرهم به ودعاهم إليه من التوحيد وإثبات الصفات ، وهذا لأن نفس الإقرار بالصانع سبحانه - فِطري ضروري ،أو معلوم بأدنى نظر وتأمل يحصل لعموم الخلق ، ثم معرفة صدق الرسول-صلى الله عليه وسلم-تعلم بما أظهره من المعجزات الدالة على صدق الرسول ،وقد نبه الخطابي

(=) منده ، المولود بأصبهان سنة ٣١٠ ، والمتوفي سنة ٣٩٥ .
أخبار أصبهان (٢/٣٠٦) وطبقات الحنابلة (٢/١٦٧) وسير أعلام النبلاء (١٧/٢٨-٤٣) .

(١) كتاب التوحيد : (١/٢١٨) الفصل الحادي والعشرون .
(٢) المصدر السابق :(١/٢٤٥) الفصل السابع والعشرون .
(٣) المصدر السابق : (١/٢٥٦) الفصل التاسع والعشرون .

.أن فيما جاء به الرسول من بيان الطرق العقلية التي يعرف بها ثبوت الخالق وتوحيده وصفاته ، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن تعريفه للناس ما عرفهم إياه بمجرد خبره ، وإن كان ذلك بعد ثبوت صدقه كما يظنه كثير من أهل الكلام، بل عرفهم ما به يعرف ثبوت الخالق ووحدانيته وصفاته ، وما به يعرف صدقه ، فبيّن ما جاء به من أصول الدين وأدلته العقلية التي يعلم بها ما يمكن معرفته بالعقل ، وأخبرهم عن الغيب الذي لا يمكنهم معرفته بمجرد عقلهم) .[1]

(فقد بين الخطابي بعض ما نبه عليه القرءان من الاستدلال بالآيات النفسية والأفقية وهي أدلة عقلية) .[2]

وبهذا كله - وإعادة لما سبق - تتضح موافقة الخطابي - رحمه الله تعالى - للسلف في هذا الاستدلال المبني على طريق المعجزة وطريق النظر للمخلوقات بنوعيها الأفقية والنفسية . وبالله التوفيق .

---

(١) درء تعارض العقل والنقل : (٧/ ٣٠٢ - ٣٠٣).

(٢) المصدر السابق (٨/ ٣٥٥) ، وانظر: الفوائد لابن القيم(ص ٣١ - ٣٢) .

ثالثا : طريق الحدوث :

وهي إحدى مسالك الخطابي في معرفة الخالق - جل وعلا - ، علما بأنه لم ينص على ذلك في كتابيه : (شعار الدين) و (الغنية) ، وهما وضعا لهذا الغرض والمقصد ، بل قد بيّن فيهما بوضوح وجلاء - في أكثر من موضع - أن منهجه في هذه القضية مبني على منهج سلف الأمة وأئمتها فيما سلكوه استدلالا على معرفة الباري تعالى عن طريق المعجزة وطريق النظر إلى المخلوقات ، وهما مسلكان شرعيان وقد سبق عرض ذلك وبيانه . إلا أني وجدته ذكر ما يشير إلى صحة هذا الطريق - أيضا - حيث قال : (وكل وقت وزمان أو حال أو مقام حكم الامتحان فيه قائم فللاجتهاد والاستدلال فيه مدخل ، وقد قال إبراهيم صلوات الله عليه حين رأى الكوكب : ﴿ هٰذا ربي ﴾ [1] ثم تبين فساد هذا القول لما رأى القمر أكبر جرما وأبهر نورا ، فلما رأى الشمس وهي أعلاها في منظر العين وأجلاها للبصر وأكثرها ضياء ، وشعاعا قال : ﴿ هٰذا ربي هذا أكبر ﴾ [2] فلما رأى أفولها وزيالها وتبين أنها محل للحوادث والتغييرات تبرأ منها كلها وانقطع إلى رب هو خالقها ومنشئها ، لا تعترضه الآفات ، ولا تحله الأعراض والتغييرات) . [3]

وهذا المسلك - من الخطابي - في حد ذاته سليم وطريق صحيح ، نبه عليه القرآن الكريم وأشار إليه في أكثر من موضع ، إذ هو أحد مسالكه المتبعة في تقرير هذه القضية ، فإن حدوث الأشياء وتغيرها وتحولها من حال إلى حال مما يعلم

---

(١) سورة الأنعام بعض آية (٧٦) .

(٢) سورة الأنعام بعض آية (٧٨) .

(٣) أعلام الحديث (١/٥٢٦) ، ونقله عنه البيهقي - باختلاف يسير - في كتابه الأسماء والصفات (ص ٣٥٥ - ٣٥٦) .

معه أن لها موجدا ومدبرا ، ولو كانت واجبة الوجود بنفسها لا متنع عليها العدم ، فلما لم يكن ذلك دل وجودها بعد عدمها على أنها ممكنة الوجود وممكنة العدم ، فإن كليهما قد تحقق فيها ، وإلى هذا المعنى يشير قوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾[1] ، وقوله تعالى : ﴿ مالكم لا ترجون لله وقارا ، وقد خلقكم أطوارا ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا ﴾[3] .

يقول أبو الحسن الأشعري[4] - رحمه الله - : (الإنسان إذا فكر في خلقته من أي شيء ابتدأ ، وكيف دار في أطوار الخلقة طورا بعد طور حتى وصل إلى كمال الخلقة ، وعرف يقينا أنه بذاته لم يكن ليدبر خلقته وينقله من درجة إلى درجة ويرقيه من نقص إلى كمال علم بالضرورة أن له صانعا قادرا عالما مريدا ،

---

(١) سورة المؤمنون آية (١٢ - ١٤) . يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله تعالى - عند هذه الآية : (بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة أطوار خلقه الإنسان ونقله له من حال إلى حال ليدل خلقهُ بذلك على كمال قدرته واستحقاقه للعبادة وحده جل وعلا) . أضواء البيان : (٥/٧٧٦) .

(٢) سورة نوح : آية (١٣ - ١٤) .

(٣) سورة الإنسان : آية (١) .

(٤) هو علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق ، الأشعري الإمام الشهير ، من ذرية الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري - رضي الله تعالى عنه - ولد أبو الحسن بالبصرة سنة ٢٦٠ (وقيل غير ذلك) وتوفي ببغداد سنة ٣٢٤ (وقيل - أيضا - غير ذلك) ترجمه الكثير ، وأفرده الحافظ ابن عساكر بترجمة حافلة واسعة في كتابه الموسوم : (بتبيين كذب المفتري
====

إذ لا يتصور حدوث هذه الأفعال المحكمة من طبع ، لظهور آثار الاختيار في الفطرة ، وتبين آثار الاحكام والاتقان في الخلقة) .[(١)]

ويقول ابن تيمية : (فمن المعلوم بالمشاهدة والعقل وجود موجودات ، ومن المعلوم ـ أيضا ـ أن منها ما هو حادث بعد أن لم يكن ، كما نعلم نحن أنا حادثون بعد عدمنا ، وأن السحاب حادث والمطر والنبات حادث والدواب حادثة وأمثال ذلك من الآيات التي نبه الله تعالى عليها ، ومن المعلوم بالضرورة أن الحادث بعد عدمه لا بد له من محدث ، وهذه قضية ضرورية معلومة بالفطرة حتى للصبيان ولهذا قال تعالى : ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ﴾[(٢)] وهذا تقسيم حاصر، ذكره الله بصيغة استفهام الانكار ليبين أن هذه المقدمات معلومة بالضرورة لا يمكن جحدها ، أي من غير خالق خلقهم أم هم خلقوا أنفسهم ؟ وهم يعلمون أن كلا النقيضين باطل ، فتعين أن لهم خالقا خلقهم سبحانه وتعالى) .[(٣)]

قلت : [إلى هنا] فالاستدلال بحدوث العالم صحيح ، لكن المؤاخذة على سالكيه من جمهور المتكلمين[(٤)] تكمن فيما ابتدعوه من طريقة غامضة شائكة

(=) فيما نُسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري) وهو مطبوع متداول .

(١) الملل والنحل (١ / ٩٤) .

(٢) سورة الطور آية (٣٥) .

(٣) شرح حديث النزول (ص ٢٧ - ٢٨) مع بعض الاختصار والتصرف ، وانظر كتاب النبوات (ص ٩٩) .

(٤) قلت :(جمهور المتكلمين) ؛لأن منهم من يذهب إلى الاستدلال على وجوده تعالى بإمكان العالم ـ كما هي طريقة الفلاسفة ـ انظر على سبيل المثال : المحصل للرازي (ص ١٤٩) ومنهاج ابن تيمية (٣ / ٢٩٥) .

معقدة بل فاسدة للتوصل إلى تقرير هذا الحدوث ، وبالتالي زعمهم أن هذه طريقة خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والتسليم . فلقد اعتمدوا فيما نهجوه على الجواهر والأعراض[1] وما يتعلق بها من الامكان أو الحدوث أو غير ذلك مماذكروه ، لكون العالم مؤلفاً من أجزاء حادثة ، والمؤلف من أجزاء حادثة حادث ، والحادث جائز الوجود ، إذ يجوز تقديره عدما قبل الوجود ، فلما اختص العالم بالوجود الممكن بدلا عن العدم الجائز احتاج إلى موجد وافتقر إلى صانع وهو الله تعالى .

قال الإيجي[2] : (قد علمت أن العالم إما جوهر أو عرض ، وقد يستدل على إثبات الصانع بكل واحد منهما إما بإمكانه أو بحدوثه ، بناء على أن علة الحاجة عندهم إما الحدوث وحده أو الإمكان مع الحدوث شرطا أو شطراً فهذه وجوه أربعة ، الأول : الاستدلال بحدوث الجواهر ، قيل هذه طريقة الخليل صلوات الرحمن وسلامه عليه ، حيث قال : ﴿ لا أحب الآفلين ﴾[3] . وهو أن العالم الجوهري أي المتحيز بالذات حادث كما مر ، وكل حادث فله محدث كما تشهد بذلك بديهة العقل)[4] .

---

(١) الجوهر هو المتحيز ، وكل ذي حجم متحيز ، والعرض - بفتحتين - هو المعنى القائم بالجواهر كالألوان والطعوم والروائح والحياة والموت والعلوم والارادات والقدر القائمة بالجواهر .
الارشاد للجويني (ص٣٩) ، وانظر تعريفات الجرجاني (ص ٧٩) و (ص ١٤٩) .

(٢) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار عضد الدين الإيجي ، نسبة إلى إيج - بلدة من نواحي شيراز - ولد سنة ٧٠٠ وتوفي - سجينا - سنة ٧٥٦ .
طبقات الشافعية للسبكي (١٠/٤٦ - ٧٨) والبدر الطالع (١/٣٢٦-٣٢٧) وهدية العارفين (٢/٥٢٧) .

(٣) سورة الأنعام بعض آية (٧٦) .

(٤) شرح المواقف ، ومعه شرح الجرجاني (٢/٢-٣) وما بعدهما ====

وهكذا نجد المتكلمين يستدلون على حدوث العالم (بحدوث الأعراض التي هي صفات الأجسام القائمة بها،إما الأكوان وإما غيرها ، وتقرير المقدمات التي يحتاج إليها هذا الدليل من إثبات الأعراض التي هي الصفات أولاً أو إثبات بعضها كالأكوان التي هي الحركة والسكون والاجتماع والافتراق ، وإثبات حدوثها ثانياً بإبطال ظهورها بعد الكمون وإبطال انتقالها من محل إلى محل ثم إثبات امتناع خلو الجسم ثالثا ،إما عن كل جنس من أجناس الأعراض بإثبات أن الجسم قابل لها ، وأن القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده ، وإما عن الأكوان وإثبات امتناع حوادث لا أول لها رابعا ،وهو مبني على مقدمتين ،إحداهما : أن الجسم لا يخلوا عن الأعراض التي هي الصفات ، والثانية : أن مالا يخلوا عن الصفات التي هي الأعراض فهو محدث ،لأن الصفات التي هي الأعراض لا تكون إلا محدثة ، وقد يفرضون ذلك في بعض الصفات التي هي الأعراض كالأكوان ، ومالا يخلوا عن جنس الحوادث فهو حادث لامتناع حوادث لا تتناهى) .[1]

أما الخطابي فإنه لم ينكر هذه الطريقة من أصلها بل حذر منها لصعوبتها وخطورتها ، فقال - رحمه الله - : (فإن قال هؤلاء القوم - يعني المتكلمين - فإنكم

(=) وانظر الأبواب الأولى لكتب الأشاعرة في بيان معتقدهم ، ففيها هذا التقرير ، ودونكها :
التمهيد للباقلاني (ص ٣٧) وما بعدها،والإنصاف (ص ٢٦ - ٢٩) ونهاية الاقدام (ص ٥ - ٦ وص ١١) والإرشاد للجويني (ص ٣٩) وما بعدها وتهافت الفلاسفة للغزالي ص (١٢٦) والاقتصاد في الاعتقاد (ص ١٩) وما بعدها ،والمحصل للرازي (ص ١٤٧) .

(١) مجموع الفتاوى (٣ / ٣٠٣ - ٣٠٤) ، وانظر المصدر نفسه :(١٢ / ٢١٣) وما بعدها و (١٦ / ٢٦٧) والصواعق المرسلة (٣ / ١١٨٧) .

قد أنكرتم الكلام ومنعتم استعمال أدلة العقول ، فما الذي تعتمدون عليه في صحة أصول دينكم ؟ ومن أي طريق تتوصلون إلى معرفة حقائقها ؟ وقد علمتم أن الكتاب لم يعلم حقه وأن الرسول لم يثبت صدقه إلا بأدلة العقول ، وأنتم قد نفيتموها ، قلنا : إنا لا ننكر أدلة العقول والتوصل بها إلى المعارف ، ولكنا لا نذهب في استعمالها إلى الطريقة التي سلكتموها في الاستدلال بالأعراض وتعلقها بالجواهر [١] وانقلابها فيها على حدوث العالم وإثبات الصانع ، ونرغب عنها إلى ما هو أوضح بيانا وأصح برهانا، وإنما هو شيء أخذتموه عن الفلاسفة [٢] وتابعتموهم عليه ، وإنما سلكت الفلاسفة هذه الطريقة لأنهم لا يثبتون النبوات ولا يرون لها حقيقة ، فكان أقوى شيء عندهم في الدلالة على إثبات هذه الأمور ما تعلقوا به من الاستدلال بهذه الأشياء ، فأما مُثبتوا النبوات فقد أغناهم الله تعالى عن ذلك وكفاهم كلفة المؤونة في ركوب هذه الطريقة المنعرجة التي لا يؤمن العنت على راكبها والابتداع والانقطاع على سالكها) . [٣]

وقال أيضا : (فأما الأعراض فإن التعلق بها إما أن يكون عذرا ، وإما أن يكون تصحيح الدلالة من جهتها عسرا متعذرا ، وذلك أن اختلاف الناس قد كثر فيها ،

---

(١) سبق التعريف بالجواهر والأعراض (ص ٩٥) .

(٢) لفظة (فلسفة) مأخوذة من اليونانية ، وهي مركبة من مقطعين (فيلو) ومعناها محب ، وسوفيا ومعناها الحكمة ، فمجموع معنى الكلمة : (محبة الحكمة) والفيلسوف : (محب الحكمة) .
انظر المعجم الفلسفي (٢ / ١٦٠ - ١٦٤) . ومن رغب في الوقوف على مقالات الفلاسفة وعد طوائفهم والاطلاع على مقولاتهم ، فلينظر : الملل والنحل (٢ / ٥٨) وما بعدها ، وإغاثة اللهفان (٢ / ٣٦٨) وما بعدها .

(٣) الغنية عن الكلام وأهله ، نقلا عن بيان تلبيس الجهمية (١ / ٢٥٤) ===

فمن قائل : لا عرض في الدنيا،ناف لوجود الأعراض أصلا ، وقائل :إنما هي قائمة بأنفسها لا تخالف الجواهر في هذه الصفة ،إلى غير ذلك من الاختلاف فيها ، وأوردوا في نفيها شبها قوية ،فالاستدلال بها والتعلق بأدلتها لا يصح إلا بعد التخلص من تلك الشبه والانفكاك عنها ، والطريقة التي سلكناها - يقصد ما مضى من الاستدلال بطريق المعجزة والنظر إلى المخلوقات - سليمة من هذه الآفات بريئةٌ من هذه العيوب ، فقد بان ووضح فَسَادُ قول من زعم وادعى من المتكلمين أن من لم يتوصل إلى معرفة الله تعالى وتوحيده من الوجه الذى يصححونه من الاستدلال ، فإنه غير موحد في الحقيقة ،لكنه مستسلم مقلد ، وأن سبيله سبيل الذرية في كونها تبعا للآباء في الإسلام ، وثبت أن قائل هذا القول مُخطئ ، وبين يدي الله ورسوله متقدم ، وبعامة الصحابة وجمهور السلف مزر ، وعن طريق السنة عادل ، وعن نهجها ناكب ،فهذا قولهم ورأيهم في عامة السلف وجمهور الأئمة وفقهاء الخلف) . (1)

فالمتأمل فيما سبق من كلام أبي سليمان يتبين له - بوضوح - أنه قد خالف المتكلمين في منحاهم المعوج وسبيلهم الوعر الذي انتهجوه وساروا عليه ، بل ذمه وعابه وانتقصه ، ولكن ذلك لا لكونه باطلا في نفسه ، بل لادعاء مناصريه ومنتحليه أن الوصول إلى معرفة الله تعالى لا تتم إلا به وحده وعن طريقه خاصة، ثم على الوجه الذي سلكوه فيه ورسموه له ، ولما يكتنفه - أيضا - من الغموض

(=) ودرء تعارض العقل والنقل : (٧/ ٢٩٢ - ٢٩٤) وصون المنطق : (ص ٩٤ - ٩٥) .

(1) المصدر السابق نقلا عن درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٣١٠ - ٣١١) وصون المنطق ص (٩٨ - ٩٩) .

وينطوي عليه من الشبه والشكوك التي يصعب التخلص منها والانفكاك عنها، ولما بني عليه من مقدمات عسيرة عويصة، مما لا يؤمن معه على سالكه ومقتفيه التعثر وسوء المغبة وبُعد التيه، إضافة إلى ما وقع بين الناس من اختلاف كبير بيِّن في قبول هذا الطريق ورده.

ومع هذا كله فإن صنيع الخطابي يخالف ما عليه السلف في إبطالهم لهذا الطريق كلية، والعدول عنه جملة لتحقق فساده وسقوط مدلولاته، التي اتخذها المعتزلة[1] والجهمية[2] ومن وافقهم من أهل البدع عمدة لأقوالهم في نفي الصفات، ومطية لإنكارهم لكثير من مسائل التوحيد وقضايا العقيدة.

يقول ابن تيمية - بعد سوقه لكلام الخطابي المذكور آنفا - : (وهذا الذي ذكره الخطابي يُبين أن طريقة الأعراض من الكلام المذموم، الذي ذمه السلف والأئمة وأعرضوا عنه، كما ذكر ذلك الأشعري[3] وغيره، وأن الذين سلكوها سلكوها لكونهم لم يسلكوا الطرق النبوية الشرعية، فمن لم يسلك الطرق الشرعية احتاج إلى الطرق البدعية، بخلاف من أغناه الله بالكتاب والحكمة، والخطابي ذكر أن هذه الطريقة متعبة مخوفة، فسالكها يخاف عليه أن يعجز وأن يهلك وهذا كما ذكره الأشعرى وغيره ممن لم يجزموا بفساد هذه الطريقة، وإنما ذموها لكونها بدعة، أو لكونها صعبة متعبة قد يعجز سالكها، أو لكونها مخوفة خطرة

---

(١) سبق التعريف بهم (ص : ٦٦-٦٧) .

(٢) هم أتباع جهم بن صفوان السمرقندى أبو محرز الراسبي، ضال مبتدع، زرع شرا عظيماً، قتل سنة ١٢٨
ميزان الاعتدال (١ / ٤٢٦) والخطط للمقريزى (٢ / ٣٤٩) والأعلام (٢ / ١٤١) .

(٣) انظر: رسالة إلى أهل الثغر (ص ١٨٥ - ١٨٧) .

لكثرة شبهاتها ، وهكذا ذكر الخطابي في كتاب (شعار الدين)[١] ما يتضمن هذا المعنى ، ولهذا كان من لم يعلم بطلان هذه الطريقة أو اعتقد صحتها قد يقول ببعض موجباتها ، كما يقع مثل ذلك في كلام الخطابي وأمثاله ، مما يوافق موجبها ، وقد أنكره عليه أئمة السلف والعلم) .[٢]

ويقول في موضع آخر : (والذين علموا أن هذه طريق مبتدعة حزبان : ضرب ظنوا أنها صحيحة في نفسها ، لكن أعرض السلف عنها لطول مقدماتها وغموضها وما يخاف على سالكها من الشك والتطويل ، وهذا قول جماعة كالأشعري في رسالته إلى أهل الثغر[٣] والخطابي والحليمي[٤] والقاضي أبي يعلى[٥] وابن عقيل[٦]

---

(١) لم أجد ذلك فيما هو منقول عنه في بيان تلبيس الجهمية وابن تيمية لم ينقل كل الكتاب ، بل نقل بعضا منه .

(٢) درء تعارض العقل والنقل : (٧ / ٢٩٤) .

(٣) انظر (ص ١٨٥ - ١٨٧) .

(٤) هو أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد الحليمي نسبة إلى جده حليم ، الفقيه الشافعي ولد سنة ٣٣٨ ، وتوفي سنة ٤٠٣ .

سير أعلام النبلاء :(١٧ / ٢٣١ - ٢٣٤) ، وطبقات الشافعية للسبكي :(٤ / ٣٣٣ - ٣٤٣) وشذرات الذهب (٣ / ١٦٧ - ١٦٨)

(٥) هو محمد بن الحسين بن محمد بن الفراء البغدادي أحد العلماء الكبار ومن وجوه أعيان الحنابلة وأعلامهم ، ولد ببغداد سنة ٣٨٠ ، وبها مات سنة ٤٥٨ .

طبقات الحنابلة (٢ / ١٩٣ - ٢٣٠) وسير أعلام النبلاء :(١٨ / ٨٩ - ٩٢) والمقصد الأرشد (٢ / ٣٩٥ - ٣٩٦) .

(٦) هو أبو الوفا علي بن عقيل البغدادي ، الفقيه الأصولي الواعظ المتكلم أحد كبار علماء الحنابلة واسع التأليف ذائع الصيت ، ولد سنة ٤٣١ وتوفي سنة ٥١٣ .

======

وأبي بكر البيهقي وغير هؤلاء .

والثاني : قول من يقول : بل هذه الطريقة باطلة في نفسها ، ولهذا ذمها السلف وعدلوا عنها ، وهذا قول أئمة السلف كابن المبارك [١] ، والشافعي [٢] ، وأحمد [٣] ابن حنبل ، وإسحاق بن راهويه [٤] ، وأبي يوسف [٥]

(=) طبقات الحنابلة (٢/٢٥٩) والمنهج الأحمد (٢/٢٥٢ - ٢٧٠) وشذرات الذهب (٤/٣٥ - ٤٠) .

(١) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك ، الإمام العلامة الحافظ المجاهد ، ولد سنة ١١٧ ، وتوفي سنة ١٨١ .

تاريخ بغداد (١٠/١٥٢ - ١٦٩) ووفيات الأعيان (٣/٣٢) وشذرات الذهب (١/٢٩٥ - ٢٩٧) .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن إدريس القرشي ثم المطلبي ، أحد الأئمة الأربعة ، المجمع على إمامتهم وعدالتهم ، ولد في غزة فلسطين سنة ١٥٠ ، وتوفي بمصر سنة ٢٠٤ وبها دفن .

تاريخ بغداد (٢/٥٦ - ٧٣) والانتقاء (ص ٦٦ - ١٠٣) وتهذيب الأسماء واللغات (١/٤٤ - ٦٧) .

(٣) هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، جبل السنة ، وأحد الأئمة الأربعة المجمع على إمامتهم وعدالتهم ، ولد ببغداد سنة ١٦٤ ، وتوفي بها سنة ٢٤١ .

تاريخ بغداد (٤/٤١٢ - ٤٢٣) وطبقات الحنابلة (١/٤-٢٠) والمقصد الأرشد (١/٦٤ - ٧٠) .

(٤) هو أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد المروزى ، أحد الأئمة الأعلام ، نزيل نيسابور وعالمها ، ولد سنة ١٦١ - على ما رجحه الخطيب والذهبي - وتوفي سنة ٢٣٨ .
تاريخ بغداد (٦/٣٤٥ - ٣٥٥) وسير أعلام النبلاء (١١/٣٥٨-٣٨٣) وطبقات الشافعية للسبكي (٢/٨٣ - ٩٣) .

(٥) هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصارى الكوفي الإمام ======

ومالك بن أنس[(١)] ، وابن الماجشون عبد العزيز[(٢)] وغير هؤلاء من السلف) .[(٣)]

وقال أيضا : (فهذه الطريقة مما يعلم بالاضطرار أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يدع الناس بها إلى الاقرار بالخالق ونبوة أنبيائه ، ولهذا قد اعترف حذاق أهل الكلام كالأشعري وغيره بأنها ليست طريقة الرسل وأتباعهم ولا سلف

(=) العلامة القاضي ، صاحب الإمام أبي حنيفة والمتفقه على يديه ، ولد بالكوفة سنة ١١٣ ، وتوفي ببغداد سنة ١٨٢ .
تاريخ بغداد (٢٤٢/١٤ - ٢٦٢) ووفيات الأعيان (٣٧٨/٦-٣٩٠) وسير أعلام النبلاء (٥٣٥/٨ - ٥٣٩) .

(١) هو أبو عبد الله مالك بن أنس ،إمام دار الهجرة ، وأحد الأئمة المجمع على إمامتهم وعدالتهم ولد بالمدينة النبوية سنة ٩٣ (وقيل غير ذلك) وتوفي بها سنة ١٧٩ .
الانتقاء (ص ٩ - ٤٧) وترتيب المدارك (١٠٢/١ - ٢٥٤) والديباج المذهب (٨٢/١ - ١٣٥) .

(٢) هو أبو عبد الله (وقيل أبو الأصبغ) عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة ، أحد الفقهاء الحفاظ الثقات ، أصله من اصبهان ، نزل المدينة ثم توجه إلى بغداد فأقام بها إلى حين وفاته سنة ١٦٤ ولم أقف على سنة مولده .

تاريخ بغداد : (٤٣٦/١٠ - ٤٣٩) وتهذيب التهذيب : (٣٤٣/٦ - ٣٤٤) وشذرات الذهب (٢٥٩/١) .

(٣) مجموع الفتاوى (٥٤٣/٥ - ٥٤٤) .
وانظر لزاما : درء تعارض العقل والنقل (٢٨٨/٧) و (١١-٣١١-٣١٢)

الأمة وأئمتها ، وذكروا أنها محرمة عندهم ، بل المحققون على أنها طريقة باطلة ، وأن مقدماتها فيها تفصيل وتقسيم يمنع ثبوت المدعي بها مطلقا ، ولهذا تجد من اعتمد عليها في أصول دينه فأحد الأمرين له لازم :

إما أن يطلع على ضعفها ويقابل بينها وبين أدلة القائلين بقدم العالم ، فتتكافأ عنده الأدلة ، أو يرجح هذا تارة وهذا تارة كما هو حال طوائف منهم .

وإما أن يلتزم لأجلها لوازم معلومة الفساد في الشرع والنقل) .[١]

وقد أخرج الهروي[٢] عن أبي العباس بن سريج[٣] أنه سئل ما التوحيد ؟ قال : (توحيد أهل العلم وجماعة المسلمين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، وتوحيد أهل الباطل الخوض في الأعراض والأجسام ، وإنما بعث النبي صلى الله عليه وسلم بإنكار ذلك) .[٤]

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٠٤/٣) .
وانظر : منهاج السنة (٤٢٦/١) وما بعدها ، والانتصار لأهل الحديث للسمعاني ، نقلا عن فتح الباري (٥٠٧/١٣) وعن صون المنطق (ص ١٧٤) والحجة في بيان المحجة (٩٩/١ - ١٠٠) ، ولوامع الأنوار البهية (١٨٢/١) وما بعدها .

(٢) هو أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الهروى الأنصاري العلامة الحافظ شيخ خراسان في عصره ، وأحد كبار علماء الحنابلة ، ولد سنة ٣٩٦ وتوفي ٤٨١ .
طبقات الحنابلة (٢٤٧/٢ - ٢٤٨) وسير أعلام النبلاء (٥٠٣/١٨ - ٥١٨) وشذرات الذهب (٣٦٥/٣ - ٣٦٦) .

(٣) هو أحمد بن عمر بن سريج القاضي البغدادي الشافعي الإمام الجليل ، فقيه العراقين (البصرة والكوفة) وأحد أعلامهما ، ولد سنة ٢٤٩ وتوفي سنة ٣٠٦ .
تاريخ بغداد (٢٨٧/٤ - ٢٩٠) وسير أعلام النبلاء (٢٠١/١٤ - ٢٠٤) وطبقات الشافعية للسبكي (٢١/٣ - ٣٩) .

(٤) ذم الكلام وأهله ، نقلا عن صون المنطق (ص ٧٥) .

وقال ابن عبد البر: - رحمه الله تعالى - : (إنه من نظر إلى إسلام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وسعد وعبد الرحمن وسائر المهاجرين والأنصار وجميع الوفود الذين دخلوا في دين الله أفواجا علم أن الله عز وجل لم يعرفه واحد منهم إلا بتصديق النبيين بأعلام النبوة ودلائل الرسالة، لا من قبل حركة ولا من باب الكل والبعض، ولا من باب كان ويكون، ولو كان النظر في الحركة والسكون عليهم واجباً وفي الجسم ونفيه والتشبيه ونفيه لازما ما أضاعوه، ولو أضاعوا الواجب ما نطق القرآن بتزكيتهم وتقديمهم، ولا أطنب في مدحهم وتعظيمهم ولو كان ذلك من علمهم مشهورا أو من أخلاقهم معروفا لاستفاض عنهم ولشهروا به كما شهروا بالقرآن والروايات)[1].

وقال ابن رشد:[2] (وأما الأشعرية فإنهم رأوا أن التصديق بوجود الله تبارك وتعالى لا يكون إلا بالعقل، لكن سلكوا في ذلك طرقاً ليست هي الطرق الشرعية التي نبه الله عليها ودعا الناس إلى الإيمان به من قِبَلها، وذلك أن طريقتهم المشهورة انبنت على بيان أن العالم حادث، وانبنى عندهم حدوث

---

(١) التمهيد (١٥٢/٧).

(٢) هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد - الحفيد - الفيلسوف الفقيه المالكي الشهير، ولد بقرطبة سنة ٥٢٠، وتوفي بمدينة مراكش سنة ٥٩٥، ثم نقل بعد دفنه إلى مقبرة سلفه بقرطبة.
الديباج المذهب (٢/٢٥٧ - ٢٥٩) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ١١١) ووفيات ابن قنفذ (ص ٢٩٨ - ٢٩٩).

العالم على القول بتركيب الأجسام من أجزاء لا تتجزأ ، وأن الجزء الذي لا يتجزأ محدث ، والأجسام محدثة بحدوثه ، وطريقتهم التي سلكوا في بيان حدوث الجزء الذي لا يتجزأ - وهو الذى يسمونه الجوهر الفرد [1] - طريقة معتاصة ، تذهب على كثير من أهل الرياضة في صناعة الجدل فضلا عن الجمهور ، ومع ذلك فهي طريقة غير برهانية ولا مفضية بيقين إلى وجود الباري - سبحانه -) . [2]

وبعد هذا البيان عن مكنون هذا الطريق ، وما انطوى عليه من مخاطر ومزالق ، وما انبنى عليه من مقدمات غامضة ومقالات عويصة ، ظنها من مبتدعيه أنها حجج ظاهرة وشواهد بينة تفي بالمقصود ونيل المطلوب ، وما هي - في الواقع - إلا شكوك وشبهات أو هي من نسج العنكبوت ، وأدعى إلى السقوط منها إلى القيام بله الاعتبار .

حجج تهافت كالزجاج تخالها . . تبقى وكل كاسر مكسور

مما يوجب هدم هذا الطريق من أسه ، وعدم النظر فيه والالتفات إليه .

والإمام الخطابي - كما سبق ذكره - قد خالف السلف في إبطالهم لصحته في نفسه ، وإن كان قد صرح برغبته عنه ، ووصفه بالانعراج الذي لا يؤمن العنت على راكبه ،

---

(١) الجوهر الفرد هو الموجود الذي لا يقبل التجزئة ، لا في الواقع ولا في التصور ، وهو في الحوادث الجزء الذي لا يتجزأ . ضوابط المعرفة (ص ٣٣٩) وانظر : كشاف اصطلاحات الفنون (١ / ٢٦٥) .

(٢) مناهج الأدلة (ص ١٣٥) وهذا موافق لموقف الخطابي - رحمه الله - في ذمها لصعوبتها لا لفسادها والحق أنها صعبة فاسدة كما تقدم بيانه .

على منتهجه

والابتداع والانقطاع ، إلا أن ذلك ـ كما بين فيما مضى ـ لم يكن لذاته ، وإنما لما يصحب متبعيه وسالكيه من جهد ومشقة ،ولما يكتنفه ويحف به من شبهات وشكوك يصعب دفعها والتخلص منها .

ثم إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يستدل بهذا الطريق أبدا ، ولا دعا قط أحداً من الناس إليه ، والله تعالى يقول : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ [1] . ويقول : ﴿ وإن تطيعوه تهتدوا ﴾ . [2] كما لم يسلكه أحد من صحبه الكرام وأتباعهم الأخيار ، ولو كان خيرا لسبقونا إليه ، فكل خير في اتباع من سلف ، وكل شر في ابتداع من خلف .

بقي هنا الإشارة إلى ما استدل به الخطابي على طريق الحدوث وهو قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام الواردة في قوله تعالى : ﴿ وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ، فلما جن عليه الليل رءا كوكبا قال هذا ربي ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، فلما رءا القمر بازغا قال هذا ربي ، فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ، فلما رءا الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر ، فلما أفلت قال يٰقوم إني بريء مما تشركون ، إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين)) . [3]

وقد سبق التنبيه إلى أن المتكلمين أخذوا من هذه القصة ـ حسب زعمهم ـ مستندا لهم فيما سلكوه استدلالا على الحدوث المذكور ، والحق أنه ليس لهم فيما ذهبوا إليه وراموه أدنى متمسك كما أبان عن ذلك العلماء وأوضحوه ، وسوف

(١) سورة الأحزاب بعض آية (٢١) .
(٢) سورة النور بعض آية (٥٤) .
(٣) سورة الأنعام آية (٧٥ - ٧٩) .

لا أطيل الخوض في هذه المسألة نظراً لكون الخطابي لم يطل فيها - كما فعل المتكلمون - وذلك بحصرها في النقاط التالية :

١) إبطال تفسير الأفول بالحركة ، وأن إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - - كما زعموا - استدل بالحركة على بطلان الربوبية ، وهذا خطأ محض ظاهر ، فإن الأفول هو التغيب والاحتجاب ، ولا يعرف في اللغة العربية أنه بمعنى مجرد الحركة والانتقال ، كما هو متفق عليه عند العلماء : مفسرين ولغويين .

قال الأزهري :[1] (يقال : أفلت الشمس تأفل وتأفل أفلا وأفولا ، فهي آفلة ، وكذلك القمر يأفل إذا غاب ، قال الله تعالى : ﴿ فلما أفل ﴾[2] أي غاب وغرب)[3].

وقال ابن فارس : (أفل : الهمزة والفاء واللام أصلان ، أحدهما الغيبة ، والثاني : الصغار من الإبل ، فأما الغيبة فيقال : أفلت الشمس غابت ، ونجوم أفل ، وكل شيء غاب فهو آفل ، قال :

فدع عنك سعدى إنما تسعف النوى . . قران الثريا مرة ثم تأفل[4] .

---

(١) هو أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي الشافعي ، العلامة اللغوي المشهور ، ولد بهراة سنة ٢٨٢ وبها توفي سنة ٣٧٠ وفيات الأعيان (٤ / ٣٣٤) وطبقات الشافعية للسبكي (٣ / ٦٣-٦٨) وشذرات الذهب (٣ / ٧٢ - ٧٣) .

(٢) سورة الأنعام بعض آية (٧٦ - ٧٧) .

(٣) تهذيب اللغة (١٥ / ٣٧٨) مادة (أفل) .

(٤) البيت لكثير وهو في ديوانه : (ص ٢٩٣) وذكره في اللسان ابن منظور (٣ / ٢٨٣) مادة (أفل) .

قال الخليل :[١] (وإذا استقر اللقاح في قرار الرحم فقد أفل) .[٢]

وإبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال : ﴿ لا أحب الآفلين ﴾ حين غابت الكواكب واحتجبت .

٢) إنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يحتج بالأفول على حدوث الكواكب ولا على إثبات الصانع حتى يستدل بحادث على محدث ، وإنما احتج بذلك على بطلان عبادتها ، لأن قومه كانوا مشركين يعبدون الكواكب والأصنام ويدعونها من دون الله ، متوسلين بها إليه ـ تعالى ـ في قضاء حوائجهم ومآربهم .

٣) لا يجوز أن يكون خليل الله إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ في هذا المقام ناظراً وهو صفيه ومجتباه والقائل فيه : ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ﴾ الآيات[٣] والقائل : ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين ، شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى

---

(١) هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي اليحمدي البصري إمام ذو شأن كبير في العربية ، ومنشئ علم العروض كان ديّناً ورعا قانعا متواضعا ، وهو أستاذ سيبويه النحوي ، ولد الخليل بالبصرة سنة ١٠٠ ، وبها مات سنة ١٧٠ وقيل غيرها .
طبقات النحويين واللغويين (٤٧ - ٥١) ووفيات الأعيان (٢ / ٢٤٤- ٢٤٨) وبغية الوعاة (١ / ٥٥٧ - ٥٦٠) .

(٢) معجم مقاييس اللغة (١ / ١١٩) وقول الخليل منسوب أيضا إلى الليث ، انظر تهذيب اللغة (١٥ / ٣٧٨) .

(٣) سورة الأنبياء آية (٥١) .

صراط مستقيم ، وءاتينـه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصلحين ، ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ﴾ .(١)

وبهذا يعلم بُطلان ما استدل به الخطابي من إيراده لقصة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - دليلا على مسألة الحدوث ، وهو ما تعلق به المتكلمون - أيضا - من معتزلة وأشاعرة وفلاسفة ، وإنما قال - عليه الصلاة والسلام - ذلك تنبيهاً لعقولهم وإيقاظا لتفكيرهم ، إذ الذي يجوز عليه الغياب عن خلقه لا يصلح أن يكون ربا .(٢)

---

(١) سورة النحل آية (١٢٠ - ١٢٣) .

(٢) لمزيد من الاطلاع على الموضوع ، انظر : درء تعارض العقل والنقل : (١/ ٣١٠) وشرح حديث النزول (ص ١٦٥) وما بعدها وكذا ما كتبه الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٥٧) فقد أجاد فيه وأفاد .

(((الفصل الثاني)))

** توحيد الأسماء والصفات **

وفيه مبحثان

المبحث الأول : تعريف توحيد الأسماء والصفات

المبحث الثاني : بيان منهج الخطابي في توحيد أسماء الله وصفاته .

وفيه ستة مطالب :

المطلب الأول : بيانه أن الأسماء الحسنى ليست محصورةً في عدد معين .

المطلب الثاني : معنى الاحصاء الوارد في الحديث .

المطلب الثالث : الأسماء الحسنى توقيفية لا اجتهاد فيها ولا قياس عليها .

المطلب الرابع : أسماء وصفات لا يصح إطلاقها على الله تعالى .

المطلب الخامس : مجمل كلام الخطابي في نصوص الصفات وتأييده لمذهب السلف في ذلك .

المطلب السادس : أقواله المفصلة لبعض نصوص الصفات .

====================

الفصل الثاني

ـ(((توحيد الأسماء والصفات)))ـ

المبحث الأول : تعريف توحيد الأسماء والصفات :

هو الاعتقاد الجازم بانفراد الله تعالى بأسماء حسنى وصفات علا ، يجب إثباتها والإيمان بها وفق ما أثبته ـ سبحانه ـ لنفسه في كتابه المجيد ، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم ـ على ما يليق بجلاله وعظمته ، من غير تحريف[١] ولا تعطيل[٢] ولا تكييف[٣] ولا تشبيه[٤] ولا تمثيل[٥] . ونفي ما نفاه عن نفسه

---

(١) التحريف لغة : التغيير ، مأخوذ من قولهم : حرفت الشيء عن وجهه حرفا إذا أملته وغيرته . انظر اللسان مادة (ح ر ف)
واصطلاحا : تغيير النص لفظا أو معنى ، فالتحريف اللفظي مثل : نصب لفظ الجلالة في قوله تعالى : ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾ ليكون التكليم من موسى . والتحريف المعنوى مثل : تحريف معنى اليدين المضافتين إلى الله إلى القوة والنعمة ونحو ذلك .

(٢) التعطيل لغة : مأخوذ من العطل الذي هو الخلو والفراغ والترك ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وبئر معطلة ﴾ أي أهملها أهلها وتركوا وردها . انظر اللسان مادة (ع ط ل) .
واصطلاحا : نفي الصفات الإلهية وإنكار قيامها بذاته تعالى .

(٣) التكييف هو حكاية كيفية الصفة وأنها على هيئة كذا وكذا ، أو السؤال عنها بكيف .

(٤) التشبيه هو إثبات مشابه للشيء .

(٥) التمثيل هو إثبات مثيل للشيء .
والفرق بين التشبيه والتمثيل أن التشبيه يقتضي المشابهة والمساواة في أكثر الصفات ، والتمثيل يقتضي المماثلة والمساواة من كل وجه وقد يطلق أحدهما على الآخر .
====

- جل وعلا - أو نفاه عنه رسوله-صلى الله عليه وسلم-من كل العيوب والنقائص وكل ما ينافي كماله وجلاله .[1]

وقد أشار الخطابي - رحمه الله - إلى بعض هذه المعاني في مواضع عدة ، منها قوله - عند شرحه للحديث - : (.. والخير كله في يدك والشر ليس إليك)[2] : (معنى هذا الكلام الإرشاد إلى استعمال الأدب في الثناء على الله تعالى والمدح له ، بأن تضاف إليه محاسن الأمور دون مساوئها ، ولم يقع القصد إلى إثبات شيء وإدخاله له تحت قدرته ونفي ضده عنها ، فإن الخير والشر صادران عن خلقه وقدرته ، لا موجد لشيء من الخلق غيره ، وقد تضاف محاسن الأمور ومحامدُ الأفعال إلى الله تعالى عند الثناء عليه دون مساوئها ومذامها ، كقوله تعالى : ﴿ وإذا مرضت فهو يشفين ﴾[3] . وكقوله تعالى :

(=) هذه التعريفات استقيتها من شرح العقيدة الواسطية للهراس (ص ٢٠-٢١) وفتح رب البرية بتلخيص الحموية لابن عثيمين (ص ٥٤ - ٥٥) والتحفة المهدية (ص ٣١ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠) .

(١) انظر : الرسالة التدمرية (ص ٦ - ٧) والعقيدة الواسطية مع شرحها للهراس (ص ٢٠ - ٢١) واجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٩٣ - ٩٥) ومدارج السالكين (١/ ٣٣) ولوامع الأنوار البهية (١/ ١٢٩) والقول السديد (ص ١٠) وأعلام السنة المنشورة (ص ٥٧ - ٥٨) .

(٢) هذا طرف من حديث طويل ، أخرجه مسلم في صحيحه عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها ح ٢٠١ ، (١/ ٥٣٤ - ٥٣٦) والنسائي في سننه ، كتاب الإفتتاح ، باب ١٧ ح ٨٩٧ (٢/ ١٢٩ - ١٣٠) وأبو داود في سننه ، كتاب الصلاة باب ١٢١ ح ٧٦٠ و ٧٦١ (١/ ٤٨١ - ٤٨٥) والدارمي في سننه كتاب الصلاة ، باب ٣٣ ح ١٢٣٨ (١/ ٣٠٩) .

(٣) سورة الشعراء آية (٨٠) .

﴿ وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن ﴾[١] ولم يضف سبب وقوعه في السجن إليه ، وكما تضاف معاظم الخليقة إليه عند الثناء والدعاء ، فيقال : يارب السموات والأرضين ، كما يقال يارب الأنبياء والمرسلين ، ولا يحسن أن يقال : يارب الكلاب ويارب القردة والخنازير ، ونحوها من سُفْل الحيوان وحشرات الأرض وإن كانت إضافة جميع المكونات إليه من جهة الخلق لها والقدرة عليها شاملة لجميع أصنافها) [٢].

وقوله : (وعلم الله سبحانه علم حقيقة وكمال ، قد أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا) [٣].

وقوله : (فالسلام في صفة الله سبحانه هو الذي سلم من كل عيب وبرىء من كل آفة ونقص يلحق المخلوقين) [٤].

وقوله : - عن بيان معنى اسم الله : « القدوس » - : (هو الطاهر من العيوب، المنزه عن الأنداد والأولاد) [٥].

وقوله : (إن الكبرياء والعظمة صفتان لله - سبحانه - ، اختص بهما لا يشركه أحد فيهما ، ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما ، لأن صفة المخلوق التواضع والتذلل) [٦].

إلى آخر ما ذكره في هذا الباب مما يتناسب مع جلال الله وعظمته ، موافقاً بذلك ما عليه السلف من تعظيم خالقهم بما هو أهله ، وتنزيهه وتبرئته - جل وعلا - من كل

---

(١) سورة يوسف بعض آية (١٠٠) .
(٢) شأن الدعاء (ص ١٥٢ - ١٥٣) .
(٣) المصدر السابق (ص ٥٧) .
(٤) المصدر السابق (ص ٤١) .
(٥) المصدر السابق (ص ٤٠) .
(٦) معالم السنن (٤/١٩٦) .

نقص وعيب ومثلبة .

يقول ابن رجب [١] - رحمه الله - : (وأما وصف النبي-صلى الله عليه وسلم- لربه - عز وجل - بما وصفه به ،فكل ما وصف النبي-صلى الله عليه وسلم-به ربه - عز وجل - فهو حق وصدق ،يجب الإيمان والتصديق به ،كما وصف الله - عز وجل - به نفسه ،مع نفي التمثيل عنه) [٢].

فتوحيد الأسماء والصفات -إذاً - هو إفراده - تعالى - بأسمائه وصفاته ،وتنزيهه عن كل ما يضاهيه ويشابهه وينافي كماله وجلاله ،وذلك بالانتهاء إلى ما انتهى إليه الكتاب والسنة والوقوف عنده .

يقول ابن أبي زمنين [٣] - رحمه الله - : (واعلم أن أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به تبارك وتعالى عن نفسه علما ،والعجز عما لم يدع إليه إيمانا ،وإنهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه وعلى لسان نبيه) [٤].

---

(١) هو أبو الفرج زين الدين عبد الرحمن بن الشيخ شهاب الدين بن أحمد ، الشهير بابن رجب ،الإمام الحافظ المحدث ، ولد ببغداد سنة ٧٣٦ وتوفي بدمشق سنة ٧٩٥ .
المقصد الأرشد (٢/ ٨١ - ٨٢) والجوهر المنضد (ص ٤٦ - ٥٣) وشذرات الذهب (٦/ ٣٣٩) .

(٢) اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى (ص ٤٠ - ٤١) .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى المري الأندلسي ، فقيه مالكي ،من الوعاظ الأدباء والمشايخ الفضلاء . ولد سنة ٣٢٤ ، وتوفي سنة ٣٩٩ .
ترتيب المدارك (٧/ ١٨٣ - ١٨٦) وبغية الملتمس (ص ٨٧- ٨٨) والديباج المذهب (٢/ ٢٣٢ - ٢٣٤) .

(٤) أصول السنة (١/ ١٧٩) وهو موضوع رسالة علمية ،قدمها الطالب محمد
====

المبحث الثاني

-((بيان منهج الخطابي في توحيد أسماء الله وصفاته))-

المطلب الأول : بيانه أن الأسماء الحسنى ليست محصورةً في عددٍ معين :

لا يخفى أن معرفة أسماء الله وصفاته والعلم بها من أعظم الأمور وأشرفها قدرا وجلالة وعلو مكانة ، لتعلقها بذات الباري - جلا وعلا - يمدح بها ويسأل بها ، وكلما كان العبد عارفاً بأسماء خالقه ومولاه ، فاهماً لمعانيها ، مدركاً لمدلولاتها ، كان أدعى للعمل بمقتضاها دعاء وعبادة وثناء ، فعن أبي هريرة [1] - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدة ، من أحصاها دخل الجنة) . [2]

(=) ابراهيم هارون ، لنيل شهادة الماجستير بالجامعة الإسلامية لعام ١٤٠٣-١٤٠٤هـ.
وانظر : أقوالاً من نحو قول ابن أبي زمنين بالتمهيد لابن عبد البر (١٤٦/٧-١٤٧).

(١) هو : عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني ، الصحابي الجليل ، اختلف في اسمه اختلافا كبيرا ، هذا هو أرجحها -إن شاء الله- على ماحققه البخاري والذهبي وغيرهما . أسلم في السنة السابعة ، ومات بالمدينة سنة ٥٩ ، وقيل غير ذلك .
الاستيعاب (١٧٦٨/٤-١٧٧٢) وأسد الغابة (٣١٨/٦-٣٢١) والإصابة (٤٢٥/٧-٤٤٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الشروط باب ١٨ ح ٢٧٣٦ (الفتح ٣٥٤/٥) وكذا في مواضع أخرى من الصحيح .
انظر ح ٦٤١٠ و ٧٣٩٢ ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الذكر ح ٦ و ٥ (٢٠٦٢/٤-٢٠٦٣).

قال الخطابي - رحمه الله - في تفسير هذا الحديث : ("إن لله تسعة وتسعين اسما " فيه إثبات هذه الأسماء المحصورة بهذا العدد ، وليس فيه نفي ما عداها من الزيادة عليها ، وإنما وقع التخصيص بالذكر لهذه الأسماء لأنها أشهر الأسماء وأبينها معان وأظهرها ، وجملة قوله : "إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة » قضية واحدة لا قضيتان ، ويكون تمام الفائدة في خبر "إن " في قوله : " من أحصاها دخل الجنة "لا في قوله : " تسعة وتسعين اسما " . وإنما هو بمنزلة قولك : إن لزيد ألف درهم أعدها للصدقة ، وكقولك : إن لعمرو مائة ثوب من زاره خلعها عليه وهذا لا يدل على أنه ليس عنده من الدراهم أكثر من ألف درهم ، ولا من الثياب أكثر من مائة ثوب وإنما دلالته : أن الذى أعده زيد من الدراهم للصدقة ألف درهم ، وأن الذى أرصده عمرو من الثياب للخلع مائة ثوب) .[1]

ثم أورد ما يدل على صحة ما ذهب إليه من كون أسمائه تعالى ليست محصورةً في عدد معين فقال : (والذي يدل على صحة هذا التأويل حديث عبد الله بن مسعود[2] أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو : "اللهم إني عبدك ، ابن عبدك ، ابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماض فيّ حكمك ، عدل فيّ قضاؤك ،

---

(١) شأن الدعاء (ص ٢٣ - ٢٤) .

(٢) هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود بن غافل أبو عبد الرحمن الهذلي المكي المهاجرى ، أسلم قديما وهاجر الهجرتين ، مات بالمدينة سنة ٣٢ وقيل ٣٣ .

الاستيعاب (٩٨٧/٣ - ٩٩٤) وأسد الغابة (٣٨٤/٣ - ٣٩٠) والإصابة (٢٣٣/٤ - ٢٣٦) .

أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ،أو علمته أحداً من خلقك ،أو استأثرت به في علم الغيب عندك" الحديث .[١]

فهذا يدلك على أن لله أسماء لم ينزلها في كتابه ، حجبها عن خلقه ولم يظهرها لهم).[٢]

وبهذا يتضح أن أباسليمان يذهب إلى عدم نفي ما زاد على التسعة والتسعين من أسماء الله الحسنى ، وأن النص الوارد في ذلك لا يقتضي عدم الزيادة على العدد المذكور ، وإنما وقع تخصيصها لشهرتها وبيان معانيها .

قلت: وما ذهب إليه رحمه الله هو الحق والصواب لما تقدم من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - وقد سبق بيان دلالته ، ولما ثبت - أيضاً - من قوله عليه الصلاة والسلام في حديث الشفاعة وفيه : « فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي عز وجل

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١/ ٣٩١ و ٤٥٢) وصححه ابن حبان كما في موارد الظمآن (ص ٥٨٩ ح ٢٣٧٢) والإحسان (٣/ ٢٥٣ ، ح ٩٧٢) وأبو يعلى في مسنده (٥/ ١٣٥ - ١٣٦ ح ٥٢٧٦) والحاكم في مستدركه (١/ ٥٠٩ - ٥١٠) .
وقال :(هذا الحديث على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمن ابن عبد الله عن أبيه ، فإنه مختلف في سماعه عن أبيه) قلت: والصحيح ثبوت سماعه بشهادة جمع من الأئمة ، كالبخاري في تاريخه الصغير (١/ ٧٤) والكبير (٥/ ٢٩٩ - ٣٠٠) .
وانظر : تهذيب التهذيب (٦/ ٢١٥ - ٢١٦). والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٣٦) وأخرجه البزار كما في الكشف (٤/ ٣١ ح ٣١٢٢) وقال أحمد شاكر في شرح المسند (٥/ ٣٧١١- ٣٧١٢) : إسناده صحيح ،وكذا صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٣٣٦ - ٣٤١ ح ١٩٩) وَنَفَيَا ما ادعي من جهالة أبي سلمة الجهني الوارد في سند الحديث .

(٢) شأن الدعاء (ص ٢٤ - ٢٥) .

ثم يفتح الله عليّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي) الحديث .(١)

وهذا الفتح العظيم من الدعاء بذكر المحامد وحسن الثناء لا يكون إلا بما له – تعالى – من أسماءٍ حسنى وصفاتٍ عُلا التي بها يمدح ، ولا يخفى أن ذلك معروف جارٍ على ألسنة الأنبياء والرسل وعباد الله المؤمنين ، لكن ما اختص به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في هذا المقام شيء زائد على تلك الأسماء والصفات المعلومة ، بدليل قوله : " لم يفتح على أحد قبلي " فهي إذاً ليست محصورةً في عدد ما ، لأن محامده – تعالى – ومدائحه وفواضله وكمالاته لا تحصر ولا تتناهى ، ولما ثبت – كذلك – من دعائه – عليه الصلاة والسلام – : ((اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك)).(٢)

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب ٥ ح ٤٧١٢ (الفتح ٨/٣٩٦) وانظر ح ٤٤٧٦ وفيه : (فأحمده بتحميد يعلمنيه) وح ٧٤١٠ وفيه : (فأحمد ربي بمحامد علمنيها) . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ح ٣٢٧ (١/١٨٤ - ١٨٦) .

(٢) رواه مسلم في صحيحه من حديث عائشة – رضي الله عنها – كتاب الصلاة ح ٢٢٢ (١/٣٥٢) وأحمد في المسند (٦/٥٨) ومالك في الموطأ كتاب القرآن باب ٨ ح ٣١ (١/٢١٤) والنسائي في سننه ، كتاب الطهارة باب ١٢٠ ح ١٦٩ (١/١٠٢ - ١٠٣) وفي كتاب التطبيق باب ٤٧ ح ١١٠٠ (٢/٢١٠) وباب ٧١ ح ١١٣٠ (٢/٢٢٢-٢٢٣) والترمذي في سننه ، كتاب الدعوات باب ٧٦ ح ٣٤٩٣ (٥/٥٢٤) وابن ماجه في سننه ، كتاب الدعاء باب ٣ ح ٣٨٤١ (٢/١٢٦٢-١٢٦٣) كما أخرجه أحمد – أيضا – من حديث علي بن أبي طالب – رضي الله عنه =

=====

فهذا إخبار منه عليه الصلاة والسلام بعدم إحاطته بالثناء عليه - تعالى - لسعة ذلك وكثرته وعدم إمكان حصره ، ولا يكون ذلك - كما تقدم - إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العليا ولو أحصى جميع أسمائه لأحصى كل صفاته ، وقد قال الخطابي عند قوله : ((لا أحصى ثناء عليك)) : (أي لا أطيقه ولا أبلغه) .[1]

وقال النووي[2] عند قوله : ((لا أحصى ثناء عليك)) : (اعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء ، وأنه لا يقدر على بلوغ حقيقته ، ورد للثناء إلى الجملة دون التفصيل والاحصار والتعيين ، فوكل ذلك إلى الله سبحانه وتعالى المحيط بكل شيء جملة وتفصيلا ، وكما أنه لا نهاية لصفاته لا نهاية للثناء عليه ، لأن الثناء تابع للمثنى عليه ، وكل ثناء أثنى به عليه ، وإن كثر وطال وبولغ فيه ، فقدر الله أعظم وسلطانه أعز وصفاته أكبر وأكثر ، وفضله وإحسانه أوسع وأسبغ) .[3]

(=) (١ / ٩٦ و ١١٨ و ١٥٠) وأبو داود في سننه ، كتاب الصلاة ، باب ٣٤٠ ح ١٤٢٧ (٢ / ١٣٤) والنسائي في سننه ، كتاب قيام الليل وتطوع النهار ، باب ٥١ ح ١٧٤٧ (٣ / ٢٤٨ - ٢٤٩) والترمذي في سننه ، كتاب الدعوات ، باب ١١٣ ح ٣٥٦٦ (٥ / ٥٦١) .
وابن ماجه في سننه ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ١١٧ ح ١١٧٩ (١ / ٣٧٣) .

(١) معالم السنن (١ / ٢١٤) .

(٢) هو أبو زكريا يحي بن شرف بن مري بن حسن محي الدين ، الإمام العلامة المشهور وأحد أعيان الشافعية ، ولد بنواه - من قرى حوران بسورية - سنة ٦٣١ وبها توفي سنة ٦٧٦ .
طبقات الشافعية للسبكي (٨ / ٣٩٥ - ٤٠٠) والدارس في أخبار المدارس (١ / ٢٤ - ٢٥) وشذرات الذهب (٥ / ٣٥٤ - ٣٥٦)

(٣) شرح صحيح مسلم (٤ / ٢٠٤) .

ومرة أخرى - وتأكيداً لما ذكرت آنفا - فإن الخطابي وافق جمهور علماء الأمة سلفاً وخلفاً في عدم القول بحصر أسماء الباري - جل وعز - في عدد معين كما هو ظاهر حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وقد قال النووي عنه : (واتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالى ، فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين ، وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة ، فالمراد الاخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الاخبار بحصر الأسماء) .(١)

ولم أجد بعد البحث من خالف في ذلك غير أبي محمد بن حزم(٢) - رحمه الله تعالى - حيث أخذ بظاهر النص - كعادته - ، ونفى أن يكون ثمت اسم زائد على التسعة والتسعين ، منكراً أشد الانكار على قائل ذلك ، وهذا نص كلامه : (وإن له - عز وجل - تسعة وتسعين اسما مائة غير واحد ، وهي أسماؤه الحسنى ، من زاد شيئا من عند نفسه فقد ألحد في أسمائه ، وهي الأسماء المذكورة في القرآن والسنة ..

---

(١) شرح صحيح مسلم (٥/١٧) .
وانظر : درء تعارض العقل والنقل (٣/٣٣٢ - ٣٣٣) ومجموع الفتاوى (٦/٣٨١) وما بعدها ، و (٢٢/٤٨١ - ٤٨٦) وطرح التثريب في شرح التقريب (٧/١٤٩ - ١٥٠) وتفسير ابن كثير (٢/٢٨٠) .

(٢) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ، الإمام الكبير والعلامة الشهير وأحد أئمة الإسلام ، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤ ، ومات ببادية لبلة (من بلاد الأندلس) سنة ٤٥٦ .
الصلة (٢/٤١٥ - ٤١٧) وبغية الملتمس (ص ٤١٥ — ٤١٨) ونفح الطيب (٢/٧٧ - ٨٤) .

وقد صح أنها تسعة وتسعون اسما فقط ، ولا يحل لأحد أن يجيز أن يكون له اسم
لأنه عليه السلام قال : «مائة غير واحد» ، فلو جاز أن يكون له تعالى اسم زائد
زائد لكانت مائة اسم ، ولو كان هذا لكان قوله عليه السلام : (مائة غير واحد)
كذباً ، ومن أجاز هذا فهو كافر) .[(١)]

وفيما سبق إيراده من كلام أهل العلم ما يرد عليه ويدفع مقولته .

---

(١) المحلى (١ / ٣٠) ، وانظر له : الفصل (٢ / ٣٤٥) والدرة فيما يجب اعتقاده (ص ٢٤٢ - ٢٤٣) .

المطلب الثاني

-((معنى الاحصاء الوارد في الحديث))-

بعد أن انتهى الخطابي-رحمه الله-من الحديث عن عدد أسماء الله عز وجل وترجيحه لرأي الجمهور في ذلك يُتابع -رحمه الله- حديثه عن بيان المراد من إحصائها فيقول : (في الاحصاء أربعة أوجه :

أحدها : - وهو أظهرها - الاحصاء الذى هو بمعنى العد ، يريد أنه يعدها ليستوفيها حفظاً فيدعو ربه بها ، كقوله سبحانه : ﴿ وأحصى كل شيء عددا ﴾[1] ويدل على صحة هذا التأويل الحديث :(إن لله تسعة وتسعين اسما مائة غير واحد من حفظها دخل الجنة ، وهو وتر يحب الوتر) .[2]

والوجه الثاني : أن يكون الاحصاء بمعنى الطاقة ، كقوله سبحانه : ﴿ علم أن لن تحصوه ﴾[3] أي لن تطيقوه[4] ، وكقول النبي-صلى الله عليه وسلم(استقيموا ولن تحصوا)[5] أي لن تطيقوا كل الاستقامة .

---

(١) سورة الجن بعض آية (٢٨) .

(٢) أخرجه البخارى في صحيحه - بهذه الرواية - كتاب الدعوات باب ٦٨ ، ح ٦٤١٠ (الفتح ١١/ ٢١٤) ، وانظر تخريجه - أيضا - فيما سبق (ص ١١٥) هامش (٣) .

(٣) سورة المزمل بعض آية (٢٠) .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) (٥٣٨٩) وتفسير البحر المحيط (٨/ ٣٦٦) وتفسير التحرير والتنوير (٢٩/ ٢٨٣) .

(٥) ورد من حديث جمع من الصحابة - رضوان الله عليهم - ولفظه : (استقيموا ولن تحصوا ، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن) . أخرجه ابن ماجه في سننه ، كتاب الطهارة ، باب ٤ ح ٢٧٧ و ٢٧٨ و ٢٧٩ (١/ ١٠١ - ١٠٢) والدارمي في سننه

=====

والمعنى : أن يطيقها ، يُحسن المراعاة لها ، والمحافظة على حدودها في معاملة الرب سبحانه بها وذلك مثل أن يقول : يارحمن يارحيم ، فيخطر بقلبه الرحمة ، ويعتقدها صفة لله - جل وعز - فيرجو رحمته ولا ييأس من مغفرته ، كقوله تعالى : ﴿ لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ﴾[1] وإذا قال : السميع البصير ، علم أنه لا يخفى على الله خافية وأنه بمرأى منه ومسمع ، فيخافه في سره وعلنه ، ويراقبه في كافة أحواله ، وإذا قال : الرزاق ، اعتقد أنه المتكفل برزقه يسوقه إليه في وقته ، فيثق بوعده ، ويعلم أنه لا رازق له غيره ، ولا كافي له سواه ، وإذا قال : المنتقم ، استشعر الخوف من نقمته واستجار به من سخطه ، وإذا قال : الضار النافع : اعتقد أن الضر والنفع من قبل الله - جل وعز - ، لا شريك له ، وأن أحداً من الخلق لا يجلب إليه خيراً ولا يصرف عنه شراً وأن لا حول لأحد ولا قوة إلا به ، وكذلك إذا قال : القابض الباسط والخافض الرافع والمعز المذل ، وعلى هذا سائر هذه الأسماء .

(=) كتاب الطهارة باب ٢ ح ٢٥٣ (١/ ١٧٤) ومالك في الموطأ - بلاغا - كتاب الطهارة باب ٦ ح ٣٧ (١/ ٣٤) وأحمد في المسند (٥/ ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٢) وأخرجه آخرون .

وقد قال ابن عبد البر في التجريد (ص ٢٥٠ ح ٨١٣) : (وهذا يستند ويتصل من حديث ثوبان عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من طرق صحاح .

وانظر : مصباح الزجاجة (١/ ١٢٢) ح ١١٤ ، وإرواء الغليل (٢/ ١٣٥ - ١٣٨) ح ٤١٢ ، وصحيح الجامع ح ٩٥٢ (١/ ٢٢٥) .

(١) سورة الزمر بعض آية (٥٣) .

والوجه الثالث : أن يكون الاحصاء بمعنى العقل والمعرفة ،فيكون معناه أن من عرفها وعقل معانيها وآمن بها دخل الجنة ، مأخوذ من الحصاة وهي العقل ، قال طرفة :[١]

وإن لسان المرء ما لم تكن له ... حصاةٌ على عوراته لدليل[٢]

والعرب تقول : فلان ذو حصاة ، أي ذو عقل ومعرفة بالأمور .[٣]

والوجه الرابع : أن يكون معنى الحديث أن يقرأ القرءان حتى يختمه ،فيستوفي هذه الأسماء كلها في أضعاف التلاوة ، فكأنه قال : من حفظ القرءان وقرأه فقد استحق دخول الجنة ، وذهب إلى نحو من هذا أبو عبد الله الزبيرى[٤] - رحمه الله -[٥]

---

(١) هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك البكري الوائلي ، شاعر جاهلي وأحد أصحاب المعلقات السبع المشهورة .
الشعر والشعراء (١/١٩١) وما بعدها وشرح القصائد (السبع) الطوال (ص ١١٥) وما بعدها ومعاهد التنصيص (١/٣٦٤) وما بعدها

(٢) ديوانه (ص ٨٥) من قصيدة يقولها في عبد عمرو بن بشر بن مرثد (زوج أخته) مطلعها :
لِهند بحزان الشريف طُلُولُ ... تلوح وأدنى عهدهن محيل
وبالسفح آيات كأن رسومها ... يمانٍ وَشَتْهُ ريدة وسحول

(٣) لسان العرب (١٤/١٨٣) مادة (ح ص ي) وانظر كتاب الألفاظ للهمذاني (ص ١٨٠ - ١٨١) .

(٤) هو مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت الزبيرى المدني ،علامة إمام صدوق ، ولد بالمدينة سنة ١٥٦ ، ومات ببغداد سنة ٢٣٦ .
تاريخ بغداد (١٣/١١٢ - ١١٤) وسير أعلام النبلاء (١١/٣٠-٣٢) وتهذيب التهذيب (١٠/١٦٢ - ١٦٤) .

(٥) شأن الدعاء (ص ٢٦ - ٢٩) .

وهكذا ذكر قريبا من هذا الكلام -إن لم يكن مختصرا له مع تغيير بعض ألفاظه - في موضع آخر ، لكن بعدم ذكر الوجه الرابع لمعنى الإحصاء ونص على أن الأقوال الثلاثة الباقية متوجهة ليست ببعيدة .[1]

ومن باب تعميم الفائدة وتتميمها وزيادة إيضاح للمسألة أسوق هنا بعض كلام أهل العلم لمعنى الاحصاء المذكور في النص الشريف :

قال الأصيلي :[2] (ليس المراد بالاحصاء عدها فقط ، لأنه قد يعدها الفاجر ، وإنما المراد العمل بها)[3] .

وقال أبو عمر الطلمنكي :[4] (من تمام المعرفة بأسماء الله تعالى وصفاته

---

(١) غريب الحديث (١/ ٧٣٠ - ٧٣١) وانظر أعلام الحديث (٢/ ١٣٤٢- ١٣٤٣) .

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي - نسبة إلى مدينة أصيلة بالمغرب الأقصى - من الأئمة الأعلام وأحد شيوخ المالكية ، ولد في شذونة - بالأندلس - سنة ٣٢٤ ، وتوفي بقرطبة سنة ٣٩٢ .

ترتيب المدارك (٧/ ١٣٥ - ١٤٥) وبغية الملتمس (ص ٣٤٠ - ٣٤١) والديباج المذهب (١/ ٤٣٣ - ٤٣٤) .

(٣) نقلاً عنه فتح الباري (١١/ ٢٢٦) .

(٤) هو أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري الأندلسي ، الإمام الحافظ الأثري ، ولد سنة ٣٤٠ وتوفي سنة ٤٢٩ .

ترتيب المدارك (٨/ ٣٢ - ٣٣) وسير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٦٦- ٥٦٩) والديباج المذهب (١/ ١٧٨ - ١٨٠) .

التي يستحق بها الداعي والحافظ ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم المعرفة بالأسماء والصفات وما تتضمن من الفوائد وتدل عليه من الحقائق ، ومن لم يعلم ذلك لم يكن عالما لمعاني الأسماء ولا مستفيداً بذكرها ما تدل عليه من المعاني)[١]

وقال أبو نعيم :[٢] (الاحصاء المذكور في الحديث ليس هو التَّعداد ، وإنما هو العمل والتعقل بمعاني الأسماء والإيمان بها) .[٣]

وذكر العلامة ابن القيم أن لإحصاء أسماء الله تعالى ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى : إحصاءُ ألفاظها وعددها .

المرتبة الثانية : فهمُ معانيها ومدلولها .

المرتبة الثالثة : دعاؤه بها ، كما قال تعالى : ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ .[٤]

وهو مرتبتان :

إحداهما : دعاء ثناء وعبادة ، والثاني : دعاء طلب ومسألة ، فلا يثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلا ، وكذلك لا يسأل إلا بها) .[٥]

وبهذا يتبين أن المراد بإحصاء الأسماء الحسنى الموعود عليه بدخول الجنة

---

(١) نقلا عن فتح البارى (١١/٢٢٦) .

(٢) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني ، الإمام الحافظ المحدث ، ولد سنة ٣٣٦ ، وتوفي سنة ٤٣٠ .
سير أعلام النبلاء (١٧/٤٥٣ - ٤٦٤) وميزان الاعتدال (١/١١١) ولسانه (١/٢٠١ - ٢٠٢) .

(٣) نقلا عن فتح الباري (١١/٢٢٦) .

(٤) سورة الأعراف بعض آية (١٨٠) .

(٥) بدائع الفوائد (١/١٦٤) .

هو عد ألفاظها وحفظها وفهمها ودعاء الله تعالى بها ، وهو ما فسر به الخطابي ذلك فيما ذكره من وجوه ومعاني ، كما جنح إليه ابن القيم حيث جعل الأقوال الواردة فيه بمثابة مراتب للاحصاء ولعله هو الأنسب . والعلم عند الله تعالى .

** **

**

المطلب الثالث

(((الأسماء الحسنى توقيفية لا اجتهاد فيها ولا قياس عليها)))

من أصول أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته أنها توقيفية لا مجال للعقل فيها بنفي أو إثبات أبدا ، بل ذلك موقوف على نصوص الكتاب وصريح السنة ، ومبني على طريق الرسل - عليهم الصلاة والسلام - فيما يوحى إليهم إذ هم المعصومون فيما يُبلَّغون ويُبلِّغون ، فما جاء من ذلك مثبتاً يجب إثباته والإيمانُ به وَفق الوحيين الطاهرين ، وما جاء منه منفياً يجب نفيه وطرحه ، وما سكت عنه يجب السكوت عنه وعدم الخوض فيه . والعقل - كيف ما كان - قاصر عن ذلك كله ، ولا يمكنه بحال معرفةُ ما يستحقه الباري - تعالى - من الأسماء ، إذ ذاك باب عظيم القدر ، عزيز المطلب ، صعب المركب ، غيرُ مطموع فيه ، ولا موصول إليه ، ولا مظفور به ، لأن عظمته - سبحانه - فوق كل عظمة ، وقدرته فوق كل قدرة ، وشأنه فوق كل شأن ، فالقول فيه من غير طريق ما ذكر قول على الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.(١)

وهذا ما انتهجه الخطابي وبينه موضحا له بقوله : (ومن علم هذا الباب - أعني الأسماء والصفات - ومما يدخل في أحكامه ويتعلق به من شرائط أنه لا يتجاوز فيها

---

(١) يقول الإمام ابن أبي زيد القيرواني المالكي - رحمه الله - (ت ٣٨٦) - في حقه تعالى - :(ليس لأوليته ابتداء ، ولا لآخريته انقضاء ، ولا يبلغ كنه صفته الواصفون ، ولا يحيط بأمره المتفكرون ، يعتبر المتفكرون بآياته ولا يتفكرون في ماهية ذاته ، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) .
الرسالة الفقهية (ص ٧٥) .
وانظر : كلام عبد العزيز الماجشون في هذا المعنى ، فهو في غاية الإفادة والنفاسة (الفتوى الحموية ص ٢٥) وما بعدها .

التوقيف ولا يستعمل فيها القياس ، فيلحق بالشيء نظيره في ظاهر وضع اللغة ومتعارف الكلام .

فالجواد لا يجوز أن يقاس عليه السخي ، وإن كانا متقاربين في ظاهر الكلام، وذلك أن السخي لم يرد فيه التوقيف كما ورد بالجواد [١] ثم إن السخاوة موضوعة في باب الرخاوة واللين ، يقال أرض سخية وسخاوية إذا كان فيها لين ورخاوة [٢] وكذلك لا يقاس عليه السمح ، لما يدخل السماحة من معنى اللين والسهولة ، وأما الجود فإنما هو سعة العطاء ، من قولك : جاد السحاب إذا أمطر فأغزر [٣] ، ومطر جود وفرس جواد إذا بذل ما في وسعه من الجري . [٤]

وقد جاء في الأسماء القوي ، ولا يقاس عليه الجلد وإن كانا يتقاربان في نعوت الآدميين ، لأن باب التجلد يدخله التكلف والاجتهاد ، ولا يقاس على القادر المطيق ولا المستطيع ، لأن الطاقة والاستطاعة إنما تطلقان على معنى قوة البنية وتركيب الخلقة ، ولا يقاس على الرحيم الرقيق ، وإن كانت الرحمة في نعوت الآدميين نوعاً من رقة القلب وضعفه عن احتمال القسوة .

---

(١) ثبت اسم الجواد في عدة نصوص حديثية منها الصحيح والضعيف ، فمن الأول قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله كريم يحب الكرماء جواد يحب الجودة ، يُحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها) .

نسب الشيخ الألباني تخريجه لابن عساكر والضياء . انظر صحيح الجامع ح ١٨٠٠ (١/ ٣٧٠) .

ومن عده من الأسماء الحسنى : ابن منده في كتاب التوحيد (٢/ ٩٩) والحليمي في المنهاج (١/ ٢٠٣) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٨٥ - ٨٦) وابن عثيمين في القواعد المثلى (ص ١٩) .

(٢) انظر القاموس (ص ١٦٦٩) مادة (س خ ي) .

(٣) ، (٤) انظر القاموس المحيط (ص ٣٥١ ، ٥٧٨ - ٥٧٩) مادة جود وغزر .

وفي صفات الله - سبحانه - الحليم والصبور ، فلا يجوز أن يقاس عليها الوقور والرزين .

وفي أسمائه العليم ، ومن صفته العلم ، فلا يجوز قياسه عليه أن يسمى عارفا ، لما تقتضيه المعرفة من تقديم الأسباب التي بها يتوصل إلى علم الشيء ، وكذلك لا يوصف بالعاقل .

وهذا الباب يجب أن يراعى ولا يغفل ، فإن عائدته عظيمة ، والجهل به ضار ، وبالله التوفيق .) .[1]

فهذا القول من أبي سليمان - في هذه المسألة - يبين عن مسلك سليم، يوافق السلف في وقوفهم مع النصوص وتمسكهم بدلالاتها ، ينطقون بما نطقت وينفون ما نفت ويسكتون عما عليه سكتت ، أقاويلهم في ذلك مشهورة معلومة ، وهي في تآليفهم ودواوينهم مبثوثة مسطورة ، أذكر طرفاً منها تتميماً للفائدة وإيضاحا لما سلكوه من طريقة .

قال عبد العزيز الكناني :[2] (إن على الناس جميعاً أن يثبتوا ما أثبت الله وينفوا ما نفى الله ، ويمسكوا عما أمسك الله عنه)[3]

وقال الإمام أحمد : (لا يوصف الله تبارك وتعالى بأكثر مما وصف به نفسه

---

(١) شأن الدعاء (ص ١١١ - ١١٣) .
(٢) هو أبو الحسن ، عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز الكناني المكي ، الإمام الشهير ، ناصر السنة في مسألة خلق القرآن وصاحب كتاب الحيدة في مناظرته الشهيرة لبشر بن غياث المريسي المعتزلي ، توفي الكناني سنة ٢٤٠ .
تاريخ بغداد (١٠ / ٤٤٩ - ٤٥٠) وطبقات الشافعية للسبكي (٢ / ١٤٤ - ١٤٥) وشذرات الذهب (٢ / ٩٥) .
(٣) الحيدة (ص ٤٧) .

ولا يتعدى القرآن والحديث) .[1]

وقال ابن سريج : (حرام على العقول أن تمثل الله سبحانه وتعالى ، وعلى الأوهام أن تحده ، وعلى الظنون أن تقطع ، وعلى الضمائر أن تعمق ، وعلى النفوس أن تفكر ، وعلى الأفكار أن تحيط ، وعلى الألباب أن تصف إلا ما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم) .[2]

وقال أبو بكر الإسماعيلي :[3] (اعلموا - رحمنا الله وإياكم - أن مذهب أهل الحديث ، أهل السنة والجماعة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وقبول ما نطق به كتاب الله تعالى وصحت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) إبطال التأويلات (ص ٣٤٥) والمعتمد (ص ٦٢) ، وكثيرا ما يذكره شيخ الإسلام في كتبه ، وذلك بصيغة : (لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث) . انظر مجموع الفتاوى : (٥/٢٦) والفتوى الحموية (ص ١٦) .

(٢) ذكره عنه الذهبي في كتاب الأربعين في صفات رب العالمين (ضمن ست رسائل للإمام الذهبي) (ص ١١٥) وفي كتابه العلو (ص : ١٥٢) وفي مختصره (ص ٢٢٦) وابن القيم في الإجتماع (ص ١٧١) وعنه نقلت النص .

(٣) هو : أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل ، شيخ الإسلام ، وأحد المشاهير الأعلام ، مولده سنة ٢٧٧ ، ووفاته سنة ٣٧١ .

سير أعلام النبلاء (١٦/٢٩٢ - ٢٩٦) وتذكرة الحفاظ (٣/٩٤٧ - ٩٥١) وشذرات الذهب (٣/٧٢ - ٧٥) .

لا معدل عما وردا به ولا سبيل إلى رده ، إذ كانوا مأمورين باتباع الكتاب والسنة ويعتقدون أن الله تعالى مدعو بأسمائه الحسنى وموصوف بصفاته التي سمى ووصف بها نفسه ووصفه بها نبيه صلى الله عليه وسلم) .(١)

وقال أبو الحسن القابسي(٢) : (أسماء الله وصفاته لا تعلم إلا بالتوقيف من الكتاب أو السنة أو الإجماع ، ولا يدخل فيها القياس).(٣)

وقال قوام السنة الأصبهاني(٤) : (فلا يسمى - أي الله تعالى - إلا بما سمى به نفسه في كتابه أو سماه به رسوله صلى الله عليه وسلم وأجمعت عليه الأمة أو أجمعت الأمة على تسميته به ، ولا يوصف إلا بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم أو أجمع عليه المسلمون ، فمن وصفه بغير ذلك فهو ضال).(٥)

إلا أن ثمت شيئاً ينبغي ذكره وإيضاحه في هذا المقام - قد يخلط فيه البعض أو يضطرب - وهو أن ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته ، كالشيء والموجود مثلا ، فيصح أن يخبر عنه - سبحانه - بهذه

---

(١) أخرجه ابن قدامة في ذم التأويل (ص ١٧) وذكره الذهبي في كتاب الأربعين في صفات رب العالمين ، (ضمن ست رسائل للذهبي) (ص: ١١٨) وأخرجه عنه أيضا في العلو (ص ١٦٧) وهو في مختصره (ص : ٢٤٨) وفي السير (١٦ / ٢٩٥) وفي التذكرة (٣ / ٩٤٩) .

(٢) هو علي بن محمد بن خلف المعافري من كبراء شيوخ المالكية وأحد علماء المغرب ، حفظا وفقها ، ولد سنة ٣٢٤ ، وتوفي بمدينة القيروان سنة ٤٠٣ .
ترتيب المدارك (٧ / ٩٢ - ١٠٠) وسير أعلام النبلاء (١٧ / ١٥٨ - ١٦٢) والديباج المذهب (٢ / ١٠١ - ١٠٢) .

(٣) نقله عنه الحافظ في الفتح (١١ / ٢١٧) .

(٤) هو أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن على بن أحمد الأصبهاني الملقب بقوام السنة إمام حافظ علم ، ولد باصبهان سنة ٤٥٧ هـ ، ومات سنة ٥٣٥ سير أعلام النبلاء (٢٠ / ٨٠ - ٨٨) وتذكرة الحفاظ (٤ / ١٢٧٧ - ١٢٨٢) وشذرات الذهب (٤/ ١٠٥-١٠٦)

(٥) الحجة في بيان المحجة (٢ / ٣٨٣) .

الألفاظ بلا محظور -إن شاء الله - ، لكنها لا تدخل في الأسماء والصفات ولا تأخذ أحكامها من التسمية بها أو كونها حسنى أو التعبد والدعاء بها ، لأن تلك مبنية على التوقيف بصحة السمع - كما سبق بيانه والتنويه به - بعكس هذه في عدم ورودها وثبوتها ، وفي هذا يقول ابن تيمية : (ويفرق بين دعائه والإخبار عنه ، فلا يدعى إلا بالأسماء الحسنى ، وأما الإخبار عنه فلا يكون باسم سيء ، لكن قد يكون باسم حسن أو باسم ليس بسيء وإن لم يحكم بحسنه مثل اسم " شيء " و" ذات " و" موجود " إذا أريد به الثابت ، وأما إذا أريد به " الموجود عند الشدائد " فهو من الأسماء الحسنى [1] ، وكذلك المريد والمتكلم ، فإن الإرادة والكلام تنقسم إلى محمود ومذموم ، فليس ذلك من الأسماء الحسنى ، بخلاف الحكيم والرحيم والصادق ونحو ذلك ، فإن ذلك لا يكون إلا محمودا) [2] .

ويقول ابن القيم : (إن ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي وما يطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفياً كالقديم والشيء والموجود والقائم بنفسه ، فهذا فصل الخطاب في مسألة أسمائه هل هي توقيفية أو يجوز أن يطلق عليه منها بعض ما لم يرد به السمع) [3] .

وهذا القول معتبر ومقبول خاصة إذا أخذ بالاعتبار تفريق ابن تيمية بين الدعاء والإخبار ، ومادام - أيضا - أن تلك الألفاظ لا تأخذ أحكام أسماء الله وصفاته . وبالله التوفيق .

---

(١) لم يتبين لي وجه ذلك .

(٢) مجموع الفتاوى (٦/١٤٢) وانظر درء تعارض العقل والنقل (١/٢٩٧-٢٩٨) ففيه كلام جيد يحسن الاطلاع عليه وشرح العقيدة الأصفهانية (ص : ٥) .

(٣) بدائع الفوائد (١/١٦٢) وانظر منه (ص ١٦١) .

المطلب الرابع

(((أسماء وصفات لا يصح إطلاقها على الله تعالى)))

عرضت فيما تقدم قول الخطابي الموافق لمذهب السلف ، وهو أن الأسماء والصفات توقيفية لا مدخل للعقل والرأى فيها أبدا ، وهذا يقتضي أن كل ما جاء من غير طريق الشرع في هذا الباب يعتبر لاغياً ويعد باطلا في نسبته إلى الله عز وجل ولقد أورد أبو سليمان الخطابي - رحمه الله تعالى - عدة أسماء وصفات مما لا يصح إطلاقها عليه عز وجل ، وإن كان معناها قريبا مما ورد في بعض الآثار الثابتة. وفيما يلي عرض لذلك .

١) إطلاق لفظ : الطالب الغالب المهلك المدرك المخزي المضل

قال رحمه الله : (ومما جرت به عادة الحكام في تغليظ الأيمان وتوكيدها إذا حلّفوا الرجل لخصمه أن يقولوا : بالله الطالب الغالب المهلك المدرك في نظائرها [(١)] وليس يستحق شيء من هذه الأمور أن يطلق في باب صفات الله جل وعز - وأسمائه ، وإنما استحسنوا ذكرها في الأيمان ليقع الردع بها ، فتكون أدنى للحالف أن لا يستحل حق أخيه بيمين كاذبة ، لأنه إذا توعد بالطالب

---

(١) ذكر هذا ابن أبى الدم الشافعي (ت ٦٤٢) في كتابه : آداب القضاء (ص ٢٥٣) وجعل الألفاظ المذكورة من أسماء الله وصفاته ، وهو أيضا ما ذكره النووى وارتضاه واستحبه.

راجع : روضة الطالبين (١٢ / ٣١) ، بل إن بعضهم أوجب ذلك على الحالف تغليظا في اليمين . انظر آداب القضاء لابن أبى الدم (ص ٢٥٣- ٢٥٤) وممن عد الغالب والطالب من الأسماء الحسنى الحليمي في المنهاج (١/ ١٩٨) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٥٨ - ٥٩) .

والغالب استشعر الخوف وارتدع عن الظلم ، إذ كان يعلم أن الله تعالى سيطالبه بحق أخيه ، وأنه سيغلبه على انتزاعه منه ويقهره عليه ، وإذا قال : المهلك المدرك، علم أنه يدركه إذا طلبه ، ويهلكه إذا عاقبه ، وإنما إضافة هذه الأفعال إليه على معنى المجازاة منه لهذا الظالم على ما يرتكبه من الاثم ، وعلى ما يستبيحه من حق أخيه المسلم . ولو جاز أن يعد ذلك في أسمائه وصفاته لجاز أن يعد في أسمائه : " المخزى " " والمضل " لأنه قال : " ﴿ وأن الله مخزى الكفرين ﴾ [(١)] .

وقال كذلك ﴿ يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء ﴾ [(٢)] فإذا لم يصح أن يدخل مثل هذا في صفاته لأنه كلام لم يرصد للمدح والثناء به عليه لم يصح كذلك أن يعد منها سائر ما تقدم ذكره ، والله أعلم) . [(٣)]

٢) تسميته تعالى بالدهر :

قال - رحمه الله - (ومما جاء في الحديث مما لا يؤمن وقوعُ الغلط فيه ، قوله صلى الله عليه وسلم : (لا يسبّنّ أحدكم الدهر ، فإن الله هو الدهر) [(٤)] . إذ

---

(١) سورة التوبة بعض آية (٢) .

(٢) سورة المدثر بعض آية (٣١) .

(٣) شأن الدعاء (ص ١٠٦ - ١٠٧) ونقله قوام السنة الأصبهاني في كتابه : الحجة في بيان المحجة (١ / ١٦٥) باختلاف يسير جداً في بعض الألفاظ وبزيادة ونقص في بعضها الآخر ، ذاكرا نسبة ذلك للخطابي .

(٤) لم أقف على من خرجه بهذا اللفظ : (لا يسبّنّ) ، بل ورد بصيغ أخر ليس فيها اللفظ المذكور ، وهو من الأحاديث القدسية كما جاء بيان ذلك في أكثر رواياته ، وفي متنها زيادات يسيرة ليست في بعضها الآخر وجميعها تتفق على النهي عن سب الدهر - كما سيأتي عند المؤلف بعد .

= = = = =

لست أُبعد أن يظن بعض من لا علم له أن الدهر من أسماء الله سبحانه ، وذلك مالا يجوز ولا يسوغ توهمه بحال ، وإنما معنى هذا الكلام أن أهل الجاهلية كان من عادتهم إذا أصاب الواحد منهم مكروه أو ناله ضرر أو نزلت به مصيبة أن يضيفها إلى الدهر ، فيقول : ياخيبة الدهر وياسوءة الدهر ونحوها من الكلام [1] ، يسبون الدهر على أنه الفاعل لهذه الأمور ، ولا يرونها صادرة من قبل الله عز وجل وكائنة بقضائه وقدره ، فنهاهم عن هذا القول ، وأعلمهم أن جميع ذلك من فعل الله سبحانه ، وأن مصدرها من قبله ، وأنكم مهما سببتم فاعلها كان مرجع السب إلى الله سبحانه وتعالى .

وكان أبو بكر بن داود الأصبهاني [2] : لا يرى أن يروى هذا الحديث

(=) فأخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، سورة الجاثية ح ٤٨٢٦ (الفتح ٨ / ٥٧٤) وفي كتاب الأدب باب ١٠١ ح ٦١٨١ (الفتح ١٠ / ٥٦٤) وفي كتاب التوحيد باب ٣٥ ح ٧٤٩١ (الفتح ١٣ / ٤٦٤) ومسلم في صحيحه ، كتاب الألفاظ ح ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، (٤ / ١٧٦٢ - ١٧٦٣) ، وأبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، باب ١٨١ ح ٥٢٧٤ - وهو آخر حديث في كتاب السنن - (٥ / ٤٢٣ - ٤٢٤) ومالك في الموطأ ، كتاب الكلام ، باب ٥٦ ح ٣ (٢ / ٩٨٤) ، وأحمد في المسند (٢ / ٢٣٨ ، ٢٥٩ ، ٢٧٢ ، ٣١٨ ، ٣٩٥ ، ٤٩١ ، ٤٩٦ ، ٤٩٩) .

(١) انظر بعض ذلك في تأويل مختلف الحديث (ص ٢٦٣ - ٢٦٤) وفي إبطال التأويلات (مخطوط) (ص ١٩٩) وما بعدها ، وفي التمهيد (١٨ / ١٥٤) وما بعدها ، وفي شرح مسلم للنووي (١٥ / ٣) وفي مجموع الفتاوى (٢ / ٤٩٣) وفي تفسير ابن كثير (٤ / ١٦٣) .

(٢) هو محمد بن داود بن علي بن خلف الظاهري ، إمام ابن إمام ، مشهور كأبيه وهو حامل علمه وناقله بعده ، ولد ببغداد سنة ٢٥٥ وبها عاش ومات (قتيلا) سنة ٢٩٧ .

=====

على هذا اللفظ ، وكان يزعم أنه إنما اختصره بعض الرواة ممن لا بصر له بمعاني الكلام ، وكان يرويه من طريق ابن المسيب[1] عن أبي هريرة بزيادة ألفاظ محتملة للتأويل ، وقد حدثناه أحمد بن إبراهيم بن مالك[2] قال : حدثنا : بشر بن موسى[3] قال : حدثنا الحميدي[4] قال : حدثنا

(=) تاريخ بغداد (٥/٢٥٥ - ٢٦٣) ووفيات الأعيان (٤/٢٥٩ - ٢٦١) وسير أعلام النبلاء (١٣/١٠٩ - ١١٦) .

(١) هو أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي المخزومي الإمام العلم ، سيد التابعين وأحد فقهاء المدينة السبعة ، تظافرت أقوال السلف والخلف على إمامته وعظيم مكانته ، ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر - رضي الله عنه - وقيل لأربع سنين ، وتوفي سنة ٩٣ وقيل ٩٤

تهذيب الأسماء واللغات (١/٢١٩ - ٢٢١) وسير أعلام النبلاء : (٤/٢١٧ - ٢٤٦) وتهذيب التهذيب (٤/٨٤ - ٨٨) .

(٢) لم أقف على ترجمته ، مع أن الخطابي يكثر عنه الرواية في عامة كتبه .

(٣) هو أبو علي بشر بن موسى بن صالح بن شيخ بن عميره ، الأسدي البغدادي إمام حافظ ثقة ، ولد سنة ١٩٠ ، وتوفي سنة ٢٨٨ .

الجرح والتعديل (٢/٣٦٧) وتاريخ بغداد (٧/٨٦ - ٨٨) وتذكرة الحفاظ (٢/٦١١ - ٦١٢) .

(٤) هو أبو بكر عبد الله بن الزبير القرشي الأسدي المكي ، أحد أئمة الحديث حفظا وإتقانا ، وصاحب المسند ، ومن جلة مشايخ البخاري ، توفي سنة ٢١٩ ، وقيل في التي بعدها .

الجرح والتعديل (٥/٥٦ - ٥٧) وسير أعلام النبلاء (١٠/٦١٦ - ٦٢١) وتقريب التهذيب (ص ٣٠٣ ترجمة ٣٣٢٠) .

سفيان [١] قال : حدثنا الزهري [٢] عن سعيد بن المسيب .

عن أبي هريرة قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله تعالى :

« يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر ، بيدي الأمر ، أقلب الليل والنهار » [٣] .

كان أبو بكر يرويه (وأنا الدهر) مفتوحة الراء ، منصوبا على الظرف أي أنا طول الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار ، وكان يقول : لو كان مضموما

---

(١) يعني ابن عيينة ، وهو أبو محمد بن ميمون الهلالي الكوفي ثم المكي ، حافظ عصره والمقدم فيه ، وكان ربما دلس ، إلا أنه لا يدلس إلا عن ثقة متقن ، مولده بالكوفة سنة ١٠٧ ، ووفاته بمكة سنة ١٩٨ .

سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٥٤ - ٤٧٥) وميزان الاعتدال (٢/ ١٧٠) وتقريب التهذيب (ص ٢٤٥ ترجمة ٢٤٥١) .

(٢) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري القرشي المدني نزيل الشام ، الإمام العلم المقدم ، من أعلام التابعين وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء ، ولد بالمدينة سنة ٥٠ وقيل غيرها وتوفي بأطراف الشام سنة ١٢٤ .

تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٩٠ - ٩٢) وسير أعلام النبلاء : (٥/ ٣٢٦ - ٣٥٠) وتهذيب التهذيب (٩/ ٤٤٥ - ٤٥٠) .

(٣) هذه إحدى روايات البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، تفسير سورة الجاثية ح ٤٨٢٦ (الفتح ٨/ ٥٧٤) ، وفي كتاب التوحيد باب ٣٥ ، ح ٧٤٩١ (الفتح ١٣/ ٤٦٤) ومسلم في صحيحه ، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها ح ٢ (٤/ ١٧٦٢) ، وأبو داود في سننه ، كتاب الأدب باب ١٨١ ح ٥٢٧٤ (٥/ ٤٢٣ - ٤٢٤) وأحمد في المسند (٢/ ٢٣٨) . وانظر التمهيد لابن عبد البر (١٨/ ١٥٤)

لا نقلب الدهر اسما من أسماء الله جل وعز وعلا .

قلت : ووجه الحديث ومعناه ما ذكرته أولا ، والله أعلم) . (١)

وقال في موضع آخر شارحا الحديث : (قوله:((أنا الدهر)) معناه أنا صاحب الدهر ومدبر الأمور التي تنسبونها إلى الدهر ، فإذا سب ابن آدم الدهر من أجل أنه فاعل هذه الأمور عاد سبه إليّ لأني فاعلها ، وإنما الدهر زمان ووقت جعلته ظرفاً لمواقع الأمور ، وكان من عادة أهل الجاهلية إذا أصابهم شدة من الزمان أو مكروه من الأمر أضافوه إلى الدهر وسبوه فقالوا : بؤساً للدهر،

---

(١) شأن الدعاء (ص ١٠٧ - ١٠٩) ومعالم السنن (٤/ ١٥٩) .
وما ذكره الخطابي عن أبي بكر الظاهري ذكره عنه - أيضا - النووي في شرحه لمسلم (١٥/ ٢) وابن حجر في الفتح (٨/ ٥٧٥) .
وقد قال ابن عبد البر في التمهيد : (١٨/ ١٥٤) : (فمن أهل العلم من يروى هذا الخبر بنصب الدهر على الظرف ، يقول : أنا الدهر كله بيدى الأمر ، أقلب الليل والنهار) .
وقال النحاس : يجوز النصب ، أي فإن الله باق مقيم أبدا لا يزول قال القاضي عياض : قال بعضهم : هو منصوب على التخصيص ، قال : والظرف أصح وأصوب ، وأما رواية الرفع وهي الصواب فموافقة لقوله (فإن الله هو الدهر). شرح النووي على مسلم (١٥ / ٣) . قلت: وما ذهب إليه هؤلاء لم يرتضه جماعة من أهل العلم منهم النووي ، وحكاه عن الشافعي وأبي عبيد وجماهير المتقدمين والمتأخرين ، وهو ما أفاده أبو العباس القرطبي وانتصر له ، وسيأتي نقل ذلك عنه قريبا - إن شاء الله - .
انظر: شرح النووى على مسلم (١٥/ ٢ - ٣) وطرح التثريب (٨/ ١٥٧ - ١٥٨) وفتح البارى (٨/ ٥٧٥) .

وتبا للدهر ، ونحو ذلك من القول ، إذ كانوا لا يثبتون لله ربوبية ولا يعرفون للدهر خالقا [(١)] ، وقد حكى الله ذلك من قولهم حين قالوا : ﴿ وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ [(٢)] ولذلك سموا الدهرية [(٣)] ، وكانوا يرون الدهر أزليا قديماً لا أول له فأعلم الله تبارك وتعالى أن الدهر محدث يقلبه بين ليل ونهار لا فعل له في شيء

---

(١) (كان أهل الجاهلية يضيفون المصائب والنوائب إلى الدهر ، وهم في ذلك فرقتان :
فرقة لا تؤمن بالله ، لا تعرف إلا الدهر الذي هو مر الزمان واختلاف الليل والنهار اللذين هما محل الحوادث وظرف لمساقط الأقدار ، فتنسب المكاره إليه على أنها من فعله ولا ترى أن له مدبرا ومصرفا ، وهؤلاء الدهرية الذين حكى الله عنهم في كتابه : ﴿ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ سورة الجاثية بعض آية (٢٤) .
وفرقة : تعرف الخالق فتنزهه أن تنسب إليه المكاره ، فتضيفها إلى الدهر والزمان ، وعلى هذين الوجهين كانوا يسبون الدهر ويذمونه ، فيقول القائل منهم : يا خيبة الدهر ، ويا بؤس الدهر ، إلى ما أشبه هذا من قولهم) .
غريب الحديث للخطابي (١ / ٤٨٩) وانظر تيسير العزيز الحميد (ص ٦٩)

(٢) سورة الجاثية ، بعض آية (٢٤) .

(٣) الدهرية هم الذين ينفون الربوبية ، ويحيلون الأمر والنهي والرسالة من الله تعالى ، ويقولون هذا مستحيل في العقول ، ويجعلون الطينة قديمة - أي أن العالم قديم - وينكرون الثواب والعقاب ولا يفرقون بين الحلال والحرام ، وينفون أن يكون في العالم دليل يدل على صانع ومصنوع أو خالق ومخلوق .. ويضيفون النوازل بهم إلى الدهر فيسبونه .
البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (ص ٨٨) ، ولجمال الدين الأفغاني (ت ١٣١٥) رسالة لطيفة في الرد على الدهريين ، وهي مطبوعة متداولة ، وانظر كشاف اصطلاحات الفنون (٢ / ٢٧٤ - ٢٧٥) .

من خير أو شر ، لكنه ظرف للحوادث ومحل لوقوعها ، وأن الأمور كلها بيد الله تعالى ومن قبله يكون حدوثها ، وهو محدثها ومنشئها سبحانه لا شريك له) .[١]

وما لم يستبعده الخطابي من كون بعض من لا علم له - على حد تعبيره - يظن أن الدهر " من أسماء الله تعالى هو ما وقع فيه نعيم بن حماد [٢] وطائفة من أهل الحديث والصوفية [٣] ، وهو أيضا ما ذهب إليه ابن حزم وعدّه من الأسماء الحسنى .[٤]

وهذا ليس بصحيح قطعا ، وإلا لكان قول الذين قالوا : " وما يهلكنا إلا الدهر " [٥] صوابا ، ولكانت مقولتهم - هذه - سدادا ، إذ يكونون قد نسبوا ذلك إليه سبحانه

---

(١) أعلام الحديث (٣/ ١٩٠٤) وانظر معالم السنن : (٤/ ١٥٨- ١٥٩) وغريب الحديث (١/ ٤٩٠) .

(٢) هو أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث ، الخزاعي المروزي ، نزيل مصر ، فقيه عارف بالفرائض ، صدوق يخطيء كثيرا ، مات سنة ٢٢٨ .
تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٥٨ - ٤٦٣) وتقريب التهذيب (ص ٥٦٤ ترجمة ٧١٦٦ وحسن المحاضرة (١/ ٣٤٧) .

(٣) نسب القول إلى هؤلاء الشيخ ابن تيمية ، مجموع الفتاوى (٢/ ٤٩٤)

(٤) ذكره عنه القرطبي في الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، نقلا عن ابن كثير في تفسيره (٤/ ١٦٣) ، والتلخيص الحبير (٤/ ١٧٣)، وتيسير العزيز الحميد (ص ٦١١ و ٦٤٤) .

(٥) سورة الجاثية بعض آية (٢٤)

حقيقة ، ولكن لما كان ذلك فاسدا ، وعن الحق بعيدا ، ذموا عليه وعيبوا به ، فقال تعالى : ﴿ وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ﴾[1] وهذا وحده كاف في الرد على من سمى الله الجليل بهذا الإسم بنص القرآن .

قال القاضي أبو يعلى : (وقد ذكر شيخنا أبو عبد الله[2] - رحمه الله - هذا الحديث في كتابه[3] وقال : لا يجوز أن يسمى الله دهرا .

والأمر على ما قاله لأنه قد روى في بعض ألفاظ هذا الحديث ما يمنع من حمله على ظاهره ولم يرد في غيره من أخبار الصفات ما دل على صرفه عن ظاهره ، فلهذا وجب حملها على ظاهرها وذلك أنه روى فيه : « يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار » .[4]

وفي لفظ آخر : « لي الليل والنهار ، أجدده وأبليه وأذهب بملوك وآتي بملوك » .[5]

---

(١) سورة الجاثية بعض آية (٢٤) .

(٢) هو الحسن بن حامد بن علي بن مروان البغدادي ، شيخ الحنابلة في زمنه ومعلمهم ومفتيهم ، إمام ثقة ، مات سنة ٤٠٣ .
طبقات الحنابلة (٢/١٧١-١٧٧) والمقصد الأرشد (١/٣١٩-٣٢٠) والمنهج الأحمد (٢/٩٨-٩٩) .

(٣) لعله كتاب (شرح أصول الدين) .

(٤) تقدم تخريجه (ص ١٣٨) .

(٥) في المسند (٢/٢٩٦) بلفظ : « لا تسبوا الدهر ، فإن الله عزوجل قال أنا الدهر ، الأيام والليالي لي ، أجددها وأبليها ، وآتي بملوك بعد ملوك » .

فبين أن الدهر الذي هو الليل والنهار خلق له وبيده ، وأنه يجدده ويبليه ، فامتنع أن يكون اسما له .

وأصل هذا الخبر أنه ورد على سبب ، وهو : أن الجاهلية كانت تقول : أصابني الدهر في مالي بكذا ، ونالتني قوارع الدهر ومصايبه ، فيضيفون كل حادث يحدث مما هو جار بقضاء الله وقدره وخلقه وتقديره ، من مرض أو صحة أو غنى أو فقر أو حياة أو موت إلى الدهر ، ويقولون لعن الله هذا الدهر والزمان ، ولذلك قال قائلهم [1] :

أَمِنَ المنُونِ وريبها تتوجعُ . . والدهر ليس بمعتب من يجزع [2]

وقال سبحانه : ﴿ نتربص به ريب المنون ﴾ [3] أي ريب الدهر وحوادثه .

وقال سبحانه : ﴿ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ [4]

فأخبر عنهم بما كانوا عليه من نسبة أقدار الله وأفعاله إلى الدهر ، فقال صلى الله عليه وسلم : (لا تسبوا الدهر) [5] أي إذا أصابتكم المصايب لا تنسبوها إليه ، فإن الله تعالى هو الذي أصابكم بها لا الدهر ، وأنكم إذا سببتم الدهر وفاعل ذلك ليس هو الدهر . .) . [6]

---

(١) هو لأبي ذؤيب الهذلي ، واسمه خويلد بن خالد بن محرث بن مضر ، شاعر مخضرم ، مات في زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه .
الشعر والشعراء لابن قتيبة (٢ / ٦٥٧) وكتاب شرح أشعار الهذليين (١ / ٣) وطبقات فحول الشعراء (١ / ١٣١ - ١٣٢) .

(٢) شرح أشعار الهذليين (١ / ٤) .

(٣) سورة الطور بعض آية (٣٠) حكاية لقول كفار قريش .
انظر : تفسير ابن كثير (٤ / ٢٦١) .

(٤) سورة الجاثية بعض آية (٢٤) .

(٥) سبق تخريجه (ص١٣٥-١٣٦ و(ص١٤٢) .

(٦) إبطال التأويلات (مخطوط) (ص ١٩٨ - ٢٠٠) .

وقال أبو العباس القرطبي :[1] ـ وهو يتحدث عمن روى الحديث بالنصب ـ (والذي حمله ذلك خوف أن يقال : إن الدهر من أسماء الله تعالى ، وهذا عدول عما صح إلى ما لم يصح ، فإن الرواية الصحيحة عند أهل التحقيق بالضم ، ولم يرو " الفتح " من يعتد به ، ولا يلزم من ثبوت " الضم " أن يكون الدهر من أسماء الله تعالى ، لأن أسماء الله تعالى لا بد فيها من التوقيف عليها واستعمالها استعمال الأسماء من الكثرة والتكرار فيخبر به وعنه وينادى به كما اتفق في سائر أسماء الله تعالى ، كالغفور والشكور والعليم والحليم وغير ذلك من أسمائه ، فإنك تجدها في الشريعة وفي لسان أهلها تارة يخبر بها وأخرى يدعى وينادى بها ولم يوجد للدهر شيء من ذلك ، فلا يكون اسما من أسمائه تعالى) .[2]

وقال ابن كثير : (وقد غلط ابن حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية في عدهم الدهر من الأسماء الحسنى أخذا من هذا الحديث) . (٣)

---

(١) هو أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري الأندلسي الفقيه المالكي ، يلقب بضياء الدين ، ويعرف بابن العزين ، ولد سنة ٥٧٨ ، وتوفي بالإسكندرية سنة ٦٢٦ (كذا قال ابن فرحون) وما وجدت هذا لغيره ، بل تُؤرخ وفاته سنة ٦٥٦ .
الديباج المذهب (١/ ٢٤٠ - ٢٤٢) وحسن المحاضرة (١/ ٤٥٧) والأعلام (١/ ١٨٦) .

(٢) المفهم في شرح مختصر مسلم . أو (المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم) مخطوط (٣/ق ١٩٣) .

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ١٦٣) .

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله[1] - بعد كلام له في الموضوع -: (فقد تبين بهذا خطأ ابن حزم في عده الدهر من أسماء الله الحسنى ، وهذا غلط فاحش ، ولو كان كذلك لكان الذين قالوا : ﴿ وما يهلكنا إلا الدهر ﴾[2] مصيبين)[3]

وبهذه النقول العلمية عن هؤلاء الأئمة - ومثلها مما لم أذكره يتبين صحة ما ذهب إليه أبو سليمان الخطابي - رحمه الله تعالى - من عدم جواز إطلاق اسم الدهر عليه تبارك وتعالى .

وأما معنى الحديث فقد سبق بيانه من الخطابي نفسه ، ولا يخرج قوله فيه عما ذكره العلماء في تفسيرهم وشرحهم له وبيان المراد منه ، وإن اختلفت في ذلك عباراتهم وتنوعت أساليبهم .

ولابن القيم رحمه الله كلام جميل على هذا الحديث تضمن بيان المحاذير التي تترتب على سب الدهر الذي هو محل للحوادث وليس اسما من أسماء الله عز وجل فقال رحمه الله : (في هذا ثلاث مفاسد :

إحداها : سبه من ليس بأهل أن يسب ، فإن الدهر خلق مسخر من خلق الله منقاد لأمره ، مذلل لتسخيره ، فسابه أولى بالذم والسب منه .

---

(١) هو الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فقيه محدث ، مولده بمدينة الدرعية عام ١٢٠٠ في أواخر أيام جده الشيخ ابن عبد الوهاب ، مات - رحمه الله - قتيلاً سنة ١٢٣٣ .
علماء نجد خلال ستة قرون (١/ ٢٩٣ - ٢٩٨) وهدية العارفين (١/ ٤٠٨) والأعلام (٣/ ١٢٩) .

(٢) سورة الجاثية بعض آية (٢٤) .

(٣) تيسير العزيز الحميد (ص ٦١١) .

الثانية : أن سبه متضمن للشرك ، فإنه إنما سبه لظنه أنه يضر وينفع ، وأنه مع ذلك ظالم قد ضر من لا يستحق الضرر ، وأعطى من لا يستحق العطاء، ورفع من لا يستحق الرفعة ، وحرم من لا يستحق الحرمان ، وهو عند شاتميه من أظلم الظلمة ، وأشعار هؤلاء الظلمة الخونة في سبه كثيرة جدا ، وكثير من الجهال يصرح بلعنه وتقبيحه .

الثالثة : أن السب منهم إنما يقع على من فعل هذه الأفعال التي لو اتبع الحق فيها أهواءهم لفسدت السموات والأرض ، وإذا وقعت أهواؤهم حمدوا الدهر وأثنوا عليه ، وفي حقيقة الأمر فرب الدهر تعالى هو المعطي المانع ، الخافض الرافع ، المعز المذل ، والدهر ليس له من الأمر شيء ، فمسبتهم للدهر مسبة لله عز وجل ، ولهذا كانت مؤذية للرب تعالى) .[1]

---

(١) زاد المعاد (٢/٣٥٤-٣٥٥) .

٢) تسميته تعالى برمضان :

قال - رحمه الله - : (وهاهنا حرف يروى عن مجاهد [١] ، أنا مرتاب بصحته أبدا ، وهو ما يروى عنه من قوله : لا يقولن أحدكم جاء رمضان وذهب رمضان ، فلعله اسم من أسماء الله [٢] ، حدثنا ابن السماك ، قال : حدثنا

---

(١) هو أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي ، من أعلام التابعين ، لازم ابن عباس - رضي الله عنهما - فأخذ عنه علما كثيرا حتى أضحى شيخا للقراء والمفسرين ، وقد كان مولده سنة ٢١ ووفاته سنة ١٠٠ - وقيل غير ذلك - سير أعلام النبلاء (٤/٤٤٩ - ٤٥٧) ومعرفة القراء الكبار (١/٦٦-٦٧) وشذرات الذهب (١/١٢٥) .

(٢) روى ابن عدي في الكامل (٧/٥٢) بسنده حديثا عن أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعا : (لا تقولوا رمضان ، فإن رمضان اسم من أسماء الله تعالى ، ولكن قولوا شهر رمضان) . وفي سنده أبو معشر نجيح السندي ، وقد نقل ابن عدي تضعيفه عن جمع من أهل العلم في الموضع المذكور ، وكذا رواه البيهقي في سننه (٤/٢٠١ - ٢٠٢) ونقل - أيضا - تضعيفه عن يحيى بن معين ويحيى القطان ، ثم ساق - أي البيهقي - سنده إلى محمد بن كعب قال : (لا تقولوا رمضان ، فإن رمضان اسم من أسماء الله عز وجل ، ولكن قولوا شهر رمضان) ثم قال البيهقي : (وروى ذلك عن مجاهد والحسن البصري والطريق إليهما ضعيف) .

قال الذهبي في المغني (٢/٣٤٨) في ترجمة نجيح السندي : (مشهور عن أصحاب أبي هريرة ، ليس بالعمدة ، قال ابن معين : ليس بقوي ، كان أميا يتقي من حديثه المسند ، وقال أحمد : كان بصيرا بالمغازي ، وقال ابن مهدي : تعرف وتنكر ، وقال النسائي والدارقطني ضعيف ، وقال البخاري : منكر الحديث ، وقال ابن معين : ليس بشيء) .

وانظر : تفسير الطبري (٢/١٤٤) وبدائع الفوائد (٢/١٠٤) ، وتفسير ابن كثير (١/٢٢٢) وفتح الباري (٤/١١٣) واللآلئ المصنوعة (٢/٩٧) وتنزيه الشريعة (٢/١٥٣) والاتحاف - شرح الإحياء - (٧/٥٧٧) .

يحيى بن أبي طالب[1] قال : حدثنا عبد الوهاب بن عطاء[2] قال : حدثنا طلحة بن عمرو[3] عن حميد الأعرج[4] عن مجاهد قال ذلك . وهذا شيء لا أعرف له وجها بحال ، وأنا أرغب عنه ولا أقول به) .[5]

قال الإمام النووي - معقبا على من ادعى تسميته - تعالى - بهذا الاسم : (وقولهم إنه اسم من أسماء الله تعالى ليس بصحيح ، ولم يصح فيه شيء وإن كان قد جاء فيه أثر ضعيف ، وأسماء الله تعالى توقيفية لا تطلق إلا بدليل صحيح) .[6]

---

(١) هو أبو بكر جعفر بن عبد الله بن الزبرقان ، محدث مشهور، وثقه الدارقطني وغيره ، توفي سنة ٢٧٥ .
تاريخ بغداد (١٤/ ٢٢٠ - ٢٢١) وسير أعلام النبلاء (١٢ / ٦١٩- ٦٢٠) ولسان الميزان (٦/ ٢٦٢ - ٢٦٣) .

(٢) هو أبو نصر عبد الوهاب بن نصر الخفاف البصري ، إمام محدث ، سكن بغداد وأخذ عنه الإمام أحمد ، توفي في آخر سنة ٢٠٤ وقيل غير ذلك .
تاريخ بغداد (١١/ ٢١ - ٢٥) وتذكرة الحفاظ (١/ ٣٣٩) ، وتهذيب التهذيب (٦/ ٤٥٠ - ٤٥٣) .

(٣) لم أجد ترجمته .

(٤) لم أجد ترجمته .

(٥) شأن الدعاء (ص ١٠٩ - ١١٠) .

(٦) شرح صحيح مسلم (٧/ ١٨٨) وانظر: تهذيب الأسماء واللغات(٣/ ١٢٧) وتحرير ألفاظ التنبيه (ص ١٢٣) والأذكار (ص ٣٤٣) .

وقال أيضا : (وقد صنف جماعة لا يحصون في أسماء الله تعالى مصنفات مبسوطة فلم يثبتوا هذا الإسم)[1] .

قلت : وما دام أن الأمر هكذا - أعني عدم ثبوت هذا الاسم للمولى جل وعز - وقد عُلم أن أسماءه توقيفية - فحق للخطابي أن يرغب عنه ولا يقول به ولا يعرف له وجها بحال في تلك النسبة الخاطئة .

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٣/١٢٧) .



المطلب الخامس

((مجمل كلام الخطابي في نصوص الصفات وتأييده لمذهب السلف في ذلك))

لا يخفى أن الأصل في هذا الباب العظيم - وقد سبق بيانه - هو أن يوصف الله سبحانه بما وصف به نفسه في كتابه العزيز، وبما وصفه به رسوله - عليه الصلاة والسلام - (إثباتا ونفيا)، فيثبت له تعالى ما جاء من هذا الطريق مثبتا، وينفى عنه ما جاء - منه - منفيا .

وقد علم أن هذا مسلك السلف وأئمتهم خلفاً عن سلف، لاحقا عن سابق، مسطر ذلك في كتبهم ودواوينهم، محفوظ من أفواههم [أثرا لهم]، وهو ما حكاه الخطابي عنهم - كغيره من الناقلين لمذهبهم وطريقتهم - فأقره وارتضاه وانتصر له، وهذا نص كلامه - رحمه الله - :

(فأما ما سألت عنه من الصفات وما جاء منها في الكتاب والسنة، فإن مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله [1]، وحققها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف [2].

---

(١) كالجهمية والمعتزلة، ومن وافقهم من الخوارج والأشاعرة .
انظر: التمهيد (٧/١٤٥) والفرق بين الفرق (ص ١١٤ و ٢١١ - ٢١٢) والملل والنحل (١/٨٦) والبرهان للسكسكي (ص ٤٩ - ٥٠) ودرء تعارض العقل والنقل (٦/٢٠٩ - ٢١٠) ومنهاج السنة (٢/٦٠٤) ومجموع الفتاوى (٦/٥٢) وما بعدها .

(٢) وهم المشبهة الذين شبهوا صفات الله بصفات خلقه، فيقولون : له يد كيد المخلوق ورجل كرجل المخلوق، - تعالى الله وتقدس عما يقولون علوا كبيرا - .

=====

وإنما القصد في سلوك الطريقة المستقيمة بين الأمرين ، ودين الله تعالى بين الغالي فيه والمقصر عنه ، والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ، ويحتذى في ذلك حذوه ومثاله[1] فإذا كان معلوما أن إثبات ذات الباري سبحانه إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية ، فكذلك إثبات صفاته ، إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف ، فإذا قلنا : يد وسمع وبصر وما أشبهها ، فإنما هي صفات أثبتها الله سبحانه لنفسه ، ولسنا نقول : إن معنى اليد : القوة

(=) وكان أول ظهور التشبيه في الإسلام من الروافض - وهو مما شاركوا فيه اليهود - وهم صنفان :
صنف شبهوا ذات الباري بذات غيره .
وصنف شبهوا صفاته بصفات غيره ، ومنهم المعتزلة البصرية وغلاة الرافضية والكرامية .
انظر : مقالات الإسلاميين (١/١٠٦) وما بعدها ، والفرق بين الفرق (ص ٢٢٥) وما بعدها ، والملل والنحل (١/١٠٥) وما بعدها واعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٩٧ - ٩٩) والمنهاج لابن تيمية (٢/٥٠١) وما بعدها و (ص ٥٢٢ و ٥٩٨) وكتاب القلائد (ص ٤٦) وخطط المقريزي (٢/٣٤٨ - ٣٤٩) ورسالة في الرد على الرافضة لأبي حامد المقدسي (ص ١٦٣-١٦٥) .

(١) هذه من الأصول الجيدة المحكمة في هذا الباب .
انظر : الأنساب للسمعاني (٥/٢٧٨) (ترجمة أحمد بن عبد الله المزني) والتدمرية (ص ٤٣) ومجموع الفتاوى (٤/٤ - ٥) وسير أعلام النبلاء (١٣/٢٩٩ - ٣٠٠) .

أو النعمة[١] ولا معنى السمع والبصر : العلم[٢] ولا نقول إنها جوارح ، ولا نشبهها بالأيدي وبالأسماع والأبصار[٣] التي هي جوارح وأدوات للفعل ، ونقول : إن القول إنما وجب بإثبات الصفات ، لأن التوقيف قد ورد بها ووجب نفي التشبيه عنها ، لأن الله ليس كمثله شيء ، وعلى هذا جرى قول السلف في أحاديث الصفات)[٤].

---

(١) وهو ما قاله المعتزلة وطائفة من متأخري الأشاعرة .
انظر : شرح الأصول الخمسة (ص ٢٢٨) ومقالات الإسلاميين (١ / ٢٤٥) ومشكل الحديث (ص ٢٢٤ - ٢٢٥) وأصول الدين (ص ١١٠ - ١١٢) والإرشاد (ص ١٤٦) والمواقف (ص ٢٩٨) وأقاويل الثقات (ص ١٤٩) وما بعدها وتحفة المريد (ص ٩٣) ومذاهب الإسلاميين (١ / ٤١٦) .

(٢) وهو قول النظام والكعبي ومن تابعهما من البغداديين - وهم جميعا من المعتزلة - إذ زعموا - وبئس ما زعموا - أنه تعالى لا يسمع ولا يبصر حقيقة وإنما معنى ذلك : العلم بالمسموعات والمبصرات ، وهذا أحد قولي المعتزلة في المسألة .
انظر : الفرق بين الفرق (ص : ١٨١) وأصول الدين (ص ٤٤ و ٩٦) والتبصير في الدين (١ / ٧٩) ونهاية الاقدام (ص : ٣٤١) وكتاب القلائد (ص : ٨٤) .

(٣) كما يقوله المشبهة ، وقد سبق الحديث عنهم (ص ١٥٠-١٥١)

(٤) من رسالة الغنية عن الكلام وأهله ، نقلا عن الفتوى الحموية (ص : ٣٤ - ٣٥) وذكر بعضه بمجموع الفتاوى (٦ / ٣٥٥) كما أورده الذهبي في كتاب الأربعين في صفات رب العالمين ، ضمن ست رسائل (ص ١١٧) وذكر أوله في العلو (ص ١٧٢ - ١٧٣) وهو في مختصره (ص ٢٥٧) .

فما ذكره الخطابي - هنا - ونسبه للسلف في نصوص الصفات بإثباتهم لها وإجرائها على ظواهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها حق وصدق ، إذ هم مقتفون لأدلة الكتاب والسنة وبهما عاملون (نفيا وإثباتا) على حد قوله تعالى : ﴿ هل تعلم له سميا ﴾[1] وقوله : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾[2] وقوله : ﴿ ولم يكن له كفوا أحد ﴾[3] .

ولقد حكى غير واحد من أئمة العلم معتقد السلف بما يوافق النقل المذكور ، دلالة على شهرتهم به واتباعهم له ودعوتهم إليه ، حتى غدا ذلك عنهم معلوما متواترا ، يميزون به عن غيرهم ممن خالفهم من أهل الأهواء والبدع .

قال محمد بن الحسن[4] (اتفق الفقهاء من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرءان والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه ، فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي-صلى الله عليه وسلم-وفارق الجماعة ، فإنهم

---

(١) سورة مريم بعض آية (٦٥) .

(٢) سورة الشورى بعض آية (١١) .

(٣) سورة الإخلاص آية (٤) .

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد من موالي بني شيبان ، صاحب الإمام أبي حنيفة ، إمام علامة في الفقه والأصول ، ولد بواسط سنة ١٣١ ونشأ بالكوفة ومات بالري سنة ١٨٩ .
تاريخ بغداد (٢/ ١٧٢ - ١٨٢) ووفيات الأعيان (٤/ ١٨٤) وسير أعلام النبلاء (٩/ ١٣٤ - ١٣٦) .

لم يصفوا ولم يفسروا ، ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا ، فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة ، لأنه قد وصفه بصفة لا شيء) .[1]

وقال ابن خزيمة :[2] (فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر ، مذهبنا : أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه ، نقر بذلك بألسنتنا ، ونصدق ذلك بقلوبنا ، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين ، عز ربنا عن أن يشبه المخلوقين ، وجل ربنا عن مقالة المعطلين ، وعز أن يكون عدما كما قاله المبطلون ، لأن مالا صفة له عدم ، تعالى الله عما يقول الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا الذي وصف بها نفسه في محكم تنزيله ، وعلى لسان نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم-) .[3]

وقال ابن عبد البر : (أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٣٢-٤٣٣) وابن قدامة في ذم التأويل (ص ١٣ - ١٤) وأورده الذهبي في العلو (ص ١١٣) معزوا إلى اللالكائي وابن قدامة ، وهو في مختصره (ص ١٥٩) وذكره ابن تيمية في الحموية (ص ٢٩ - ٣٠) وعزاه إلى اللالكائي - أيضا - كما ذكره في المجموع (٤/ ٤ - ٥) وصدره بقوله : (وثبت عن محمد بن الحسن - صاحب أبي حنيفة -) فذكره .

(٢) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة النيسابوري ، الحافظ الحجة ، إمام الأئمة ، الفقيه الشافعي ، ولد بنيسابور سنة ٢٢٣ وتوفي سنة ٣١١ .

سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٥ - ٣٨٢) وتذكرة الحفاظ (٢/ ٧٢٠-٧٣١) وطبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٠٩ - ١١٩) .

(٣) كتاب التوحيد (١/ ٢٦ - ٢٧) .

الواردة كلها في القرآن والسنة ، والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز ، إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة ، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة[1] كلها والخوارج[2] فكلهم ينكرها ، ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة ، ويزعمون أن من أقر بها مشبه ، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود ، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله ، وهم أئمة الجماعة والحمد لله).[3]

وقال أبو القاسم قوام السنة : (قال علماء السلف : جاءت الأخبار عن النبي -صلى الله عليه وسلم- متواترة في صفات الله تعالى موافقة لكتاب الله تعالى ، نقلها السلف على سبيل الإثبات والمعرفة والإيمان به والتسليم ، وترك التمثيل والتكييف[4] ، وأنه عز وجل أزلي بصفاته وأسمائه التي وصف بها نفسه

---

(١) تقدم التعريف بالجهمية والمعتزلة (ص٩٩و٦٦-٦٧) .

(٢) الخوارج سموا بهذا الإسم لخروجهم على الخليفة الراشد علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يوم الحكمين ، فمضوا عنه ونزلوا بأرض يقال لها حروراء فسموا بذلك حرورية ، وقالوا اشترينا أنفسنا من الله تعالى ، فسموا لذلك شراة .
من عقائدهم تكفير صاحب الكبيرة وأنه مخلد في النار - إلا النجدات منهم - وإجماعهم على إكفار عثمان وعلي بن أبي طالب وطلحة والزبير وعائشة - رضي الله عنهم - وأصحاب الجمل .
انظر : مقالات الإسلاميين (١/ ١٦٧) وما بعدها والتبصير في الدين (١/ ٤٦) وما بعدها والبرهان للسكسكي (ص ١٧) وما بعدها .

(٣) الحجة (١/ ١٤٥) .

(٤) تقدم التعريف بالتمثيل والتكييف (ص : ١١١) .

أو وصفه الرسول-صلى الله عليه وسلم-بها ،فمن جحد صفة من صفاته بعد الثبوت كان بذلك جاحداً ، ومن زعم أنها محدثة لم تكن ثم كانت دخل في حكم التشبيه في الصفات التي هي محدثة في المخلوق ، زائلة بفنائه غير باقية ،وذلك أن الله تعالى امتدح نفسه بصفاته ودعا عباده إلى مدحه بذلك ،وصدق به المصطفى -صلى الله عليه وسلم-وبين مراد الله فيما أظهر لعباده من ذكر نفسه وأسمائه وصفاته وكان ذلك مفهوما عند العرب غير محتاج إلى تأويله . .) .[1]

وقال ابن قدامه[2] : (ومذهب السلف - رحمة الله عليهم - الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه في آياته وتنزيله ، أو على لسان رسوله من غير زيادة عليها ، ولا نقص منها ، ولا تجاوز لها ، ولا تفسير لها ، ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها ، ولا تشبيه بصفات المخلوقين ولا سمات المحدثين ، بل أمروها كما جاءت ، وردوا علمها إلى قائلها ، ومعناها إلى المتكلم بها) .[3]

وقال المقريزي : (اعلم أن الله تعالى لما بعث من العرب نبيه -صلى الله عليه وسلم-رسولا إلى الناس جميعاً ، وصف لهم ربهم-سبحانه وتعالى-

---

(١) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٦٩ - ١٧٠) .

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي الملقب بموفق الدين . أحد الأعلام الكبار ومشايخ الإسلام ، كان مولده سنة ٥٤١ ووفاته يوم عيد الفطر سنة ٦٢٠ . سير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٦٥ - ١٧٣) والذيل على طبقات الحنابلة (٢/ ١٣٣-١٤٩) والأعلام (٤/ ٦٧) .

(٣) ذم التأويل (ص ١١) .

بما وصف به نفسه الكريمة في كتابه العزيز الذي نزل به على قلبه-صلى الله عليه وسلم-الروح الأمين ، وبما أوحى إليه ربه تعالى ،فلم يسأله-صلى الله عليه وسلم- أحد من العرب بأسرهم قرويهم وبدويهم عن معنى شيء من ذلك ،كما كانوا يسألونه-صلى الله عليه وسلم-عن أمر الصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك مما لله فيه سبحانه أمر ونهي ، وكما سألوه-صلى الله عليه وسلم-عن أحوال القيامة والجنة والنار ،إذ لو سأله إنسان منهم عن شيء من الصفات الإلهية لنقل ، كما نقلت الأحاديث الواردة عنه-صلى الله عليه وسلم-في أحكام الحلال والحرام وفي الترغيب والترهيب وأحوال القيامة والملاحم والفتن ونحو ذلك مما تضمنته كتب الحديث ، معاجمها ومسانيدها وجوامعها ،ومن أمعن النظر في دواوين الحديث النبوي ووقف على الآثار السلفية علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة - رضي الله عنهم - على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم أنه سأل رسول الله-صلى الله عليه وسلم-عن معنى شيء مما وصف الرب سبحانه به نفسه الكريمة في القرآن الكريم وعلى لسان نبيه محمد-صلى الله عليه وسلم - بل كلهم فهموا معنى ذلك وسكتوا عن الكلام في الصفات ، نعم ولا فرق أحد منهم بين كونها صفة ذات أو صفة فعل [1] وإنما أثبتوا له تعالى صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام والجلال والإكرام والجود والإنعام والعز والعظمة ، وساقوا الكلام سوقا واحدا ، وهكذا أثبتوا - رضي الله عنهم - ما أطلقه الله سبحانه على نفسه الكريمة من الوجه واليد ونحو

---

(١) ستأتي الإشارة إلى هذه المسألة في المطلب السادس الآتي إن شاء الله .

ذلك ، مع نفي مماثلة المخلوقين ، فأثبتوا - رضي الله عنهم - بلا تشبيه ونزهوا من غير تعطيل ، ولم يتعرض مع ذلك أحد منهم إلى تأويل شيء من هذا ، ورأوا بأجمعهم إجراء الصفات كما وردت ، ولم يكن عند أحد منهم ما يستدل به على وحدانية الله تعالى وعلى إثبات نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - سوى كتاب الله ولا عرف أحد منهم شيئا من الطرق الكلامية ولا مسائل الفلسفة ، فمضى عصر الصحابة - رضي الله عنهم - على هذا . .) .(١)

ولو تتبع النقل وطلب التقصي في هذا الباب لطال واتسع ، إذ ذاك أكثر بكثير لوفرته وتواتره ، وفيما ذكر غُنية وكفاية لمن أراد الوقوف والاطلاع على صحة ما كان عليه سلف الأمة وأئمتها من صفاء العقيدة ونقاء الفكر وسلامة المنهج ، مع تصديهم لأهل الأهواء والبدع بالرد والإبطال ، ووقوفهم في وجوه الطوائف الضالة والفرق المنحرفة والنحل المارقة بالسنان واللسان تحقيقا للحق وإزهاقا للباطل ، ليبقى صرح هذا الدين وكيانه شامخا باسقا منيفا .

فبان بهذا صحة ما ذكره الخطابي عنهم ونسبه إليهم من القول في نصوص الصفات وأحاديثها .

---

(١) الخطط (٣٥٦/٢) .

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية ، وذلك مثل صفة الكلام ، فهي صفة ذاتية باعتبار الأصل ، إذ أنه سبحانه لم يزل ولا يزال متكلما ، وصفة فعلية باعتبار آحاد الكلام لتعلقه بمشيئته واختياره ، فيتكلم متى شاء بما شاء كيف شاء .

وفي بيان هذا يقول الشيخ عبد الله بابطين[1] : (فإن المعروف بين أهل السنة أن صفات الله تعالى قسمان :

صفات ذاتية ، كالحياة والعلم والقدرة والوجه واليدين ونحوها ، فهذه قديمة بلا ريب ، إذ أنها صفات لازمة لله تعالى .

وصفات فعلية : وهي التي تتعلق بمشيئته وحكمته ، فإن اقتضت حكمته فعلها فعلها ، وإن اقتضت حكمته أن لا يفعلها لم تكن ، وهذا مثل الخلق والرزق والاحياء والاماتة والكلام . . والنزول والاستواء وغير ذلك من صفات فعله ، فهذا يكون قديم النوع أو الجنس ، وإن كانت آحاده توجد شيئا فشيئا وحينا وآخر ، ومن المعلوم أنه يوجد الفرق بين صفة الحياة والقدرة مثلا وبين صفة الاستواء ، فإن الأول لا شك أن الله موصوف به أزلا وأبدا ، - جل وعلا - وأما الاستواء فلم يكن إلا بعد خلق العرش ، وكذلك صفة نزوله إلى السماء الدنيا ، وإن كانت الصفات الفعلية قديمة الجنس ، فلم يزل الله تبارك وتعالى فعالا لما يريد ، فتنبه للفرق بينهما ، والله أعلم) .[2]

---

(١) هو أبو عبد العزيز عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز أبابطين ، العلامة الفقيه ، ولد سنة ١١٩٤ ، وتوفي سنة ١٢٨٢ .
هدية العارفين (١/٤٩١) والأعلام (٤/٩٧) ومشاهير علماء نجد وغيرهم (ص ٢٣٥ - ٢٣٨) .

(٢) لوامع الأنوار البهية (١/١١٢) (هامش ١) تعليقا على قول الناظم : ===

وفيما يلي عرض لما ذكره الخطابي - رحمه الله - من الصفات وكلامه عليهـــــا :

أ) الصفات الذاتية :

١- صفة الحيــاة : وفي شأنها يقول : (والحي من صفة الله تعالى ، هو الذي لم يزل موجودا ، وبالحياة موصوفا ، لم تحدث له الحياة بعد موت ولا يعترضه الموت بعد الحياة ، وسائر الأحياء يعتورهم الموت أو العدم في أحد طرفي الحياة أو فيهما معا ، و ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾[1])[2].

فحياته - سبحانه - حياة حقيقية لائقة بكماله وجلاله ، تباين حياة المخلوقين من كل وجه ،.

يقول ابن أبى العز[3] : (فالحي بحياة باقية لا يشبه الحي بحياة زائلة.. فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال ، فلا يتخلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة ، فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها ، استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة)[4].

(=) صفاته كذاته قديمة . . أسماؤه ثابتة عظيمة
وانظر : الأسماء والصفات للبيهقي (ص ١٣٧ - ١٣٨) والفتاوى السعدية (ص ٨) والتنبيهات اللطيفه (ص ٤٠ - ٤١) والتنبيهات السنية (ص ١٩- ٢٠) وشرح العقيدة الواسطية للهراس (ص ١٥٩ - ١٦٠) والكواشف الجلية (ص ٤٢٩ - ٤٣٠) ، وشرح لمعة الاعتقاد (ص ١١ - ١٢) .

(١) سورة القصص بعض آية (٨٨) .

(٢) شأن الدعاء (ص ٨٠) .

(٣) هو أبو الحسن علي بن علي بن أبى العز ، الحنفي الدمشقي الصالحي الإمام العلامة ، ولد سنة ٧٣١ ومات سنة ٧٩٢
كشف الظنون (٢ / ١١٤٣) وشذرات الذهب (٦ / ٣٢٦) (وسماه محمداً) والأعلام (٤ / ٣١٣) .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (١ / ٩٠ - ٩٢) .

٢) صفة العلم :

يقول في بيانه لهذه الصفة : (هو العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق ، كقوله تعالى : ﴿ إنه عليم بذات الصدور ﴾ [(١)] وجاء (اسمه تعالى عليم) على بناء فعيل للمبالغة في وصفه بكمال العلم ، ولذلك قال سبحانه : ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾ [(٢)].

والآدميون وإن كانوا يوصفون بالعلم فإن ذلك ينصرف منهم إلى نوع من المعلومات دون نوع ، وقد يوجد ذلك منهم في حال دون حال ، وقد تعترضهم الآفات فيخلف علمهم الجهل ، ويعقب ذكرهم النسيان ، وقد نجد الواحد منهم عالما بالفقه غير عالم بالنحو ، وعالما بهما غير عالم بالحساب وبالطب ونحوهما من الأمور. وعلم الله سبحانه علم حقيقة وكمال ﴿ قد أحاط بكل شيء علما ﴾ [(٣)] ﴿ وأحصى كل شيء عددا ﴾ [(٤)]) [(٥)] .

٣) صفتا السمع والبصر :

يقول في معناهما ـ عند شرحه لما ورد في سنن أبي داود من رواية

---

(١) هذا النص القرآني ورد في عدة سور ، فهو في سورة الأنفال الآية (٤٣) وفي هود الآية (٥) وفي فاطر الآية (٣٨) وفي الزمر الآية (٧) وفي الشورى الآية (٢٤) وفي الملك الآية (١٣) .

(٢) سورة يوسف بعض آية (٧٦) .

(٣) سورة الطلاق بعض آية (١٢) .

(٤) سورة الجن بعض آية (٢٨) .

(٥) شأن الدعاء (ص ٥٧) .

أبي يونس سليم بن جبير[(١)] مولى أبي هريرة قال : (سمعت أبا هريرة يقرأ هذه الآية : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمنت إلى أهلها ﴾ إلى قوله ﴿ سميعا بصيرا ﴾[(٢)] قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه)[(٣)] — : (وضعه إصبعه على أذنه وعينه عند قراءته سميعا بصيرا ، معناه : إثبات صفة السمع والبصر لله سبحانه ، لا إثبات الأذن والعين ، لأنهما جارحتان ، والله سبحانه موصوف بصفاته ، منفي عنه مالا يليق به من صفات الآدميين ونعوتهم ، ليس بذي جوارح ولا بذى أجزاء وأبعاض ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾[(٤)])[(٥)] .

---

(١) أبو يونس سليم بن جبير المصرى ، ثقة ، مات سنة ١٢٣ .
التاريخ الكبير (٤/ ١٢٢) وتهذيب التهذيب (٤/ ١٦٦) والتقريب (ص ٢٤٩ ترجمة ٢٥٢٦) .

(٢) سورة النساء بعض آية (٥٨) .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب السنة باب ١٩ ح ٤٧٢٨ (٥/ ٩٦-٩٧) والدارمي في الرد على بشر المريسي (ص ٤٧) وابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/ ٩٧ و ٩٨) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣/ ٤١٠) وقال عَقِبه : (وهو إسناد صحيح على شرط مسلم يلزمه إخراجه) ، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٢٣٣ - ٢٣٤) والهروي في كتاب الأربعين (ص ٦٦ - ٦٧) وقال الحافظ في الفتح (١٣/ ٣٧٣) (أخرجه أبو داود بسند قوى على شرط مسلم من رواية أبي يونس عن أبي هريرة) .

(٤) سورة الشورى بعض آية (١١) .

(٥) معالم السنن (٤/ ٣٣٠) وانظر للموضوع نفسه شأن الدعاء (ص : ٥٩- ٦١) .

فهذا الكلام من أبي سليمان - تعليقا منه على النص المذكور - اشتمل على مسألتين :

الأولى : إثباته صفتي السمع والبصر لله تبارك وتعالى ، وهو شيء أجمع عليه أهل السنة والجماعة كافة ، خلفاً عن سلف[1] ، اعتمادا على جملة وافرة من نصوص الكتاب والسنة ، وما نقل هنا من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - واحد منها ، وقد أخذ العلماء منه إثبات هاتين الصفتين كما أخذ الخطابي ذلك منه أيضا ثم نفى أن يؤخذ منه إثبات الأذن له سبحانه ، وهذا حق ظاهر واتباعه لازم ، لعدم ورود ما يدل عليه ، فلا يجوز إذا وصفه جل وعلا بما لم يثبت ولم يصح .

الثانية : نفيه إثبات العين ، وفيه احتمالان :

الاحتمال الأول : أنه ينفي إثبات " عين " لله عز وجل هي جارحة كما يثبته المشبهة وهذا منه حق ، ولعله ما يريده هنا ويقصده ، لأن إثبات العين له سبحانه وارد في نصوص مستفيضة من الكتاب والسنة .

الاحتمال الثاني : أنه ينفي إثبات العين للمولى جل وعلا ووصفه بذلك ، وهذا مخالف تماما للنصوص الشرعية الدالة على تقرير هذه الصفة ولما اعتقده أهل السنة والجماعة قاطبة بإثباتها على ما يليق بكمال جلاله تعالى وعظمته . (٢)

---

(١) انظر : كتاب التوحيد لابن خزيمة (١/ ١١٠ - ١١٧) والإبانة (ص ١٢٩) وشرح أصول الاعتقاد (٣/ ٤٠٧ - ٤١١) والأسماء والصفات (ص ٢٢٩ - ٢٣٦) وإبطال التأويلات (مخطوط) (ص ١٨١ - ١٨٣) وانظر المعتمد في أصول الدين (ص ٤٨) وشرح الأصفهانية (ص ٧٣) وشرح العقيدة الواسطية للهراس (ص ٩٦ - ٩٨) .

(٢) انظر المقالات (١/ ٢٨٥ و ٢٩٠ و ٣٤٥) والإبانة (ص ١٣١) والمعتمد في أصول الدين (ص ٥١) وشرح الواسطية للهراس (ص ١١٥ - ١١٧) .

قال ابن القيم : عند ذكره لحديث أبي هريرة - : (وضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه رفعا لتوهم متوهم أن المراد بالسمع والبصر غير الصفتين المعلومتين ، وأمثال هذا كثير في القرآن والسنة كما في الحديث الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال (يقبض الله سمواته بيده ، والأرض بيده الأخرى)[1] ثم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض يده ويبسطها تحقيقا لإثبات اليد وإثبات صفة القبض) .[2]

---

(١) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، ح ٢٥ (٤/٢١٤٨-٢١٤٩) وابن ماجه في سننه ، المقدمة ، باب ١٣ ح ١٩٨ (١/٧١ - ٧٢) وأحمد في المسند (٢/٧٢) والدارمي في الرد على بشر المريسي (ص ٣١ - ٣٢) وابن أبي عاصم في السنة (ص ٢٤٠ - ٢٤١) وابن خزيمة في التوحيد (١/١٧٠ - ١٧١) وأبو الشيخ في العظمة (٢/٤٣٧ - ٤٣٨) وابن منده في الرد على الجهمية (ص ٧٤ - ٧٥) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٤٢٧) .

(وعلق عليه الكوثري بما يبين عن جهميته وانغماسه في وحل الالحاد والتعطيل ، عامله الله بما يستحق وبما هو له أهل) .

ولفظ الحديث عند الإمام مسلم : (عن عبيد الله بن مقسم أنه نظر إلى عبد الله بن عمر كيف يحكي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يأخذ الله عز وجل سماواته وأرضيه بيديه ، فيقول : أنا الله ، (ويقبض أصابعه ويبسطها) أنا الملك ، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه ، حتى إني لأقول : أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم) .

(٢) الصواعق المرسله : (١/٣٩٧).

وحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - المتقدم ، ساقه ابن خزيمة - رحمه الله تعالى - تحت قوله : (باب ذكر إثبات العين لله - جل وعلا -)[1] مما يدل على إثباتها أخذاً من هذا النص .

---

(١) كتاب التوحيد (١/ ٩٦) .

٤) **صفة القـــدرة** : وفي إثباتها يقول عند شرحه لاسمه تعالى القـــادر :

(هو من القدرة على الشيء ، يقال : قدر يقدر قدرة ، فهو قادر وقديـــر ، كقوله تعالى : ﴿ وكان الله على كل شيء قديرا ﴾[(١)] ووصف الله نفسه بأنـــه قادر على كل شيء أراده ، لا يعترضه عجز ولا فتور .

وقد يكون القادر بمعنى المقدر للشيء ، يقال : قدرت الشيء وقدرته بمعنـــى واحد ، كقوله : ﴿ فقدرنا فنعم القادرون ﴾[(٢)] أي نعم المقدرون[(٣)] وعلى هذا يتأول قوله سبحانه : ﴿ فظن أن لن نقدر عليه ﴾[(٤)] أي لن نقدر عليه الخطيئة أو العقوبة[(٥)] إذ لا يجوز على نبي الله أن يظن عدم قدرة الله ـ جل وعز ـ عليه في حال من الأحوال) .[(٦)]

---

(١) سورة الأحزاب بعض آية (٢٧) ، وسورة الفتح بعض آية (٢١) .

(٢) سورة المرسلات آية (٢٣) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٩ / ١٦٠) .

(٤) سورة الأنبياء بعض آية (٨٧) .

(٥) قاله قتادة ومجاهد والفراء (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١ / ٣٣١ - ٣٣٢) وانظر : التحرير والتنوير لابن عاشور (١٧ / ١٣١ - ١٣٢) وأضواء البيان (٤ / ٦٨٢ - ٦٨٣) .

(٦) شأن الدعاء (ص ٨٥ - ٨٦) .
قلت : لعل الارجح في معنى ﴿ فظن أن لن نقدر عليه ﴾ أى ظن أن لن نضيق عليه كما في قوله تعالى : ﴿ وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه ﴾ .
راجع فتح القدير للشوكاني (٣ / ٤٢١) و(٥ / ٤٣٨) وأضواء البيان (٤ / ٧٤٥ - ٧٤٦)

وقال أيضا عند شرحه لاسمه تعالى : المقتدر - : (هو التام القدرة ، الذى لا يمتنع عليه شيء ولا يحتجز عنه بمنعة وقوة ، ووزنه مفتعل ، من القدرة ، إلا أن الاقتدار أبلغ وأعم ، لأنه يقتضي الاطلاق .

والقدرة قد يدخلها نوع من التضمين بالمقدور عليه ، قال الله سبحانه ﴿ عند مليك مقتدر ﴾[1] أي قادر على ما يشاء)[2] [3]

---

(١) سورة القمر بعض آية (٥٥) .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/ ١٥٠) .

(٣) شأن الدعاء (ص٨٦) .

٥) صفة اليدين : وفي إثباتها يقول : (وقد روى في الخبر : « كلتا يديه يمين »[1] . وليس اليد عندنا الجارحة[2] إنما هي صفة جاء بها التوقيف ، فنحن نُطلقها على ما جاءت ولا نكيفها ، وننتهي إلى حيث انتهى بنا الكتاب والأخبار المأثورة الصحيحة ، وهو مذهب أهل السنة والجماعة) .[3]

وهنا يوافق الخطابي رحمه الله منهج السلف في عدم التأويل لنصوص الصفات .

٦) صفة اليمين : وفي شأنها يقول ـ عند شرحه لقوله صلى الله عليه وسلم ـ :

« من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يصعد إلى الله إلا الطيب ، فإن الله يتقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه[4] حتى تكون

---

(١) هو قطعة من حديث أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ح : ١٨ (١٤٥٨/٤) والنسائي في سننه ، كتاب آداب القضاة باب ١ ح ٥٣٧٩ (٢٢١/٨ - ٢٢٢) والإمام أحمد في مسنده (١٦٠/٢) ، وذكره ابن القيم في الصواعق (٢٧٦/١) ولفظه عند مسلم : (إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا) .

(٢) قال ابن خزيمة : (عز ربنا أن تكون يده كيد المخلوقين) كتاب التوحيد (١٣٨/١) وانظر فتح البارى (٣٩٣/١٣) .

(٣) أعلام الحديث (٢٣٤٧/٤) .

(٤) الفلو : المهر الصغير ، وقيل : هو الفطيم من أولاد ذوات الحافر . النهاية (٤٧٤/٣) .

مثل الجبل »[1] : (ذكر اليمين في هذا معناه حسن القبول ، فإن العادة قد جرت من ذوى الأدب أن تصان اليمين عن مس الأشياء (الدنيئة)[2] ، وإنما يباشر بها الأشياء التى لها قدر ومزية ، وليس فيما يضاف إلى الله عز وجل من صفة اليدين شمال[3] لأن الشمال محل

---

(١) رواه البخارى في صحيحه ، كتاب الزكاة باب ٨ ح ١٤١٠ (الفتح ٢٧٨/٣) وكتاب التوحيد باب ٢٣ ح ٧٤٣٠ (الفتح ٤١٥/١٣) ومسلم في صحيحه كتاب الزكاة ح ٦٣ و ٦٤ (٧٠٢/٢) والترمذي في سننه ، كتاب الزكاة باب ٢٨ ح ٦٦١ (٤٠/٣) والنسائي في سننه كتاب الزكاة باب ٤٨ ح ٢٥٢٥ (٥٧/٥ - ٥٨) وابن ماجه في سننه كتاب الزكاة باب ٢٨ ح ١٨٤٢ (٥٩٠/١) ، وأحمد في مسنده (٣٣١/٢ و ٣٨١ - ٣٨٢ و ٤٠٤ و ٤١٩) ورواه كثير غير هؤلاء .

(٢) هذه اللفظة ليست موجودة في كتاب الأعلام ، لكنها ثابتة فيما نقله الحافظ في الفتح (٤١٧/١٣) عن الخطابي .

(٣) قد أنكر هذا الإمام ابن خزيمة ـ رحمه الله تعالى ـ فقال في كتابه التوحيد (١٥٩/١) (باب ذكر سنة ثامنة تبين وتوضح أن لخالقنا ـ جل وعلا ـ يدين كلتاهما يمينان ، لا يسار لخالقنا ـ عز وجل ـ إذ اليسار من صفة المخلوقين ، فجل ربنا عن أن يكون له يسار) .

وضعف البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٤١٠) الزيادة الواردة في صحيح مسلم عند حديث عبد الله بن عمر مرفوعا : (ثم يطوي الأرضين بشماله) قائلا : (وذكر الشمال فيه تفرد به عمر بن حمزة عن سالم وقد روى هذا الحديث نافع وعبيد الله بن مقسم عن ابن عمر ، لم يذكرا فيه الشمال ، ورواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ وغيره عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فلم يذكر فيه أحد منهم الشمال ، وروى ذكر الشمال في حديث آخر في غير هذه القصة ، إلا أنه ضعيف بمرة ، تفرد بأحدهما جعفر بن الزبير ، وبالآخر يزيد الرقاشي ، وهما متروكان ، وكيف يصح ذلك ؟

= = = = =

النقص والضعف) .[1]

ويقول في موضع آخر - عند تفسيره لقول الله عز وجل - : " ﴿ والسموات مطويات بيمينه ﴾[2] :(أي قدرته على طيها وسهولة الأمر في جمعها ، وقلة اعتياصها عليه ،

(=) وصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه سمى كلتي يديه يمينا ، وكأن من قال ذلك أرسله من لفظه على ما وقع له ، أو على عادة العرب في ذكر الشمال في مقابلة اليمين)اهـ .

قلت: وجنح البعض إلى جواز وصف اليد الأخرى لربنا - جل وعلا - بالشمال ، كالقاضي أبي يعلى في إبطال التأويلات (١/ص ١٧٨)، وقد قال ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (ص ٢٤٧) : (وإنما أراد ذلك معنى التمام والكمال ، لأن كل شيء مياسره تنقص عن ميامنه في القوة والبطش والتمام .

وكانت العرب تحب التيامن وتكره التياسر لما في اليمين من التمام وفي اليسار من النقص ، ولذلك قالوا : اليمن والشؤم ، فاليمن من اليد اليمنى والشؤم من اليد الشومى وهي اليد اليسرى ، وهذا وجه بيّن ، ويجوز أن يريد العطاء باليدين جميعا ، لأن اليمنى هي المعطية ، فإذا كانت اليدان يمينين كان العطاء بهما ، وقد روى في حديث آخر أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « يمين الله سَحَّاء لا يغيضها شيء الليل والنهار » . أي : تصب العطاء ولا ينقصها ذلك ، وإلى هذا ذهب المرار حين قال :

وإن على الأوانة من عقيل . . فتى كلتا اليدين له يمين)اهـ.

وانظر له أيضا : الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة (ص ٤٢ - ٤٣) .

ولمزيد النظر في المسألة انظر رد الإمام الدارمي على بشر المريسي (ص ١٥٥ - ١٥٦) وفتح الباري (١٣/ ٣٩٦) ولوامع الأنوار البهية (١/ ٢٣٣ - ٢٣٤) .

(١) أعلام الحديث (٤/ ٢٣٤٧) .

(٢) سورة الزمر بعض آية (٦٧) .

بمنزلة من جمع شيئا في كفه فاستخف حمله ولم يشتمل بجميع كفه عليه ، لكنه يقلـه ببعض أصابعه . .)[١].

وهذا تأويل ظاهر من أبي سليمان لصفة اليمين وافق في مجمله الأشاعرة[٢] في تأويلهم لهذه الصفة الكريمة الثابتة للباري - جل وعلا - بنص التنزيل وصحيح السنة.

فقد قال تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيٰمة والسموٰت مطويٰت بيمينه ، سبحٰنه وتعٰلى عما يشركون ﴾[٣] .

وقال النبي- صلى الله عليه وسلم- : « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلا الطيب ، فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل »[٤] وصح عنه عليه الصلاة والسلام قوله : « إن اللـه تبارك وتعالى قبض قبضة بيمينه فقال : هذه لهذه ولا أبالي ، وقبض قبضة أخرى يعني بيده الأخرى فقال : هذه لهذه ولا أبالي . . » .[٥]

---

(١) أعلام الحديث (٣/١٩٠١) وسيأتي تمام هذا النقل قريبا عند ذكـر صفة الأصابع .

(٢) ذلك أنهم - لما راغوا عن مذهب السلف - اختلفوا في المراد بهذه الصفة مما يدل على تخبطهم واضطرابهم .

انظر : مشكل الحديث لابن فورك (ص ٢٢٥) وما بعدها والأسماء والصفات للبيهقي (ص ٤٠٩) وما بعدها والعواصم من القواصـم (٢/٢٩٦ - ٢٩٧) وأساس التقديس (ص ١٣٣ - ١٣٤) وفتح الباري (٣/٢٨٠) وأقاويل الثقات (ص ١٥٤) وما بعدها .

(٣) سورة الزمر آية (٦٧) .

(٤) تقدم تخريجه (ص١٦٩-١٧٠)

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٥/٦٨) و (٤/١٧٦ - ١٧٧) .
قال الشيخ الألباني :(وإسناده صحيح ، وفي الباب عن أبي موسـى

= = = = =

وقوله : « يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض ؟ » .[1] إلى غير ذلك مما لم أذكره من الأحاديث المثبتة لربنا - جل وعلا - صفة اليمين ، تقدست أسماؤه وصفاته وجلت قدرته وعظمته .

وبهذه النصوص الصحيحة الصريحة أثبت السلف - رحمهم الله تعالى - هذه الصفة كغيرها من الصفات بلا تعطيل لمعناها ولا تشبيه أو تمثيل لكيفيتها .

(=) وأبي سعيد وغيرهما .فليراجع من شاء في مجمع الزوائد (٦/ ١٨٦- ١٨٧)).
انظر السلسلة الصحيحة ح ٥٠ (١/ ٧٧ - ٧٨) ثم قال عقب ذلك :
(. . إن كثيرا من الناس يتوهمون أن هذه الأحاديث - ونحوها أحاديث كثيرة - تفيد أن الإنسان مجبور على أعماله الاختيارية ، مادام أنه حكم عليه منذ القديم وقبل أن يخلق بالجنة أو بالنار ، وقد يتوهم آخرون أن الأمر فوضى أو حظ ، فمن وقع في القبضة اليمنى كان من أهل السعادة ، ومن كان من القبضة الأخرى كان من أهل الشقاوة ، فيجب أن يعلم هؤلاء جميعا أن الله (ليس كمثله شيء) لا في ذاته ولا في صفاته ، فإذا قبض قبضة فهي بعلمه وعدله وحكمته فهو تعالى قبض باليمنى على من علم أنه سيطيعه حين يؤمر بطاعته ، وقبض بالأخرى على من سبق في علمه تعالى أنه سيعصيه حين يؤمر بطاعته) الخ .

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، تفسير سورة الزمر باب ٣ ح ٤٨١٢ (الفتح ٨/ ٥٥١) وفي كتاب الرقاق باب ٤٤ ح ٦٥١٩ ، (الفتح ١١/ ٣٧٢) وفي كتاب التوحيد باب ٦ ح ٧٣٨٢ (الفتح ١٣/ ٣٦٧) ومسلم في صحيحه كتاب صفة المنافقين ح ٢٣ (٤/ ٢١٤٨) وابن ماجه في سننه ، المقدمة ح ١٩٢ (١/ ٦٨ - ٦٩) والدارمي في سننه كتاب الرقائق باب ٨٠ ح ٢٧٩٩ (٢/ ٤١٨ - ٤١٩) والإمام أحمد في مسنده (٢/ ٣٧٤) وأبو يعلى في مسنده ح ٥٨٣٤ (٥/ ٣٢٥)

والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٤٠٩) وابن أبي عاصم في السنة ح ٥٤٨ و ٥٤٩ (ص ٢٤١- ٢٤٢) .

قال الإمام ابن خزيمة - رحمه الله - : (نحن نقول : لله - جل وعلا - يدان ، كما أعلمنا الخالق البارئ في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه المصطفى - صلى الله عليه وسلم - ونقول : كلتا يدي ربنا عز وجل يمين على ما أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ونقول : إن الله - عز وجل - يقبض الأرض جميعا بإحدى يديه ، ويطوي السماء بيده الأخرى وكلتا يديه يمين لا شمال فيهما ..) .(1)

٧ - صفة الأصابع :

عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : (جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع(2) والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع ، فيقول : أنا الملك ، فضحك النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر ، ثم قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيٰمة والسمٰوٰت مطويٰت بيمينه ، سبحٰنه وتعٰلى عما يشركون ﴾ .(3) (4)

---

(1) كتاب التوحيد (١/١٩٣ - ١٩٤) .

(2) في القاموس (ص ٩٥٠) : مادة (صبع) (الاصبع مثلثة الهمزة ، ومع كل حركة تثلث الباء ، تسع لغات ، والعاشر أصبوع بالضم) .

(3) سورة الزمر آية (٦٧) .

(4) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير ، سورة الزمر ، باب ٢ ح ٤٨١١ (الفتح ٨/٥٥٠ - ٥٥١) وفي كتاب التوحيد ح ٧٤١٤ و ٧٤٥١ و ٧٥١٣ ، ومسلم في صحيحه كتاب صفات المنافقين ح ١٩ و٢٠ و٢١ و٢٢

=====

قال الخطابي - شارحا هذا الحديث - : (الأصل في هذا وما أشبهه من أحاديث الصفات والأسماء أنه لا يجوز ذلك إلا أن يكون بكتاب ناطق أو خبر مقطوع بصحته ، فإن لم يكونا فبما يثبت من أخبار الآحاد المستندة إلى أصل في الكتاب أو في السنة المقطوع بصحتها ، أو بموافقة معانيها ، وما كان بخلاف ذلك فالتوقف عن إطلاق الاسم به هو الواجب ، ويتأول حينئذ على ما يليق بمعاني الأصول المتفق عليها من أقاويل أهل الدين والعلم ، مع نفي التشبيه فيه .

هذا هو الأصل الذى نبني عليه الكلام ونعتمده في هذا الباب .

وذكر الأصابع لم يوجد في شيء من الكتاب ولا من السنة التي شرطها في الثبوت ما وصفناه .

وليس معنى اليد في الصفات بمعنى الجارحة حتى يتوهم بثبوتها ثبوت الأصابع ، بل هو توقيف شرعي أطلقنا الاسم فيه على ما جاء به الكتاب من غير تكييف ولا تشبيه ، فخرج بذلك عن أن يكون له أصل في الكتاب أو في السنة ، أو أن يكون على شيء من معانيها .

وقد روى هذا الحديث غيرُ واحد من أصحاب عبد الله من غير طريق عَبيدة[1]

(=) (٤/٢١٤٧ - ٢١٤٨) والترمذي في سننه كتاب تفسير القرآن باب ٤١ ح ٣٢٣٨ و ٣٢٣٩ (٥/٣٧١) ، والنسائي في سننه الكبرى كتاب التفسير وكتاب النعوت ، كما في تحفة الأشراف (٧/٩٢ و ١٠٠) والإمام أحمد في مسنده (١/٤٢٩ و ٤٥٧) وابن أبي عاصم في السنة ح ٥٤١ و ٥٤٢ و ٥٤٣ (ص ٢٣٨ - ٢٣٩) وابن خزيمة في التوحيد (١/١٧٩ - ١٨٤) والآجري في الشريعة (ص ٣١٨ - ٣١٩) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٤٢١ - ٤٢٣) ، وكل هؤلاء أخرجوه من طرق عن عبد الله بن مسعود مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه .

(١) وهو عبيدة بن عمرو السلماني - بسكون اللام - ويقال بفتحها ، المرادي ،
=====

فلم يذكروا فيه قوله : (تصديقا لقول الحبر) ، واليهود مشبهة ، وفيما يدعونه منزلا في التوراة ألفاظ تدخل في باب التشبيه ليس القول بها من مذاهب المسلمين ، وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، وقولوا : آمنا بما أنزل الله من كتاب » (١) والنبي - صلى الله عليه وسلم - أولى الخلق بأن يكون قد استعمله مع هذا الحبر ، والدليل على صحة ذلك أنه لم ينطق فيه بحرف تصديقا له أو تكذيبا ، إنما ظهر منه في ذلك الضحك المخيّل للرضا مرة وللتعجب والإنكار أخرى ، ثم تلا الآية ،

(=) أبو عمرو وأبو مسلم الكوفي ، تابعي كبير ، ثقة ثبت ، كان شريح القاضي إذا أشكل عليه شيء سأله . روى له الجماعة ، ومات سنة ٧٢ أو بعدها سير أعلام النبلاء (٤ / ٤٠ - ٤٤) وتهذيب التهذيب (٧ / ٨٤ - ٨٥) وتقريب التهذيب (ص ٣٧٩ ترجمة ٤٤١٢) .

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب العلم باب ٢ ح ٣٦٤٤ (٤ / ٥٩ - ٦٠) والإمام أحمد في المسند (٤ / ١٣٦) كلاهما عن أبي نملة الأنصاري وفيهما (. . . وقولوا آمنا بالله ورسله ، فإن كان باطلا لم تصدقوه ، وإن كان حقا لم تكذبوه) مع تقديم بعض الجمل على بعض .
وأخرج البخاري في صحيحه كتاب التفسير (سورة البقرة) باب ١١ ح ٤٤٨٥ (الفتح ٨ / ١٧٠) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : (كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا : « آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون »») وانظر ح (٧٣٦٢ ، ٧٥٤٢) من صحيح البخاري .

والآية محتملة للوجهين معا وليس فيها للاصبع ذكر .

وقول من قال من الرواة : " تصديقا لقول الحبر " ظن وحسبان والأمر فيه ضعيف ، إذ كان لا لمحض شهادته لأحد الوجهين ، وربما استدل المستدل بحمرة اللون على الخجل ، وبصفرته على الوجل ، ، وذلك غالب مجرى العادة في مثله ، ثم لا يخلو ذلك من ارتياب وشك في صدق الشهادة منهما بذلك ، لجواز أن تكون الحمرة لهيج دم وزيادة مقدار له في البدن ، وأن تكون الصفرة لهيج مرار وثوران خلط ونحو ذلك ، فالاستدلال بالتبسم والضحك في مثل هذا الأمر الجسيم قدره ، الجليل خطره ، غير سائغ مع تكافؤ الوجهين في الدلالة المتعارضين فيه . ولوصح من طريق الرواية كان ظاهر اللفظ منه متأولا على نوع من المجاز أو ضرب من التمثيل قد جرت به عادة الكلام بين الناس في عرف تخاطبهم ، فيكون المعنى في ذلك على تأويل قوله عز وجل : ﴿ والسموات مطويت بيمينه ﴾[1] أي : قدرته على طيها وسهولة الأمر في جمعها ، وقلة اعتياصها عليه ، بمنزلة من جمع شيئا في كفه فاستخف حمله ولم يشتمل بجميع كفه عليه ، لكنه يقله ببعض أصابعه ، وقد يقول الإنسان في الأمر الشاق إذا أضيف إلى الرجل القوى المستقل بعبأه* : إنه ليأتي عليه بإصبع واحدة ، أو إنه يعمله بخنصره ، أو إنه يقله بصغرى أصابعه أو ما أشبه ذلك من الكلام الذى يراد الاستظهار في القدرة عليه والاستهانة به وكقول الشاعر[2] :

الرمح لا أملأ كفي بـــه . . واللِّبد لا أتبـع تزوالـه[3]

---

(١) سورة الزمر بعض آية (٦٧) .

(٢) هو ابن زيابة التيمي ، شاعر جاهلي مختلف في اسمه ، فقيل عمرو بن لأى وقيل سلمة بن ذهل ، وقيل عمرو بن الحارث . معجم الشعراء للمرزباني (ص ١٥) وخزانة الأدب (٥/١١٢ - ١١٣) والأعلام (٥/٨٤) .

(٣) البيت ضمن أبيات ستة مطلعها :

======

* في المطبوع : بعباده .

يريد أنه لا يتكلف أن يجمع كفه فيشتمل بها كلها على الرمح ، لكن يطعن به خلسا بأطراف أصابعه .

وفيما يضاد هذا المذهب قيس بن الخطيم[1] يصف طعنة :

ملكت بها كفي[2] فأنهرت فتقها . . . يرى قائم من دونها ما وراءها[3]

يريد الاستيفاء لها بجميع كفه واستنفاد قوته فيها ، من قولك : ملكت العجين إذا أنعمت عجنه وبالغت في علاجه) .[4]

(=) نبئت عمرا غارزا رأسه . . . في سِنَةٍ يُوعِدُ أَخْوَالَه

أوردها أبو تمام في الحماسة (١/٨٩ - ٩٠) وشرح خمسة منها المرزوقي في شرح الحماسة (١/١٤٢ - ١٤٥) كما ذكرها البغدادي في الخزانة (٥/١١٤) بزيادة أبيات ونقص أخرى ، وكذا المبرد في الكامل (١/٣٦٥ - ٣٦٦) بدون عزو .

(١) هو أبو يزيد قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو الأوسي ، من شعراء المدينة أدرك الإسلام ولم يسلم ، وقتل قبل الهجرة النبوية .

طبقات ابن سعد (٨/٣٢٣ - ٣٢٤) عند ترجمة زوجته حواء بنت زيد ، ومعجم الشعراء (ص ١٩٦) وخزانة الأدب (٧/٣٤ - ٣٥)

(٢) في الأصل (عكفى) والتصحيح من الديوان .

(٣) ديوانه (ص ٤٦) .

(٤) أعلام الحديث (٣/١٨٩٨ - ١٩٠٢) .

إن الناظر في هذا الكلام الذي سطره الخطابي - مع طوله وجهده في جمعه - ليجده مخالفاً تماماً لما قرره أئمة السلف - رحمهم الله تعالى - في إثباتهم لهذه الصفة الجليلة للمولى جل وعز ، اعتمادا على نص كلام نبيهم وإمامهم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

فوافق أبو سليمان - بما ذهب إليه - المؤولة الذين عزفوا عن مذهب أهل السنة والجماعة وأعرضوا عنه . وفي كلامه المذكور آنفا عدة عبارات تحتاج إلى وقفات أكتفي بذكر أهمها :

أولا : قوله : (الأصل في هذا وما أشبهه من أحاديث الصفات والأسماء أنه لا يجوز ذلك إلا أن يكون بكتاب ناطق أو خبر مقطوع بصحته . .) الخ . يقصد أن نصوص الصفات لا تثبت إلا بالمتواتر دون غيره ، وهو قول مخالف لمذهب السلف ، مردود من أصله باطل من أسه ، ذلك أن معظم أمور الشريعة ثبتت بأخبار الآحاد ، ولم يكن السلف - رحمهم الله - يفرقون بين أصول الدين وفروعه ، لاعتقادهم أن [illegible] الشرع والدين كلها واحدة ، في قبولها والعمل بها - اعتقادية كانت أو عملية - وإنما تبنى التفريق بينهما بعض متأخري المتكلمين المتكلفين وادعوا عليه الإجماع وهي دعوى داحضة عارية عن الدليل والبرهان ، ولهذا قال العلامة ابن القيم : (وهذا التفريق باطل بإجماع الأمة ، فإنها لم تزل تحتج بهذه الأحاديث في الخبريات العلميات - يعني العقيدة - كما تحتج بها في الطلبيات العمليات ، ولا سيما والأحكام العملية تتضمن الخبر عن الله بأنه شرع كذا وأوجبه ورضيه دينا ، فشرعه ودينه راجع إلى أسمائه وصفاته ، ولم تزل الصحابة والتابعون وتابعوهم وأهل الحديث والسنة يحتجون بهذه الأخبار في مسائل الصفات والقدر والأسماء والأحكام ، ولم ينقل عن أحد منهم ألبتة أنه جوز

الإحتجاج بها في مسائل الأحكام دون الإخبار عن الله وأسمائه وصفاته.

فأين سلف المفرقين بين البابين ؟ نعم ، سلفهم بعض متأخري المتكلمين الذين لا عناية لهم بما جاء عن الله ورسوله وأصحابه ، وهذا التقسيم أصل من أصول ضلال القوم ، فإنهم فرقوا بين ما سموه أصولا وسموه فروعا ، وادعوا الإجماع على هذا التفريق ، ولا يحفظ ما جعلوه إجماعا عن إمام من أئمة المسلمين ولا عن أحدٍ من الصحابة والتابعين ، بل أئمة المسلمين على خلافه ..)[1].

ثانيا : قوله : (وذكر الأصابع لم يوجد في شيء من الكتاب والسنة) لا يسلم له ، إذ أن الإشارة إلى ذكرها في الكتاب العزيز متضمنة في قوله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ﴾[2] وقد أتانا نبينا صلى الله عليه وسلم بذكرها ، فنؤمن بذلك لفظاً ومعنىً كإيماننا بما جاء في الكتاب نصا[3] ، وأما مجيء ذلك في السنة فكثير

---

(١) مختصر الصواعق (٢/٦١٣ - ٦١٤) مع بعض الاختصار .
ولم أجد - حسب علمي - من وفى هذا الموضوع حقه تجلية ونصاعة وردا علميا متيناً من الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - بما لا يوجد في غيره . انظر مختصر الصواعق (٢/٥٦٧) وما بعدها .

(٢) سورة الحشر بعض آية (٧) .

(٣) أخذاً مما جاء عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - لما قال : (لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله) ، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب وكانت تقرأ القرآن ، فأتته فقالت : (ما حديث بلغني عنك أنك لعنت الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله) فقال عبد الله : (ومالي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله) فقالت المرأة : (لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته) فقال : (لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه ،

======

جدا كقوله عليه الصلاة والسلام: « إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد ، يصرفه حيث شاء » ثم قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- « اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك » .[1]

وعن أنس بن مالك[2] - رضي الله عنه - قال : (كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يكثر أن يقول : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » فقلت : يارسول الله آمنا بك وبما جئت به ، فهل تخاف علينا ؟ قال : « نعم ، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف شاء » .[3]

(=) قال الله عز وجل : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ رواه البخاري في صحيحه في مواضع عدة ، منها في كتاب اللباس ، باب ٨٤ ح ٥٩٣٩ (الفتح ١٠/٣٧٧) ومسلم في صحيحه ، كتاب اللباس والزينة ح ١٢٠ (٣/١٦٧٨) واللفظ له ، كما أخرجه الإمام أحمد في المسند (١/٤١٥ و ٤٣٤ و ٤٤٣) ورواه غيرهم .

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب القدر ح ١٧ (٤/٢٠٤٥) وأحمد في المسند (٢/١٦٨ ، ١٧٣) والآجرى في الشريعة (ص ٣١٦) .
جميعهم أخرجوه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما -

(٢) هو أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد الأنصارى الخزرجي الصحابي الجليل ، خادم النبي -صلى الله عليه وسلم- وأحد المكثرين روايةً للحديث ، ولد بالمدينة النبوية ومات بالبصرة سنة ٩٣ وقيل غير ذلك .

الاستيعاب (١/١٠٩ - ١١١) وأسد الغابة (١/١٥١ - ١٥٢) والإصابة (١/١٢٦ - ١٢٩) .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب القدر باب ٧ ح ٢١٤٠ (٤/٤٤٨-٤٤٩) وانظر تحفة الأحوذى (٦/٣٤٩ - ٣٥٠) ، وأخرجه الحاكم الحاكم في المستدرك (٢/٢٨٨ - ٢٨٩) عن جابر بن عبد الله ، والآجري في الشريعة (ص ٣١٧) .

وعن النواس بن سمعان[1] - رضي الله عنه - قال : (سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : ((ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه . .)) .[2]

وعن أم المؤمنين عائشة[3] - رضى الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يكثر أن يقول : ((يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وطاعتك)) فقالت له عائشة : إنك تكثر أن تقول : ((يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وطاعتك)) فقال : ((وما يؤمنني ، وإنما قلوب العباد بين إصبعي الرحمن ، إنه إذا أراد أن يقلب قلب عبد قلبه . .))[4]

---

(١) هو النواس بن سمعان بن خالد بن عمرو الكلابي ، صحابي معدود في الشاميين .
الاستيعاب (٤ / ١٥٣٤) وأسد الغابة (٥ / ٣٦٧ - ٣٦٨) والإصابة (٦ / ٤٧٨) .

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه ، المقدمة ح ١٩٩ (١ / ٧٢) قال في الزوائد : (١ / ٨٧) هذا إسناد صحيح .
وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢ / ٢٨٩) و (٤ / ٣٢١) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي .
وابن أبي عاصم في السنة ح ٢١٩ (ص ٩٨) وابن خزيمة في التوحيد (١ / ١٨٨ - ١٨٩) والآجري في الشريعة (ص ٣١٧ - ٣١٨) .

(٣) هي أم عبد الله أم المؤمنين وزوج نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - عائشة الصديقة بنت الصديق - رضى الله عنها - الحصان الرزان ، أفقه نساء الأمة على الإطلاق ، القرشية التيمية المكية ، إحدى المكثرات للرواية ، ولدت في السنة التاسعة ق هـ ، وتوفيت بالمدينة سنة ٥٨ على القول الراجح .
الاستيعاب (٤ / ١٨٨١ - ١٨٨٥) وأسد الغابة (٧ / ١٨٨ - ١٩٢) والإصابة (٨ / ١٦ - ٢١) .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٦ / ٢٥١) وروى نحوه عن أم سلمة ، رضي الله عنها . المصدر السابق (٦ / ٣٠٢) وابن خزيمة في كتاب التوحيد (١ / ١٩١) .

دخلت عليها فذكرت عذاب القبر ، فقالت لها : أعاذك الله من عذاب القبر ، فسألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر فقال : « نعم ، عذاب القبر حق » قالت عائشة - رضي الله عنها - : فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر)[1] .

ولا شك أن هذه اليهودية ذكرت ذلك عما هو موجود في التوراة ومسطر فيها ، إذ هذا من الأمور الغيبية التي لا يُنبىء عنها إلا كتاب منزل أو نبي مرسل .

ثم إنه عليه الصلاة والسلام لم يبادر بتكذيبها ولا تهمتها في مقولتها ، بل أقرها وصدقها بقوله وفعله - كما هو في سياق الحديث - وإن كان مجيء ثبوت عذاب القبر في نصوص كثيرة شرعية ، فهذا نظير ذاك ، وبالله تمام التوفيق .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب ٨٦ ح ١٣٧٢ (الفتح ٢٣٢/٣) وأحمد في مسنده (١٧٤/٦) .
وانظر : تحفة الأشراف (٣٠٨/١٢) ح ١٧٦١١ و (ص ٣٢٦) ح ١٧٦٦٠ .

ثالثا : قوله : (واليهود مشبهة ، وفيما يدعونه منزلا في التوراة ألفاظ تدخل في باب التشبيه ، ليس القول بها من مذاهب المسلمين) .

يجاب عنه بأن اليهود - حقا وصدقا - مشبهة ، إلا أن هذا لا يمنع من قبول ما وافقوا فيه الحق والصواب وكان مما شهد له التنزيل أو أقرته السنة . ثم إن الحق يجب أخذه وقبوله ممن قاله كائناً من كان ، وورود الأصابع في التوراة - إن كان قد ثبت فيها - فهو يوافق ذكرها في سنة نبينا - عليه الصلاة والسلام - بأصح الأسانيد وأمتنها ، والأمة قد تقبلت ذلك بالقبول الحسن خلفاً عن سلف - كما سيأتي إيضاحه وبيانه - وأنه - صلى الله عليه وسلم - أقر اليهودي على ذلك بدلالة ضحكه تصديقا لقوله كما قال عبد الله بن مسعود ، وليس - أيضا - كل ما في التوراة باطل ، بل فيها الحق والصدق وإن كان بالنسبة لما وقع فيها من التحريف والتبديل قليلا جدا جدا ، فيكون - إذاً - هذا من ضمن ذلك الحق والصدق .(1)

ونظير ما نحن بصدده ما ثبت من حديث عائشة - رضي الله عنها - (أن يهودية

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (فإن التوراة مملوءة بإثبات الصفات التي يسميها النفاة تشبيها وتجسيما ، ومن المعلوم أن التوراة قد تداولها من الأمم ما لا يحصيهم إلا الله ، وقد انتشرت بين النصارى كما انتشرت بين اليهود ، فلو كان ما فيها من الصفات وإثبات العلو لله مما يناقض صريح العقل ، لكان ذلك من أعظم ما كان ينبغي أن يتعنت به بنو إسرائيل وغيرهم لموسى ...) الخ .

درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٧٨) وما بعدها ، وانظر : المصدر نفسه (٥/ ٧٩) وما بعدها .

رابعا : قوله : (والدليل على صحة ذلك أنه - يعني النبي صلى الله عليه وسلم - لم ينطق فيه بحرف تصديقا له أو تكذيبا ، إنما ظهر منه في ذلك الضحك المخيل للرضا مرة وللتعجب والإنكار أخرى) .

فجوابه أن السياق يفيد رضاه عليه الصلاة والسلام لا إنكاره [1] وهو ما فهمه ابن مسعود - رضي الله عنه - وعبر عنه بقوله : (تصديقا لقول الحبر) إذ قد حضر الجلسة وسمع الكلام ، مع ما أوتيه من صفاء الذهن وجلاء الفهم وسلامة الذوق ودقة التعبير ، ثم إنه عليه الصلاة والسلام لا يضحك من كلام باطل وكفر بواح يتفوه به يهودي يشبّه فيه رب العالمين بمخلوقاته ، ولو كان هذا - وحاشاه عليه الصلاة والسلام من ذلك - لنزل في الحين وحي في تخطئة اليهودي وتنزيه الباري ، ولهذا قال ابن خزيمة - رحمه الله تعالى - : (وقد أجلّ الله قدر نبيه صلى الله عليه وسلم عن أن يوصف الخالق الباري بحضرته بما ليس من صفاته فيسمعه فيضحك عنده ، ويجعل بدل وجوب النكير والغضب على المتكلم به ضحكا تبدو نواجذه ، تصديقا وتعجبا لقائله ، لا يصف النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة مؤمن مصدق برسالته) [2] .

ثم ماذا يقول الخطابي في حديث عائشة وأم سلمة وأنس بن مالك وعبد الله بن عمرو ابن العاص ، والنواس بن سمعان - رضي الله عنهم جميعا - وليس معهم ولا في

---

(١) قال النووي : (ظاهر الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم صدق الحبر في قوله إن الله تعالى يقبض السموات والأرضين والمخلوقات بالأصابع ثم قرأ الآية التي فيها الإشارة إلى نحو ما يقول). صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/ ١٣٠) .

(٢) كتاب التوحيد (١/ ١٧٨) .

أسانيد متون أحاديثهم يهودي ولا نصراني ؟ ، فبهذا يتبين أنه - رحمه الله - لم يصب في رد هذه الصفة الجليلة لربنا تعالى وتقدس ، وأن الطريقة التي حاول بها رد هذه الصفة قد تكلف فيها تكلفاً لَحَظَهُ عليه حتى بعض المؤولة ، فهذا ابن التين[١] يقول : (تكلف الخطابي في تأويل الإصبع وبالغ حتى جعل ضحكه صلى الله عليه وسلم تعجبا وإنكاراً لما قال الحبر ، ورد ما وقع في الرواية الأخرى (فضحك صلى الله عليه وسلم تعجباً وتصديقاً بأنه على قدر ما فهم الراوي)[٢].

ومن العجب أن المؤولة اضطربت أقوالهم - كعادتهم - في بيانهم للمعنى المراد من الإصبع ، فمن قائل منهم : إنها النعمة والفضل[٣] وآخر : أنها القدرة[٤] وثالث زعم أن المراد بالحديث : ((قلوب العباد بين إصبعين ..)) أي بين تدبيرين ونعمتين من تدبير الله عز وجل ونعمه ، إما كفاية تسره وإما بلاء يأجره عليه[٥] أو بين نعمتي الخوف والرجاء[٦] ورابع على أن ذلك مجاز واستعارة[٧] أو على

---

(١) هو أبو محمد عبد الواحد بن التين السفاقسي المغربي ، المالكي المحدث الفقيه المفسر ، مات بسفاقس (من بلاد تونس) سنة ٦١١ .
كشف الظنون (١/ ٥٤٦) وهدية العارفين (١/ ٦٣٥) وشجرة النور الزكية (١/ ١٦٨) .

(٢) فتح الباري (٨/ ٥٥١) .

(٣) مشكل الحديث (ص ٢٢٧) وأصول الدين (ص ٧٦) .

(٤) مشكل الحديث (ص ٢٢٧) والقرطبي نقلا عن أقاويل الثقات (ص ١٦١) والاقتصاد في الاعتقاد (ص ٣٧) والرد على بشر المريسي (ص ٥٩)

(٥) الفصل (٢/ ٣٥٠) وإبطال التأويلات (مخطوط) (ص ١٧١) .

(٦) أصول الدين (ص ٧٦) .

(٧) شرح مسلم للنووي (١٦/ ٢٠٤) والنهاية لابن الأثير (٣/ ٩) .

أن المراد بذلك الملك والقدرة [1] أو القدرة والإرادة [2] أو المراد بالإصبع بعض خلق يخلقه أو هي أصابع بعض مخلوقاته [3] أو : بين أثرين من آثار الله عز وجل وفعلين من فعله . [4]

وهذا الاضطراب سببه انحرافهم عن منهج السلف الواضح المبين .

وختاما أورد بعض ما نقل عن السلف في إثباتهم لهذه الصفة للخالق جل وعلا وإيمانهم بذلك ، متضمناً الرد على هؤلاء المؤولة المضطربين .

فعن أحمد بن نصر [5] أنه سأل سفيان بن عيينة قال : (حديث عبد الله : ((إن الله عز وجل يجعل السماء على إصبع)) [6] وحديث : ((إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن)) [7] وذكر أحاديث أخر فقال : (**هذه**

---

(١) إبطال التأويلات - مخطوط - (ص ١٧١) .
(٢) تحفة المريد (ص ٩٣) .
(٣) إبطال التأويلات - مخطوط - (ص ١٧٤) والنووي على شرح صحيح مسلم (١٧/ ١٣٠) .
(٤) إبطال التأويلات - مخطوط - (ص ١٧١) .
(٥) هو أبو عبد الله أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي المروزي ثم البغدادي من الأئمة الكبار الأعلام وكان رحمه الله أمارا بالمعروف قوالا بالحق مات قتيلا على يد الواثق سنة ٢٣١ .
تاريخ بغداد (٥/ ١٧٣ - ١٧٦) طبقات الحنابلة (١/ ٨٠ - ٨٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ١٦٦ - ١٦٩) .
(٦) تقدم تخريجه ص (١٧٤)
(٧) تقدم تخريجه ص (١٨١)

الأحاديث نرويها ونقر بها كما جاءت بلا كيف)[1]

وقال ابن قتيبة : (قالوا : رويتم ((أن قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الله عز وجل)) فإن كنتم أردتم بالأصابع ههنا النعم ، وكان الحديث صحيحا فهو مذهب ، وإن كنتم أردتم الأصابع بعينها فإن ذلك يستحيل ، لأن الله تعالى لايوصف بالأعضاء ولا يشبه بالمخلوقين ، وذهبوا في تأويل الأصابع إلى أنه النعم ، لقول العرب : (ما أحسن إصبع فلان على ماله) يريدون أثره ، وقال الراعي[2] في وصف إبله :

ضَعِيفُ العَصَا بَادِي العُروقِ تَرَى لَهُ . . عَلَيْهَا إذا مَا أمحل[3] النَّاسُ إِصْبَعَا[4]

أي : ترى له عليها أثرا حسنا .

قال أبو محمد : ونحن نقول : إن هذا الحديث صحيح ، وإن الذين ذهبوا إليه في تأويل الأصبع لا يشبه الحديث ، لأنه عليه السلام قال في دعائه : ((يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)) فقالت له إحدى أزواجه : (أو تخاف يارسول الله على نفسك ؟) فقال : ((إن قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الله عز وجل)) .[5]

---

(١) كتاب الصفات للدارقطني (ص ٧١ - ٧٢) والتمهيد لابن عبد البر (١٤٨/٧) وذم التأويل (ص ١٩ - ٢٠) والعلو (١١٥ - ١١٦) ومختصره (ص ١٦٥) .

(٢) هو عبيد بن حصين (بتصغيرهما) ابن معاوية بن جندل ، من فحول شعراء الإسلام مات سنة ٩٠ . طبقات فحول الشعراء (٢٩٨/١-٢٩٩) والشعر والشعراء (٤٢٢/١) وخزانة الأدب (١٥٠/٣ - ١٥١) .

(٣) في ما وقفت عليه من المصادر : (ما أجدب) .

(٤) ذكره الجاحظ في البيان والتبيين (٥٢/٣) والقالي في الأمالي (٣٥٧/٢) كما أنشده في المقاييس واللسان مادة (ص ب ع) .

(٥) الحديث روي عن جمع من الصحابة وقد سبق تخريجه . انظر ص(١٨١-١٨٢) .

فإن كان القلب عندهم بين نعمتين من نعم الله تعالى فهو محفوظ بتينك النعمتين فلأي شيء دعا بالتثبيت ؟ ولم احتج على المرأة التي قالت له : (أتخاف على نفسك) بما يؤكد قولها ؟ وكان ينبغي أن لا يخاف إذا كان القلب محروسا بنعمتين .

فإن قال لنا : ما الأصبع عندك هاهنا ؟ . قلنا : هو مثل قوله في الحديث الآخر ((يحمل الأرض على إصبع)) [(١)] وكذا على إصبعين ، ولا يجوز أن تكون الإصبع — هاهنا — نعمة .

وكقوله تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيٰمة والسموٰات مطويٰت بيمينه ﴾ [(٢)] ولم يجز ذلك . ولا نقول أصبع كأصابعنا ولا يد كأيدينا ولا قبضة كقبضاتنا ، لأن كل شيء منه — عز وجل — لا يشبه شيئا منا) [(٣)] .

وقال الإمام الدارمي في رده على بشر المريسي : (ورويت أيها المريسي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمٰن يقلبها كيف يشاء)) [(٤)] فأقررت أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله ، ثم رددته بأقبح محال وأوحش ضلال ، ولو قد دفعت الحديث أصلا كان أعذر لك من أن تقر به ثم ترده بمحال من الحجج ، وبالتي هي أعوج ، فزعمت أن إصبعي الله قدرتاه [(٥)] قلت : وكذلك قوله : ﴿ والأرض جميعا قبضته يوم القيٰمة ﴾ [(٦)] أي في ملكه .

---

(١) سبق تخريجه انظر (ص ١٧٤) .

(٢) سورة الزمر بعض آية (٦٧) .

(٣) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٤٥ - ٢٤٦) وانظر له : الاختلاف في اللفظ (ص ٥٠ - ٥٢) .

(٤) سبق تخريجه (ص ١٨١) .

(٥) في الأصل : قدرتيه .

(٦) سورة الزمر بعض آية (٦٧) .

قيل : معناه ما عرفوا الله حق معرفته ، وإذا كان هذا معناه لم يكن المراد بـه القدرة ، وهذا الحديث ذكره البخاري ومسلم في الصحيحين) .[(١)] [(٢)]

وفي هذا القدر مما ذكرته من كلام الأئمة الأعلام الغناء والكفاية لمن أراد الهداية وطريق السلامة .

---

(١) انظر (ص ١٧٤) .

(٢) إبطال التأويلات - مخطوط - (ص ١٧٤ - ١٧٥) .

(٨) صفة الساق :

عن أبي سعيد الخدري [1] - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : ((يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة ، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا)) [2] .

قال الخطابي : (قلت : وهذا الحديث مما قد تهيب القولَ فيه شيوخنا فأجروه على ظاهر لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم في التوقف عن تفسير كل مالا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب .

وقد تأوله بعضهم على معنى قوله : ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾ [3]

ثم ساق الخطابي بسنده إلى ابن عباس أنه قال : (سئل عن قوله عز وجل : ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾ [3] فقال : (إذا خفي عليكم شيء من القرءان فابتغوه

---

(١) هو سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة ، الأنصاري الخزرجي ، صحابي جليل ، ومن الملازمين للنبي عليه الصلاة والسلام ، وأحد المكثرين عنه الحديث ، مات بالمدينة سنة ٧٤ .
الاستيعاب (٣/٦٠٢) وأسد الغابة (٣/٣٦٥)
والإصابة (٣/٧٨ - ٨٠) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، سورة (القلم) باب ٢ ح ٤٩١٩ (الفتح ٨/٦٦٣ - ٦٦٤) .
وجاء طرفا في حديث الشفاعة عن أبي سعيد - أيضا - في كتاب التوحيد باب ٢٤ ح ٧٤٣٩ (الفتح ١٣/٤٢١) .
ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ح ٣٠٢ (١/١٦٧ - ١٧١)
والإمام أحمد في المسند (٣/١٦ - ١٧) .
والدارمي في سننه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - كتاب الرقائق باب ٨٣ ح ٢٨٠٣ (٢/٤٢٠ - ٤٢١) .

(٣) سورة القلم بعض آية (٤٢) .

في الشعر ، فإنه ديوان العرب ، أما سمعتم قول الشاعر :

اصبر عناق إنه شر باق . ˚ . قامت الحرب بنا على ساق [1]

وهو [2] يوم كرب وشدة .

وقال غيره من أهل التفسير والتأويل في قوله : ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾ [3] أي عن الأمر الشديد [4] وأنشدوا :

قد شمرت عن ساقها فشدوا . ˚ . وجدت الحرب بكم فجدوا [5]

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ، كتاب التفسير ، تفسير سورة (ن والقلم) (٢/٤٩٩ - ٥٠٠) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي ، وهو فيه بلفظ .

اصبر عناق إنه شر باق . ˚ . قد سنّ قومك ضرب الأعناق

وقامت الحرب بنا على ساق

ورواه الطبرى في تفسيره (٢٩/٣٨) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٤٣٧) وذكره القرطبي في التذكرة (ص ٣٧٩) بدون ذكر ابن عباس وحسنه الحافظ في الفتح (١٣/٤٢٨) ، وانظر الدر المنثور (٨/٢٥٤)

(٢) في المصادر المذكورة :(هذا) .

(٣) سورة القلم بعض آية (٤٢) .

(٤) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر عن سعيد بن جبير .

انظر الدر المنثور (٨/٢٥٥) وأخرج نحوه الطبرى عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير . انظر تفسيره (٢٩/٣٨ - ٣٩) .

(٥) نقله عن الخطابي البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٤٣٧) وذكره عن الراجز القرطبيُّ في تفسيره (١٨/٢٤٨) .

وقال بعض الأعراب : عجبت من نفسي ومن إشفاقهـــا

ومن طـــرادي الطير عن أرزاقهـــا

فـي سـنة قد كشفت عـن ساقها .[1]

وإنما جاء ذكر الكشف عن الساق على معنى الشدة ،فيحتمل ـ والله أعلم ـ أن يكون معنى الحديث أنه يبرز من أمر القيامة وشدتها ما يرتفع معه سواتر الامتحان فيتميز عند ذلك أهل اليقين والإخلاص ، فيؤذن لهم في السجود وينكشف الغطاء عـن أهل النفاق ، فتعود ظهورهم طبقا لا يستطيعون السجود .

وقد تأوله بعض الناس فقال : لا ينكر أن يكون الله سبحانه وتعالى قد يكشف لهم عن ساق لبعض المخلوقين من ملائكته أو غيرهم ، فيجعل ذلك سببا لبيان ما شاء من حكمه في أهل الإيمان وأهل النفاق .

قلت : وفيه وجه آخر لم أسمعه من قدوة ، وقد يحتمله معنى اللغة ، ســمعت أبا عمر يذكر عن أبي العباس أحمد بن يحي النحوى[2] فيما عد من المعاني المختلفة الواقعة تحت هذا الاسم ، قال : (والساق : النفس) قال : ومنه قول علي بن أبي طالب[3] ـ رضي الله عنه ـ حين راجعه أصحابه فـــي قتـــال

وفي تفسير غريب القرآن (ص ٤٨١)

---

(١) أورده ابن قتيبة في غريب الحديث (١ / ٢٦٣) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٤٢٧) والقرطبي في تفسيره (١٨ / ٢٤٨) والكرمي في أقاويـــل الثقات (ص ١٧٥) وعند ابن قتيبة والقرطبي في آخره زيادة : " حمراء تبرى اللحم عن عراقها " .

(٢) هو أبو العباس أحمد بن يحي بن زيد الشيباني بالولاء ، البغـدادي المعروف بثعلب ، إمام الكوفيين في النحو واللغة ، محدثا حافظا ثقـــة حجة ، ولد سنة ٢٠٠ وتوفي سنة ٢٩١ .
تاريخ بغداد (٥ / ٢٠٤ - ٢١٢) ووفيات الأعيان (١ / ١٠٢ - ١٠٤) وسير أعلام النبلاء (١٤ / ٥ - ٧) .

(٣) هو أبو السبطين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ====

الخوارج[1] فقال : (والله لأقاتلنهم ولو تلفت ساقي)[2] ، يريد نفسه . فقد يحتمل على هذا أن يكون المراد به التجلي لهم وكشف الحجب حتى إذا رأوه سجدوا له ولست أقطع به القول ولا أراه واجبا فيما أذهب إليه من ذلك ، وأسأل الله أن يعصمنا من القول بما لا علم لنا به)[3] اهـ .

قلت : هذه الصفة الجليلة المباركة لخالقنا جل وعلا قد تنازع فيها بعض الصحب الكرام ، وكذا بعض التابعين - رحمهم الله - ، والخطابي - رحمه الله - ذهب إلى كونها ليست من الصفات مستشهدا بكلام عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - كما نقل أقوال غيره من المؤولة ، الذين لا تشهد لمقولتهم لغة ولا يعضدها برهان . وعلى كل حال فإن تأويلها على غير ما دلت عليه من وصف الله تعالى بها ، قول مرجوح لا ينظر فيه ، إذ صح ما يثبتها لله سبحانه على لسان نبيه وأعرف الخلق به عليه الصلاة والسلام ، مما يوجب الإيمان بذلك على وجهه والتسليم لما ورد فيه ، واعتقاد كماله ونفي المشابهة عنه ، على حد قوله : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾[4] ويجاب - بتوفيق الله - عما ساقه الإمام الخطابي من أقوال ، وما له من تفسيرات وذكره من توجيهات لبيان هذه اللفظة على غير ما ذهب إليه عامة السلف في تفسيرهم لها وبيانهم لمدلولها ، فيقال :

(=) ابن هاشم القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم - وزوج ابنته فاطمة الزهراء ، والخليفة الرابع الراشد ، فضائله كثيرة ومناقبه جمة ، مات شهيدا سنة ٤٠ .

الاستيعاب (٣/١٠٨٩ - ١١٣٣) وأسد الغابة (٤/٩١ - ١٢٥) والإصابة (٤/٥٦٤ - ٥٧٠) .

(١) سبق التعريف بهم (ص ١٥٥)

(٢) لم أقف عليه .

(٣) أعلام الحديث (٣/١٩٣٠ - ١٩٣٣) .

(٤) سورة الشورى بعض آية (١١) .

إن ما نقله عن ابن عباس وغيره من أن الساق يأتي بمعنى الشدة هو صحيح عربية ، كما شهدت بذلك نصوص شعرية ونثرية - قد سبق ذكر بعضها - إلا أن مساق الكلام وسياقه هو الذي يحدد هذا المعنى أو ذاك ، وسياق الآية الكريمة - هنا - يأباه : كما سيأتي توضيحه إن شاء الله تعالى - ، وعلى فرض صحته فإن النص القاطع جاء عن المعصوم صلوات الله وسلامه عليه في بيان الآية وتفسيرها مما لا بدع قولا لأحد[1] ، بل يجب تصديق ذلك والإيمان به واعتقاد مدلوله ، وهذا من مقتضيات الإيمان وصحة المعتقد .

فإن الآية الكريمة : ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾[2] ليست نصا في ذلك لكونها جاءت نكرة غير مضافة إليه سبحانه ، مما جعل السلف يتنازعون في المسألة ، إلا أن ورود النص - كما قلت قبل - حسم الموقف وأوضح المراد وأبان القصد ولله الحمد والمنة .

قال ابن تيمية - رحمه الله - : (والصحابة قد تنازعوا في تفسير الآية ، هل المراد به الكشف عن الشدة أو المراد به أنه يكشف الرب عن ساقه ، ولم تتنازع الصحابة والتابعون فيما ذكر من آيات الصفات إلا في هذه الآية . . وذلك أنه

---

(١) كحديث أبي سعيد الخدري المتفق عليه ، وقد مضى تخريجه (ص ١٩٢) وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفتن ح ١١٦ (٤/٢٢٥٨ - ٢٢٥٩) وأحمد في المسند (٢/١٦٦) وحديث عبد الله بن مسعود وسيأتي ذكره قريبا .

(٢) سورة القلم بعض آية (٤٢) .

ليس في ظاهر القرءان أن ذلك صفة لله تعالى ، لأنه قال : ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾[1] ولم يقل عن ساق الله ، ولا قال : يكشف الرب عن ساقه ، وإنما ذكر ساقا نكرة غير معرفة ولا مضافة ، وهذا اللفظ بمجرده لا يدل على أنها ساق الله والذين جعلوا ذلك من صفات الله تعالى أثبتوه بالحديث الصحيح المفسر للقرءان ، وهو حديث أبي سعيد الخدري المخرج في الصحيحين[2] الذى قال فيه : ((فيكشف الرب عن ساقه)) .

وقد يقال : إن ظاهر القرءان يدل على ذلك من جهة أنه أخبر أنه يكشف عن ساق ، ويدعون إلى السجود ، والسجود لا يصلح إلا لله ، فعلم أنه هو الكاشف عن ساقه . وأيضا فحمل ذلك على الشدة لا يصح ، لأن المستعمل في الشدة أن يقال : كشف الله الشدة ، أي أزالها ، كما قال ﴿ فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون ﴾[3] وقال : ﴿ فلما كشفنا عنهم الرجز[4] إلى أجل هم بالغوه ﴾[5] وقال : ﴿ ولو رحمنٰهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيٰنهم يعمهون ﴾[6] .

وإذا كان المعروف من ذلك في اللغة أنه يقال : كشف الشدة أي أزالها فلفظ الآية ﴿ يكشف عن ساق ﴾[7] وهذا يراد به الإظهار والإبانة كما قال :

---

(١) سورة القلم بعض آية (٤٢) .
(٢) انظر تخريجه فيما مضى (ص ١٩٢) .
(٣) سورة الزخرف آية (٥٠) .
(٤) في الأصل : (العذاب) بدل (الرجز) .
(٥) سورة الأعراف بعض آية (١٣٥) .
(٦) سورة المؤمنون آية (٧٥) .
(٧) سورة القلم بعض آية (٤٢) .

﴿ كشفنا عنهم ﴾ . وأيضا فهناك تحدث الشدة لا يزيلها ، فلا يكشف الشدة يوم القيامة ، لكن هذا الظاهر ليس ظاهرا من مجرد لفظ ساق ، بل بالتركيب والسياق وتدبر المعنى المقصود) .(١)

ثم إن في حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - : ((فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا ، فلا يكلمه إلا الأنبياء ، فيقول : هل بينكم وبينه آية تعرفونه ؟ فيقولون : الساق فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن)) الحديث .(٢)

فلا يصح ولا يتلاءم - هنا - حمل الساق على الشدة ، لأن المخاطبين - أنفسهم - في حال عظيمة منها ، وهم لو قصدوا بالآية التي يعرفونه بها الشدة ، لقالوا حين سألهم عنها : كشف الشدة ، لكونها حالة بهم يريدون زوالها ، فلما عدلوا عن ذلك إلى قولهم ((الساق)) ثم هو - جل وعلا - كشف عنه ، ظهر أنه هو المقصود والمراد لا غيره .

وفي حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - وهو حديث طويل في وصف يوم القيامة ، وما يكون عليه الناس من أحوال وأهوال ، وانطلاق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويتولون في الدنيا ، إلى أن يقول : ((ويبقى محمد - صلى الله عليه وسلم وأمته ، فيتمثل الرب - جل وعز - فيأتيهم فيقول لهم : مالكم لا تنطلقون كما انطلق

---

(١) نقض التأسيس - مخطوط - (٣/ق ٨/أ - ب) وانظر مجموع الفتاوى (٦/ ٣٩٤ - ٣٩٥) والصواعق المرسلة (١/ ٢٥٢ - ٢٥٣) ومختصره (١/ ٢٧) وشرح كتاب التوحيد للشيخ الغنيمان (٢/ ١٢١ - ١٢٥) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ١٩٢) .

الناس ؟ فيقولون : إن لنا إلها ، فيقول : وهل تعرفونه إن رأيتموه ؟ فيقولون : بيننا وبينه علامة ، إذا رأيناها عرفناه ، فيقول : ما هي ؟ يقولون : يكشف عن ساقه ، قال : فعند ذلك يكشف الله عن ساقه ، فيخر كل من كان بظهره طبق [(١)] ويبقى قوم ظهورهم كصياصي البقر [(٢)] يدعون إلى السجود فلا يستطيعون ......)) الحديث . [(٣)]

قال القاضي أبو يعلى ـ بعد أن ذكر هذا الحديث وقول من أول الساق على معنى الشدة ـ : (قيل هذا غلط لوجوه : أحدها : أنه قال :

---

(١) الطبق : فقار الظهر ، واحدتها طبقة .
الغريب لأبي إسحاق الحربي (٢ / ٣٦٣) والنهاية (٣ / ١١٤)

(٢) صياصي البقر : قرونها ، واحدتها صيصة بالتخفيف . النهاية (٣ / ٦٧) .

(٣) أخرجه جمع من الأئمة منهم :
أبو بكر الخلال في السنة (كما في إبطال التأويلات (١ / ١٥٥) ،
وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة (٢ / ٥٢٠ - ٥٢٤) ،
والطبراني في الكبير (٩ / ٣٥٧ - ٣٦١) .
والذهبي في العلو (ص ٧٣) وحسّن إسناده .
قال الشيخ الألباني في مختصر العلو (ص ١١١) :(وهو كما قال أو أعلى) اهـ . كما ذكره في الأربعين (ص ١٣٠ - ١٣١) وقال : (وهو حديث صحيح) . وعزا السيوطي إخراجه في الدر المنثور (٨ / ٢٥٧) إلى إسحاق بن راهويه في مسنده ، وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا ، والطبراني ، والآجري في الشريعة ، والدارقطني في الرؤية ، والحاكم وصححه وابن مردويه ، والبيهقي في البعث .

((فيتمثل لهم الرب وقد كشف عن ساقه)) والشدائد لا تسمى ربـــا .

والثاني : أنهم التمسوه ليتبعوه فينجوا من الأهوال والشدائد التى وقع فيها من كان يعبد غيره ، وإذا كان كذلك لم يجز أن يلتمسوه على صفة تلحقهم فيها الشدة والأهوال .

الثالث : أنه قال : ((فيخرون سجدا)) والسجود لا يكون للشدائد ، وهذا جواب أبي بكر[1] رأيته في تعاليق أبي إسحاق[2] عنه)[3] .

وبتمام هذه النقول الشرعية ودلالتها الجلية ، وما اعتقده السلف الصالح نحوها في حملها على حقيقة ظاهرها بإثباتها صفة ذاتية لله تبارك وتعالى تليـــق بعظمته وجلاله وكماله ، يتبين أن قول الخطابي - رحمه الله - كان مرجوحا ، ولم يكن فيه موافقا لما عليه جمهور أهل السنة والجماعة فيما ذهبوا إليه وارتضـــوه واعتقدوه .

---

(١) يعني الخلال .

(٢) هو إبراهيم بن عمر بن أحمد البرمكي ثم البغدادي الحنبلي ، الإمـــام العلامة المفتي ، أحد كبراء أعيان المذهب . ولد سنة ٣٦١ وتوفي ببغداد سنة ٤٤٥ .
تاريخ بغداد (٦/١٣٩) وطبقات الحنابلة (٢/١٩٠ - ١٩١) وسير أعلام النبلاء (١٧/٦٠٥ - ٦٠٦) .

(٣) إبطال التأويلات (١/١٥٩ - ١٦٠) وانظر المعتمد في أصول الدين (ص ٥٣) .

(٩) صفة القدم والرّجل :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - رفعه ، وأكثر ما يوقفه : (يقال لجهنم هل امتلأت ؟ وتقول : هل من مزيد ؟ فيضع الرب - تبارك وتعالى - قدمه عليها ، فتقول : قط قط)[1] .

قال الخطابي : (قلت : قد أضيف القدم في هذه الرواية إلى الرب سبحانه ، إلا أن الراوى كان يقفه مرة ويرفعه أخرى ، وأكثره الوقف على ما ذكر في الحديث ، وقد رواه - أيضا - من طريق أنس ، فلم يصرح بإضافته إلى الرب سبحانه)[2]

وعن أنس - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ((يلقى في النار وتقول : هل من مزيد ، حتى يضع رجله أو قال[3] : قدمه ، فتقول قط قط))[4]

قال الخطابي : (فذكر الرّجل والقدم من غير إضافة كما ترى)[5] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، سورة ق ، باب (ح ٤٨٤٩ (الفتح ٨/٥٩٥) .

(٢) أعلام الحديث (٣/١٩٠٥) .

(٣) في الصحيح : قدمه ، بدون شك ، والنقل هنا من أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري للخطابي .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، سورة ق باب (ح ٤٨٤٨ (الفتح ٨/٥٩٤) وفي كتاب الأيمان والنذور باب ١٢ ح ٦٦٦١ (الفتح ١١/٥٤٥) وفي كتاب التوحيد باب ٧ ح ٧٣٨٤ (الفتح ١٣/٣٦٩) ومسلم في صحيحه ، كتاب الجنة ح ٣٧ - ٣٨ (٤/٢١٨٧- ٢١٨٨) والترمذي في سننه كتاب تفسير القرءان ، (سورة ق) ح ٣٢٧٢ (٥/٣٩٠) والنسائي في الكبرى (في النعوت) كما في تحفة الأشراف (١/٣٣٦) .

(٥) أعلام الحديث (٣/١٩٠٦) .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((تحاجت الجنة والنار ، فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة : مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم [١] ، قال الله تبارك وتعالى للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادى ، وقال للنار : إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ، ولكل واحدة منهما ملؤها ، فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع رجله فتقول : قط قط ، فهنالك تمتلىء ويزوى بعضها إلى بعض ، ولا يظلم الله ـ عز وجل ـ من خلقه أحدا ، وأما الجنة فإن الله ـ عز وجل ـ يُنشىء لها خلقا)) [٢] .

قال الخطابي : (هكذا قال : ((فلا تمتلىء حتى يضع رجله)) على تعليق الإضافة ، وهذه جملة ما أورده أبو عبد الله [٣] في كتابه من ذكر القدم

---

(١) سقطهم : (بفتحتين ، أى المحتقرون بينهم ، الساقطون من أعينهم ، هذا بالنسبة إلى ما عند الأكثر من الناس ، وبالنسبة إلى ما عند الله هم عظماء رفعاء الدرجات ، لكنهم بالنسبة إلى ما عند أنفسهم لعظمة الله عندهم وخضوعهم له في غاية التواضع لله والذلة في عباده ، فوصفهم بالضعف والسقط بهذا المعنى صحيح) . قاله الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/٥٩٧) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير (سورة ق) باب ١ ح : ٤٨٥٠ (الفتح ٨/٥٩٥) وفي كتاب التوحيد باب ٢٥ ح ٧٤٤٩ (الفتح ١٣/٤٣٤) باختلاف يسير في بعض ألفاظه .
ومسلم في صحيحه ، كتاب الجنة ح ٣٥ - ٣٦ (٤/٢١٨٦ - ٢١٨٧)
وأحمد في المسند (٢/٥٠٧) .

(٣) يعني الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ .

والرجل ، ومخارجها في الرواية كما ترى ،إما صريح الإضافة من غير رفع، وإما رفع من غير تصريح بالإضافة[1] فيشبه أن يكون من ذكر القدم والرجل وترك الإضافة إنما تركها تهيباً لها وطلبا للسلامة من خطأ التأويل فيها .

وكان أبو عبيد[2] ـ وهو أحد أئمة أهل العلم ـ يقول : (نحن نروي هذه الأحاديث ولا نريغ[3] لها المعاني) .

ـ قال الخطابي ـ : ونحن أحرى بأن لا نتقدم فيما تأخر عنه من هو أكثر علما وأقدم زمانا وسنا ، ولكن الزمان الذي نحن فيه قد جعل أهله حزبين : منكر لما يروى

---

(١) يقصد بصريح الإضافة من غير رفع حديث أبي هريرة ، وبالرفع من غير تصريح بالإضافة حديث أنس .

(٢) هو أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروى الأزدي الخزاعي ولاء، من العلماء الأعلام الكبار ، ولد سنة ١٥٧ ، ومات بمكة سنة ٢٢٤ تاريخ بغداد (١٢/٤٠٣ - ٤١٦) وسير أعلام النبلاء (١٠/٤٩٠-٥٠٩) وشذرات الذهب (٢/٥٤ - ٥٥) .

(٣) أي لا نطلب معانيها ، مأخوذ من قولهم : أرغت الصيد إذا طلبته وأردته . انظر المصباح المنير. مادة روغ . (ص٩٤) .

قلت : فإن كان المراد أن معاني صفات الله تعالى لا معنى لها فهذا غير صحيح ، بل هي ـ بحمد الله ـ معلومة ، لكن كيفيتها مجهولة لا يعلمها إلا الله تعالى . والذي وقفت عليه من كلام أبي عبيد هو ما أخرجه الدارقطني في الصفات (ص ٦٨ - ٦٩) وقد سئل عن جملة من أحاديث الصفات فقال : (هذه الأحاديث صحاح حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم على بعض ، وهي عندنا حق لا نشك فيها ، ولكن إذا قيل كيف وضع قدمه ؟ وكيف ضحك ؟ قلنا : لا يفسر هذا ولا سمعنا أحدا يفسره) .

كما أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣/٥٢٦) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٤٤٨) ونقله عنه ابن تيمية في الحموية (ص ٣٠)

= = = =

من نوع هذه الأحاديث رأساً ، ومكذب به أصلا ، وفي ذلك تكذيب العلماء الذين رووا هذه الأحاديث ، وهم أئمة الدين ونقلة السنن والوسائط بيننا وبين الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

والطائفة الأخرى مسلمة للرواية فيها ، ذاهبةٌ في تحقيق الظاهر منها مذهبا يكاد يفضي بهم إلى القول بالتشبيه (١) ، ونحن نرغب عن الأمرين ولا نرضى بواحد منهما مذهبا ، فيحق علينا أن نطلب لما يرد من هذه الأحاديث إذا صحت من طريق النقل والسند تأويلا (٢) يخرج على معاني أصول الدين ومذاهب العلماء ، ولا تبطل الرواية فيها أصلا ، إذ كانت طرقها مرضية ونقلتها عدولا .

(=) وذكره ابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٤٩ - ١٥٠) وابن قدامة في ذم التأويل (ص ٢٠) والذهبي في الأربعين (ص ١١٣) وذكره في العلو (ص ١٢٧) .

(١) هذا تعريض بالمثبتين لصفات الباري - رحمهم الله تعالى - [السالكين] مذهب الصدق والحق ، واتهامهم بما ليس فيهم .
يكون الخطابي قد أرضى به المؤولة المعطلة ، ووافق به أعداء السلفية ، فهذا زاهد الكوثري الحاقد يقول فيما سوده من تعليقات آثمة على الأسماء والصفات للبيهقي ص (٤٤٣ - ٤٤٤) معلقا على الكلام المذكور أعلاه : (بل أفضى بهم إلى ذلك بالفعل ، منهم أبو يعلى القاضي وابن الزاغوني وابن خزيمة . . وكلمة ابن خزيمة في التوحيد (باب إثبات الرّجل لله عز وجل) وإن رغمت أنوف المعطلة الجهمية ، مما يقضي بمحو اسمه من ديوان العلماء . . . ولابن خزيمة كلام في الوجه والمماثلة لا يدع له وجها يواجه به أهل العلم ، ومثله لا يلتفت إليه في باب الاعتقاد) .

(٢) إن أعظم بلاء وشر مصاب حل بالمسلمين ودخل عليهم فأفسد هم وعقيدتهم هو باب التأويل الذي فتحه عليهم أهل الأهواء والبدع وأرباب الزندقة والضلال ، وتمام العصمة والنجاة فيما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والأئمة المتبوعين .

فذكر القدم هاهنا يحتمل أن يكون المراد به من قدمهم الله تعالى للنار من أهلها ، فيقع بهم استيفاء عدد أهل النار ، وكل شيء قدمته فهو قدم ، كما قيل لما هدمته : هدم ، ولما قبضته : قبض ، ومن هذا قوله : ﴿ أن لهم قدم صدق عند ربهم ﴾[1] أي : ما قدموه من الأعمال الصالحة .

وقد روى معنى هذا عن الحسن[2] ، ويؤيده قوله في الحديث : ((وأما الجنة : فإن الله ينشئ لها خلقا)) ، فاتفق المعنيان في أن كل واحدة من الجنة والنار تمد بزيادة عدد يستوفى بها عدة أهلها ، فتمتلئ عند ذاك .

وقد تأول بعضهم الرجل على نحو من هذا ، قال : والمراد به استيفاء عدد الجماعة الذين استوجبوا دخول النار ، قال : والعرب تسمي جماعة الجراد رجلا ، كما سموا جماعة الظباء سربا ، وجماعة النعام خَيطا ، وجماعة الحمير عَانة ، قال : وهذا وإن كان اسما خاصا لجماعة الجراد فقد يستعار في جماعة الناس على سبيل التشبيه ، والكلام المستعار والمنقول من موضعه كثير ، والأمر فيه عند أهل اللغة مشهور[3] .

قلت : وفيه وجه آخر ، وهو أن هذه الأسماء أمثال يراد بها إثبات معان لا حظ لظاهر الأسماء فيها من طريق الحقيقة ، وإنما أريد بوضع الرجل عليها نوع من

---

(١) سورة يونس بعض آية (٢) .

(٢) هو الحسن البصري ـ رحمه الله ـ .

(٣) انظر تأويلات المبطلين المتكلفين لهذه الصفة ـ وهي كالعادة أقوال مضطربة متضاربة ـ في الكتب الآتية :
رد الإمام الدارمي على بشر المريسي (ص ٦٦) ومشكل الحديث (ص ٤٤-٤٥ و ١٩٠ - ١٩١ و ٢٣١) وأصول الدين (ص ٧٦) والفصل (٢/ ٣٥٠) وإبطال التأويلات (١/ ١٩٧) وما بعدها والشامل في أصول الدين (ص ٥٦٢ - ٥٦٤) والإرشاد (ص ١٥٢) وأساس التقديس
=====

الزجر لها والتسكين من غربها [1] ، كما يقول القائل للشيء يريد محوه وإبطاله جعلته تحت رجلي ووضعته تحت قدمي [2] ، وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فقال : ((ألا إن كل دم ومأثرة في الجاهلية فهو تحت قدمي هاتين ، إلا سقاية الحاج وسدانة البيت)) [3] ، يريد محو تلك المآثر وإبطالها وما أكثر ما تضرب العرب الأمثال في كلامها بأسماء الأعضاء ، وهي لا تريد أعيانها ، كقولهم في الرّجل يسبق منه القول أو الفعل ثم يندم عليه : قد سقط في يده أي ندم ، وكقولهم : رغم أنف فلان ، إذا ذل ، وعلا كعبه : إذا جل ، وجعلت كلام فلان دبر أذني ، وجعلتَ يا هذا حاجتي بظهر ، ونحوها من ألفاظهم

(=) (ص ١٤١ - ١٤٣) وغاية المرام (ص ١٤١) وتذكرة القرطبي (ص ٤٩٨) وفتح الباري (٨/٥٩٦) .

(١) الغرب - بسكون الراء - : الحدة ، والمراد - كما زعموا - أنه تعالى يسكنها ويكسر سورتها كما يضع الرجل قدمه على الشيء المضطرب فيسكنه كذا قال الزمخشري في الأساس (٢/٢٣٥) وانظر له تأويلا آخر في فائقه (٣/١٦٥) .

(٢) قال زاهد الكوثري الحاقد معلقا على هذا التأويل " الجديد " من الخطابي : (وهذا التأويل هو الأقعد والأنسب ، حيث لا يرد عليه شيء مما أورد على سائر التأويلات . . .) الأسماء والصفات للبيهقي (ص ٤٤٥) هامش (١) .

(٣) هو قطعة من خطبة النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة المكرمة - حرسها الله - وجاء في بعض الروايات أن ذلك قيل أيضا في خطبة حجة الوداع .

أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الديات باب ١٩ ح ٤٥٤٧ ، (٤/٦٨٢ - ٦٨٣) وباب ٢٦ ح ٤٥٨٨ (٤/٧١١ - ٧١٢)

وابن ماجه في سننه كتاب الديات ، باب ٥ ح ٢٦٢٨ (٢/٨٧٨)

وأحمد في مسنده (٢/١١ و ٣٦ و ١٠٣) و (٥/٧٢ - ٧٣) .

الدائرة في كلامهم ، وكقول امرىء القيس[١] في وصف طول الليل :

فقلت له لما تمطى بجوزه[٢] . . وأردف أعجازا وناء بكلكل[٣]

وليس هناك صلب ولا عجز ولا كلكل ، وإنما هي أمثال ضربها لما أراد من بيان طول الليل واستقصاء الوصف له ، فقطع الليل تقطيع ذى أعضاء من الحيوان قد تمطى عند إقباله ، وامتد بعد بدوام ركوده وطول ساعاته .

وقد تستعمل الرِّجل أيضا في القصد للشيء والطلب له على سبيل جد وإلحاح .

يقال : قام فلان في هذا الأمر على رجل وقام على ساق : إذا جد في الطلب وبالغ في السعي ، وهذا باب كثير التصرف ومخرج الحديث على ما تراه من الوقف والتعليق .

فإن قيل : إن هذه الصفات مذكورة في كتاب الله عز وجل بأسمائها وهي صفات مدح ، والأصل أن كل صفة جاء بها الكتاب أو صحت بأخبار التواتر أو رويت من طريق الآحاد ، وكان لها أصل في الكتاب أو خرجت على بعض معانيه ، فإنا نقول بها ونجريها على ظاهرها من غير تكييف .

---

(١) هو أبو وهب امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو الكندى ، وكان يقال له الملك الضليل ، أحد فحول شعراء الجاهلية ورأس الطبقة الأولى وصاحب المعلقة المشهورة ، مات سنة ٨٠ قبل الهجرة .
شرح القصائد السبع (ص ٣) وما بعدها والمعلقات العشر وأخبار شعرائها (ص ٢) وما بعدها ، والعصر الجاهلي (ص ٢٣٢) ومابعدها .

(٢) بجوزه : يعني بوسطه . ويروى : (بصلبه) .

(٣) البيت من معلقته المشهورة والتي مطلعها :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل . . بسقط اللوى بين الدخول وحومل .
ديوانه (ص ١٨) .

وما لم يكن له منها في الكتاب ذكر ولا في التواتر أصل ولا له بمعاني الكتاب تعلق ، وكان مجيئه من طريق الآحاد [1] وأفضى بنا القول إذا أجريناه على ظاهره إلى التشبيه ، فإنا نتأوله على معنى يحتمله الكلام ، ويزول معه معنى التشبيه ، وهذا هو الفرق بين ما جاء من ذكر القدم والرّجل والساق ، وبين اليد والوجه والعين ، وبالله العصمة ، ونسأله التوفيق بصواب القول ، ونعوذ به من الخطأ فيه ، إنه رءوف رحيم) اهـ.[2]

هكذا رأينا الشيخ الخطابي - رحمه الله تعالى - قد أجهد نفسه في جمع ما استطاع جمعه وحشده لتأييد ما ذهب إليه وارتضاه من عدم القول بإثبات هذه الصفة ، وصرفها عن ظاهر مدلولها ، - مع وضوح نصوصها وجلاء دلالتها - وافق بذلك وإن لم يشعر - تأويلات الغالين وانتحالات المبطلين من معتزلة وأشاعرة[3] ، وكان يسعه ما وسع سلفه من الأئمة الماضين المرضيين ، أعلام الأمة وخيارها - وهو الداعي لاتباعهم وقفو آثارهم ، مع ما أُوتي من سعة علم وعلو مكانة - ، فبأي كتاب أم بأي سنة حُمّلت هذه الصفة ما حُمّلت ؟ ، مع أن المتكلم بها صلوات الله وسلامه عليه - أفصح الناس نطقا وأبينهم حديثا ، وأوضحهم كلاما وأصدقهم قيلا ولو كانت تحتمل شيئا مما ذُكر لأبانه وأوضحه إذ هو في مقام التعليم والبيان والإرشاد ، وحاشاه أن يكتم أمته شيئاً مما يصلحها ويزكيها وشأنها في أمر عبادتها وعقيدتها ، أو يتركها تتخبط في معنى قوله ومقصد كلامه ومراده ، حتى تجد له - من عندها - تفسيرات وتوجيهات ، وهو الحريص على نصحها وهدايتها وقربها

---

(١) انظر الرد على هذا فيما مضى (ص١٧٩-١٨٠) .

(٢) أعلام الحديث (٣ / ١٩٠٥ - ١٩١١) .

(٣) انظر : المعتمد في أصول الدين (ص ٥٤) ومصادر أقوالهم فيما مضى (ص٣٠٥-٣٠٦) هامش (٣)

إلى خالقها. وبمقتضى هذه النصوص الظاهرة الجلية آمن السلف بإثبات هذه الصفة لله تبارك وتعالى واعتقدوا ذلك ، وهذه جملة من أقوالهم مشفوعة بالرد على من خالفهم . وبالله التوفيق .

** **

**

قال القاضي أبو يعلى : (وقد نص أحمد على ذلك في رواية المروذى[(١)] وقد سأله عن الأحاديث : (يضع قدمه) وغيرها ، قال : نمرها كما جاءت)[(٢)].

قال : (وقال ابن منصور[(٣)] : قلت لأبي عبد الله : ((اشتكت النار إلى ربها حتى يضع قدمه فيها)) فقال أحمد : صحيح)[(٤)] .

قال : (وقال أبو بكر الأثرم[(٥)] : قلت لأبي عبد الله : حدّث محدّث وأنا عنده بحديث : ((يضع الرب عز وجل قدمه)) وعنده غلام ، فأقبل على الغلام فقال :

---

(١) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج بن عبد العزيز ، الفقيه المحدث ، من أصحاب الإمام أحمد المقربين إليه والمقدم عنده لورعه وفضله ، ولد حدود سنة ٢٠٠ ومات ببغداد سنة ٢٧٥ .

طبقات الحنابلة (١/٥٦ - ٦٣) والمقصد الأرشد (١/١٥٦-١٥٨) والمنهج الأحمد (١/٢٥٢ - ٢٥٤) .

(٢) إبطال التأويلات (١/١٩٥ - ١٩٦) .

(٣) هو أبو يعقوب إسحاق بن منصور بن بهرام الكوسج المروزى ، الإمام الفقيه الحافظ وصاحب المسائل عن الإمام أحمد ، مات سنة ٢٥١ .

طبقات الحنابلة (١/١١٣ - ١١٥) والمقصد الأرشد (١/٢٥٢-٢٥٣) والمنهج الأحمد (١/١٩١ - ١٩٢) .

(٤) إبطال التأويلات (١/١٩٦) .

(٥) هو أحمد بن محمد بن هانئ الإسكافي الطائي ، الإمام حافظ علامة ، سمع الإمام أحمد ونقل عنه مسائل كثيرة ، مات بعد سنة ٢٦٠ .

طبقات الحنابلة (١/٦٦ - ٧٤) والمقصد الأرشد (١/١٦١-١٦٢) والمنهج الأحمد (١/٢١٨ - ٢٢٠) .

نعم إن لهذا تفسيرا ، فقال أبو عبد الله : انظر إليه كما تقول الجهمية سواء)[١].

قال : (وقال في رواية حنبل : قال النبي -صلى الله عليه وسلم- : ((يضع قدمه)) نؤمن به ولا نرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم)[٢].

قال : (فقد نص على الأخذ بظاهر ذلك ، لأنه ليس في حمله على ظاهره ما يحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه ، لأنا لا نثبت قدما جارحة ولا أبعاضا ، بل نثبت ذلك قدما صفة كما أثبتنا يدين ووجها وسمعًا وبصراً وذاتا ، وجميع ذلك صفات ، وكذلك القدم والرِّجل ، ولأنا لا نصفه بالانتقال والمماسة لجهنم بل نطلق ذلك كما أطلقنا الاستواء على العرش والنظر إليه في الآخرة)[٣].

وقال الإمام الترمذي[٤] : (وقد روى عن النبي -صلى الله عليه وسلم- روايات كثيرة مثل هذا ، ما يُذكر فيه أمرُ الرؤية أن الناس يرون ربهم وذكر القدم وما أشبه هذه الأشياء .

والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري ومالك بن أنس وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم أنهم رووا هذه الأشياء ، ثم قالوا : تروى

---

(١) إبطال التأويلات (١/١٩٦).
(٢) المصدر السابق (١/١٩٦).
(٣) إبطال التأويلات (١/١٩٦).
(٤) هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك ، الإمام الحافظ العلم ، أحد المشاهير ، وصاحب الجامع الصحيح (من الكتب الستة) ولد سنة ٢٠٩ ، ومات بترمذ سنة ٢٩٧ .
سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٧٠ - ٢٧٧) وتهذيب التهذيب (٩/ ٣٨٧ - ٣٨٩) والأعلام (٦/ ٣٢٢).

هذه الأحاديث ونؤمن بها ولا يقال كيف ، وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء كما جاءت ويؤمن بها ، ولا تفسر ولا تتوهم ولا يقال كيف ، وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه).[(١)]

وقال ابن خزيمة : (باب ذكر إثبات الرجل لله عز وجل) وإن رغمت أنوف المعطلة الجهمية ، الذين يكفرون بصفات خالقنا - عز وجل - التي أثبتها لنفسه في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه المصطفى -صلى الله عليه وسلم- قال الله - عز وجل - يذكر ما يدعو بعض الكفار من دون الله : ﴿ ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم ءاذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ﴾[(٢)] فأعلمنا ربنا - جل وعلا - أن من لا رجل له ولا يد ، ولا عين ، ولا سمع فهو كالأنعام بل هو أضل[(٣)] ، فالمعطلة الجهمية الذين هم شر من اليهود والنصارى والمجوس كالأنعام بل أضل)[(٤)]

وفند القاضي أبو يعلى - رحمه الله - ما ذكر من تأويلات لصفة القدم مبينا وجه

---

(١) سنن الترمذي (٤/٦٩٢) .

(٢) سورة الأعراف بعض آية (١٩٥) .

(٣) قال الشيخ محمد خليل هراس تعليقا في هذا الموضع من كتاب التوحيد (ص٩٠) : (الكلام هنا في آلهة المشركين وعيبها بأنها لا أرجل لها ولا أيدي ولا أسماع ولا أبصار ، وليس فيها تشبيهها بالأنعام ، وإنما ذلك في حق المشركين أنفسهم في قوله تعالى من نفس السورة ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم ءاذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل ﴾ .

(٤) كتاب التوحيد (١/٢٠٢) .

وانظر : المعتمد في أصول الدين (ص٥٤) .

بطلانها فقال : (فإن قيل : معنى القدم هاهنا المتقدم من المشركين يضعه في النار ، لأن العرب تقول للشيء المتقدم : قدم ... قيل هذا غلط لوجهين :

أحدهما : أن قوله ((يضع قدمه)) هاء كناية ، وهاء الكناية ترجع إلى المذكور في الخبر الله سبحانه ، وفي لفظ آخر ((الجبار))[1] .

وفي لفظ آخر : ((رب العزة))[2] فوجب أن يرجع إليه ، فأما المتقدم من الكفار فلم يتقدم ذكرهم ، فلا يجب رجوع الهاء إليهم .

والثاني : أن هذا يسقط فائدة التخصيص بالنار ، لأن المتقدم بفعل الخبر يضعه في الجنة ، فلو كان المراد بالقدم المتقدم لم يكن لتخصيصه بالنار فائدة ، فوجب حمله على ظاهره ليفيد فائدة ..)[3] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ بعد ذكره حديث : ((احتجت الجنة والنار ...))[4] : (وقد غلط في هذا الحديث المعطلة الذين أولوا ((قدمه)) بنوع من الخلق ، كما قالوا : الذين تقدم في علمه أنهم أهل النار ، حتى قالوا في قوله ((رجله)) : كما يقال : رجل من جراد ، وغلطهم من وجوه :

---

(١) أخرجه الدارقطني في الصفات (ص ٣٢ - ٣٣) وابن خزيمة في التوحيد (١/٢٠٧ - ٢٠٨ و ٢١٩ - ٢٢٠) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأيمان والنذور باب ١٢ ح ٦٦٦١ (الفتح ١١/٥٤٥) ومسلم في صحيحه ، كتاب الجنة ح ٣٧ - ٣٨ ، (٤/٢١٨٧ - ٢١٨٨) والترمذي في سننه ، كتاب تفسير القرآن ، باب ٥١ ح ٣٢٧٢ (٥/٣٩٠) وابن خزيمة في التوحيد (١/٢٢١-٢٢٢) .

(٣) إبطال التأويلات (١/١٩٨) وانظر : رد الإمام الدارمي (ص ٦٦ و ٦٩-٧٠) .

(٤) تقدم ذكره وتخريجه (ص ٢٠٣) .

فإن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال : ((حتى يضع)) ولم يقل حتى يلقى ، كما قال في قوله : ((لا يزال يلقى فيها)) .

الثاني : أن قوله : ((قدمه)) لا يفهم منه هذا ، لا حقيقة ولا مجازاً كما تدل عليه الإضافة .

الثالث : أن أولئك المؤخرين إن كانوا من أصاغر المعذبين فلا وجه لانزوائها واكتفائها بهم ، فإن ذلك إنما يكون بأمر عظيم ، وإن كانوا من أكابر المجرمين فهم في الدرك الأسفل وفي أول المعذبين لا في أواخرهم .

الرابع : أن قوله : ((فينزوي بعضها إلى بعض)) دليل على أنها تنضم على من فيها ، فتضيق بهم من غير أن يُلقى فيها شيء .

الخامس : أن قوله : ((لا يزال يلقي فيها وتقول : هل من مزيد ؟ حتى يضع فيها قدمه)) جعل الوضع الغاية التي إليها ينتهي الالقاء ، ويكون عندها الانزواء ، فيقتضي ذلك أن تكون الغاية أعظم مما قبلها .

وليس في قول المعطلة معنى للفظ ((قدمه)) إلا وقد اشترك فيه الأول والآخر ، والأول أحق به من الآخر .

وقد يغلط في الحديث قوم آخرون ممثلة أو غيرهم ، فيتوهمون أن ((قدم الرب)) تدخل جهنم ، وقد توهم ذلك على أهل الإثبات قوم من المعطلة حتى قالوا : كيف يدخل بعض الرب النار ، والله تعالى يقول : ﴿ لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها ﴾ (1) .

---

(١) سورة الأنبياء بعض آية (٩٩) .

وهذا جهل ممن توهمه أو نقله عن أهل السنة والحديث ، فإن الحديث ((حتى يضع رب العزة عليها - وفي رواية - فيها فينزوى بعضها إلى بعض وتقول : قط قط وعزتك)) فدل ذلك على أنها تضايقت على من كان فيها فامتلأت بهم ، كما أقسم على نفسه أنه ليملأنها من الجنة والناس أجمعين ، فكيف تمتلئ بشيء غير ذلك من خالق أو مخلوق ؟ ، وإنما المعنى أنه توضع القدم المضاف إلى الرب تعالى فتنزوى وتضيق بمن فيها ، والواحد من الخلق قد يركض متحركا من الأجسام فيسكن ، أو ساكنا فيتحرك ، ويركض جبلا فيتفجر منه ماء ، كما قال تعالى : ﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾[1] وقد يضع يده على المريض فيبرأ وعلى الغضبان فيرض)[2] - ولله المثل الأعلى - .

وبهذه النقول السلفية المبنية على ما مضى من نصوص شرعية صحيحة صريحة ، يتبين أن هذه الصفة ثابتة لله - جل وعلا - على ما يليق بجلاله وكماله ، وعظيم صفاته ونعوته ، إيمانا واعتقادا وتسليما ، مع تبرئتها وإبعادها عن ساحة التعطيل وشبح التمثيل ، ونبذ ما قيل فيها من تمحلات خاطئة وتأويلات مردودة ، لدفعها وصرفها عن حقيقة ظاهرها ومدلولها ، وبالله التوفيق .

---

(١) سورة ص آية (٤٢) .

(٢) مختصر الفتاوى المصرية (ص ٦٤٧ - ٦٤٨) .
وانظر العقيدة الواسطية مع شرحها للهراس (ص ١٧١ - ١٧٢) وشرح كتاب التوحيد للشيخ الغنيمان (١/١٥٥ - ١٦٢) .

١٠) شرحه لحديث : ((لا شخص أغير من الله)) : عن المغيرة بن شعبة[1]

قال : قال سعد بن عبادة[2] : لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح منه ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ((أتعجبون من غيرة سعد ؟ فوالله لأنا أغير منه ، والله أغير مني ، من أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا شخص أغير من الله ، ولا شخص أحب إليه العذر من الله ، من أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين ، ولا شخص أحب إليه المدحة من الله ، من أجل ذلك وعد الله الجنة) .[3]

---

(١) هو : أبو عيسى ، ويقال : أبو عبد الله ، وقيل أبو محمد ، المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي ، من كبار الصحابة وأعلامهم ، ومن أولى الشجاعة والدهاء ، ولد بالطائف ومات بالكوفة سنة ٥٠ .

الاستيعاب (٤/ ١٤٤٥ - ١٤٤٧) وأسد الغابة (٥/ ٢٤٧-٢٤٩) والإصابة (٦/ ١٩٧ - ٢٠٠) .

(٢) هو : أبو قيس ويقال أبو ثابت سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الأنصاري الخزرجي الساعدي المدني ، صحابي جليل وأحد النقباء الاثني عشر ، مات بحوران - جنوب دمشق - سنة ١٤ .

الاستيعاب (٢/ ٥٩٤ - ٥٩٩) وأسد الغابة (٢/ ٣٥٦-٣٥٨) والإصابة (٣/ ٦٥ - ٦٧) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه في مواضع منها في كتاب التوحيد باب (٢٠) قول النبي صلى الله عليه وسلم : ((لا شخص أغير من الله)) . (الفتح ١٣/ ٣٩٩) وعلق هذه اللفظة عن عبيد الله بن عمرو ، ورواه مسلم في صحيحه من غير رواية عبيد الله بن عمرو في كتاب اللعان ح ١٧ (٢/ ١١٣٦) واللفظ له وأخرجه الدارمي في سننه ، كتاب النكاح باب ٣٧ ح ٢٢٢٧ (٢/ ٢٠٠) والإمام أحمد في المسند (٤/ ٢٤٨) .

قال الخطابي : (قلت : إطلاق الشخص في صفة الله تعالى غير جائز، وذلك لأن الشخص لا يكون إلا جسما مؤلفا ، وإنما يسمى شخصا ما كان له شخوص وارتفاع ، ومثل هذا النعت منفي عن الله سبحانه ، وخليق أن لا تكون هذه اللفظة صحيحة وأن تكون تصحيفا من الراوي ، والدليل على ذلك أن أبا عوانة قد روى هذا الخبر عن عبد الملك[1] فلم يذكر هذا الحرف ، وروته أسماء بنت أبي بكر[2] عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالت : ((لا شيء أغير من الله)) هكذا رواه أبو عبد الله[3] .

---

(١) هو ابن عمير بن سويد اللخمي الكوفي ، ويقال له الفرسي ، ثقة فصيح عالم ، تغير حفظه وربما دلس ، مات سنة ١٣٦ .

الجرح والتعديل (٥/ ٣٦٠ - ٣٦١) وتهذيب التهذيب (٦/ ٤١١ - ٤١٣) وتقريب التهذيب (ص ٣٦٤ ترجمة ٤٢٠٠)

(٢) هي أم عبد الله بن الزبير ، أسماء بنت أبي بكر الصديق ، ذات النطاقين القرشية التيمية المكية ثم المدنية ، أخت أم المؤمنين عائشة لأبيها ، ماتت رضي الله عنها بمكة المكرمة سنة ٧٣ ، وهي آخر المهاجرين والمهاجرات وفاة .

الاستيعاب (٤/ ١٧٨١ - ١٧٨٣) وأسد الغابة (٧/ ٩ - ١٠) والإصابة (٧/ ٤٨٦ - ٤٨٨) .

(٣) يعني الإمام البخاري ، وهو في صحيحه ، كتاب النكاح باب ١٠٧ ، ح ٥٢٢٢ (الفتح ٩/ ٣١٩) .

وعن يحيى [١] أن أبا سلمة [٢] حدثه أن أبا هريرة حدثه أنه سمع عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله [٣] ،

فدلت رواية أسماء وأبي هريرة قوله : ((لا شيء أغير من الله)) على أن الشخص وهم وتصحيف ، والشيء والشخص في السطر الأول من الاسم سواء ، فمن لم ينعم [٤] الاستماع لم يأمن الوهم ، وليس كل الرواة يراعون لفظ الحديث حتى لا يتعدوه ، بل كثير منهم يحدث على المعنى وليس كلهم بفقيه ، وفي كلام آحاد الرواة منهم جفاء وتعجرف . . وحري أن يكون لفظ الشخص إنما جرى من الراوي على هذا السبيل إن لم يكن من قبل التصحيف ، ثم إن عبيد الله بن عمرو [٥] قد تفرد به عن عبد الملك ولم يتابع عليه ، فاعتوره الفساد من هذه الوجوه ، فدل على

---

(١) هو يحيى بن أبي كثير الطائي مولاهم ، أبو نصر اليمامي ، ثقة ثبت ، لكنه يدلس ويرسل مات سنة ١٣٢ ، وقيل قبل ذلك .
التاريخ الكبير (٨ / ٣٠١ - ٣٠٢) وتهذيب التهذيب (١١ / ٢٦٨ - ٢٧٠) وتقريب التهذيب (ص ٥٩٦ ترجمة ٦٧٣٢) .

(٢) هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني ، قيل اسمه عبد الله وقيل إسماعيل ، ثقة مكثر مات سنة ٩٤ ، وقيل سنة ١٠٤ .
سير أعلام النبلاء (٤ / ٢٨٧ - ٢٩٢) وتهذيب التهذيب (١٢ / ١١٥ - ١١٨) وتقريب التهذيب (ص ٦٤٥ ترجمة ٨١٤٢)

(٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب النكاح باب ١٠٧ ح ٥٢٢٣ (الفتح ٩ / ٣١٩) .

(٤) فيما نقله الحافظ ابن حجر عن الخطابي في الفتح (١٣ / ٤٠١) : (يمعن) بدل (ينعم) .
وأنعم النظر في الشيء : إذا أطال الفكرة فيه . اللسان : مادة (ن ع م)

(٥) هو أبو وهب عبيد الله بن عمرو بن أبي الوليد الأسدي مولاهم ، حافظ ثقة فقيه ، ربما وهم ، أخرج له الجماعة ، مات سنة ١٨٠ .
====

صحة ما قلناه ، والله أعلم) .[1]

هكذا يرد الخطابي هذه الصفة ويرى عدم جواز إطلاقها عليه سبحانه ، لكونها لا تصدق إلا على الأجسام المؤلفة ، وأنه لايستبعد الخطأ في نقلها وعدم صحة ورودها ، إذ قد ورد الخبر بروايات أخرى ليس فيها تلك اللفظة ، مما يدل - عنده - على أنها وهم وتصحيف من الراوي ، ثم هي - أيضا - مما قد تفرد به عبيد الله بن عمرو عن عبد الملك .

والحق في هذا أن أبا سليمان - رحمه الله تعالى - قد خالف السلف فيما قاله وذهب إليه وسطره . وقد تقرر أنه تعالى ليس كمثله شيء في ذاته ، وكذا في أفعاله وأسمائه وصفاته ، فكذلك الشأن هنا في إثبات هذه الصفة وجواز إطلاقها عليه سبحانه بلا محذور ، تبعا لأصل أهل السنة والجماعة في قبول كل ما ثبت في كتاب الله وما صح نقله عن رسوله عليه الصلاة والسلام من نصوص الأسماء والصفات ، والإيمان بكل ذلك على وجهه واعتقاد ما دل عليه ظاهره ، مع نفي كل ما يماثله ويضاهيه .

أما طعنه في الحديث بسبب تفرد عبيد الله بن عمرو فأجيب عنه[2] ، وأما تخطئته

(=) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣١٠ - ٣١٢) وتهذيب التهذيب (٧/ ٤٢-٤٣) وتقريب التهذيب (ص ٣٧٣) ترجمة رقم ٤٣٢٧ .

(١) أعلام الحديث (٤/ ٢٣٤٤ - ٢٣٤٦) .

(٢) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/ ٤٠٠) : (يعني أن عبيد الله ابن عمرو روى الحديث المذكور عن عبد الملك بالسند المذكور أولا فقال : ((لا شخص)) بدل قوله ((لا أحد)) وقد وصله الدارمي عن زكريا بن عدي عن عبيد الله بن عمرو عن عبد الملك بن عمير عن ورّاد مولى المغيرة عن المغيرة قال : ((بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن سعد بن عبادة
= = = = = =

الراوي فهو مما لم يوافقه العلماء عليه ولا ارتضوا صنيعه فيه .[1]

قال عبيد الله الفواريرى :[2] (ليس حديث أشد على الجهمية من هذا الحديث)[3]

(=) يقول) فذكره بطوله ، وساقه أبو عوانة يعقوب الاسفراييني في صحيحه عن محمد بن عيسى العطار عن زكريا بتمامه ، وقال في المواضع الثلاثة ((لا شخص)) . قال الاسماعيلي بعد أن أخرجه من طريق عبيد الله ابن عمر القواريرى وأبي كامل فضيل بن حسين الجحدرى ومحمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، ثلاثتهم عن أبي عوانة الوضاح البصرى بالسند الذى أخرجه البخارى ، لكن قال في المواضع الثلاثة ((لا شخص)) بدل ((لا أحد)) ، ثم ساقه من طريق زائدة بن قدامة عن عبد الملك كذلك ،فكأن هذه اللفظة لم تقع في رواية البخارى في حديث أبي عوانة عن عبد الملك ، فلذلك علقها عن عبيد الله بن عمرو ، قلت : وقد أخرجه مسلم عن القواريرى وأبي كامل كذلك ومن طريق زائدة أيضا) .

(١) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٤٠١/١٣) : (وأما الخطابي فبنى على أن هذا التركيب يقتضي إثبات هذا الوصف لله تعالى ، فبالغ في الانكار وتخطئة الراوي . . وطعن الخطابي ومن تبعه في السند مبني على تفرد عبيد الله بن عمرو به ، وليس كذلك كما تقدم ، وكلامه ظاهر في أنه لم يراجع صحيح مسلم ولا غيره من الكتب التي وقع فيها هذا اللفظ من غير رواية عبيد الله بن عمرو ، ورد الروايات الصحيحة والطعن في أئمة الحديث الضابطين مع إمكان توجيه ما رووا من الأمور التي أقدم عليها كثير من غير أهل الحديث ، وهو يقتضي قصور فهم من فعل ذلك منهم ، ومن ثم قال الكرماني : لا حاجة لتخطئة الرواة الثقاة ،بل حكم هذا حكم سائر المتشابهات إما التفويض وإما التأويل)؟ كذا قال .

(٢) هو أبو سعيد عبيد الله بن عمر بن ميسرة الجشمي مولاهم البصري نزيل بغداد ، إمام حافظ ثقة ثبت ، مات سنة ٢٣٥ .
سير أعلام النبلاء (٤٤٢/١١ - ٤٤٦) وتهذيب التهذيب (٤٠/٧ - ٤١) وتقريب التهذيب (ص ٣٧٣ ترجمة ٤٣٢٥) .

(٣) ذكره عنه عبد الله بن الإمام أحمد في المسند (٢٤٨/٤) ونقله عنه أبو يعلى في إبطال التأويلات (١٦٧/١) .

وقال القاضي أبو يعلى : (وأما لفظ الشخص فرأيت بعض أصحاب الحديث يذهب إلى جواز إطلاقه ، ووجهه أن قوله ((شخص)) نفي من إثبات ، وذلك يقتضي الجنس كقولك لا رجل أكرم من زيد ، يقتضي أن زيدا يقع عليه اسم رجل ، كذلك قوله ((لا شخص أغير من الله)) يقتضي أنه سبحانه يقع عليه هذا الاسم) .[١]

وقال فضيلة شيخنا عبد الله الغنيمان - حفظه الله - : (وإذا صح الحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجب العمل به والقول بموجبه ، سواء كان في مسائل الاعتقاد أو في العمليات ، وقد صح عنه - صلى الله عليه وسلم - إطلاق هذا الإسم - أعني الشخص - على الله تعالى ، فيجب اتباعه في ذلك على من يؤمن بأنه رسول الله ، وهو - صلى الله عليه وسلم - أعلم بربه وبما يجب له وما يمتنع عليه تعالى من غيره من سائر البشر) .[٢]

---

(١)   إبطال التأويلات (١٦٦/١) .

(٢)   شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٣٣٩/١) .

(ب) -((الصفات الفعليـــة))-

١- صفة الاســتواء :

قال الخطابي - رحمه الله - : (القول في أن الله تعالى مستو علـــى العـــرش) .

(هذه المسألة سبيلها التوقيف المحض ، ولا يصل إليها الدليل من غير هـــذا الوجه ، وقد نطق به الكتاب في غير آية ، وورد ت به الأخبار الصحيحة ، فقبولـــه من جهة التوقيف واجب ، والبحث عنه وطلب الكيفية غير جائز ، وقد قال مالـك : (الاستواء معلوم ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة)[1]

---

(١) قد اشتهرت هذه المقولة عن الإمام مالك رحمه الله تعالى وإن كانـــت محفوظة عن غيره أيضا - وقد غدت قاعدة محكمة تنطبق على جميع نصـــوص الصفات ، فقد أخرجها عنه - مع اختلاف يسير في بعض ألفاظها - :
الدارمي في الرد على الجهمية (ص ٢٨٠) واللالكائي في شـــرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣٩٨/٣) وأبو نعيم في الحلبـــة (٣٢٥/٦ - ٣٢٦) والصابوني في عقيدة السلف (ص ١٧ ، ١٨ ، ١٩) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٥١٥ و ٥١٦) وابن عبد البر فـــي التمهيد (١٣٨/٧) والذهبي في السير (١٠٠/٨ - ١٠١) كمـــا أوردها قوام السنة الأصبهاني في الحجة (٢٥٧/٢) وابن قدامة فـــي إثبات صفة العلو (ص ١٧٢) وابن تيمية في الحموية (ص ٢٤) وفـــي التدمرية (ص ٤٣ و ٩٨) وفي شرح حديث النزول (ص ٣٢) والذهبـــي في العلو (ص ١٠٣ - ١٠٤) وهي في مختصره (ص ١٤١) وفي الأربعين (ص ٨٠) وابن القيم في الاجتماع (ص ١٤١) وفي مختصر الصواعـــق (٤٠٠/٢) وابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاويـــة (٩٦/١ و ٣٧٢/٢ - ٣٧٣) وابن حجر في الفتح (٤٠٦/١٣ - ٤٠٧) وجوّد إسنادها .

فمن التوقيف الذى جاء به الكتاب قوله تعالى : ﴿ الرحمٰن على العرش استوى ﴾[١]

وقال : ﴿ ثم استوى على العرش ﴾[٢] .

وقال : ﴿ رفيع الدرجٰت ذو العرش ﴾[٣] وقال : ﴿ ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور ، أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا ﴾[٤]

وقال : ﴿ تعرج الملئكة والروح إليه ﴾[٥] وقال : ﴿ بل رفعه الله إليه ﴾[٦]

وقال : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾[٧] وقال حكاية عن فرعون أنه قال :

﴿ يٰهٰمن ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسبٰب أسبٰب السموٰت فأطلع إلى إلٰه موسى ﴾[٨] .

فوقع قصد الكافر إلى الجهة التي أخبره موسى عنها ، ولذلك لم يطلبه في طول

---

(١) سورة طه آية (٥) .

(٢) ورد هذا النص القرآني الكريم بهذا اللفظ في ستة مواضع من كتاب الله العزيز ، وذلك في سورة الأعراف الآية (٥٤) وفي سورة يونس الآية (٣) وفي سورة الرعد الآية (٢) وفي سورة الفرقان الآية (٥٩) وفي سورة السجدة الآية (٤) وفي سورة الحديد الآية (٤) .

(٣) سورة غافر بعض آية (١٥) .

(٤) سورة الملك آية (١٦) وبعض آية (١٧) .

(٥) سورة المعارج بعض آية (٤) .

(٦) سورة النساء بعض آية (١٥٨) .

(٧) سورة فاطر بعض آية (١٠) .

(٨) سورة غافر بعض آية (٣٦) و (٣٧) .

هاهنا بمعنى الاستيلاء لكان الكلام عديم الفائدة ،لأن الله تعالى قد أحاط علمه وقدرته بكل شيء وكل قطر وبقعة من السموات والأرضين تحت العرش ، فما معنى تخصيصه العرش بالذكر ؟ ثم إن الاستيلاء يتحقق معناه عند المنع من

ـ كذا قال ـ

(=) أنه شعر عربي ، وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه وقالوا : إنه بيت مصنوع لا يعرف في اللغة ، وقد علم أنه لو احتج بحديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم لاحتاج إلى صحته ، فكيف ببيت من الشعر لا يعرف إسناده ؟ وقد طعن فيه أئمة اللغة . . .) .

وقال ابن القيم في الصواعق (٢/٦٧٥) : (فهذا شعر مولد حدث بعد كتاب الله ، ولم يكن معروفا قبل نزول القرآن ولا في عصر من أنزل عليه القرآن ، ولم يكن من لغة من نزل القرآن عليه . .)
وانظر مختصره (٢/٣٨٨) ففيه إبطاله من وجوه أخر .

وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٨/٧) : (والجهمية تستدل على الاستواء على العرش بأنه الاستيلاء ببيت الأخطل ـ وذكره ـ وليس فيه دليل ، فإن هذا الاستدلال باطل من وجوه كثيرة ، وقد كان الأخطل نصرانيا) وقال أيضا ـ في المصدر نفسه ـ (٧/٢٧٣) :
(وهذا البيت تستدل به الجهمية على أن الاستواء على العرش بمعنى الاستيلاء وهذا من تحريف الكلم عن مواضعه ، وليس في بيت هذا النصراني حجة ولا دليل على ذلك ، ولا أراد الله ـ عز وجل ـ باستوائه على عرشه استيلاءه عليه ، تعالى الله عن قول الجهمية علوا كبيرا ، فإنه إنما يقال استوى على الشيء إذا كان ذلك الشيء عاصيا عليه قبل استيلائه عليه ، كاستيلاء بشر على العراق واستيلاء عبد الملك على المدينة بعد عصيانها عليه ، وعرش الرب لم يكن ممتنعا عليه نَفَسا واحدا حتى يقال استولى عليه ، أو معنى الاستواء الاستيلاء ، ولا تجد أضعف من حجج الجهمية ، حتى أداهم الافلاس من الحجج إلى بيت هذا النصراني المقبوح وليس فيه حجة ، والله أعلم) .

الشيء ، فإذا وقع الظفر به قبل استولى عليه ، فأي منع كان هناك حتى يوصف بالاستيلاء بعده ؟) .[1] [2]

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٣٨١) نقلا عن (شعار الدين) للخطابي

(٢) أخرج ابن عرفة في كتابه الرد على الجهمية - كما في اجتماع الجيوش (٢/ ٢٦٥) وعنه اللالكائي بسنده في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٣٩٩) قال : (أخبرنا محمد بن جعفر النحوي إجازة ، ثنا أبو عبد الله نفطويه قال : حدثني أبو سليمان داود بن علي قال : كنا عند ابن الأعرابي فأتاه رجل فقال له : ما معنى قول الله عز وجل ﴿ الرحمٰن على العرش استوى ﴾ ؟ فقال : هو على عرشه كما أخبر عز وجل ، فقال : يا أبا عبد الله ليس هذا معناه ، إنما معناه : استولى فقال : اسكت ما أنت وهذا ، لا يقال استولى على الشيء إلا أن يكون له مضاد ، فإذا غلب أحدهما قيل استولى ، أما سمعت قول النابغة :

إلا لمثلك أو من أنت سابقه . . سبق الجواد إذا استولى على الأمد

(ديوانه ص ١٤) .

وأخرجه - أيضا - أبو إسماعيل الهروي في كتاب الفاروق ، نقله عنه الحافظ في الفتح (١٣/ ٤٠٦) وأورده عنه البيهقي في الأسماء والصفات (ص : ٥٢٣) وأبو يعلى في إبطال التأويلات - مخطوط - (ص ٢٩٥) والخطيب في تاريخ بغداد (٥/ ٢٨٤) وابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص ١٧٤) والذهبي في الأربعين (ص ٧٩) .

ولقد أبطل العلماء ودحضوا تفسير الاستواء بمعنى الاستيلاء من وجوه عدة : منهم ابن تيمية في المجموع (٥/ ١٤٤ - ١٤٩) إذ ذكر في ذلك اثنا عشر وجها ، ونسب إليه ابن القيم (في النونية (١/ ٢٠٧) بشرح الهراس أن له تصنيفا في المسألة وأنه أبطل ذلك التفسير الخاطئ من عشرين وجها ، وابن القيم - نفسه - أبطله من اثنين وأربعين وجها - كما

= = = =

مما سبق عرضه من كلام أبي سليمان يتضح جليا موافقته التامة الصريحة لمعتقد أهل السنة والجماعة في إثبات صفة الاستواء لله تعالى- وهذا ظاهر فيما ساقه من نصوص نقلية وعقلية دلالة على هذا المراد ، والملاحظ أن تلك النصوص تضمنت - أيضا - إثبات صفة العلو له جل وعلا ، إذ أن استواءه سبحانه الوارد بالنص القرآني جاء مقيدا بعلى ، وهذا يدل على معنى العلو والارتفاع والاعتدال ونحو ذلك ، ولا يحتمل أي معنى آخر ألبتة ، إلا عند إطلاقه أو تقييده بغير هذا الحرف .

قال العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي : (استوى ترد في القرآن على ثلاثة معاني : فتارة لا تعدى بالحرف ، فيكون معناها : الكمال والتمام، كما في قوله عن موسى : ﴿ ولما بلغ أشده واستوى ﴾[1] .

وتارة تكون بمعنى : علا وارتفع ، وذلك إذا عديت بـ " على " كقوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾[2] ﴿ لتستووا على ظهوره ﴾[3] .

وتارة تكون بمعنى ((قصد)) كما إذا عديت بـ ((إلى)) كما في قوله تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ﴾[4] أي : لما خلق تعالى الأرض قصد إلى خلق السموات فسواهن سبع سموات ، فخلقها وأحكمها وأتقنها)[5].

(=) في مختصر الصواعق (٢/ ٣٨٠ - ٤٠١) فأفاد فيه وأجاد .
ونقل ابن تيمية في المجموع (٥/ ١٤٦) (عن أبي المظفر في كتابه الإفصاح قال سُئل الخليل هل وجدت في اللغة استوى بمعنى استولى ؟ فقال : هذا مالا تعرفه العرب ولا هو جائز في لغتها ، وهو إمام في اللغة على ما عرف من حاله ، فحينئذ حمله على مالا يعرف حمل باطل) .
وانظر ما كتب وألف عن هذا الموضوع النفيس فيما سأسرده قريبا - إن شاء الله - .

(١) سورة القصص بعض آية (١٤) .
(٢) سورة طه آية (٥) .
(٣) سورة الزخرف بعض آية (١٣) .
(٤) سورة البقرة بعض آية (٢٩) .
(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٤٩) .

وهذه الصفة الجليلة - أعني صفة الاستواء - وكذا صفة العلو - والتي أجمع على إثباتها جميعاً سلف الأمة وخلفها الصالح من أهل السنة والجماعة - دلت عليهما نصوص كثيرة جدا قرآنية وحديثية يطول ذكرها وبسطها .

كما استفاضت بذلك - أيضا - الأخبار عن جمع من الصحابة - رضوان الله عليهم - وكذا تواترت أقوال الكثيرين من التابعين ومن جاء بعدهم من الأئمة الأعلام - رحمهم الله جميعهم - على القول بذلك والتصريح باعتقاده. ولعظم هاتين الصفتين وكبير شأنهما - وصفاته تعالى كلها عظيمة - اهتم العلماء بجمع ما ورد فيهما من نصوص وتقييد ما جاء فيهما من أخبار وأقوال بالأسانيد المتصلة الصحيحة إلى قائليها من خلال مؤلفات حميدة حسنة أو بإفراد ذلك بالتصنيف والتأليف وكتابة الأجزاء - كما فعله بعضهم - مع ردهم المحكم على أهل الشبه والضلال والبدع معطلة الصفات ونفاتها ، ودحض أقوالهم وتفنيد آرائهم وإبطال مزاعمهم بما تقر به عيون الموحدين وتفرح به قلوب المؤمنين - ولله الحمد والمنة -[1]

---

(١) للاطلاع على ما ذكرت من جمع ما ورد من نصوص وأقوال السلف في صفتي الاستواء والعلو والرد على المخالف في ذلك .

انظر الكتب التالية - مع تفاوتها في الاستيعاب والاختصار - : تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص ٣٢٧ - ٣٣٠) والرد على الجهمية للدارمي - ضمن عقائد السلف - (ص ٢٦٣ - ٢٨٢) وكذا رده على بشر المريسي (ص ٢٣ - ٢٥) وكتاب العرش وما روى فيه لابن أبي شيبة ، وكتاب التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٣١ - ٣٢٧) والإبانة لأبي الحسن الأشعري (ص ١١٩ - ١٢٧) ، وشرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٣/ ٣٨٧ - ٤٠٢) ، وإثبات الاستواء والفوقية للجويني (الوالد) - ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (١/ ١٧٤ - ١٨٧) ،

======

وقد أشار الخطابي إلى يسير من ذلك فيما نقل عنه آنفا ، ولعله أطال فيه في بعض كتبه التي لم تصل إلينا .[1]

(=) وعقيدة السلف للصابوني (ص ١٥ - ٢٦) وإبطال التأويلات للقاضي أبي يعلى - مخطوط - (ص ١٢٥ - ١٣٠) و (ص ٢٩٤ وما بعدها) والمعتمد في أصول الدين - له أيضا - (ص ٥٤ - ٥٥) والتمهيد لابن عبد البر (١٢٨/٧ وما بعدها) ، وإثبات صفة العلو لابن قدامة ، والنصيحة في صفات الرب جل وعلا للشيخ أحمد بن إبراهيم الواسطي والعقيدة الواسطية لابن تيمية مع شرحها للهراس (ص ١٣٧ - ١٤٥) و (ص ١٧٤ - ١٧٧) ، ومجموع الفتاوى (١٣٦/٥ - ١٥٢) ، والعلو للذهبي ، وكتاب الأربعين في صفات رب العالمين - له أيضا - (ص : ٧٨ - ٩٨) - ضمن ست رسائل للذهبي - واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (ص ٥٢ إلى آخر الكتاب) ، ومختصر الصواعق (٣٧٩/٢ - ٤٠١) ، والقصيدة النونية مع شرحها للهراس (١٩٤/١ وما بعدها) وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٣٨١/٢ - ٣٩٤) ولوامع الأنوار البهية للسفاريني (١٩٠/١ وما بعدها) ، وإثبات علو الله على خلقه والرد على المخالفين لأسامة بن توفيق القصاص ، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري لشيخنا عبد الله بن محمد الغنيمان (٣٤٩/١ - ٣٧٠) وإثبات علو الله ومباينته لخلقه للشيخ حمود بن عبد الله التويجري ، وعلو الله على خلقه للدكتور موسى بن سليمان الدويش ، والرحمن على العرش استوى بين التنزيه والتشويه للدكتور عوض منصور .

ومما ألف - أيضا - استقلالا : إثبات العلو للحافظ أبي منصور عبد الله ابن محمد بن الوليد (ت ٦٤٣) ذكره ابن القيم في اجتماع الجيوش (ص ١٨٥) ونقل عنه . ورسالة الايماء إلى مسألة الاستواء للإمام أبي بكر محمد بن الحسن الحضرمي القيرواني (ت ؟) ذكره الذهبي في العلو (ص ١٩٠) وكذا ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ١٩٠) ونقلا عنه .

(١) وخاصة منها كتاب (شعار الدين) الذي حفظ شيخ الإسلام ابن تيمية ===

٢) صفة النزول والمجيء والإتيان :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

((ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له))[1] .

(=) وابن القيم - رحمهما الله تعالى - نقولا منه والنص السالف عن الخطابي منه .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التهجد باب ١٤ ح ١١٤٥ (الفتح ٢٩/٣) وفي كتاب الدعوات باب ١٤ ح ٦٣٢١ (الفتح ١١/ ١٢٨-١٢٩) وفي كتاب التوحيد باب ٣٥ ح ٧٤٩٤ (الفتح ١٣/ ٤٦٤)

ومسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين باب ٢٤ ح ١٦٨ وما بعده (١/ ٥٢١ - ٥٢٢) .

وأبو داود في سننه ، كتاب الصلاة باب ٣١١ ح ١٣١٥ (١/ ٧٦ - ٧٧) وفي كتاب السنة باب ٢١ ح ٤٧٣٣) (٥/ ١٠٠ - ١٠٣) .

والترمذي في سننه ، كتاب الصلاة باب ٣٢٩ ح ٤٤٦ (٢/ ٣٠٧ - ٣٠٨)

وابن ماجه في سننه ، كتاب إقامة الصلاة باب ١٨٢ ح ١٣٦٦ (١/ ٤٣٥)

ومالك في موطئه ، كتاب القرآن باب ٨ ح ٣٠ (١/ ٢١٤) .

وأحمد في مسنده (بشرح وتعليق أحمد شاكر) ح ٢٥٠٠ (١٣/ ٢٥٠- ٢٥١) .

والدارمي في سننه ، كتاب الصلاة باب ١٦٨ ح ١٤٧٨ وما بعده (١/ ٤١٢ - ٤١٣) .

قال ابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٢٨) : (وهو حديث منقول من

= = = = =

قال الخطابي : (قلت : هذا الحديث وما أشبهه من الأحاديث في الصفات كان مذهب السلف فيها الإيمان بها وإجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية عنها[1].

أخبرنا الزعفراني[2] حدثنا ابن خيثمة[3] حدثنا عبد الوهاب بن نجدة

(=) طرق متواترة ووجوه كثيرة من أخبار العدول عن النبي صلى الله عليه وسلم)

وقال الذهبي في كتاب الأربعين - ضمن ست رسائل للذهبي - (ص١٠) : (وقد أفردت له جزءا ، وقد ذكرت فيه عن أكثر من عشرين صحابيا عن النبي صلى الله عليه وسلم نزول الرب - عز وجل - بطرق كثيرة إليهم .

وقال في العلو (ص ٧٣) - مشيرا إلى هذا الجزء - : (وأحاديث نزول البارى متواترة ، فقد سقت طرقها وتكلمت عليها بما أسأل عنه يوم القيامة، فلا قوة الا بالله العلي العظيم) .

قلت : وقد جمع أحاديث النزول جلة من العلماء وخرجوها عن جمع من الصحابة ، منهم ابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/٢٩٢ وما بعدها) والآجرى في الشريعة (ص ٣٠٧ - ٣١٣) والدارقطني في كتاب النزول واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/٤٣٤-٤٥٠) والصابوني في عقيدة السلف (ص ٣٠ - ٤٨) وابن القيم في مختصر الصواعق (٢/٤٦٣ - ٤٧٧) وانظر إرواء الغليل ح ٤٥٠ (٢/١٩٥-١٩٩) .

(١) وهو مذهب الحق والصواب وليس ذلك في غيره .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد بن سعيد الواسطي ، قال الخطيب (وكان ثقة) ، مات سنة ٣٣٧ ، تاريخ بغداد (٢/٢٤٠) والأنساب للسمعاني (٦/٣٠٠ - ٣٠١) .
وقد وهم محقق كتاب أعلام الحديث للخطابي (١/٦٣٧) فترجم لغيره ظنا منه أنه المقصود وليس كذلك .

(٣) هو أبو بكر أحمد بن زهير (أبي خيثمة) بن حرب بن شداد النسائي ثم البغدادى ، إمام حافظ مؤرخ أديب ثقة ولد ببغداد وبها توفي ، وقد اختلف في تاريخ كل ذلك .
تاريخ بغداد (٤/١٦٢-١٦٤) والمقصد الأرشد (١/١٠٥ - ١٠٦) .
ولسان الميزان (١/١٧٤) .

الحوطي [1] حدثنا بقية [2] عن الأوزاعي [3] قال : كان مكحول [4] والزهرى يقولان :

---

(١) هو أبو محمد عبد الوهاب بن نجدة الحوطي الجبلي ، ثقة ثبت ، مات سنة ٢٣٢ .

الجرح والتعديل (٦/ ٧٣) وكتاب الثقات (٨/ ٤١١) وتهذيب التهذيب (٦/ ٤٥٣ - ٤٥٤) .

(٢) هو أبو يحمد بقية بن الوليد بن صائد الكلاعي ثم المَيْتَمي الحمصي محدث بلاد الشام الشهير ، صدوق كثير التدليس عن الضعفاء - قاله ابن حجر - ولد سنة ١١٠ وتوفي سنة ١٩٧ .

سير أعلام النبلاء (٨/ ٥١٨ - ٥٣٤) وتهذيب التهذيب (٧/ ٤٧٣ - ٤٧٨) وتقريب التهذيب (ص ١٢٦ ترجمة ٧٣٤) .

(٣) هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي ، إمام الديار الشامية وأحد الأئمة الأعلام الثقات ، ولد في عهد الصحابة سنة ٨٨ ، وتوفي ببيروت سنة ١٥٧ وقيل غيرها .

حلية الأولياء (٦/ ١٣٥ - ١٤٩) وسير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٧- ١٣٤) وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٣٨ - ٢٤٢) .

(٤) هو أبو عبد الله مكحول بن زيد ، ويقال ابن أبي مسلم بن شاذل الهذلي ولاء ، الفقيه التابعي الثقة ، ولد بكابل ، ومات بدمشق سنة ١١٢ وقيل ١١٨ ، وقيل غير ذلك .

تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١١٣ - ١١٤) وسير أعلام النبلاء : (٥/ ١٥٥ - ١٦٠) وتهذيب التهذيب (١٠/ ٢٨٩ - ٢٩٣) .

(أمروا الأحاديث)[1]

وحدثونا عن عباس الدوري[2] قال : كان أبو عبيد يقول : نحن نروي هذه الأحاديث ولا نريغ لها المعاني[3] وقد روينا عن عبد الله بن المبارك أن رجلا قال له كيف ينزل ؟ فقال له بالفارسية : (كد خداى كارخويش كن) ينزل كما شاء .[4]

---

(١) أخرجه أبو بكر الخلال في السنة (كما في الفتوى الحموية لابن تيمية ص ٢٤) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/٤٣٠-٤٣١) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/١١٨) ، وابن قدامة في ذم التأويل (ص ١٨) .
وقد روى مثل هذا عن جماعة من السلف ، وعن بعضهم : (أمروها كما جاءت بلا كيف) (أمروها كما جاءت بلا تفسير) .
انظر : سنن الترمذي (٣/٤١-٤٢) ، والفتوى الحموية لابن تيمية (ص ٢٤) نقلا عن السنة لأبي بكر الخلال ، والشريعة للآجري (ص ٣١٤) وعقيدة السلف للصابوني (ص ٥٦) والأسماء والصفات للبيهقي (ص ٥٦٩) ، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (ص : ١١٨) وشرح السنة للبغوي (١/١٧١) .

(٢) هو أبو الفضل عباس بن محمد بن حاتم الدوري ثم البغدادي ، مولى بني هاشم ، ثقة حافظ ، كان مولده سنة ١٨٥ ووفاته سنة ٢٧١ .
تاريخ بغداد (١٢/١٤٤-١٤٦) وطبقات الحنابلة (١/٥٣٦-٥٣٩) وسير أعلام النبلاء (١٢/٥٢٢-٥٢٤) .

(٣) تقدم تخريجه (ص ٣٠٣) .

(٤) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٥٦٩) من طريق أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم العدل ، شيخ أبي عثمان الصابوني وهو - أيضا - في عقيدة السلف (ص ٢٩) لكن ليس فيه بعض الألفاظ .

وإنما ينكر هذا وما أشبهه من الحديث من يقيس الأمور في ذلك بما شاهده من النزول الذى هو تدلٍ من أعلا إلى أسفل وانتقال من فوق إلى تحت ، وهذا صفة الأجسام والأشباح فأما نزول من لا تستولي عليه صفات الأجسام فإن هذه المعاني غير متوهمة فيه ، وإنما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم ، يفعل ما يشاء ،لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على أفعاله لمية[1] سبحانه ((ليس كمثله شيء وهو السميع البصير))[2].)[3].

وقال : (وهذا من العلم الذي أُمرنا أن نؤمن بظاهره وأن لا نكشف عن باطنه، وهو من جملة المتشابه[4] الذي ذكره الله عز وجل في كتابه فقال : ((هو الذى أنزل عليك الكتـٰب منه ءايـٰت محكمـٰت هن أم الكتـٰب وأخر متشـٰبهـٰت ﴾ الآية[5] فالمحكم منه يقع به العلم الحقيقي والعمل ، والمتشابه يقع به الإيمان والعلم بالظاهر ونوكل باطنه إلى الله سبحانه ، وهو معنى قوله : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾[6] ، وإنما حظ الراسخين في العلم أن يقولوا ﴿ءامنا به كل من عند ربنا ﴾[7] وكذلك كل ما جاء من هذا الباب في القرآن كقوله ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملآئكة وقضي الأمر ﴾[8] وقوله :

---

(١) أي عدم السؤال عن أفعاله بـ" لم" وهذه اللفظة " لمية " من اصطلاحات المناطقة ، انظر : المعجم الفلسفي (٢ / ٢٩٠) .

(٢) سورة الشورى بعض آية (١١) .

(٣) أعلام الحديث (١ / ٦٣٧ - ٦٣٩) .

(٤) سيأتي الرد على ذلك وبيان القول فيه بمشيئة الله تعالى .

(٥) (٦) (٧) سورة آل عمران بعض آية (٧) .

(٨) سورة البقرة بعض آية (٢١٠) .

﴿ وجاء ربك والملك صفا صفا ﴾[(١)] ، والقول في جميع ذلك عند علماء السلف هو ما قلنا ، وقد روى مثل ذلك عن جماعة من الصحابة[(٢)] .

وقد زل بعض شيوخ أهل الحديث[(٣)] ممن يُرجع إلى معرفته بالحديث والرجال فحاد عن هذه الطريقة حين روى حديث النزول ثم أقبل يسأل نفسه عليه فقال إن قال قائل : كيف ينزل ربنا إلى السماء ؟ قيل له : ينزل كيف شاء ، فإن قال : هل يتحرك إذا نزل أم لا ؟ فقال : إن شاء تحرك وإن شاء لم يتحرك[(٤)]

---

(١) سورة الفجر آية (٢٢) .

(٢) لم ينقل قط عن واحد من الصحابة - رضوان الله عليهم - تأويل أي صفة من صفات الله تعالى أبدا ، بل آمنوا بكل ذلك على وجهه وظاهر معناه ومدلوله ووكلوا علم كيفيته للخالق جل وعلا ، وجرى على ذلك خلفهم الصالح من التابعين وتابعيهم كما هو مدون في أمهات الكتب مسطر في دواوين الإسلام ، اللهم ما كان في أمر " الساق " ولقد وجه ذلك ولله الحمد والمنة - كما سبق عرضه قبل - .
قال العلامة ابن القيم في الصواعق (١/٢٥٢) : (ولا يحفظ عن الصحابة والتابعين نزاع فيما يذكر أنه من الصفات أم لا في غير هذا الموضع) - يعني الساق - .

(٣) لم أهتد إلى من يعنيه الخطابي .

(٤) قال الإمام الدارمي في رده على بشر المريسي (ص ٢٠) : (وأما دعواك أن تفسير (القيوم) الذى لا يزول من مكانه فلا يتحرك فلا يقبل مثل هذا التفسير إلا بأثر صحيح مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن بعض أصحابه أو التابعين ، لأن الحي القيوم يفعل ما يشاء ، ويتحرك إذا شاء ، ويقبض ويبسط ويقوم ويجلس إذا شاء ، لأن أمارة ما بين الحي والميت التحرك ، كل حي متحرك لا محالة وكل ميت غير متحرك لا محالة) وانظر المصدر نفسه (ص ٥٠ ، ٥٤-٥٥)
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الدرء (٢/٧-٨) : (.. بل صرح هؤلاء - يعني حرب الكرماني وعثمان بن سعيد الدارمي وغيرهم -
======

. . . .

(=) بلفظ الحركة ، وأن ذلك هو مذهب أئمة السنة والحديث من المتقدمين والمتأخرين ، وذكر حرب الكرماني أنه قول من لقيه من أئمة السنة كأحمد ابن حنبل وإسحاق بن راهويه وعبد الله بن الزبير الحميدى وسعيد بن منصور ، وقال عثمان بن سعيد وغيره : إن الحركة من لوازم الحياة فكل حي متحرك ، وجعلوا نفي هذا من أقوال الجهمية نفاة الصفات الذين اتفق السلف والأئمة على تضليلهم وتبديعهم ، وطائفة أخرى من السلفية كنُعيم بن حماد الخزاعي والبخاري صاحب الصحيح وأبي بكر ابن خزيمة وغيرهم كأبي عمر بن عبد البر وأمثاله يثبتون المعنى الذى يثبته هؤلاء ، ويسمون ذلك فعلا ونحوه ، ومن هؤلاء من يمتنع عن إطلاق لفظ الحركة لكونه غير مأثور . .) . وقال أيضا في المصدر نفسه (٤ / ١٦٠) (الحركة الاختيارية للشئ كمال له ، كالحياة ونحوها ، فإذا قدرنا ذاتين إحداهما تتحرك باختيارها والأخرى لا تتحرك أصلا كانت الأولى أكمل) .

وانظر منه (٤ / ٢٥و٦٦) و (٦ / ٣١١ - ٣١٢) و (٧ / ١١٨)

وفي مجموع الفتاوى (٥ / ٤٠٢) : (واختلف أصحاب أحمد وغيرهم من المنتسبين إلى السنة والحديث في النزول والإتيان والمجئ وغير ذلك هل يقال إنه بحركة وانتقال أم يقال بغير حركة وانتقال ؟ أم يمسك عن الإثبات والنفي ؟ على ثلاثة أقوال : ذكرها القاضي أبو يعلى في كتاب اختلاف الروايتين والوجهين) .

فالأول : قول أبي عبد الله بن حامد وغيره .

والثاني : قول أبي الحسن التميمي وأهل بيته .

والثالث : قول أبي عبد الله بن بطة وغيره .) اهـ . ====

. . . .

(=) قلت : والذي يجب في هذا الباب وينبغي فيه الوقوف على ما نطق به الكتاب والسنة والتقيد بنصوصهما والإمساك عما لم يرد فيهما بنفي ولا إثبات كما هو معلوم من قواعد وأصول أهل السنة والجماعة . والله أعلم

قال العلامة ابن القيم - كما في مختصر الصواعق (٢/ ٤٨٥ - ٤٨٦)

(. . وأما الذين أمسكوا عن الأمرين وقالوا : لا نقول يتحرك وينتقل، ولا ننفي ذلك عنه ، فهم أسعد بالصواب والاتباع ، فإنهم نطقوا بما نطق به النص وسكتوا عما سكت عنه ، وتظهر صحة هذه الطريقة ظهورا تاما فيما إذا كانت الألفاظ التي سكت النص عنها مجملة محتملة لمعنيين : صحيح وفاسد ، كلفظ الحركة والانتقال والجسم والحيز والجهة والأعراض والحوادث والعلة والتغير والتركيب ، ونحو ذلك من الألفاظ التي تحتها حق وباطل ، فهذه لا تقبل مطلقا ولا ترد مطلقا ، فإن الله سبحانه لم يثبت لنفسه هذه المسميات ولم ينفها عنه ، فمن أثبتها مطلقا فقد أخطأ ومن نفاها مطلقا فقد أخطأ ، فإن معانيها منقسمة إلى ما يمتنع إثباته لله ، وما يجب إثباته له ، فإن الانتقال يراد به انتقال الجسم والعرض من مكان هو محتاج إليه إلى مكان آخر يحتاج إليه وهو يمتنع إثباته للرب تعالى ، وكذلك إذا أريد بها هذا المعنى امتنع إثباتها لله تعالى ، ويراد بالحركة والانتقال حركة الفاعل من كونه غير فاعل إلى كونه فاعلا ، فهذا المعنى حق في نفسه لا يعقل كون الفاعل فاعلا إلا به فنفيه عن الفاعل نفي لحقيقة الفعل وتعطيل له ، وقد يراد بالحركة والانتقال ما هو أعم من ذلك ، وهو فعل يقوم بذات الفاعل يتعلق بالمكان الذي قصد له وأراد إيقاع الفعل بنفسه فيه ، وقد دل القرآن

= = = = = =

. . . .

(=) والسنة والإجماع على أنه سبحانه يجيء يوم القيامة وينزل لفصل القضاء بين عباده ، ويأتي في ظلل من الغمام والملائكة ، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا ، وينزل عشية عرفة ، وينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة ، وينزل إلى أهل الجنة ، وهذه أفعال يفعلها بنفسه في هذه الأمكنة ، فلا يجوز نفيها عنه بنفي الحركة والنقلة المختصة بالمخلوقين ، فإنها ليست من لوازم أفعاله المختصه به ، فما كان من لوازم أفعاله لم يجز نفيه عنه وما كان من خصائص الخلق لم يجز إثباته له ، وحركة الحي من لوازم ذاته ، ولا فرق بين الحي والميت إلا بالحركة والشعور ، فكل حي متحرك بالإرادة ، وله شعور ، فنفي الحركة عنه كنفي الشعور وذلك يستلزم نفي الحياة) اهـ .

وانظر التمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٣٧) ومجموع الفتاوى (٥/ ٥٧٥- ٥٧٨) وشرح حديث النزول (ص ١٨٨ - ١٨٩) .

قلت : وهذا خطأ فاحش ، والله سبحانه لا يوصف بالحركة ، لأن الحركة والسكون يتعاقبان في محل واحد ، وإنما يجوز أن يوصف بالحركة من يجوز أن يوصف بالسكون ، وكلاهما من أعراض الحدث وأوصاف المخلوقين ، والله جل وعز متعال عنهما ليس كمثله شيء [1] . فلو جرى هذا الشيخ عفا الله عنا وعنه على طريقة السلف الصالح ولم يدخل نفسه فيما لا يعنيه لم يكن يخرج به القول إلى مثل هذا الخطأ الفاحش ، وإنما ذكرت هذا لكي يتوقى الكلام فيما كان من هذا النوع، فإنه لا يثمر خيراً ولا يفيد رشداً ، ونسأل الله العصمة من الضلال والقول بمالا يجوز من الفاسد المحال) [2] .

هكذا يذهب أبو سليمان إلى تأويل صفة نزول الرب - جل وعلا - الواردة في صحيح الأخبار عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بأن ذلك خبر عن قدرته تعالى ورأفته وعطفه واستجابة دعاء عباده ومغفرته لهم ، وهذا عينه قول المأولين المبطلين الذين

---

(١) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح حديث النزول (ص ٩٨) : (وإذا قيل : الصعود والنزول والمجيء والإتيان أنواع جنس الحركة ، قيل : والحركة أيضا أصناف مختلفة ، فليست حركة الروح كحركة البدن ، ولا حركة الملائكة كحركة البدن ، والحركة يراد بها انتقال البدن والجسم من حيز ويراد بها أمور أخرى كما يقوله كثير من الطبائعية ، والفلاسفة ، منها الحركة في الكم كحركة النمو ، والحركة في الكيف كحركة الإنسان من جهل إلى علم ، وحركة اللون أو الثياب من سواد إلى بياض ، والحركة في الأين كالحركة تكون بالأجسام النامية من النبات والحيوان في النمو والزيادة ، أو في الذبول والنقصان ، وليس هناك انتقال جسم من حيز إلى حيز) . وانظر التعليق السابق .

(٢) معالم السنن (٤/ ٣٣١ - ٣٣٢) .

زعموا أن إتيانه - سبحانه - ومجيئه ونزوله معناه نزول ملائكته أو نزول أمـــره أو إقباله على أهل الأرض بالرحمة والاستعطاف .[1]

والعجب منه - رحمه الله - أنه ينقل مذهب السلف ويصدر به كلامه ، ثم عند التفصيل والتقرير يخالفه إلى غيره ، فيتفق مع النفاة في تأويل النص وإخراجه عن ظاهـر مدلوله ، مع تصريحه بأن هذا من العلم الذي أمرنا بالإيمان بظاهره وعدم الكشف عن باطنه كما قاله بنفسه - هنا - ، وساق قبل سنده إلى مكحول والزهري قولهما : (أمروا الأحاديث) ، وإلى ما قد رواه عن عبد الله بن المبارك - وقد سئل عن كيفية النزول - فقال : (ينزل كما شاء) .

فقوله إذاً لا يتفق مع هذه الآثار الجيدة التي أوردها عن هؤلاء وغيرهم من أعلام السلف .

ثم إن قوله - رحمه الله - بأن هذا من جملة المتشابه قول لم يرتضه المحققون من أهل السنة ، وهو ما دفع المبتدعة ونفاة الصفات - المحجوبين عن نور العلم ومعرفة الحق - إلى القول بأن معاني صفاته تعالى من المتشابه الذي لا يعلمه أحد ولا يفهمه مخلوق ، لكونه - حسب زعمهم - مما استأثر الله بعلمه ، وهذا مردود لا شك في بطلانه وسقوطه ، لأن الصحابة وتابعيهم كانوا يعرفون تلك المعاني ويعلمونها حسب ما يقتضيه ظاهرها في لغتهم ومخاطباتهم ، فكان - من فضل الله - أن نزل بها الوحي ووضح بها الشرع وتم البيان[2] ولهذا كانوا يؤمنون بتلك

---

(١) انظر : مشكل الحديث (ص ٧٦ وما بعدها) والعواصم من القواصم (٢/ ٢٩٣) والدرة فيما يجب اعتقاده (ص ٢٣٢ - ٢٣٣) والارشاد (ص ١٤٩ - ١٥١) والاقتصاد في الاعتقاد (ص ٣٩) وأساس التقديس (ص ١٠١ - ١١٢) والمواقف (ص ٢٧٢ - ٢٧٣) والقلائد في تصحيح العقائد (ص ٨٤) وفتح الباري (٣/ ٣٠ - ٣١) .

(٢) قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾ ===

المدلولات ويعتقدون معانيها ولا يتوهمون فيها تشبيها أو تمثيلا، ولم ينقل منهم معارضتها أو الخوض في كيفيتها ، وهو معنى قولهم من آيات الصفات وأحاديثها : (أمروها كما جاءت) وغيره من الألفاظ المحفوظة عنهم في هذا المعنى .

ولقد أبان الجلة من أهل العلم وحملته عن حقيقة هذه المسألة ، ففصلوا القول فيها بكامل الوضوح وتمام البيان ، حتى نفي بعضهم أن يوجد في القرءان شيء لا يعلمه الراسخون في العلم .

قال ابن قتيبة : (ولسنا ممن يزعم أن المتشابه في القرآن لا يعلمه الراسخون في العلم ، وهذا غلط من متأوليه على اللغة والمعنى ، ولم ينزل الله شيئا من القرآن إلا لينفع به عباده ويدل به على معنى أراده ، فلو كان المتشابه لا يعلمه غيره للزمنا للطاعن مقال وتعلق علينا بعلة ، وهل يجوز لأحد أن يقول :إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف المتشابه ؟) .[1]

وقال ابن تيمية : (ولهذا لما ظن طائفة من المتأخرين أن لفظ (التأويل)

(=) سورة إبراهيم بعض آية (٤) .
وقال عليه الصلاة والسلام : ((لم يبعث الله عز وجل نبيا إلا بلغة قومه))
أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٥٨/٥) من حديث أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه - وانظر صحيح الجامع ح ٥١٩٧ (٩٢٢/٢)
قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥٤١/٢) : (هذا من لطفه تعالى بخلقه أنه يرسل إليهم رسلا منهم بلغاتهم ليفهموا عنه ما يريدون وما أرسلوا به إليهم) .

(١) تأويل مشكل القرآن (ص ٩٨) .

في القرآن والحديث في مثل قوله تعالى : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون ءامنا به كل من عند ربنا ﴾[1] ، أريد به هذا المعنى الاصطلاحي الخاص[2] ، واعتقدوا أن الوقف في الآية عند قوله : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ لزم من ذلك أن يعتقدوا[3] أن لهذه الآيات والأحاديث معاني تخالف مدلولها المفهوم منها ، وأن ذلك المعنى المراد بها لا يعلمه إلا الله ، لا يعلمها الملك الذي نزل بالقرآن وهو جبريل ، ولا يعلمه محمد -صلى الله عليه وسلم- ولا غيره من الأنبياء ولا تعلمه الصحابة والتابعون لهم بإحسان ، وأن محمداً -صلى الله عليه وسلم- كان يقرأ قوله تعالى : ﴿ الرحمٰن على العرش استوى ﴾[4] وقوله : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾[5] وقوله : ﴿ بل يداه مبسوطتان ﴾[6] وغير ذلك من آيات الصفات ، بل ويقول : ﴿ ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا ﴾[7] ونحو ذلك وهو لا يعرف معاني هذه الأقوال ، بل معناها الذي دلت عليه لا يعلمه إلا الله ويظنون أن هذه طريقة السلف وهؤلاء أهل التضليل والتجهيل الذين حقيقة قولهم : ان الأنبياء وأتباع الأنبياء جاهلون ضالون ، لا يعرفون ما أراد الله بما وصف به نفسه من الآيات وأقوال الأنبياء)[8] .

---

(١) سورة آل عمران بعض آية (٧) .

(٢) أي صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك .

(٣) وفعلا فقد اعتقدوا ذلك وانتصروا له ودعوا إليه .

(٤) سورة طه آية (٥) .

(٥) سورة فاطر بعض آية (١٠) .

(٦) سورة المائدة بعض آية (٦٤) .

(٧) تقدم تخريجه (ص ٣٠٢) .

(٨) درء تعارض العقل والنقل (١ / ١٤ - ١٥) .

ويقول : (وأيضا فلفظ التأويل يكون للمحكم كما يكون للمتشابه كما دل القرآن والسنة وأقوال الصحابة على ذلك ، وهم يعلمون معنى المحكم فكذلك معنى المتشابه ، وأي فضيلة في المتشابه حتى ينفرد الله بعلم معناه والمحكم أفضل منه وقد بين معناه لعباده ، فأي فضيلة في المتشابه حتى يستأثر الله بعلم معناه ، وما استأثر الله بعلمه كوقت الساعة لم ينزل به خطابا ، ولم يذكر في القرآن آية تدل على وقت الساعة ، ونحن نعلم أن الله استأثر بأشياء لم يُطلع عباده عليها ، وإنما النزاع في كلام أنزله وأخبر أنه هدى وبيان وشفاء وأمر بتدبره ، ثم يقال إن منه مالا يعرف معناه إلا الله ، ولم يبين الله ولا رسوله ذلك القدر الذي لا يعرف أحد معناه ، ولهذا صار كل من أعرض عن آيات لا يؤمن بمعناها يجعلها من المتشابه بمجرد دعواه)[1] .

إذاً فأسماؤه تعالى وصفاته ليست من المتشابه - قطعا - من جهة معرفة معناها وظاهر مدلولها ، وهذا ما فهمه السلف من صحابة وتابعين ومن جاء بعدهم من الأئمة المرضيين .

أما من جهة العلم بحقيقتها والكشف عن كيفيتها فذاك - حقاً - من المتشابه الذى لا يعلمه إلا المولى سبحانه ، إذ لم يطلع عباده عليه في آية منزلة ، ولم يخبر نبيُّه بذلك في سنة محكمة ، ونظير هذا - على سبيل المثال - فيما يتعلق بالأمور الغيبية ما جاء في وصف الجنة ونعيمها وما أعد فيها : ﴿ مثل الجنة التي

---

(١) تفسير سورة الإخلاص - ضمن مجموع الفتاوى - (١٧/٣٩٧-٣٩٨) فهي رسالة جيدة في بابها رائعة في مضمونها ، أطال مؤلفها في تبيان معنى التأويل والمحكم والمتشابه وإبطال قول من جعلوا أسماء الله وصفاته من المتشابه ، وانظر : التدمرية (ص ٩٦ وما بعدها) ، وأصول في التفسير لابن عثيمين (ص ٣٨ - ٤٣) .

وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ﴾[1] فهذه الأشياء تشبه ما في الدنيا لفظا ومعنى ، إلا أن المثلية بينها ليست واحدة وكذا حقيقتها ليست واحدة ، بل إن هذا حاصل بين المخلوقات وهي على وجه الحياة وظهر الدنيا ، وجلي ما بينها من تفاوت بين واختلاف ظاهر ، فأسماؤه وصفاته -جل وعلا- أولى بذلك وأحرى ، إذ هي بين الخالق والمخلوق :

سميع بصير ماله في صفاته . . . شبيه يرى من فوق سبع ويسمع .[2]

وعودا على بدء فإن ما فسر به الخطابي - رحمه الله - النزول ليس بصحيح ، بل حمله على الحقيقة هو المتعين والمراد ، لأن الخبر وقع عن نفس ذات الله تعالى لا عن غيره ، وعن معنى لا عن لفظ ، والمخبر عنه هو مسمى هذا الاسم العظيم فإن الخبر يكون عن اللفظ تارة وهو قليل ، ويكون عن مسماه ومعناه هو الأكثر ، فإذا قلت زيد عندك وعمرو قائم فإنما أخبرت عن الذات لا عن الاسم ، فقوله تعالى : ﴿ الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ﴾[3] هو خبر عن ذات الرب تعالى فلا يحتاج المخبر أن يقول : خالق كل شيء بذاته ، وكذلك جميع ما أخبر الله به عن نفسه إنما هو خبر عن ذاته لا يجوز أن يخص من ذلك إخبار واحد ألبتة .[4]

---

(١) سورة محمد بعض آية (١٥) .

(٢) من قصيدة عينية للإمام يحيى بن يوسف الأنصاري الصرصري (ت ٦٥٦) ذكر بعضا منها الإمام ابن القيم في اجتماع الجيوش (ص ٣١٢) والبيت المذكور مما ذكر منها .

(٣) سورة الزمر آية (٦٢) .

(٤) انظر مختصر الصواعق (٢/٤٥٦-٤٥٧) .

وقد قال ابن عبد البر : (ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته ، حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز ، إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك ، وإنما يوجه كلام الله عز وجل إلى الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم ، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبارات ، وجل الله عز وجل عن أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين)[1].

أما أهل السنة والجماعة فموقفهم واضح جلي - وقد سبقت الإشارة إليه - وهذه بعض النقول عنهم تأكيدا لقولهم وبيانا لمذهبهم .

قال الإمام أحمد : (وينزل تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾[2])[3] .

وقال الإمام الترمذي : (وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث[4] وما يشبه هذا من الروايات من الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا ، قالوا : قد ثبتت الروايات في هذا ويؤمن بها ولا يتوهم ولا يقال كيف ، هكذا روى عن مالك وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث : أمروها بلا كيف ، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة ، وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا هذا تشبيه)[5].

---

(١) التمهيد (١٣١/٧) .

(٢) سورة الشورى بعض آية (١١) .

(٣) كتاب السنة للإمام أحمد (ضمن مجموعة رسائل جمعها محمد حامد الفقي ، أسماها شذرات البلاتين) (٤٩/١) .

(٤) يعني حديث أبي هريرة مرفوعا : ((ما تصدق أحد بصدقة من طيب ، ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه ..)) الحديث ، وقد مضى تخريجه (ص١٦٩-١٧٠) .

(٥) السنن (٣/ ٤١-٤٢) .

وقال أبو محمد المزني [1] : (حديث النزول قد صح ، والإيمان به واجب ، ولكن ينبغي أن يعرف أنه كما لا كيف لذاته لا كيف لصفاته) [2].

وقال أبو عمر الطلمنكي : (أجمعوا - يعني أهل السنة والجماعة - على أن الله يأتي يوم القيامة والملائكة صفا صفا لحساب الأمم وعرضها كما يشاء وكيف يشاء ، وأجمعوا على أن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا على ما أتت به الآثار كيف يشاء ، لا يحدون في ذلك شيئا) [3].

وقال ابن عبد البر : (والذي عليه جمهور أئمة أهل السنة أنهم يقولون : ينزل كما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ويصدقون بهذا الحديث ولا يكيفون والقول في كيفية النزول كالقول في كيفية الاستواء والمجيء ، والحجة في ذلك واحدة) [4].

وقال أيضا : (وقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : ((ينزل ربنا

---

(١) هو : أحمد بن عبد الله بن محمد المزني المغفلي الهروي ، إمام عالم حافظ ، يقال له الشيخ الجليل ، مات سنة ٣٥٦ .
سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٨١ - ١٨٤) وطبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٧ - ١٩) وشذرات الذهب (٣/ ١٨) .

(٢) الأنساب للسمعاني (١٢/ ٢٢٨) .

(٣) مجموع الفتاوى (٥/ ٥٧٧ - ٥٧٨) مع بعض الاختصار .

(٤) التمهيد (٧/ ١٤٣) .

إلى السماء الدنيا)) [1] عندهم مثل قول الله عز وجل : ﴿ فلما تجلى ربه للجبل ﴾ [2] ومثل قوله : ﴿ وجاء ربك والملك صفا صفا ﴾ [3] كلهم يقول : ينزل ويتجلى ويجيء بلا كيف لا يقولون كيف يجيء ؟ وكيف يتجلى ؟ وكيف ينزل ؟ لأنه ليس كشيء من خلقه ، وتعالى عن الأشياء ولا شريك له ، وفي قول الله عز وجل : ﴿ فلما تجلى ربه للجبل ﴾ [4] دلالة واضحة أنه لم يكن قبل ذلك متجليا للجبل وفي ذلك ما يفسر معنى حديث التنزيل) [5] .

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٢٣٠-٢٣١) .

(٢) سورة الأعراف بعض آية (١٤٣) .

(٣) سورة الفجر آية (٢٢) .

(٤) سورة الأعراف بعض آية (١٤٣) .

(٥) التمهيد (٧/١٥٣) .

٣) صفة الفرح :

عن أنس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :

((لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة))[١]

قال الخطابي : (أي أشد رضا بها وقبولا لها) .[٢]

وقال في موطن آخر : (قوله : لله أفرح ، معناه أرضى بالتوبة وأقبل لها ، والفرح الذي يتعارفه الناس في نعوت بني آدم غير جائز على الله -عز وجل- إنما معناه الرضا ، كقوله عز وجل : ﴿ كل حزب بما لديهم فرحون ﴾[٣] ، أي : راضون ، والله أعلم) .[٤]

لا يخفى أن هذا البيان من الخطابي - رحمه الله - لمعنى (فرح الله) موافق لما عليه المتكلمون المأولون للصفات[٥] مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة المثبتون لجميع الصفات ، وهذه واحدة من ذلك ، إذ أقروها وأثبتوها وحملوها على ظاهرها ، ووكلوا كيفيتها إلى الموصوف بها جل وعلا وتبارك وتقدس .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الدعوات باب ٤ ح ٦٣٠٩ (الفتح ١١/١٠٢) ومسلم في صحيحه ، كتاب التوبة ح ٧ (٤/٢١٠٤-٢١٠٥) باختلاف يسير في بعض الألفاظ ، وكذا في رواية مسلم زيادة ليست في رواية البخاري ، وفي الباب عن أبي هريرة وابن مسعود والنعمان بن بشير ، انظر تحفة الأحوذى (٧/٢٠٢) و (٩/٥٢٢) .

(٢) غريب الحديث (٣/١٩٨) .

(٣) سورة المؤمنون بعض آية (٥٣) .

(٤) أعلام الحديث (٣/٢٢٣٨) .

(٥) انظر : مشكل الحديث (ص ٦٧ - ٦٨) و (ص ٢٥٥ - ٢٥٦) وأساس التقديس (ص ١٤٦) وفتح الباري (١١/١٠٦) .

قال القاضي أبو يعلى - عند هذا الحديث - : (ليس في حمله على ظاهره ما يحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه ، لأنا لا نثبت فرحاً هو السرور ، لأنه يقتضي جواز الشهوة والحاجة عليه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها ﴾ [1] أي سروا بها ، ولا نثبت أيضا فرحا هو البطر والأشر ، لأنهما لا يليقان بالله عز وجل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾ [2] وقوله : ﴿ إن الله لا يحب الفرحين ﴾ [3] وقوله : ﴿ إنه لفرح فخور ﴾ [4] ، يعني بذلك فرح البطر والأشر ، بل نثبت ذلك صفة كما أثبتنا صفة الوجه واليدين والسمع والبصر وإن لم نعقل معناه [5] ، ولا يجب أن يستوحش من إطلاق مثل هذا اللفظ إذا ورد به سمع ، كما لم يستوحش من إطلاق ذلك في غيره من الصفات .

فإن قيل : معنى الفرح هاهنا معنى الرضا ، ومنه قوله تعالى ((كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ [6] أى : راضون ، لأن من سر بالشيء فقد رضيه ، ويقول هو فرح به بمعنى هو راض به ، فيكون معناه : أن من وفقه الله للتوبة من معاصيه فقد رضى أن يكون مثابا على الخير مقبولا منه الطاعة والعبادة .

---

(١) سورة يونس بعض آية (٢٢) .

(٢) سورة الحديد بعض آية (٢٣) .

(٣) سورة القصص بعض آية (٧٦) .

(٤) سورة هود بعض آية (١٠) .

(٥) أى كيفيته ، وإلا فمعناه اللغوي معلوم معقول .

(٦) سورة المؤمنون بعض آية (٥٣) .

قيل : هذا غلط ، لأن هذا القائل عنده أن الرضا بمعنى الإرادة ، وإرادة الله سبحانه لا تختص ما ذكر في الخبر من التوبة ،لأن ضد التوبة مما كان عليه قبل ذلك كان الله مريدا له).[1]

وقال العلامة ابن القيم - في معرض حديثه على أن التأويل إخبار عن مراد المتكلم لا إنشاء - : (فهذا مما يقطع السامع فيه بمراد المتكلم ، فإذا أخبر عن مراده بما دل عليه حقيقة لفظه الذى وضع له مع القرائن المؤكدة له كان صادقا في إخباره ، وأما إذا تأول كلامه بما لم يدل عليه لفظه ولا اقترن به مايدل عليه فإخباره بأن هذا مراده كذب عليه).[2]

فتفسير الفرح -إذاً - بلازمه وهو الرضا ، وتفسير الرضا بإرادة الثواب بدعوى أن ذلك مستحيل عليه تعالى إذ هو من نعوت بني آدم ،وفي نسبته إلى الله سبحانه تشبيه بمخلوقاته ،كل هذا في الحقيقة نفي وتعطيل لفرحه ورضاه -جل وعلا- ، أوجبه الظن والتوهم بأن هذه المعاني تكون فيه كما هي في مخلوقاته تعالى الله عن تشبيههم وتعطيلهم ، وتقدست أسماؤه وجلت صفاته .[3]

---

(١) إبطال التأويلات (١/ ٢٤٢ - ٢٤٣) .

(٢) الصواعق المرسلة (١/ ٢٠٣) .

(٣) انظر : العقيدة الواسطية مع شرحها للشيخ الهراس (ص ١٦٧) .

٢) صفة الضحك :

عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

((يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة ، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد))[1] .

قال الخطابي : (قوله : ((يضحك الله)) ـ سبحانه ـ الضحك الذي يعتري البشر عندما يستخفهم الفرح أو يستفزهم الطرب غير جائز على الله سبحانه وهو منفي عن صفاته ، وإنما هو مثل ضربه لهذا الصنيع الذي يحل محل العجب عند البشر ، فإذا رأوه أضحكهم ، ومعناه في صفة الله سبحانه : الإخبار عن الرضا بفعل أحدهما والقبول للآخر ، ومجازاتهما على صنيعهما الجنة مع اختلاف أحوالهما وتباين مقاصدهما . . ومعلوم أن الضحك من ذوي التمييز يدل على الرضا ، والبشر والاستهلال منهم دليل على قبول الوسيلة ، ومقدمة إنجاح الطلبة والكرام يوصفون عند المسألة بالبشر وحسن اللقاء ، فيكون المعنى في قوله : ((يضحك الله إلى رجلين)) أى : يجزل العطاء لهما ، لأنه موجب الضحك ومقتضاه .

(١) أخرجه البخارى في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير باب ٢٨ ح ٢٨٢٦ (الفتح ٦ / ٣٩) ومسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ح ١٢٨ و ١٢٩ (٣ / ١٥٠٤ - ١٥٠٥) والنسائي في سننه ، كتاب الجهاد باب ٣٧ و ٣٨ ح ٣١٦٥ و ٣١٦٦ (٦ / ٣٨ - ٣٩) .
وابن ماجه في سننه ـ المقدمة ـ ح ١٩١ (١ / ٦٨) ومالك في موطئه كتاب الجهاد باب ١٤ ح ٢٨ (٢ / ٤٦٠) .
وابن خزيمة في التوحيد ح ٣٣١ وما بعده (٢ / ٥٦٩ - ٥٧٤) ، والهروي في الأربعين ح ٢٧ (ص ٧٦) .

قال زهير :

تراه إذا ما جئته متهللا . . كأنك تعطيه الذي أنت سائله [(١)]

وإذا ضحكوا وهبوا وأجزلوا ، قال كثير [(٢)] :

غَمْرَ الرداء إذا تبسم ضاحكا . . غَلِقت لِضحكته رقابُ المالِ [(٣)]

وقال الكميت أو غيره :

فأعطى ثم أعطى ثم عدنا . . فأعطى ثم عدت له فعادا

مرارا ما أعود إليه إلا . . تبسم ضاحكا وثنى الوسادا [(٤)] [(٥)]

---

(١) ديوانه (ص ٦٨) .
والبيت من قصيدة في مدح حصن بن حذيفة بن بدر ، مطلعها :
صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله . . وعرى أفراس الصبا ورواحله

(٢) هو أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي المدني ابن أبي جمعة الشهير بكثير عزة ، مات بالمدينة سنة ١٠٧ ، وقيل غير ذلك .
سير أعلام النبلاء (٥/١٥٢) وشذرات الذهب (١/١٣١) والأعلام (٥/٢١٩) .

(٣) ديوانه (ص ٢٨٨) .
والبيت من قصيدة يمدح فيها عبد العزيز بن مروان ، مطلعها :
اربَعْ فحي معارف الأطلالِ . . بالجزع من حرض فهن بوال

(٤) البيتان لزياد الأعجم ، ضمن بيت ثالث بمدح بها عمر بن عبيد الله ابن معمر - أحد رجال مصعب بن الزبير - يقول :

سألناه الجزيل فما تأبى . . فأعطى فوق منيتنا وزادا

وأحسن ثم أحسن ثم عدنا . . فأحسن ثم عدت له فعادا

مرارا ما دنوت إليه إلا . . تبسم ضاحكا وثنى الوسادا

الأغاني (١٥/٣٧٩ و٣٨٥) .

(٥) أعلام الحديث (٢/١٣٦٥ - ١٣٦٨) وانظر المصدر نفسه (٣/١٩٢٢) .

مما سبق من كلام أبي سليمان الخطابي يظهر جليا تأويله لهذه الصفة (الضحك) وصرفه لها عن ظاهرها ، مستشهدا على ذلك ببعض الشعر والنثر - لا بالنص والشرع - وما ذهب إليه - رحمه الله - وارتضاه هو في الحقيقة مذهب المعتزلة والأشاعرة ، المعطلين للصفات النفاة لمدلولاتها المبطلين لمعانيها .[1]

ولقد تظافرت - بحمد الله - النصوص النبوية الصريحة في إثبات هذه الصفة للرب سبحانه على لسان نبيه وأعرف الخلق به - عليه أزكى الصلاة وأتم التسليم - وتلقى ذلك أئمة الأمة وعدولها بالقبول والرضى ، وذلك على وفق منهجهم وسداد طريقتهم كغيرها من الصفات .

وإضافة للنص السابق[2] فقد وردت أحاديث عدة عن المصطفى -صلى الله عليه وسلم- في إثبات ضحكه جل وعز ، بلغت حد التواتر[3] منها :

أ) حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وفيه : ((فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه ، فإذا ضحك منه قال له ادخل الجنة)) الحديث .[4]

---

(١) انظر الرد على بشر المريسي (ص ١٧٤ - ١٨٢) ومشكل الحديث (ص ٢٥٣ - ٢٥٥) والأسماء والصفات (ص ٥٩١ - ٥٩٨) وأساس التقديس (ص ١٤٤ - ١٤٦) وأقاويل الثقات (ص ٧٢ - ٧٣) .

(٢) أعني حديث أبي هريرة المتقدم .

(٣) قال ابن تيمية - رحمه الله - : (أحاديث الضحك متواترة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وقد رواها الأئمة) الفتاوى الكبرى (٦ / ٦١٤) .

(٤) رواه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد باب ٢٤ ح ٧٤٣٧ (الفتح ١٣ / ٤١٩ - ٤٢٠) وفي كتاب الرقاق باب ٥٢ ح ٦٥٧٣ (الفتح ١١ / ٤٤٤ - ٤٤٦) .
ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان ح ٢٩٩ (١ / ١٦٣ - ١٦٧) وأحمد في المسند (٢ / ٢٧٥ - ٢٧٦) .

ب) حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - وفيه : ((فضحك ابن مسعود فقال : ألا تسألوني مم أضحك ؟ فقالوا : مم تضحك ؟ قال : هكذا ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : مم تضحك يارسول الله ؟ قال : من ضحك رب العالمين حين قال : - أي الرجل الذى هو آخر من يدخل الجنة - أتستهزئ مني وأنت رب العالمين ؟ فيقول : إني لا أستهزئ منك ولكني على ما أشاء قدير)) (١).

فبهذه النصوص الحديثية ثبتت هذه الصفة لله سبحانه ، وانطلاقا منها اعتقد أهل العلم والإيمان وصفه تعالى بها بدون تكييف ولا تمثيل ، بل على الوجه الأكمل ، اللائق بعظمته وجلاله وقُدسيته ، .

قال الإمام أحمد : (يضحك الله ، ولا نعلم كيف ذلك إلا بتصديق الرسول) (٢)

وقال ابن خزيمة : (باب ذكر إثبات ضحك ربنا عز وجل بلا صفة تصف ضحكه جل ثناؤه ، لا ولا يشبه ضحكه بضحك المخلوقين وضحكهم كذلك ، بل نؤمن بأنه يضحك كما أعلم النبي صلى الله عليه وسلم - ونسكت عن صفة ضحكه جل وعلا - إذ الله عز وجل استأثر بصفة ضحكه لم يطلعنا على ذلك ، فنحن قائلون بما قال النبي صلى الله عليه وسلم مصدقون بذلك بقلوبنا ، منصتون عما لم يبين لنا مما استأثر الله بعلمه) (٣).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ح ٣١٠ (١/ ١٧٤ - ١٧٥) وأحمد في المسند (١/ ٣٩١ - ٣٩٢) .

(٢) إبطال التأويلات (١/ ٢١٧) وانظر المخطوطة نفسها (ص ١١٤) ومختصرها (ص ١٣) .

(٣) كتاب التوحيد (١/ ٥٦٣) .

٥) صفة العجب :

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : (أتى رجل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يارسول الله أصابني الجهد ، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئا ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((ألا رجل يضيف هذا الليلة يرحمه الله)) ؟ فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يارسول الله ، فذهب إلى أهله فقال لامرأته : ضيف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا تدخريه شيئا ، قالت : والله ما عندي إلا قوت الصبية ، قال : فإذا أرادت الصبية العشاء فنوميهم وتعالي فاطفئي السراج ، ونطوي بطوننا الليلة ، ففعلت ثم غدا الرجل على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : ((لقد عجب الله عز وجل أو ضحك من فلان وفلانة ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ [1]) [2] .

قال الخطابي : (قلت : قوله ((عجب الله)) لإطلاق العجب لا يجوز على الله تعالى ولا يليق بصفاته وإنما معناه الرضا ، وحقيقته أن ذلك الصنيع منهما حلّ من الرضا عند الله والقبول له محل العجب عندكم في الشيء التافه إذا رُفع فوق قدره وأُعطي به الأضعاف من قيمته .

وقد يكون معنى العجب في هذا أن يعجب الله ملائكته من صنيعهما ، وذلك أن

---

(١) سورة الحشر بعض آية (٩) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب ٦ ح ٤٨٨٩ (الفتح ٨/ ٦٣١) وكذا في كتاب مناقب الأنصار باب ١٠ ح ٣٧٩٨ (الفتح ٧/ ١١٩) ومسلم في صحيحه كتاب الأشربة ح ١٧٢ وما بعده (٣/ ١٦٢٤-١٦٢٥) والترمذي والنسائي مختصرا ، انظر تحفة الأشراف (١٠/ ٨٧-٨٨) .

الإيثار على النفس أمر نادر في العادة ، مستغرَب في الطباع ، فيكون المعنى أنه عجب منه ملائكته ، وهذا على مذهب الاستعارة وسعة المجاز سائغ غير ممتنع) اهـ[1].

هكذا يصرح أبو سليمان الخطابي بعدم جواز إطلاق هذه الصفة عليه سبحانه ، وأنها لا تليق بصفاته ونعوته ، وإنما معناها في حقه رضاه ، وقد يكون المراد بها في هذا الحديث أنه تعالى عجّب ملائكته مما فعل الرجل وزوجه مع ضيفهما .

وبهذا يكون - عفا الله عنه - وافق بالكلية مذهب الخلف[2] وعدل تماما عن مذهب السلف الذين أثبتوها على حقيقة ظاهرها ، ونفوا عنهم علم كيفيتها كشأنهم في باقي الصفات .

وقد وصف - سبحانه - نفسه بها في كتابه العزيز ، وكذا وصفه بها رسوله في خطابه ، وأثبت ذلك سلف الأمة وخيارها عملا بالنصوص ومقتضى الأخبار

---

(١) أعلام الحديث (٣/١٩٢٢ - ١٩٢٣) وانظر المصدر نفسه (٢/١٣٦٨-١٣٦٩).

(٢) قال ابن فورك في مشكل الحديث (ص ٧١) : (وإذا قيل في صفة الله تعالى عجب أو يتعجب فالمراد به أحد شيئين : إما أن يكون يراد به أنه مما عظم قدر ذلك وكبر ، لأن المتعجب معظم لما يتعجب منه ، ولكن الله سبحانه لما كان عالما بما كان ويكون لم يلق به أحد الوجهين الذى يقتضي استدراك علم ما لم يكن به عالما ، فبقي أمر التعظيم له والتكبير في القلوب عند أهله ، إذ يراد بذلك الرضا والقبول لأجل أن من أعجبه الشيء فقد رضيه وقبله ...) الخ .

إذ قال تعالى : ﴿ بل عجبتُ ويسخرون ﴾(1) وصح عن نبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ قوله : ((عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل))(2)

---

(١) سورة الصافات آية (١٢) .
قرأ حمزة والكسائي وخلف بضم التاء ، وهي قراءة علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهم ـ واختارها أبو عبيد والفراء ، وقرأ الباقون بفتحها .
قال الفراء في معاني القرآن (٢/٣٨٤) : (وقوله : بل عجبت ويسخرون ، قرأها الناس بنصب التاء ورفعها ، والرفع أحب إلي لأنها قراءة علي وابن مسعود وعبد الله بن عباس) .

وقال ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٣/٤٣) : (والصواب من القول في ذلك أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، فإن قال قائل : كيف يكون مصيبا القارئ بهما مع اختلاف معنييهما ؟ قيل : إنهما وان اختلف معنياهما فكل واحد من معنييه صحيح ، قد عجب محمد صلى الله عليه وسلم مما أعطاه الله من الفضل وسخر منه أهل الشرك بالله ، وقد عجب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله وسخر المشركون بما قالوه . . .) الخ
وانظر : كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص ٥٤٧) والمبسوط في القراءات العشر لابن مهران (ص ٣٧٥) والتيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني (ص ١٨٦) والنشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢/٣٥٦) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد باب ١٤٤ ح ٣٠١٠ ، (الفتح ٦/١٤٥) وأبو داود في سننه ـ بلفظ :((عجب ربنا عز وجل من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل)) ـ كتاب الجهاد باب ١٢٤ ح ٢٦٧٧ (٣/١٢٧) وأحمد في مسنده (٢/٣٠٢ ، ٣٠٦ ، ٤٥٧) .

و ((عجب ربنا عز وجل من رجلين : رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين أهله وحبه إلى صلاته . .)) الحديث .[1]

و ((إن ربك ليعجب من عبده إذا قال : رب اغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب غيرك))[2] و ((يعجب ربكم من راعي غنم في رأس شظية[3] بجبل يؤذن بالصلاة ويصلي ، فيقول الله عز وجل : انظروا إلى عبدي هذا يؤذن ويقيم الصلاة يخاف مني ، قد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة)).[4]

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/٤١٦) وفي طبعة شاكر (٦/٢٢-٢٣) ح ٣٩٤٩ وصحح إسناده ، وأبو داود في سننه (القسم الأخير من الحديث فقط) كتاب الجهاد باب ٣٨ ح ٢٥٣٦ (٣/٤٢-٤٣) والدارمي في النقض (ص ٢٠٢) وابن أبي عاصم في السنة ح ٥٦٩ (١/٢٤٩) وانظر صحيح الترغيب ح ٦٢٦ (١/٢٥٨) وإبطال التأويلات (١/٢٤٤) هامش (٢) .

(٢) هو قطعة من حديث علي - رضي الله عنه - أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الجهاد باب (٨) ح ٢٦٠٢ (٣/٧٧) .
والترمذي في سننه ، كتاب الدعوات باب ٤٧ ح ٣٤٤٦ (٥/٥٠١) وقال : حديث حسن صحيح ، وأحمد في مسنده (طبعة شاكر) (٢/١٠٩-١١٠) ح ٧٥٣ وصحح إسناده ، والحاكم في مستدركه (٢/٩٨-٩٩) ووافقه الذهبي على تصحيحه ، وكذا صححه ابن حبان (كما في الإحسان) ح ٢٦٩٨ (٦/٤١٥) . وانظر : السلسلة الصحيحة ح ١٦٥٣ (٤/٢١٠-٢١١) .

(٣) الشظية : قطعة مرتفعة في رأس الجبل . النهاية (٢/٤٧٦) .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الصلاة باب ٢٧٢ ح ١٢٠٣ (٢/٩)
والنسائي في سننه ، كتاب الأذان باب ٢٦ ح ٦٦٦ (٢/٢٠) ،
وأحمد في مسنده - مختصرا ومطولا - (٤/١٤٥ ، ١٥٧ ، ١٥٨) وانظر : إرواء الغليل ح ٢١٤ (١/٢٣٠) والسلسلة الصحيحة ح ٤١ (١/٦٥) .

ولقد حمل السلف - كما أشرت-تبعا لما ورد من النصوص هذه الصفة على ظاهرها وأثبتوا معناها بدون أن يتوهموا في ذلك تشبيها أو تمثيلا ،إذ ذاك منتف أصلا بينه تعالى وبين خلقه .

قال الفراء [(١)] : (والعجب وإن أسند إلى الله فليس معناه من الله كمعناه من العباد ،ألا ترى أنه قال ﴿ فيسخرون منهم سخر الله منهم ﴾ [(٢)] وليس السُّخرىّ من الله كمعناه من العباد ، وكذلك قوله : ﴿ الله يستهزئ بهم ﴾ [(٣)] ليس ذلك من الله كمعناه من العباد ..) . [(٤)]

وقال القاضي أبو يعلى - بعد سوقه لما يثبت هذه الصفة - : (اعلم أن الكلام في هذا الحديث كالكلام في الذى قبله [(٥)] ، وأنه لا يمتنع إطلاق ذلك عليه وحمله على ظاهره ،إذ ليس في ذلك ما يحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه،لأنا لا نثبت عجبا هو تعظيم لأمر دهمه استعظمه لم يكن عالما به ،لأنه مما لا يليق بصفاته ، بل نثبت ذلك صفة كما أثبتنا غيرها من صفاته .

---

(١) هو أبو زكريا ، يحي بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الأسدى مولاهم ، الكوفي ،العلامة اللغوى النحوى الأديب الفقيه الثقة ، ولد بالكوفة سنة ١٤٤ وتوفي بطريق مكة سنة ٢٠٧ .

طبقات النحويين واللغويين (ص ١٣١ - ١٣٣) وتاريخ بغداد : (١٤/ ١٤٩- ١٥٥) وتهذيب التهذيب (١١/ ٢١٢ - ٢١٣) .

(٢) سورة التوبة بعض آية (٧٩) .

(٣) سورة البقرة بعض آية (١٥) .

(٤) معاني القرآن (٢/ ٣٨٤) .

(٥) يعني ما سبق لإيراده له في إثبات صفة الفرح لله تعالى ، وقد مضى ذلك (ص ٢٤٨-٢٤٩) .

فإن قيل : المراد به تعظيم ذلك وتكثيره عند أهله حثا على فعلها وترغيبا في العبادة إليها ، ويحتمل أن يكون المراد به الرضا له والقبول[1] لأن من أعجبه الشيء فقد رضيه ، ولا يصح أن يعجب مما يسخَطُهُ ويكرَهُه .

قيل : الطريق الصحيح ما ذكرنا من حمله على ظاهره ، وهو الأشبه بأصول أحمد في نظائره من الأخبار لما بينا ، وهو أنه ليس في ذلك ما يحيل صفاته ، وما ذكروه من التأويل لا يصح ، لأن الله تعالى راض بذلك قبل وجود هذه الأفعال منهم ومعظم لها قبل وجودها ، فرضاه وتعظيمه لا يختص ما ذكر في الأخبار ، فلم يصح حملها عليه ، لأنه حمل على مالا يفيد)[2] .

وإذا كان التعجب في حق الإنسان منشأه غرابة الفعل وأنه حدث على شكل يثير العجب والغرابة لأنه فوجئ بالفعل الذي هو محل التعجب إذا كان هذا هو مثار التعجب عند المخلوق فإن الله تعالى منزه عن هذه المعاني ، لأنه سبحانه هو الذي قدر ذلك الفعل الذي هو محل التعجب وأوجده ، فلا ترد - إذاً - في حقه - عز وجل - هذه المعاني وتلك اللوازم لانتفائها عنه وعدم جوازها عليه .[3]

فالقول السليم المحكم - إذاً - هو الإثبات الحقيقي لهذه الصفة المصاحبُ لكمال

---

(١) كما يقوله الخطابي ويفسره بذلك .

(٢) إبطال التأويلات (١/ ٢٤٥ - ٢٤٦) .
وانظر تأويل مختلف الحديث (ص ٢٤٨) والحجة في بيان المحجة (٢/ ٤٥٧) وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٩٦) ومجموع الفتاوى (٦/ ١٢٣- ١٢٤) .

(٣) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية (ص ٢٩٥) مع بعض الاختصار والتصرف .

التنزيه ، المبرؤ من وحل التعطيل ودرن التشبيه ، واعتقاد أنها من صفاته تعالى الفعلية التي تتجدد حسب مشيئته واختياره وإرادته ، وقوفاً مع النصوص وتأدباً معها والتزاماً بمدلولها ، وأن التأويل ـ لا محالة ـ في نصوص الصفات مبني على الظن والحسبان والتخمين ، وهو أمر مظنون بالاتفاق ، والقول في صفات الباري بذلك غير جائز ولا هو لائق ، وقد قال تعالى : ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون ﴾[1] وقال : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾[2] .

---

(١) سورة الأعراف آية (٣٣) .

(٢) سورة الإسراء آية (٣٦) .

الفصل الثالث

((توحيد الألوهية ونواقضه))

وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول : تعريف توحيد الألوهية .

المبحث الثاني : خروج عصاة الموحدين من نار جهنم إن هم دخلوها .

المبحث الثالث : بيان شروط صحة العبادة .

المبحث الرابع : أنواع العبادة .

المبحث الخامس : نواقض التوحيد .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الشرك وبيان أقسامه .

المطلب الثاني : بيان جملة من أنواع الشرك .

= = = = = = = = = = = = =

الفصل الثالث

((توحيد الألوهية ونواقضه))

المبحث الأول : تعريف توحيد الألوهية :

توحيد الألوهية المراد به إفراده تعالى بالعبادة واستحقاقه لها وحده دون سواه، قولا وفعلا وقصدا بجميع أفعال عباده التي تعبدهم بها من صلاة وزكاة وصيام وحج ونذر ومحبة وخوف ورجاء ودعاء وتوكل ورغبة ورهبة وغير ذلك من أنواع العبادة المشروعة طاعة له سبحانه وتقربا إليه .

ويسمى - هذا التوحيد أيضا - توحيد العبادة، وتوحيد الإرادة والقصد، وتوحيد الطلب ، وهو الذى بعثت به الرسل الكرام - عليهم الصلاة والسلام - ودعوا إليه ونزلت به الكتب ، ووقعت فيه الخصومة بين أنبياء الله تعالى وأممهم ، وأنقسم الناس بسببه إلى فريقين : مؤمنين ، وكافرين ، فشُرع من أجله الجهاد وقامت الحرب بين الموحدين والمشركين [1] .

والدلالة على هذه المعاني استفاضت بها النصوص الشرعية قرآنية وحديثية، وهذه

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن السعدي في كتابه : الحق الواضح المبين : (ص ١١١ - ١١٢) : (وهذا النوع - يعني توحيد الألوهية - زبدة رسالة الله لرسله ، فكل نبي يبعثه الله يدعو قومه يقول : ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ وهو الذي خلق الله الخلق لأجله ، وشرع الجهاد لإقامته ، وجعل الثواب الدنيوى والأخروى لمن قام به وحققه ، والعقاب لمن تركه ، وبه يحصل الفرق بين أهل السعادة القائمين به ، وأهل الشقاوة التاركين له) . وقال أيضا في القول السديد (ص : ١٣- ١٤) : (فجميع الكتب السماوية وجميع الرسل دعوا إلى هذا التوحيد ونهوا عن ضده من الشرك والتنديد ، وخصوصا محمد - صلى الله عليه وسلم-
= = = =

طائفة منها :

قال تعالى : ﴿ يَٰأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذي جعل لكم الأرض فرٰشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرٰت رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾ .[1]

وقال : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياى ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ .[2]

وقال : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطٰغوت ﴾ .[3]

وقال : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لآ إله إلا أنا فاعبدون ﴾ .[4]

وقال : ﴿ قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين ، وأمرت لأن أكون أول المسلمين ، قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ، قل الله أعبد مخلصا له ديني ، فاعبدوا ما شئتم من دونه ، قل إن الخٰسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيٰمة ألا ذٰلك هو الخسران المبين ﴾[5]

(=) وهذا القرآن الكريم فإنه أمر به وفرضه وقرره أعظم تقرير ، وبينه أعظم بيان وأخبر أنه لا نجاة ولا فلاح ولا سعادة إلا بهذا التوحيد ، وأن جميع الأدلة العقلية والنقلية والأفقية والنفسية أدلة وبراهين على هذا الأمر بهذا التوحيد ووجوبه ، فالتوحيد هو حق الله الواجب على العبيد ، وهو أعظم أوامر الدين وأصل الأصول كلها وأساس الأعمال) .

(١) سورة البقرة آية (٢١ - ٢٢) .

(٢) سورة الأنعام آية (١٦٢ - ١٦٣) .

(٣) سورة النحل آية (٣٦) .

(٤) سورة الأنبياء بعض آية (٢٥) .

(٥) سورة الزمر آية (١١-١٥) .

وقال : ﴿ ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ، بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾[1] إلى غير ذلك من الآي القرآني الكريم المتعلق بهذا الباب العظيم .

وروى عبد الله بن عباس[2] - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما بعث معاذاً - رضي الله عنه - على اليمن قال ((إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ، فإذا فعلوا الصلاة فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم وترد على فقرائهم ، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس))[3] .

وعن معاذ بن جبل[4] - رضي الله عنه - قال : أنا رديف

---

(١) سورة الزمر آية (١١ - ١٥) .

(٢) هو أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، الصحابي الجليل ، حبر الأمة وترجمان القرآن الملقب بالبحر لسعة علمه ، فضائله كثيرة ومناقبه جمة ، مات بالطائف سنة ٦٨ . الاستيعاب (٣ / ٩٣٣ - ٩٣٩) وأسد الغابة (٣ / ٢٩٠-٢٩٤) والإصابة (٤ / ١٤١ - ١٥٢) .

(٣) متفق عليه ، وقد مضى تخريجه (ص : ٧٠) .

(٤) هو أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ الأنصاري الخزرجي المدني البدري ، الصحابي الشهير الجليل ، وأعلم الأمة بالحلال والحرام ، مات سنة ١٧ وقيل ١٨ .
الاستيعاب (٣/١٤٠٢-١٤٠٧) وأسد الغابة (٥/١٩٤-١٩٧) والإصابة (٦/١٣٦-١٣٨)

النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال : ((يا معاذ ، قلت : لبيك وسعديك - ثم قال مثله ثلاثا - هل تدري ما حق الله على العباد ؟ قلت : لا ، قال : حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، ثم سار ساعة فقال : يا معاذ ، قلت لبيك وسعديك ، قال : هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ أن لا يعذبهم))[1].

وعن جابر[2] - رضي الله عنه - قال : أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- رجل فقال : يا رسول الله ما الموجبتان[3] ؟ فقال : ((من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار))[4] .

وعنه - أيضا - قال : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : ((من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به دخل النار))[5] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإستئذان باب ٣٠ ح ٦٢٦٧ ، (الفتح ١١ / ٦٠ - ٦١) وكذا في مواضع أخرى في الصحيح بألفاظ متقاربة . ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان ح ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ (١ / ٥٨ - ٥٩) والترمذي في سننه ، كتاب الإيمان باب ١٨ ح ٢٦٤٣ (٥ / ٢٦ - ٢٧) .

(٢) هو أبو عبد الله جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي السلمي المدني ، له ولأبيه صحبة ، كان من أعيان الصحابة وفقهائهم ومجتهديهم ، مات بالمدينة سنة ٧٨ وقيل ٧٧ وقيل غير ذلك .
الاستيعاب (١ / ٢١٩ - ٢٢٠) وأسد الغابة (١ / ٣٠٧ - ٣٠٨) والإصابة (١ / ٤٣٤ - ٤٣٥) .

(٣) أي الخصلة الموجبة لدخول الجنة ، والخصلة الموجبة لدخول النار .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ح ١٥١ (١ / ٩٤) ، وأحمد في مسنده (٣ / ٣٩١) وأبو يعلى في مسنده ح ٢٢٧٤ (٢ / ٤٦٨) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ح ١٥٢ (١ / ٩٤) .

المبحث الثاني

خروج عصاة الموحدين من نار جهنم إن هم دخلوها

هناك أحاديث صحاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تفيد أن من أتى بالشهادتين حرم الله عليه دخول النار[١]، في حين قد دلت أحاديث أخر على أنه يخرج من النار من قال لا إله إلا الله .[٢]

وظاهر هذه النصوص متعارض ، إذ كيف يدخل النار من نطق بالشهادتين مع إفادة ما ينص تحريم ذلك عليه .[٣]

---

(١) كقوله عليه الصلاة والسلام : ((من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار)) .
أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ح ٤٧ (١/ ٥٨) .
والترمذي في سننه ، كتاب الإيمان باب ١٧ ح ٢٦٣٨ (٥/ ٢٣)
وقوله : ((من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة)) .
أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ح ٤٣ (١/ ٥٥) وأحمد في مسنده (١/ ٦٩) .

(٢) كقوله عليه الصلاة والسلام : ((يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير)) .
أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان باب ٣٣ ح ٤٤ (الفتح ١/ ١٠٣) وفي مواطن أخرى من الصحيح ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ح ٣٢٥ (١/ ١٨٢) .

(٣) انظر : أجوبة وأقاويل العلماء في المسألة في : شرح صحيح مسلم للنووي (١/ ٢١٧) وما بعدها ، ومختلف الحديث (ص ١٣٤-١٣٥) وسنن الترمذي (٥/ ٢٣ - ٢٤) ومدارج السالكين (١/ ٣٥٩)
======

وقد تناول الخطابي ـ رحمه الله تعالى ـ هذه المسألة بالعرض والتحليل فقال ـ عند شرحه لقوله عليه الصلاة والسلام ـ : ((قال لي جبريل : من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ولم[1] يدخل النار . .)) الحديث[2] ـ :

(فيه إثبات دخول ونفي دخول ، وكل واحد منهما متميز عن الآخر بنعت ووقت والمعنى : أن من مات على الإسلام من أهل هذه الصفة فإن مصيره الجنة يبقى فيها خالداً ، وإن ناله قبل ذلك من العقوبات ما ناله .

وأما قوله : ((ولم يدخل النار)) فمعناه : دخول التخليد فيها على التأبيد ، وإنما تأولنا الحديث على هذا الوجه لئلا تبطل معاني الآيات والأحاديث الكثيرة التي جاءت في الوعيد مع صحة مخارج تلك الأحاديث وعدالة نقلتها ، وسبيلنا أن نتحرى التوفيق بين الآي المختلفة بترتيب بعضها على بعض ، لأن الله ـ عز وجل ـ يقول : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾[3] ، فأخبر أن

(=) وما بعدها ، وكلمة الإخلاص وتحقيق معناها ـ ضمن مجموعة الرسائل الكمالية في التوحيد (ص ٩) وما بعدها ، وجامع العلوم والحكم (ص ٢٠٧ - ٢١٠) ، وتيسير العزيز الحميد (ص ٨٦ - ٩١) وتحفة الأحوذي (٧ / ٣٩٣ - ٣٩٥) .

(١) في الصحيح : (أولم) بالشك .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الخلق باب ٦ ح ٣٢٢٢ (الفتح ٦ / ٣٠٥ - ٣٠٦) كما أورده في مواضع أخرى من صحيحه بزيادات في أوله ، والترمذي في سننه كتاب الإيمان باب ١٨ ح ٢٦٤٤ (٥ / ٢٧) .

(٣) سورة النساء بعض آية (٨٢) .

الاختلاف عن القرآن منفي ، وليس يمكن نفي الاختلاف عنه إلا بهذا الوجه ، فعلمنا أنه واجب ، وكذلك سبيل الأحاديث التي هي بيان الكتاب إذا صحت مخارجها لم يجز عليها التناقض والاختلاف ، فكان الواجب أن يسلك بها مسلك الآي المختلفة في الظاهر لئلا تناقض ولا تتهاتر)[1] [2] .

وهذا الجمع من الخطابي بين نصوص هذه المسألة مستحسن جدا ووجيه للغاية ، سلكه بعض أئمة السلف وارتضوه ، قال الإمام الترمذي - بعد روايته لحديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - ((من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار))[3] . :

(ووجه هذا الحديث عند بعض أهل العلم أن أهل التوحيد سيدخلون الجنة وإن عذبوا بالنار بذنوبهم فإنهم لا يخلدون في النار ، وقد روي عن عبد الله بن مسعود ، وأبي ذر[4] ، وعمران بن

---

(١) الهتر بالكسر : الكذب ، والداهية ، والأمر العجيب ، والسقط من الكلام والخطأ فيه.
والتهاتر : الشهادات التي يكذب بعضها بعضا .

انظر القاموس المحيط (ص ٦٣٧) مادة (هـ ت ر) .

(٢) أعلام الحديث (٢/١٤٨٤ - ١٤٨٥) .

(٣) مضى تخريجه (ص ٢٦٩) .

(٤) هو جندب بن جنادة الغفاري ، أحد السابقين الأولين للإسلام ومن الموصوفين بالزهد والصدق والعلم والعمل ، مات بالربذة (من قرى المدينة) سنة ٣٢ .

الاستيعاب (١/٢٥٢ - ٢٥٦) وأسد الغابة (١/٣٥٧ - ٣٥٨) والإصابة (٧/١٢٥ - ١٣٠) .

حصين [١] ، وجابر بن عبد الله، وابن عباس ، وأبي سعيد الخدري ، وأنس ابن مالك ، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أنه قال : ((سيخرج قوم من النار من أهل التوحيد ويدخلون الجنة)) [٢] .

وهكذا روى عن سعيد بن جبير [٣] وإبراهيم النخعي [٤] وغير واحد من

---

(١) هو : أبو نجيد عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي ، من كبار الصحابة وصاحب راية خزاعة يوم فتح مكة ، مات سنة ٥٢ .
الاستيعاب (٣/١٢٠٨) وأسد الغابة (٤/٢٨١-٢٨٢) والإصابة (٤/٧٠٥-٧٠٦) .

(٢) الأحاديث الواردة في هذا المعنى كثيرة قد سبق ذكر بعضها ، وقد ساق الحافظ ابن كثير جملة منها في تفسيره (٢/٥٦٦) .

(٣) هو أبو محمد ويقال أبو عبد الله ،سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي ولاء ،الكوفي التابعي الإمام العلم والحافظ المفسر ، قتله الطاغية الحجاج بن يوسف الثقفي بواسط سنة ٩٥ .
وفيات الأعيان (٢/٣٧١-٣٧٤) وسير أعلام النبلاء (٤/٣٢١-٣٤٣) وتهذيب التهذيب (٤/١١-١٤) .

(٤) هو أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي اليماني ثم الكوفي ، فقيه العراق وأحد أعلام التابعين إمامة وصلاحا وحفظا ، مات سنة ٩٦ .
تهذيب الأسماء واللغات (١/١٠٤-١٠٥) ووفيات الأعيان (١/٢٥-٢٦) وتهذيب التهذيب (١/١٧٧-١٧٩) .

التابعين في تفسير هذه الآية : ﴿ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾[(١)] قالوا : إذا أخرج أهل التوحيد من النار وأدخلوا الجنة ودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين)[(٢)][(٣)] .

وقال ابن رجب الحنبلي : - متحدثا عن معنى قول الخطابي - : (وهذا قد حمله بعضهم على الخلود فيها ، أو على نار يخلد فيها أهلها ، وهي ما عدا الدرك الأعلى ، فإن الدرك الأعلى يدخله خلق كثير من عصاة الموحدين بذنوبهم ثم يخرجون بشفاعة الشافعين وبرحمة أرحم الراحمين ، وفي الصحيحين ((إن الله تعالى يقول : وعزتي وجلالي لأخرجن من النار من قال لا إله إلا الله))[(٤)][(٥)]

---

(١) سورة الحجر آية (٢) .

(٢) انظر : تفسير ابن جرير الطبري (١٤/ ٣ - ٥) فقد روى بعض هذه الآثار بأسانيده إلى قائليها .

(٣) سنن الترمذي (٥/ ٢٤) ويظهر أن في أصل الكلام اضطرابا ، والتصحيح من صحيح سنن الترمذي للشيخ الألباني (٢/ ٣٣٣) .

(٤) البخاري في صحيحه من حديث طويل لأنس بن مالك - رضي الله عنه - وفي آخره : ((وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله)) كتاب التوحيد باب ٣٦ ح ٧٥٠٩ (الفتح ١٣/ ٤٧٤) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان ح ٣٢٦ (١/ ١٨٤) .

(٥) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها (ضمن مجموعة الرسائل الكمالية) (ص ١٢) .

المبحث الثالث

-((بيان شروط صحة العبادة))-

مما لا شك فيه ولا ارتياب أنه لا يحل لأحد ولا يحق له أن يعبد الله-تعالى- إلا بما شرعه في كتابه أو جاء في هدى نبيه-صلى الله عليه وسلم- أيا كان نوع تلك العبادة وكانت صفتها - مع خلوص النية في ذلك لوجهه سبحانه دون سواه وهذا لا يتأتى إلا عن طريق العلم والمعرفة وقد دلت على هذه الأمور نصوص شرعية وأقوال سلفية تتضح فيما بعد-إن شاء الله-.

وقد تناول الخطابي بالبيان والتفصيل ما يجب على العبد نحو هذا الأمر قائلا: (ومما يجب عليك أن تحكمه في هذا الباب تقدمة المعرفة بأمور، منها: أن تعرف الشيء الذي تعبدت به، وأن تعلم أنك مأمور به، وأن تطلب موافقة الآمر فيما تعبدت به، فإنك إذا لم تعلم صفة ما أمرت به لم يتأت لك فعله على الوجه الذي تعبدت به، ومن فعل المأمور به من غير أن يعرف أنه مأمور به أو في جملة المأمورين به لم يكن في فعله مطيعا للآمر، ومن عرف الآمر ثم لم يقصد بفعله المأمور به موافقة الآمر لم يكن ممتثلا لأمره، وهذا جملة من أمر علم النية وما يدخل في معناها)[1].

وقال عند شرحه لمعنى قوله عليه-الصلاة والسلام-((إنما الأعمال بالنيات)) الحديث[2]: (معناه أن صحة الأعمال ووجوب أحكامها إنما يكون بالنية، فإن النية هى المصرفة لها إلى جهاتها ولم يرد به أعيان الأعمال، لأن أعيانها حاصلة بغير نية، ولو كان المراد به أعيانها لكان خَلْفا من القول، وكلمة ((إنما)) مرصدة لإثبات الشيء ونفي ماعداه) اهـ[3].

---

(١) أعلام الحديث (١/١١٦).

(٢) سيأتي - قريبا - ذكره وتخريجه.

(٣) معالم السنن (٣/٢٤٤).

- رحمه الله -

فقوله : (أن تعرف الشيء الذي تعبدت به) معناه عدم عبادته تعالى بالجهل أو اتباع الهوى ، بل ينبغي أن يكون أداء تلك العبادة مبنيا على معرفتها والعلم بما يطالب فيها بغية إقامتها على وجهها طمعا في قبولها والمثوبة عليها ، وقد قال سبحانه : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾[1] فبدأ بالعلم أولا[2] . فالعلم إمام العمل وقائد له ، والعمل تابع له ومؤتم به ، فكل عمل لا يكون خلف العلم مقتديا به فهو غير نافع لصاحبه بل مضرة عليه ، كما قال بعض السلف : من عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح . والأعمال إنما تتفاوت في القبول والرد بحسب موافقتها للعلم ومخالفتها له ، فالعمل الموافق للعلم هو المقبول والمخالف له هو المردود ، إذ هو الميزان والمحك ، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : (من فارق الدليل ضل السبيل) . (٣)

(١) سورة محمد بعض آية (١٩) .

(٢) قال الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - في كتاب العلم من صحيحه : (باب العلم قبل القول والعمل ، لقول الله تعالى : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ فبدأ بالعلم) .
قال الحافظ ابن حجر : قال ابن المنير : (أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل ، فلا يعتبران إلا به ، فهو متقدم عليهما ، لأنه مصحح للنية المصححة للعمل ، فنبه المصنف على ذلك حتى لا يسبق إلى الذهن من قولهم (إن العلم لا ينفع إلا بالعمل) تهوين بأمر العلم والتساهل في طلبه) اهـ .
ثم قال ابن حجر : قوله " (فبدأ بالعلم) أي حيث قال : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ ثم قال : ﴿ واستغفر لذنبك ﴾ .
فتح الباري (١/ ١٦٠) .

(٣) انظر : مفتاح دار السعادة (١/ ٨٢ - ٨٣) .

ولهذا قال الخطابي : (فإنك إذا لم تعلم صفة ما أمرت به لم يتأت لك فعله على الوجه الذي تعبدت به) .

وقوله : (وأن تطلب موافقة الآمر فيما تُعبدت به) معناه أداء العبادة على صفتها الموافقة لنص الكتاب أو هدى النبوة وعدم مخالفتها والخروج عليها قال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ،قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكفرين ﴾[1]

وقال : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾[2] وقال : ﴿ وما ءاتىٰكم الرسول فخذوه وما نهىٰكم عنه فانتهوا ﴾[3] وقال عليه الصلاة والسلام : ((من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد))[4] وفي رواية ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))[5] إلى غير هذا من النصوص المستفيضة في هذا المعنى الدالة على هذا الأصل العظيم .

---

(١) سورة آل عمران آية (٣١ - ٣٢) .

(٢) سورة النور بعض آية (٦٣) .

(٣) سورة الحشر بعض آية (٧) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الأقضية ح ١٨ (٣ / ١٣٤٤) وأحمد في مسنده (٦ / ١٤٦ ، ١٨٠ ، ٢٥٦) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصلح باب ٥ ح ٢٦٩٧ (الفتح ٥ / ٣٠١) وعلقه في موضعين ، انظر الفتح (٤ / ٣٥٥) و (١٣ / ٣١٧) وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الأقضية ح ١٧ (٣ / ١٣٤٣) وأبو داود في سننه كتاب السنة باب ٦ ح ٤٦٠٦ (٥ / ١٢) .
وابن ماجه في سننه ، المقدمة ح ١٤ (١ / ٧) وأحمد في مسنده (٦ / ٢٤٠ ، ٢٧٠) .

وقوله : (إن صحة الأعمال ووجوب أحكامها إنما يكون بالنية ، فإن النية هي المصرفة لها إلى جهاتها . . . .)الخ معناه أن من شروط صحة العمل إخلاص النية فيه ابتغاء وجهه تعالى دون غيره ، ليكون - مع ما تقدم من شروط - مدعاة لقبوله والرضا على فاعله ، تشهد لهذا أدلة كثيرة ، قال تعالى : ﴿ فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾[1] وقال ﴿ إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ﴾[2] وقال : ﴿ قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين ﴾[3] إلى قوله ﴿ قل الله أعبد مخلصا له ديني ﴾[4] وقال : ﴿ فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ﴾[5] وقال : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾[6] .

وقال -عليه الصلاة والسلام- : ((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى ...))[7]

---

(١) سورة الكهف بعض آية (١١٠) .

(٢) سورة الزمر آية (٢) .

(٣) سورة الزمر آية (١١) .

(٤) سورة الزمر آية (١٤) .

(٥) سورة غافر آية (١٤) .

(٦) سورة البينة بعض آية (٥) .

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الوحي باب ١ ح ١ (الفتح (١/ ٩) وكذا في مواضع أخرى من صحيحه ، انظر دليل القاري للشيخ الغنيمان (ص ٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ح (١٥٥) (٣/ ١٥١٥ - ١٥١٦) .
وأبو داود في سننه ، كتاب الطلاق باب ١١ ح ٢٢٠١ (٢/ ٦٥١-٦٥٢)
والنسائي في سننه ، كتاب الطهارة باب ٦٠ ح ٧٥ (١/ ٥٨ - ٦٠)
وفي كتاب الطلاق باب ٢٤ ح ٣٤٣٧ (٦/ ١٥٨ - ١٥٩) ======

وقال " ((قال الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عمـلا أشرك فيه معي غيرى تركته وشركه))[1] .

قال الفضيل[2] في قوله تعالى : ﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾[3] : (أخلصـه

(=) وفي كتاب الأيمان والنذور باب ١٩ ح ٣٧٩٤ (١٣/٧) والترمذي في سننه ، كتاب فضائل الجهاد باب ١٦ ح ١٦٤٧ (١٧٩/٤ - ١٨٠) وابن ماجه في سننه كتاب الزهد باب ٢٦ ح ٤٢٢٧ (١٤١٣/٢) ومالك في موطئه برواية محمد بن الحسن الشيباني ح ٩٨٣ (ص ٣١٢) وأحمد في مسنده (طبعة شاكر) ح ١٦٨ (١٧٠/١) .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الزهد والرقائق ح ٤٦ (٢٢٨٩/٤) وابن ماجه في سننه كتاب الزهد باب ٢١ ح ٤٢٠٢ (١٤٠٥/٢) وهو فيه بلفظ : ((.. فمن عمل لي عملا أشرك فيه غيرى فأنا منه بـــرىء وهو للذى أشرك)) .

(٢) هو أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر ، الإمام الزاهد العابد المشهور ، شيخ الحرم المكي ، ثقة ثبت ، أخرج له الشيخان وغيرهما ، ولد بسمرقند سنة ١٠٥ ومات بمكة سنة ١٨٧ .
القند في ذكر علماء سمرقند (ص ٥٠١ - ٥٠٣) ووفيات الأعيـان (٤٧/٤ - ٥٠) وسير أعلام النبلاء (٤٢١/٨ - ٤٤٢) .

(٣) سورة الملك بعض آية (٢) .

وأصوبه ، فإنه إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا ، والخالص إذا كان لله ، والصواب إذا كان على السنة)[١] ، ثم قرأ : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾[٢][٣]

وقال العلامة ابن القيم[٤] : (الأعمال أربعة : واحد مقبول ، وثلاثة مردودة ، فالمقبول ما كان لله خالصا وللسنة موافقا ، والمردود ما فقد منه الوصفان أو أحدهما ، وذلك أن العمل المقبول هو ما أحبه الله ورضيه ، وهو سبحانه إنما يحب ما أمر به وما عمل لوجهه ، وما عدا ذلك من الأعمال فإنه لا يحبها ، بل يمقُتُها ويمقت أهلها)[٥] .

وقال أيضا : (والعبد إذا عزم على فعل أمر فعليه أن يعلم أولا هل هو طاعة لله أم لا ؟ فإن لم يكن طاعة فلا يفعله إلا أن يكون مباحا يستعين به على الطاعة ، وحينئذ يصير طاعة ، فإذا بان له أنه طاعة فلا يقدِمُ عليه حتى ينظر هل هو معان عليه أم لا ؟ فإن لم يكن معانا عليه فلا يقدِم عليه فيذل نفسه ، وإن كان معانا عليه بقي عليه نظر آخر وهو أن يأتيه من بابه ، فإن أتاه من غير بابه أضاعه أو فرط فيه أو أفسد منه شيئا ، فهذه الأمور الثلاثة أصل سعادة العبد وفلاحه)[٦] .

---

(١) أخرجه عنه أبو نعيم في الحلية (٨/٩٥) .

(٢) سورة الكهف بعض آية (١١٠) .

(٣) الزيادة من إعلام الموقعين (٢/١٦٢) .

(٤) عند شرحه لقول عمر - رضي الله عنه - : (فإن الله لا يقبل من العباد إلا ما كان له خالصا) .

(٥) إعلام الموقعين (٢/١٦٢) وانظر : جامع العلوم والحكم لابن رجب (ص ١٢ - ١٣) .

(٦) إعلام الموقعين (٢/١٦٠) .

المبحث الرابع

((أنــــواع العبـــادة))

إن كل ما أمر به سبحانه وحث على فعله ورغب فيه ، وكذا كل ما دعى إليه رسوله عليه الصلاة والسلام من أعمال الخير والإحسان وأنواع الطاعات ، داخل في مفهوم العبادة وعمومها ، لا يجوز صرفه - بحال - لغيره تعالى ، لكونه المعبود المطاع ، ولا معبود بحق سواه .

وأشمل تعريف لمسمى العبادة ما ذكره ابن تيمية - رحمه الله تعالى - قائلا : (العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، فالصلاة والزكاة والصيام والحج ، وصدق الحديث، وأداء الأمانة وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهود ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم ، والدعاء والذكر والقراءة ، وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله ، وخشية الله والإنابة إليه ، وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه ، والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله).[1] اهـ

فالعبادة إذاً - بمفهومها الشامل - أنواع كثيرة جدا ، ومما وقفت عليه منها مما ذكره الخطابي ما يأتي :

أ) الدعـــاء : ومطالبه التي تَنَاوَلَهَا تنحصرُ في تعريفه ومعناه وحقيقته وحكمه وشرائط صحته وما يستحب وما يكره فيه ، وكذا ما يجب أن يراعى فيه .

---

(١) العبودية (ص ٥ - ٦) .

١) تعريفه : قال : (أصل هذه الكلمة مصدر ، من قولك : دعوت الشيء أدعوه دعاء ، أقاموا المصدر مقام الاسم ، تقول : سمعت دعاء كما تقول : سمعت صوتا ، وكما تقول : اللهم اسمع دعائي ، وقد يوضع المصدر موضع الاسم ، كقولهم : رجل عدل ، وهذا درهم ضرب الأمير ، وهذا ثوب نسج اليمن) .

٢) معناه : قال : (ومعنى الدعاء : استدعاء العبد ربه - عز وجل - العناية واستمداده إياه المعونة) .

٣) حقيقته : قال : (وحقيقته : إظهار الافتقار إليه والتبرؤ من الحول والقوة وهو سمة العبودية واستشعار الذلة البشرية ، وفيه معنى الثناء على الله عز وجل وإضافة الجود والكرم إليه [(١)] ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((الدعاء هو العبادة)) [(٢)] معناه : أنه معظم العبادة أو أفضل العبادة ، كقولهم : الناس بنو تميم والمال الإبل ، يريدون : أنهم أفضل

---

(١) تعريف الدعاء لغة وبيان معناه وحقيقته ذكره الزركشي في الأزهية (ص ٢٦-٢٧) نقلا عن الخطابي وكذا الزبيدي في الإتحاف (٥/ ٢٧ - ٢٨) .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الصلاة باب ٣٥٨ ح ١٤٧٩ (٢/ ١٦١) والنسائي في سننه الكبرى ، كتاب التفسير - سورة غافر - ح ١١٤٦٤ ، (٦/ ٤٥٠) والترمذي في سننه ، كتاب تفسير القرآن باب ٣ ح ٢٩٦٩ (٥/ ٢١١) وفي باب ٤٢ ح ٣٢٤٧ (٥/ ٣٧٥) وفي كتاب الدعاء باب ١ ح ٣٣٧٢ (٥/ ٤٥٦) وابن ماجه في سننه كتاب الدعاء باب ١ ح ٣٨٢٨ (٢/ ١٢٥٨) ، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٦) والحاكم في مستدركه (١/ ٤٩١) وقال : حديث صحيح ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وكذا صححه ابن حبان كما في الإحسان ح ٨٩٠ (٣/ ١٧٢) كلهم من حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنه - .

الناس أو أكثرهم عددا أو ما أشبه ذلك ، وأن الإبل أفضل أنواع الأموال وأنبلها وكقول النبي -صلى الله عليه وسلم- : ((الحج عرفة))[١] يريد : أن معظم الحج الوقوف بعرفة ، وذلك لأنه إذا أدرك عرفة فقد أمن فوات الحج ، ومثله في الكلام كثير .

٤) حكمه : قال : (وقد اختلفت مذاهب الناس في الدعاء[٢] فقال قوم : لا معنى للدعاء ولا طائل له ، لأن الأقدار سابقة والأقضية متقدمة[٣] ، والدعاء لا يزيد فيها وتركه لا ينقص شيئا منها ، ولا فائدة في الدعاء والمسألة وقد قال

---

(١) هو قطعة من حديث أخرجه أبو داود في سننه كتاب المناسك باب ٦٩ ح ١٩٤٩ (٤٨٥/٢ - ٤٨٦) .
والنسائي في سننه كتاب مناسك الحج باب ٢١١ ح ٣٠٤٤ (٢٦٤/٥-٢٦٥) والترمذي في سننه كتاب الحج باب ٥٧ ح ٨٨٩ (٢٢٨/٣) وابن ماجه في سننه كتاب المناسك باب ٥٧ ح ٣٠١٥ (١٠٠٣/٢) والدارمي في سننه كتاب المناسك باب ٥٤ ح ١٨٨٧ (٨٢/٢) والإمام أحمد في مسنده (٣٠٩/٤ ، ٣١٠) والحاكم في مستدركه (٤٦٤/١) وصححه ، ووافقه الذهبي ، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان ح ٣٩٩٢ (٢٠٣/٩) كلهم من حديث عبد الرحمن بن يعمر الديلمي -رضي الله عنه- . وانظر إرواء الغليل ح ١٠٦٤ (٢٥٦/٤) .

(٢) انظر : الرسالة القشيرية (٥٢٧/٢) والدعاء المأثور وآدابه (ص ١٣٣) وما بعدها وشرح النووي لصحيح مسلم (٣٠/١٧) والأزهية (ص ٤٥) وما بعدها وفتح الباري (٩٥/١١) وإتحاف السادة المتقين (١١٧/٥)

(٣) قال النووي في شرحه لصحيح مسلم (٣٠/١٧) وذهبت طائفة من الزهاد وأهل المعارف إلى أن ترك الدعاء أفضل استسلاما للقضاء)
وانظر : الرسالة القشيرية (٥٢٧/٢) والدعاء المأثور وآدابه (ص ١٣٣) والأزهية (ص ٤٥) .

-صلى الله عليه وسلم-: ((قدر الله المقادير قبل أن يخلق الخلق بكذا وكذا عاما)) [1] . وروى عنه-صلى الله عليه وسلم-أنه قال : ((جف القلم بما هو كائن)) [2]

وروي عنه صلى الله عليه وسلم : ((أربع قد فرغ الله منها : العمر والرزق والخلق والخلق)) [3] أو كما قال .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب القدر ح ١٦ (٤/٢٠٤٤) ولفظه : ((كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، قال : وكان عرشه على الماء)) .
والترمذي في سننه كتاب القدر باب ١٨ ح ٢١٥٦ (٤/٤٥٨) .
وأحمد في مسنده (٢/١٦٩) .
والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٤٧٧) جميعهم من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- .

(٢) هو قطعة من حديث طويل أخرجه الإمام أحمد في مسنده (طبعة شاكر) ح ٦٨٥٤ (١١/٧٨-٧٩) وح ٦٦٤٤ (١٠/١٢٧-١٣٠)
ولفظه في الموضع الأخير : ((جف القلم على علم الله عز وجل)) .
وصحح الشيخ أحمد شاكر إسناديهما في الموضعين ، وأخرجه الحاكم في مستدركه (١/٣٠-٣١) وقال : هذا حديث صحيح قد تداوله الأئمة وقد احتجا بجميع رواته ثم لم يخرجاه ولا أعلم له علة) .
قال الذهبي : (على شرطهما ولا علة له) . وقال الحافظ في الفتح (١١/٤٩٢) عند شرحه لحديث أبي هريرة : ((جف القلم بما أنت لاق))
(ووقع لفظ ((جف القلم)) أيضا في حديث جابر عند مسلم ((قال سراقة يارسول الله فيم العمل أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير))
الحديث ، وفي آخر حديث ابن عباس الذى فيه : ((احفظ الله يحفظك))
ففي بعض طرقه ((جفت الأقلام وطويت الصحف)) وفي حديث عبد الله بن جعفر عند الطبراني في حديث ((واعلم أن القلم قد جف بما هو كائن))
وفي حديث الحسن بن علي عند الفريابي ((رفع الكتاب وجف القلم)) .

(٣) روى الطبراني في الكبير ح ٨٩٥٣ و٨٩٥٤ (٩/٢١٧-٢١٨) عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال : (أربع قد فرغ منهن من

=====

وقالت طائفة أخرى : الدعاء واجب ، وهو يدفع البلاء ويرد القضاء[(١)] ، واحتجوا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((لا يرد القضاء إلا الدعاء))[(٢)]

(=) الخلق والخلق والرزق والأجل) . قال في المجمع (١٩٥/٧) - بعد أن عزاه للطبراني - : (وفيه عيسى بن المسيب وثقه الحاكم والدارقطني في السنن وضعفه جماعة) .

قلت : وله شاهد من حديث ابن مسعود مرفوعا ، وفيه : ((ثم يبعث الله إليه ملكا بأربع كلمات ، فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أم سعيد)) الحديث.

أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ١ ح : ٣٣٣٢ (الفتح ٣٦٣/٦) وانظر: ح ٣٢٠٨ و ٦٥٩٤ و ٧٤٥٤ ، ومسلم في صحيحه كتاب القدر ح ١ (٢٠٣٦/٤) .
وأبو داود في سننه كتاب السنة باب ١٧ ح ٤٧٠٨ (٨٢/٥ - ٨٣)
والترمذي في سننه كتاب القدر باب ٤ ح ٢١٣٧ (٤٤٦/٤) وابن ماجه في سننه ، المقدمة باب ١٠ ح ٧٦ (٢٩/١) .

(١) نسبه الزركشي في الأزهية (ص ٣٣) إلى بعض الأئمة ، وهو الذي يظهر من كلام الشوكاني في تحفة الذاكرين (ص ٢٨) .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب القدر باب ٦ ح ٢١٣٩ (٤٤٨/٤) من حديث سلمان - رضي الله عنه - وقال : هذا حديث حسن غريب .
قلت : ويشهد له حديث ثوبان - رضي الله عنه - أخرجه ابن ماجه في سننه ، المقدمة باب ١٠ ح ٩٠ (٣٥/١) وفي كتاب الفتن باب : ٢٢ ح ٤٠٢٢ (١٣٣٤/٢) وقد حسنه العراقي كما في الزوائد (٦١/١)
وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٧٧/٥ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢) ،
والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (١٣٣/٢) ولم أجده فيه ، والحاكم في المستدرك (٤٩٣/١) وصححه ووافقه الذهبي ، وصححه - أيضا - الألباني في السلسلة الصحيحة ح ١٥٤ (٢٣٦/١ - ٢٣٨)
وتمامه : ((لا يرد القدر إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر ، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه)) .

وبما رُوي : ((أن الدعاء والقضاء يلتقيان فيعتلجان [١] مابين السماء والأرض)) [٢]

وقال آخرون : ((الدعاء واجب ، إلا أنه لا يستجاب منه إلا ما وافق القضاء ، وهذا المذهب هو الصحيح ، وهو قول أهل السنة والجماعة ، وفيه الجمع بين الأخبار المروية على اختلافها والتوفيق بينها [٣] ، فأما من ذهب إلى إبطال الدعاء فمذهبه فاسد ، وذلك أن الله سبحانه أمر بالدعاء وحض عليه ، فقال : ((أدعوني أستجب لكم ﴾ [٤] وقال عز وجل : ﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخفية ﴾ [٥] وقال تعالى : ﴿ قل ما يعبئوا بكم ربي لولا دعاؤكم ﴾ [٦] في آي ذوات عدد في القرءان .

---

(١) يعتلجان : يتصارعان . النهاية (٣/٢٨٦) .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/٤٩٢) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ بلفظ : ((لا يغني حذر من قدر ، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة)) . وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/١٤٦) وقال : (وفيه زكريا بن منظور وثقه أحمد بن صالح المصري وضعفه الجمهور ، وبقية رجاله ثقات) .
ورواه البزار كما في كشف الأستار ح ٣١٣٦ (٤/٣٧) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بألفاظ متقاربة وفي سنده إبراهيم بن خثيم بن عراك قال الهيثمي : وهو متروك . وانظر : اللسان (١/٥٣) .

(٣) سبقت الإشارة إلى أن الحكم بالوجوب حكاه الزركشي في الأزهية (ص ٣٣) وهو ظاهر كلام الشوكاني في تحفة الذاكرين (ص ٢٨) لكن بدون ذكر هذا التفصيل ، وصرح الإمام النووي بالاستحباب ونسبه للجمهور فقال في الأذكار (ص ٦٠٨) : (اعلم أن المذهب المختار الذي عليه الفقهاء والمحدثون وجماهير العلماء من الطوائف كلها من السلف والخلف أن الدعاء مستحب) . وانظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/٣٠) . لكن الراجح في المسألة ـ والعلم عند الله تعالى ـ أن الدعاء تجرى فيه الأحكام الخمسة المعروفة ، انظر : بيان ذلك وإيضاحه بكتاب الفروق للقرافي (٤/٢٥٩) وما بعدها .

(٤) سورة غافر بعض آية (٦٠) . (٥) سورة الأعراف بعض آية (٥٥)

(٦) سورة الفرقان بعض آية (٧٧) .

ومن أبطل الدعاء فقد أنكر القرآن ورده ، ولا خفاء بفساد قوله وسقوط مذهبه .

فإن قيل : فإذا كان الأمر على ما ذكرتموه من أن الدعاء لا يدفع ضررا ولا يجلب نفعا لم يكن جرى به القضاء فما فائدته ؟ وما معنى الاشتغالِ به ؟ فالجواب أن هذا من جملة الباب الذي وقع التعبد فيه بظاهر من العلم ، يجري مجرى الإمارة المبشرة أو المنذرة دون العلة الواجبة ، وذلك - والله أعلم - لتكون المعاملة فيه على معنى الترجي والتعلق بالطمع الباعثين على الطلب دون اليقين الذي يقع معه طمأنينة النفس ، فيفضي بصاحبه إلى ترك العمل والإخلاد إلى دَعَةِ العطلة ، فإن العمل الدائرَ بين الظفر بالمطلوب وبين مخافة فوته يحرك على السعي له والدأب فيه ، واليقين يسكن النفس ويريحها ، كما اليأس يبلدها ويطفئها ، وقد قضى الله - سبحانه - أن يكون العبد ممتحنا ومستعملا ومعلقا بين الرجاء والخوف اللذين هما مدرجتا العبودية ، ليُستخرج منه بذلك الوظائف المضروبةُ عليه التي هي سِمة كل عبد ، ونِصبةُ كلّ مربوب مدبّر ، وعلى هذا بني الأمر في معاني ما نعتقده في مبادئ الأمور التي هي الأقدار والأقضية ، مع التزامنا الأوامر التي تُعبدنا بها ، ووُعدنا عليها في المعاد الثواب والعقاب .

ولما عرض في هذا من الاشكال ما سألت الصحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالوا : ((أرأيت أعمالنا هذه أشيء قد فرغ منه أم أمر نستأنفه ؟ فقال : ((بل هو أمر قد فرغ منه)) فقالوا : ففيم العمل إذاً ؟ قال : ((اعملوا فكل ميسر لما خلق له)) قالوا : فنعمل إذا) .[1]

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (كما في الإحسان) ح ٣٣٦ (٢/٤٨) عن جابر - رضي الله عنه - أنه قال : (قلت : يارسول الله ، أنعمل لأمر قد فرغ منه ، أم لأمر نأتنفه ؟ قال : ((لأمر قد فرغ منه)) =====

ألا تراه كيف علقهم بين الأمرين فرهنهم بسابق القدر المفروغ منه ، ثم ألزمهم العمل الذي هو مدرجة التعبد لتكون تلك الأفعال أمائر مبشرةً ومنذرةً ، فلم يبطل السبب الذي هو كالفرع بالعلة التي هي له كالأصل ، ولم يترك أحدَ الأمرين للآخر ، وأخبر مع ذلك أن فائدة العمل هو القدر المفروغ منه وهو معنى قوله-صلى الله عليه وسلم-: ((فكل ميسر لما خلق له)) ، يريد : أنه ميسر في أيام حياته للعمل الذي سبق له القدر به قبل وقت وجوده وكونه ، إلا أن الواجب عليك هاهنا أن تعلم فرق ما بين الميسر والمسخر ، فتفهم ، وكذلك القول في باب الرزق وفي التسبب إليه بالكسب ، وهو أمر مفروغ منه في الأصل لايزيده الطلب ولا ينقصه الترك ، ونظير ذلك أمر العمر والأجل المضروب فيه في قوله عز وجل : ﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ [1] ، ثم

(=) قال : ففيم العمل إذا ؟ فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: ((كل عامل ميسر لعمله)) . ويشهد له عدة أحاديث منها ما رواه البخاري في صحيحه ح ٤٩٤٦ في التفسير و ح ٧٥٥٢ في التوحيد ومسلم في صحيحه كتاب القدر ح ٦ و ٨ وأحمد في مسنده (١/ ١٤٠) واللفظ للبخاري : ((ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار أو من الجنة)) قالوا يارسول الله أفلا نتكل ؟ قال : ((اعملوا فكل ميسر))﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى ﴾ الآية .

(١) سورة الأعراف بعض آية (٣٤) .

قد جاء في الطب والعلاج ما جاء [1] وقد استعمله عامة أهل الدين من السلف والخلف ، مع علمهم بأن ما تقدم من الأقدار والأقضية لا يدفعها التعالج بالعقاقير والأدوية .

وإذا تأملت هذه الأمور علمت أن الله سبحانه قد لطف بعباده ، فعلل طباعهم البشرية بوضع هذه الأسباب ليأنسوا بها فيخفف عنهم ثقل الامتحان الذي تعبدهم به ، وليتصرفوا بذلك بين الرجاء والخوف ، وليستخرج منهم وظيفتي الشكر والصبر في طوري السراء والضراء والشدة والرخاء ، ومن وراء ذلك علم

---

(١) كقوله عليه الصلاة والسلام : ((ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء)) .
رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الطب باب (١) ح ٥٦٧٨ (١٠/ ١٣٤)
وابن ماجه في سننه كتاب الطب باب ١ ح ٣٤٣٩ (٢/ ١١٣٨) . وما ثبت من حديث زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك - رضي الله عنه - قال : أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير ، فسلمت ثم قعدت ، فجاء الأعراب من هاهنا وهاهنا فقالوا : يارسول الله أنتداوى ؟ فقال : ((تداووا ، فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد : الهرم)) .

أخرجه أبو داود في سننه كتاب الطب باب ١ ح **٣٨٥٥** (٤/ ١٩٢-١٩٣)
والترمذي في سننه ، كتاب الطب باب ٢ ح ٢٠٣٨ (٤/ ٣٨٣)
وابن ماجه في سننه كتاب الطب باب ١ ح ٣٤٣٦ (٢/ ١١٣٧) - بألفاظ متقاربة - وأحمد في مسنده (٤/ ٢٧٨) وابن حبان في صحيحه (كما في الإحسان) ح ٦٠٦١ و ٦٠٦٤ (١٣/ ٤٢٦ و ٤٢٩) ،
قال الترمذي : (وهذا حديث حسن صحيح ، وفي الباب عن ابن مسعود وأبي هريرة وأبي خزامة عن أبيه وابن عباس) .
انظر : تحفة الأحوذي (٦/ ١٩٠ - ١٩١) .

الله تعالى فيهم ولله عاقبة الأمور ، وهو العليم الحكيم ،لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ﴿ لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ﴾[(١)] .

فإن قيل : فما تأويل قوله سبحانه : ﴿ ادعوني استجب لكم ﴾[(٢)] وهو وعد من الله جل وعز يلزم الوفاء به ولا يجوز وقوع الخلف فيه ؟ قيل : هذا مضمر فيه المشيئة[(٣)] كقوله : ﴿ بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء ﴾[(٤)] ، وقد يرد الكلام بلفظ عام مراده خاص، وإنما يستجاب من الدعاء ما وافق القضاء[(٥)] ومعلوم

---

(١) سورة الأنبياء آية (٢٣) .

(٢) سورة غافر بعض آية (٦٠) .

(٣) قال أبو بكر الطرطوشي في الدعاء المأثور وآدابه (ص ١١٦ - ١١٨) - مع بعض الاختصار - : (فإن قال قائل : قال الله سبحانه ﴿ أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ يدعو الداعي فلا يجاب دعاؤه ، والجواب عن ذلك فيما يقال في الآية : إنها مطلقة ، ثم قيدت بالمشيئة قال الله تعالى ﴿ فيكشف ما تدعون إليه إن شاء ﴾ ، فتقدير الكلام : أجيب دعوة الداعي إن شئت ، نظيره قوله سبحانه : ﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ﴾ وكثير ممن يريد حرث الدنيا ولا يؤتاه ، فهذا خطاب مطلق ثم قيد بالمشيئة فقال في موضع آخر : ((عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد)) ، فهذا هو الجواب الأصولي المعوّل عليه) .

(٤) سورة الأنعام بعض آية (٤١) .

(٥) قال أبو بكر الطرطوشي في الدعاء المأثور وآدابه (ص ١٠١ - ١٠٢) (فإن قيل : فهل تجوزون أنه يدعو العبد في حاجته ثم لا تجاب دعوته ؟ قلنا إن شاء الله ما سبق في معلومه أنه يكون تجاب دعوته ، لأن الدعاء لا يغلب المعلوم) .

أنه لا تظهر لكل داع استجابة دعائه ، فعلمت أنه إنما جاء في نوع خاص منه بصفة معلومة .

وقد قيل : معنى الاستجابة أن الداعي يعوض من دعائه عوضا ما ، فربما كان ذلك إسعافا بطلبته التي دعا لها ، وذلك إذا وافق القضاء ، فإن لم يساعده القضاء فإنه يُعطى سكينة في نفسه وانشراحا في صدره وصبرا يسهل معه احتمال ثقل الواردات عليه . وعلى كل حال فلا يعدم فائدة دعائه ، وهو نوع من الاستجابة ، وقد روى أبو هريرة - رضى الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : ((ما من مؤمن ينصب وجهه لله عز وجل يسأله مسألة إلا أعطاه إياه ، إما عجلها له في الدنيا وإما ادخرها له في الآخرة ما لم يعجل)) قالوا : وما عجلته ؟ قال : ((يقول دعوت دعوت فلا أراه يستجاب لي)) [1] .

---

(١) الشيخ - رحمه الله - أدخل حديثا في حديث ، ففي المسند (٢/٤٤٨) من حديث أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ما من مسلم ينصب وجهه لله عز وجل في مسألة إلا أعطاها إياه ، إما أن يعجلها له وإما أن يدخرها له)) وإسناده صحيح .

وفي المسند - أيضا - (٣/١٩٣ و ٢١٠) ومسند أبي يعلى (٣/٢١١-٢١٢) ح ٢٨٥٨ (واللفظ له) عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل)) قالوا يارسول الله وكيف يستعجل ؟ قال : ((يقول دعوت فلا أرى يستجاب لي)) . قال الهيثمي في المجمع (١٠/١٤٧) (وفيه أبو هلال الراسبي وهو ثقة وفيه خلاف وبقية رجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح) .

قلت : وقد ثبت من حديث أبي هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ((يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول ====

٥) **شرائط صحته** :[1] فإن من شرائط صحته أن يكون ذلك من العبد بإخلاص نيته[2] وإظهار فقر ومسكنة وعلى حال ضَرَع وخشوع[3] وأن يكون على طهارة من الداعي[4] واستقبال القبلة[5] ، وأن يقدم الثناء على الله عز وجل والصلاة على

(=) دعوت فلم يستجب لي)) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الدعوات باب ٢٢ ح ٦٣٤٠ الفتح (١١/١٤٠) ومسلم في صحيحه كتاب الذكر ح ٩٠ ، ٩١ (٤/٢٠٩٥) وأبو داود في سننه كتاب الصلاة باب ٣٥٨ ح ١٤٨٤ (٢/١٦٣) وابن ماجه في سننه كتاب الدعاء باب ٧ ح ٣٨٥٣ (٢/١٢٦٦) ومالك في موطئه كتاب القرآن باب ٨ ح ٢٩ (١/٢١٣).

(١) ما اندرج تحت هذا يشتمل على شروط صحة وعلى آداب الدعاء .

(٢) تقدم الكلام على وجوب إخلاص النية في أعمال العبادة ، انظر (ص٢٧٧)

(٣) انظر : الدعاء المأثور وآدابه (ص ٥٧ - ٥٨) .

(٤) يشهد لهذا نصوص كثيرة ، منها حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه وفيه - أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- دعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه فقال : ((اللهم اغفر لعبيد أبي عامر)) الحديث - وفيه قصة طويلة -. أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي باب ٥٥ ح ٤٣٢٣ ، (الفتح ٨/٤١ - ٤٢) ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة ح ١٦٥ (٤/١٩٤٣ - ١٩٤٤) .
قال الحافظ في الفتح (٨/٤٣) : (يستفاد منه استحباب التطهير لإرادة الدعاء ، ورفع اليدين في الدعاء)) .
وانظر : المنهاج للحليمي (١/٥٣٣) والأزهية (ص ٧١ - ٧٢) وتحفة الذاكرين (ص ٤٤ و ٤٧ - ٤٨) .

(٥) يشهد لهذا أنه عليه الصلاة والسلام لما أتى الموقف بعرفة استقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس ، وكذا حين دعا يوم بدر ، وحين دعا في الاستسقاء ، وفي مواطن عدة .
انظر : المنهاج للحليمي (١/٥٣٣ - ٥٣٤) والأزهية (ص ٧١ - ٧٢) والإتحاف (٥/٣٣ - ٣٤) وتحفة الذاكرين (ص ٤٨) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام دعائه .[١]

ومن سننه أن يرفع إلى الله عز وجل يديه[٢] باسطا كفيه غير ساتر لهما بثوب أو غطاء .

---

(١) يشهد لهذا نصوص عدة منها : حديث فضالة بن عبيد - رضى الله عنه - قال : سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته لم يمجد الله تعالى ولم يصل على النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : ((عجل هذا)) ثم دعاه فقال له أو لغيره : ((إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه جل وعز والثناء عليه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بعد بما شاء)) .

أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة باب ٣٥٨ ح ١٤٨١ (٢/١٦٢)

والنسائي في سننه كتاب السهو باب ٤٨ ح ١٢٨٤ (٣/٤٤) ،

والترمذي في سننه كتاب الدعوات باب ٦٥ ح ٣٤٧٧ (٥/٥١٧) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

وانظر : المنهاج للحليمي (١/٥٣٣) وغريب الحديث للخطابي (١/٧٠٩) والدعاء المأثور وآدابه (ص ٤٥ - ٤٧) وجلاء الأفهام (ص ٣٧٥ - ٣٧٧) وتحفة الذاكرين (ص ٤٨) .

(٢) صحت عدة أحاديث وكذا جملة آثار بشأن رفع اليدين عند الدعاء مطلقا وعدّ ذلك أهل العلم من آداب الدعاء وما يرغب فيه ، إلا أن بعضهم قيّد هذا الاطلاق بحالات لا يصح الرفع فيها لمخالفتها الهدي النبوي الشريف وقبل عرض ذلك أذكر بعض تلك الأحاديث الواردة في هذا الباب ، فمنها : حديث أبي موسى الأشعري - رضى الله عنه - وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم - دعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه فقال : ((اللهم اغفر لعبيد أبي عامر)) الحديث . وقد تقدم تخريجه (ص ٢٩١)

= = = = =

(=) وحديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في قصة غزوة بدر ـ وفيه : (فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه) الحديث ،أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسّيَر ح ٥٨ (٣/١٣٨٣ - ١٣٨٤) والترمذي في سننه كتاب تفسير القرآن باب ٩ ح ٣٠٨١ (٥/٢٦٩ - ٢٧٠) وأحمد في مسنده (١/٣٠ - ٣٢) .

إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة والتي أفردها الحافظ المنذري في جزء، ذكره عنه الحافظ كما في الفتح : (١١/١٤٢).وقد قال النووي في شرحه لصحيح مسلم (٦/١٩٠) : (قد ثبت رفع يديه صلى الله عليه وسلم في الدعاء في مواطن غير الاستسقاء وهي أكثر من أن تحصر وقد جمعت منها نحواً من ثلاثين حديثاً من الصحيحين أو أحدهما وذكرتها في أواخر باب صفة الصلاة من شرح المهذب). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في المجموع (٢٢/٥١٩) : (وأما رفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه في الدعاء فقد جاء فيه أحاديث كثيرة صحيحة) وانظر بيان تلبيس الجهمية (٢/٤٤٤) .

وقال الشوكاني في تحفة الذاكرين (ص ٤٨ - ٤٩) : (أقول يدل على ذلك ما وقع منه صلى الله عليه وسلم من رفع يديه في نحو ثلاثين موضعاً في أدعية متنوعة) .

وانظر : المنهاج للحليمي (١/٥٣٤ - ٥٣٥) والدعاء المأثور وآدابه (ص ٥٣) وما بعدها والأزهية (ص ٧٣) وما بعدها وجامع العلوم

= = = = =

(=) والحكم (ص ١٠٤ - ١٠٥) والجواب الكافي (ص ٣٠) وفتح الباري (١١/ ١٤١ - ١٤٣) وفض الوعاء في أحاديث رفع اليدين في الدعاء للسيوطي .

أما الحالات المشار إليها آنفا فمنها رفع الخطيب - وهو على المنبر - يديه في الدعاء إلا في دعاء الاستسقاء ، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه كتاب الجمعة ح ٥٣ (٢/ ٥٩٥) وأبو داود في سننه كتاب الصلاة باب ٢٣٠ ح ١١٠٤ (١/ ٦٦٢) والترمذي في سننه أبواب الجمعة باب ٣٧١ ح ٥١٥ (٢/ ٣٩١ - ٣٩٢) والنسائي في سننه كتاب الجمعة باب ٢٩ ح ١٤١٢ (٣/ ١٠٨) عن حصين بن عبد الرحمن قال : (رأى عمارة بن رُويبة بشر بن مروان وهو يدعو في يوم الجمعة فقال : قبح الله هاتين اليدين ، لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو على المنبر ما يزيد على هذه يعني السبابة التي تلي الابهام .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في الاختيارات العلمية (ص ٨٠) : (ويكره للإمام رفع يديه حال الدعاء في الخطبة ، وهو أصح الوجهين لأصحابنا ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما كان يشير بإصبعه إذا دعا) .

انظر : الباعث لأبي شامة (ص ٢٦٣) وشرح النووي لصحيح مسلم (٦/ ١٦٢) والأمر بالاتباع للسيوطي (ص ١٨٢) وإقامة الحجة للكنوى (ص ٢٧) .

ومن الحالات - أيضا - : رفع الناس أيديهم تأمينا على دعاء الخطيب يوم الجمعة ، قال ابن عابدين في الحاشية (٢/ ١٥٨) : (وقال البقالي في مختصره : وإذا شرع - يعني خطيب الجمعة - في الدعاء لا يجوز للقوم رفع اليدين ولا تأمين باللسان جهرا ، فإذا فعلوا ذلك أثموا وقيل أساءوا ولا إثم عليهم ، والصحيح هو الأول وعليه الفتوى) .

٦) ما يستحب فيه: ويستحب الاقتصار على جوامع الدعاء [1]، ويكره الاعتداء فيه، وليس معنى الاعتداء الإكثار منه، فقد رُوي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إن الله يحب الملحين في الدعاء)) [2]

---

(١) انظر: المنهاج للحليمي (١/٥٣٢-٥٣٣).

(٢) حديث موضوع في سنده يوسف بن السفر أبو الفيض الدمشقي كاتب الأوزاعي قال البخاري في الكبير (٨/٣٨٧): منكر الحديث.
وقال ابن حجر في اللسان (٦/٣٢٢): (قال النسائي ليس بثقة، وقال الدارقطني: متروك الحديث يكذب، وقال ابن عدي: روى بواطيل، وقال البيهقي: هو في عداد من يضع الحديث، وقال أبو زرعة وغيره متروك ..) وانظر المجروحين للبستي (٣/١٣٣).
والحديث رواه العقيلي في الضعفاء (٤/٤٥٢) وابن عدي في الكامل (٧/١٦٤) عند ترجمتها ليوسف بن السفر. وانظر: السلسلة الضعيفة ح ٦٣٧ (٢/٩٦-٩٧) وإرواء الغليل ح ٦٧٧ (٣/١٤٣) وضعيف الجامع ح ٧١٠ (٢/١١٥). والإلحاح في الدعاء بما وتكراره يعد من آداب الدعاء الثبوتية، ذكره جمع من أهل العلم، وإذا دلت عليه بعض النصوص الحديثية، كحديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعجبه أن يدعو ثلاثا ويستغفر ثلاثا) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة باب ٣٦١ ح ١٥٢٤ (٢/١٨١-١٨٢) والنسائي في عمل اليوم والليلة ح ٤٥٧ (ص ٣٣١) وابن حبان في صحيحه (كما في الإحسان) ح ٩٢٣ (٢/٢٠٣).
وجاء في حديث عائشة - رضي الله عنها - في قصة سحره صلى الله عليه وسلم (حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا، ثم دعا) الحديث. أخرجه مسلم في صحيحه كتاب السلام ح ٤٣ (٤/١٧١٩-١٧٢٠) واللفظ له والبخاري في صحيحه كتاب الدعوات باب ٥٧ ح ٦٣٩١ (١١/١٩٢-١٩٣).

=====

وقال : ((إذا دعا أحدكم فليستكثر ، فإنما يسأل ربه))[1]

(=) ولا يخفى أن الإلحاح في الدعاء وإعادته وتكراره زيادة في الطاعة ودلالة على افتقار العبد واحتياجه لربه والتجائه إليه ، فيكسب بذلك محبة ورضى ، وتوفيقا وإجابة ، وقد قال عليه الصلاة والسلام - ((من لم يسأل الله يغضب عليه)) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الدعوات باب ٢ ح ٣٣٧٣ (٥/٤٥٦) وابن ماجه في سننه كتاب الدعاء باب ١ ح ٣٨٢٧ (٢/١٢٥٨) وصححه الشيخ الألباني ، انظر صحيح سنن الترمذي ح ٢٦٨٦ (٣/١٣٨) وفتح الباري (١١/٩٥) وفي معنى هذا الحديث يقول الشاعر :

لا تسألن بُنَيَّ آدم حاجةً ∴ وسل الذى أبوابه لا تُحجبُ

الله يغضب إن تركت سُؤالَهُ ∴ وبُنِي آدمُ حين يُسألُ يغضبُ

أورده البيهقي في الجامع لشعب الإيمان (٣/٣٠١) وعنه الحافظ السيوطي في الإزدهار (ص ٩٠). وللاطلاع على كلام أهل العلم في مسألة الإلحاح في الدعاء ، انظر : المنهاج للحليمي (١/٥٣٢) وجلاء الأفهام (ص ٢٩٩) والجواب الكافي (ص ٣٠) وجامع العلوم والحكم (ص ١٠٥) وإتحاف السادة المتقين (٥/٣٩) .

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان ح ٨٨٩ (٣/١٧٢) من حديث عائشة - رضي الله عنها - ولفظه : ((إذا سأل أحدكم فليكثر فإنما يسأل ربه)) . وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/١٥٠) من حديث عائشة - أيضا - بلفظ : ((إذا تمنى أحدكم فليكثر فإنما يسأل ربه عز وجل)) ثم قال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح .
وانظر السلسلة الصحيحة ح ١٢٦٦ (٣/٢٦٣) وح ١٣٢٥ (٣/٣١٦) .

وإنما هو[1] مثل ما روي عن سعد [2] أنه سمع ابنا له يقول : (اللهم إني أسألك الجنة ونعيمها وبهجتها وكذا وكذا ، وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها وكذا وكذا ، فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إنه سيكون قوم يعتدون في الدعاء)) [3] ، فإياك أن تكون منهم ، فإنك إذا سألتها فأعطيتها أعطيتها وما فيها ، وإذا تعوذت من النار فأعذت منها أعذت منها وما فيها من الشر) .

---

(١) أي الاعتداء في الدعاء .

(٢) هو أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري المكي ، صحابي جليل ، ومن العشرة المبشرين بالجنة فاتح العراق ومدائن كسرى ، مات بالمدينة سنة ٥٥ وقيل غير ذلك .

الاستيعاب (٢/٦٠٦ - ٦١٠) وأسد الغابة (٢/٣٦٦ - ٣٧٠) والإصابة (٣/٧٣ - ٧٧) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (طبعة شاكر) ح ١٤٨٣ (٣/٤٧) وح ١٥٨٤ (٣/٨٩) وضعف الشيخ إسناده في الموضعين لجهالة مولى سعد - الوارد في سنده - وكذا جهالة ابن سعد ، ورواه أبو داود في سننه ، كتاب الصلاة باب ٣٥٨ ح ١٤٧٩ (٢/١٦١ - ١٦٢)
قال المنذري في مختصر سنن أبي داود (٢/١٤٢) : (وسعد هذا هو ابن أبي وقاص ، وابنه هذا لم يسم ، فإن كان عمر فلا يحتج به) .
أقول : ويقويه حديث عبد الله بن المغفل - رضي الله عنه - أنه سمع ابنه يقول : (اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها فقال : أي بني سل الله الجنة وتعوذ به من النار ، فإني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء) .
أخرجه أبو داود في سننه كتاب الطهارة باب ٤٥ ح ٩٦ (١/٧٣)

=====

٧) ما يكره فيه : قال: (ويكره فيه الجهر الشديد بالصوت [(١)] ، وتكره الإشارة فيه بإصبعين ، وإنما يشير بالسبابة من يده اليمنى فقط ، وقد رأى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رجلا يشير بإصبعين فقال له : ((أَحِّدْ أَحِّدْ)) . [(٢)]

(=) وابن ماجه في سننه كتاب الدعاء باب ١٣ ح ٣٨٦٤ (١٢٧١/٢) وأحمد في مسنده (٨٦/٤ ، ٨٧) والحاكم في مستدركه (١٦٢/١ و ٥٤٠) قال الذهبي في الموضع الأول ، فيه إرسال ، وفي الموضع الثاني وافق الحاكم على تصحيحه. وأخرجه ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان ح ٦٧٦٣ وح ٦٧٦٤ (١٦٦/١٠ - ١٦٧) والطبراني في الدعاء ح ٥٨ وح ٥٩ (٨١٠/٢ - ٨١١) .

(١) عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال : كنا مع النبي-صلى الله عليه وسلم-في سفر ، فكنا إذا علونا كبرنا ، فقال النبي-صلى الله عليه وسلم-((أيها الناس اربعوا على أنفسكم ، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، ولكن تدعون سميعا بصيرا)) الحديث .
أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الدعوات باب ٥٠ ح ٦٣٨٤ (الفتح ١٨٧/١١) وانظر ح ٢٩٩٢ و ٤٢٠٢ و ٦٤٠٩ و ٦٦١٠ و ٧٣٨٦ ومسلم في صحيحه كتاب الذكر ح ٤٤ (٢٠٧٦/٤) وأبو داود في سننه كتاب الصلاة باب ٣٦١ ح ١٥٢٦ (١٨٢/٢ - ١٨٣) والترمذي في سننه كتاب الدعاء ح ٣٣٧٤ (٤٥٧/٥) ، وأحمد في مسنده (٤٠٢/٤ ، ٤٠٣ ، ٤٠٧ ، ٤١٧) .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة باب ٣٥٨ ح ١٤٩٩ (١٦٩/٢) من حديث سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال : (مَرَّ عليَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- وأنا أدعو بإصبعي فقال : ((أَحِّدْ أَحِّدْ)) وأشار بالسبابة) . وكذا أخرجه النسائي في سننه كتاب السهو باب ٣٧ ح ١٢٧٣ (٣٨/٣) وأخرجه - أيضا - من حديث أبي هريرة في الموضع السابق ح ١٢٧٢ وكذا الترمذي في سننه كتاب الدعوات باب ١٠٥ ، ح ٣٥٥٧ (٥٥٧/٥) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع ح ١٨٩ (٩٩/١) .

ويكره في الدعاء السجع وتكلف صنعة الكلام له .[1]

ولا يجوز أن يدعا بالمحال وأن يطلب مالا مطمع فيه ، كمن يدعو بالخلود في الدنيا ، وقد علم أن الله سبحانه استأثر بالبقاء وكتب الفناء على جميع خلقه[2] ولا يدعو بمعصية ولا بقطيعة رحم ونحوها من الأمور المحظورة ، وليتخير لدعائه والثناء على ربه أحسن الألفاظ وأنبلها وأجمعها للمعاني وأبينها ، لأنه مناجاة العبد سيد

---

(١) روى البخاري بإسناده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : (. . فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه ، فإني عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم - وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك - يعني لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب . .) .

انظر : فتح الباري (١١ / ١٣٨) ح ٦٣٣٧ ، وروى الإمام أحمد في المسند (٦ / ٢١٧) والطبراني في الدعاء ح ٥٤ (٢ / ٨٠٨ - ٨٠٩) بألفاظ متقاربة عن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت للسائب : (إياك والسجع فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم - وأصحابه لم يكونوا يسجعون ..) .

في حين وردت بعض الأحاديث الصحيحة في أدعيته عليه الصلاة والسلام وهي مسجوعة ، كما في قوله : ((اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها)) .

أخرجه مسلم وغيره ، وقد جمع أهل العلم بين هذه النصوص جمعاً حسناً ، فقال النووي - عند شرحه لهذا الحديث - : (هذا الحديث وغيره من الأدعية المسجوعة دليل لما قاله العلماء أن السجع المذموم في الدعاء هو المتكلف ، فإنه يذهب الخشوع والخضوع والإخلاص ، ويلهي عن الضراعة والافتقار وفراغ القلب ، فأما ما حصل بلا تكلف ولا إعمال فكر لكمال الفصاحة ونحو ذلك ، أو كان محفوظا فلا بأس به ، بل هو حسن) .

شرح النووي لصحيح مسلم (١٧ / ٤١) . وانظر : الدعاء المأثور وآدابه (ص ١٤٦ - ١٥١) وإتحاف السادة المتقين (٥ / ٣٧ - ٣٨) .

(٢) قال تعالى ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ سورة القصص بعض آية (٨٨) وقال : ﴿ كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ سورة الرحمن آية (٢٦) و (٢٧) .

السادات الذى ليس له مثل ولا نظير ، ولو تقدم بعض خدم ملوك أهل الدنيا إلى صاحبه ورئيسه في حاجة يرفعها إليه أو معونة يطلبها منه لتخير له محاسن الكلام ، ولتخلص إليه بأجود ما يقدر عليه من البيان ، ولئن لم يستعمل هذا المذهب في مخاطبته إياه ، ولم يسلك هذه الطريقة فيها معه ، أوشك أن ينبو سمعه عن كلامه ، وأن لا يحظى بطائل من حاجته عنده ، فما ظنك برب العزة سبحانه ، وبمقام عبده الذليل بين يديه ، ومن عسى أن يبلغ بجهد بيانه كنه الثناء عليه ؟ وهذا رسوله وصفيه صلى الله عليه وسلم قد أظهر العجز والانقطاع دونه فقال في مناجاته : ((وأعوذ بك منك ، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك)) .[1]

فسبحان من جعل عجز العاجزين عن شكره والثناء عليه شكرا لهم ، كما جعل معرفة العارفين بأنهم لا يدركون كنه صفته إيمانا لهم ، وقد أُولع كثير من العامة بأدعية منكرة اخترعوها وأسماء سموها ما أنزل الله بها من سلطان ، وقد يوجد

---

(١) هو قطعة من حديث عائشة - رضي الله عنها - وتمامه أنها قالت : فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول : ((اللهم أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك)) .

أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة ح ٢٢٢ (١/٣٥٢)

وأبو داود في سننه كتاب الصلاة باب ١٥٢ ح ٨٧٥ (١/٥٤٥)

والنسائي في سننه كتاب التطبيق باب ٤٧ ح ١١٠٠ (٢/٢١٠) وفي باب ٧١ ح ١١٣٠ (٢/٢٢٢ - ٢٢٣) . والترمذي في سننه كتاب الدعوات باب ٧٦ ح ٣٤٩٣ (٥/٥٢٤)

ومالك في موطئه كتاب القرآن باب ٨ ح (٣١) (١/٢١٤) .

في أيديهم دستور[1] من الأسماء والأدعية يسمونه : (الألف الاسم) صنعها لهم بعض المتكلفين من أهل الجهل والجرأة على الله عز وجل ، أكثرها زور وافتراء على الله عز وجل ، فليجتنبها الداعي إلا ما وافق منها الصواب إن شاء الله تعالى .

ومما يسمع على ألسنة العامة وكثير من القصاص قولهم : ياسبحان ، يابرهان ، ياغفران ، ياسلطان ، وما أشبه ذلك ، وهذه الكلمات وإن كان يتوجه بعضها في العربية على إضمار النسبة بذي ، فإنه مستهجن مهجور ، لأنه لا قدوة فيه ، ويغلط كثير منهم في مثل قولهم : يارب طه ويس ، ويارب القرآن العظيم ، وأول من أنكر ذلك ابن عباس - رحمه الله - فإنه سمع رجلا يقول عند الكعبة : (يارب القرآن) فقال : (مه إن القرءان لا رب له ، إن كل مربوب مخلوق)[2] .

---

(١) الدستور بالضم : النسخة المعمولة للجماعات التي منها تحريرها . (معربة) جمع دساتير . القاموس (ص ٥٠١) مادة: (دستر)

(٢) الذي وقفت عليه ما أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد رقم ٣٧٦ (٢ / ٢٣٠ - ٢٣١) بسنده عن عكرمة قال : (كان ابن عباس في جنازة فلما وضع الميت في لحده قام رجل فقال : اللهم رب القرءان اغفر له ، فوثب إليه ابن عباس فقال : مه ، القرآن منه) .
زاد الصهيبي - أحد رواته - في حديثه : فقال ابن عباس : (القرآن كلام الله ليس بمربوب ، منه خرج وإليه يعود) .
وقد أخرجه - أيضا - البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٣١٢) بسندين آخرين ، وقوام السنة في الحجة (١ / ٣٣٥) .
وذكره البغوى في شرح السنة (١ / ١٨٥ - ١٨٦) .
ومداره عند جميع هؤلاء على علي بن عاصم بن صهيب الواسطي ، وقد تكلم عليه غير واحد وتنوعت فيه أقوال المجرحين ، فقال ابن معين : ليس بشيء ، وقال النسائي : متروك الحديث ، وقال البخاري : ليس بالقوي عندهم يتكلمون فيه . إلى غير ذلك مما قيل عنه وفيه ، مع وصفه بالخير والصلاح والتقوى .
راجع : ميزان الاعتدال (٣ / ١٣٥ - ١٣٨) وتهذيب التهذيب : (٧ / ٣٤٤ - ٣٤٨) .

فأما أغاليط من جمح به اللسان واعتسف أودية الكلام من الأعراب وغيرهم الذين لم يعنوا بمعرفة الترتيب ولم يقومهم ثقاف التأديب ، كقول بعضهم في استسقاء الغيث :

رب العباد مالنا ومالكا

قد كنت تسقينا فما بدا لكا

أنزل علينا الغيث لا أبا لكا [(١)] .

وكقول القائل من قريش حين هدموا الكعبة في الجاهلية وأرادوا بناءه على أساس إبراهيم - صلوات الله عليه - فجاءت حية عظيمة فحملت فارتدعوا ، فعند ذلك قال شيخ منهم كبير : (اللهم لا تُرَع ، ما أردنا إلا تشييد بيتك وتشريفه) [(٢)]

وكقول بعضهم - وإن كان من المذكورين في الزهاد - : (نعم المرء ربنا لو أطعناه لم يعصنا) فإنها في أخواتها ونظائرها عجرفية في الكلام وتهور فيه ، والله سبحانه متعال عن هذه النعوت ، وذكره منزه عن مثل هذه الأمور ، وقد روينا عن عون بن عبد الله [(٣)] أنه كان يقول : (ليعظم أحدكم ربه أن يذكر اسمه في كل شيء حتى يقول : أخزى الله الكلب ، وفعل الله به كذا) .

---

(١) قال المبرد : سمع أعرابي في سنة قحط بمكة يقول : (فذكره) .
قال : فسمعه سليمان بن عبد الملك فقال : أشهد أنه لا أبا له ولا أم .
انظر : مجمع الأمثال (١/ ١٢٣) ، وهو في الكامل (٢/ ٢١٦)

(٢) القائل هو الوليد بن المغيرة ، وذلك في خبر هدم الكعبة وبنائها .
انظر : السير والمغازي لابن إسحاق (ص ١٠٣) وما بعدها .

(٣) هو أبو عبد الله عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي الكوفي ، إمام عابد ثقة ، كان يقول بالإرجاء ثم رجع عنه مات سنة ١١٥ .
تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٤١) وسير أعلام النبلاء (٥/ ١٠٣- ١٠٥) وتهذيب التهذيب (٨/ ١٧١ - ١٧٣) .

وكان بعض من أدركناه من مشايخنا قل ما يذكر اسم الله جل وعز إلا فيما يتصل بطاعة أو قربة ، وكان يقول للرجل إذا جزاه خيراً : جزيت خيراً ، وقل ما يقول : جزاك الله خيراً إعظاما للاسم أن يمتهن في غير قربة أو عبادة . [1]

---

(١) بل قد ثبت غير هذا في أحاديث مباركة كقوله عليه الصلاة والسلام :
((من صُنع إليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء))
أخرجه الترمذي في سننه كتاب البر والصلة باب ٨٧ ح ٢٠٣٤ (٤/٣٨٠)
وصححه ابن حبان كما في الإحسان ح ٣٤١٣ (٨/٢٠٢) .
وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ح ١٨٠ (ص ٢٢٢) وعنه ابن السني في عمل اليوم والليلة ح ٢٧٥ (ص ١٣٦) ، وانظر صحيح الترغيب ح ٩٥٥ (١/٤٠٤) .
وقوله - أيضا - ((جزى الله الأنصار عنا خيرا)) - في حديث طويل
أخرجه أبو يعلى في مسنده ح ٢٠٧٥ (٢/٤٠٨ - ٤٠٩) والحاكم في مستدركه (٤/ ١١١ - ١١٢) وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي . وابن السني في عمل اليوم والليلة ح ٢٧٦ (ص ١٣٧)
وقال في المجمع (١٠/ ٢٣ - ٢٤) : رواه أبو يعلى بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح غير إبراهيم بن حبيب بن الشهيد وهو ثقة ، ورواه البزار أيضا كما في المجمع (٩/ ٣١٧) ورجاله ثقات .
وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح ٤٦٢ (١/ ٢٠٦ - ٢٠٨) .

٨) ما يجب أن يراعى فيه : قال: (ومما يجب أن يراعى في الأدعية : الإعراب الذي هو عماد الكلام وبه يستقيم المعنى ، وبعدمه يختل ويفسُد ، وربما انقلب المعنى باللحن حتى يصير كالكفر إن اعتقده صاحبه ، كدعاء من دعا أو قراءة من قرأ ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾[1] بتخفيف الياء من ﴿ إياك ﴾ ، فإن الأيا ضياء الشمس[2] ، فيصير كأنه يقول : شمسك نعبد ، وهذا كفر .

وأخبرني محمد بن بحر الرهني[3] قال : حدثني الشاه بن الحسن[4] قال : قال أبو عثمان المازني[5] لبعض تلامذته : عليك بالنحو ، فإن بني إسرائيل

---

(١) سورة الفاتحة آية (٥) .

(٢) قال في القاموس (ص ١٦٢٨) : وإيا : الشمس. وانظر اللسان مادة (أيا) (١٥/٤٤١)

(٣) هو أبو الحسين محمد بن بحر الرهني ، شيباني الأصل ، كان عالما بالأنساب وأخبار الناس ، شيعي المذهب غاليا فيه مات قبل سنة ٣٣٠ .
معجم الأدباء (١٨ / ٣١ - ٣٣) ومعجم البلدان (٣ / ١٠٨)
والوافي بالوفيات (٢ / ٢٤٣ - ٢٤٤) .

(٤) هو أبو بكر شاه بن الحسن بن علي بن المؤمل المؤملي ، مشهور ، من بيت الثروة والعدالة والزعامة والصيانة .
المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور (ص ٢٥١) .

(٥) هو بكر بن محمد بن عدي البصري ، إمام العربية وأحد الأعلام ، مات بالبصرة سنة ٢٤٧ ، وقيل غير ذلك .
وفيات الأعيان (١ / ٢٨٣ - ٢٨٦) وسير أعلام النبلاء (١٢ / ٢٧٠ - ٢٧٢) وشذرات الذهب (٢ / ١١٣ - ١١٤) .

كفرت بحرف ثقيل خففوه ، قال الله عز وجل لعيسى : ﴿ إني ولّدتك ﴾ فقالوا : ﴿ إني وَلَدتُك ﴾ فكفروا .[1]

وأخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل[2] قال : حدثنا ابن المرزبان[3] عن الرياشي[4] قال : مر الأصمعي[5] برجل يقول في دعائه

---

(١) في اللسان مادة (ولد) : (وحكى أبو عمرو عن ثعلب قال : ومما حرفته النصارى أن في الإنجيل يقول الله تعالى مخاطبا لعيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام : ﴿ أنت نبي ولّدتك ﴾ أي ربيتك ، فقال النصارى : أنت بني وأنا ولدتك ، وخففوه وجعلوا له ولدا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا) .

(٢) لم أجده .

(٣) هو أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان بن بسام المحولي البغدادي الآجري ، العلامة الإخباري الأديب ، مات سنة ٣٠٩ .

تاريخ بغداد (٥/ ٢٣٧ - ٢٣٩) وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٤- ٢٦٥) وشذرات الذهب (٢/ ٢٥٨) .

(٤) هو أبو الفضل عباس بن الفرج بن علي بن عبد الله الرياشي البصري ، علامة حافظ أديب نحوي ثقة ، .

تاريخ بغداد (١٢/ ١٣٨ - ١٤٠) ووفيات الأعيان (٣/ ٢٧-٢٨) وتهذيب التهذيب (٥/ ١٢٤ - ١٢٥) .

(٥) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع ، الإمام العلم الحافظ حجة الأدب وراوية العرب ، ولد بالبصرة سنة ١٢٢ ، ومات بها سنة ٢١٥ وقيل ٢١٦ .

تاريخ بغداد (١٠/ ٤١٠ - ٤٢٠) ووفيات الأعيان (٣/ ١٧٠- ١٧٦) وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٧٥ - ١٨١) .

(ياذا الجلال والإكرام) فقال : ما اسمك ؟ قال : ليث ، فأنشأ يقول :

ينادي ربه باللحن ليثٌ .·. لذاك إذا دعاهُ لا يجيبُ[1]) .[2]

وبهذا ينهي أبو سليمان - رحمه الله تعالى - جولته العلمية وتحدثه البليغ عن هذه العبادة الجليلة ((الدعاء)) ، وذكره لبعض ما يخصها ويتعلق بها من مسائل ووسائل ، بُغية أدائها على كمال وجهها ، وهو كلام جيد متين يدل على علو كعبه ودقة ملاحظته في عرض مسائل الدعاء ومتعلقاته .

---

(١) أورده القرطبي في تفسيره (٢ / ٢٠٨) .
وعن مسألة اللحن في الدعاء انظر فتاوى ابن الصلاح (١ / ١٩٨) مسألة (٤٦) والأزهية (ص ٦٧ - ٦٨) .

(٢) شأن الدعاء (ص ٣ - ٢٠) .

٢) **التوكـــل** : وهو من أفضل العبادات وأجلها ، ومن أعلى مقامات التوحيد وأنبلها ، ومن أوصاف عباد الله المؤمنين وأوليائه المتقين ، وقد أمر به تعالى في مواضع عدة في كتابه المجيد وأثنى على المتوكلين عليه وحده دون سواه ، فقال جل وعز : ﴿ ولله غيب السموٰت والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه ﴾(1) وقال : ﴿ وتوكل على الحي الذى لا يموت وسبح بحمده ﴾(2) وقال : ﴿ وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ﴾(3) وقال : ﴿ فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾(4) وقال : ﴿ وما عند الله خير وأبقى للذين ءامنوا وعلىٰ ربهم يتوكلون ﴾(5) وقال : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بلغ أمره ﴾(6) إلى غير ذلك من الآي القرءاني الكريم الوارد في شأن التوكل أمرا وفضلا .

كما شهدت الأحاديث النبوية - أيضا - بفضله وبيان منزلته ومكانة أهله فقال عليه الصلاة والسلام : ((يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب)) قالوا : ومن هم يارسول الله ؟ قال : ((هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون))(7) وقال : ((لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله لرزقتم

---

(١) سورة هود بعض آية (١٢٣) .

(٢) سورة الفرقان بعض آية (٥٨) .

(٣) سورة الأحزاب آية (٣) .

(٤) سورة آل عمران بعض آية (١٥٩) .

(٥) سورة الشورى بعض آية (٣٦) .

(٦) سورة الطلاق بعض آية (٣) .

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الطب باب ١٧ ح ٥٧٠٥ (الفتح : ١٠/١٥٥) وباب ٤٢ ح ٥٧٥٢ (١٠/٢١١) وفي كتاب الرقاق باب ٥٠ ح ٦٥٤١ و ٦٥٤٢ (الفتح ١١/٤٠٥-٤٠٦) . =====

كما ترزق الطير ، تغدو خماصا وتروح بطانا)) .[1]

قال العلامة ابن القيم - عند قوله تعالى - : ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾[2] - : (فجعل التوكل شرطا في الإيمان ، فدل على انتفاء الإيمان عند انتفاء التوكل ، وفي الآية الأخرى : ﴿ وقال موسى يٰقوم إن كنتم ءامنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ﴾[3] فجعل دليل صحة الإسلام التوكل ، وقال تعالى : ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾[4] فجعل دليل صحة الإسلام وقال تعالى : ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾[5] فذكر اسم الإيمان هاهنا

(=) ومسلم في صحيحه (واللفظ له) كتاب الإيمان ح ٣٧١ و٣٧٢ (١٩٨/١) والترمذي في سننه ، كتاب صفة القيامة باب ١٦ ح ٢٤٤٦ (٦٣١/٤) وأحمد في مسنده (٢٧١/١ ، ٣٢١ ، ٤٠١ ، ٤٠٣ ، ٤٥٤)و(٤٣٦/٤ ، ٤٤١ ، ٤٤٣) .

(١) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الزهد باب ٣٣ ح ٢٣٤٤ (٥٧٣/٤) وقال : هذا حديث حسن صحيح .
والنسائي في سننه الكبرى كما في تحفة الأشراف (٧٩/٨) ولم أجده فيه وابن ماجه في سننه ، كتاب الزهد باب ١٤ ح ٤١٦٤ (١٣٩٤/٢) وأحمد في مسنده (٣٠/١) والحاكم في مستدركه (٣١٨/٤) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي . وكذا صححه ابن حبان كما في الإحسان ح ٧٣٠ (٥٠٩/٢) .

(٢) سورة المائدة بعض آية (٢٣) .

(٣) سورة يونس آية (٨٤) .

(٤) ورد هذا النص القرآني في عدة مواضع من الكتاب العزيز ، فهو في سورة آل عمران بعض آية (١٢٢) وبعض آية (١٦٠) وفي المائدة بعض آية (١١) وفي التوبة بعض آية (٥١) وفي إبراهيم بعض آية (١١) وفي المجادلة بعض آية (١٠) وفي التغابن بعض آية (١٣) .

دون سائر أسمائهم دليل على استدعاء الإيمان للتوكل ، وأن قوة التوكل وضعفه بحسب قوة الإيمان وضعفه ، وكلما قوي إيمان العبد كان توكله أقوى ، وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل ، وإذا كان التوكل ضعيفا فهو دليل على ضعف الإيمان ولا بد ، والله تعالى يجمع بين التوكل والعبادة وبين التوكل والإيمان وبين التوكل والإسلام وبين التوكل والتقوى وبين التوكل والهداية [1] . . فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان ولجميع أعمال الإسلام وأن منزلته منها منزلة الجسد من الرأس ، فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا على ساق التوكل) [2] .

وليس معنى التوكل - كما يفهمه البعض [3] - ترك الأسباب وعدم مباشرتها ، بل ذاك لا ينافيه ولا يبطله إذ الأخذ بالأسباب مطلوب شرعا وعقلا ، والعمل بها دليل على صحة التوكل وفهم حقيقته .

وفي بيان هذا يقول الخطابي - رحمه الله - عند شرحه للحديث ((تبقه وتوقه)) [4] : (قوله ((تبقه)) يريد : استبق نفسك ولا تعرضها للتلف ،

---

(١) وقد سرد - رحمه الله - النصوص القرآنية الشاهدة على ذلك .

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص ٤٢٣ - ٤٢٧) .

(٣) كبعض المتصوفة مثلا ، انظر جملة من أقاويلهم وطرفا من حكاياتهم في ذلك : الرسالة القشيرية (١/ ٤٦٥ - ٤٨٧) .

(٤) ذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ٨٩) بلفظ : ((تنقه وتوقه)) وقال : (رواه الطبراني في الصغير والكبير . . ثم قال : وفيه عبد الله بن مسعر ابن كدام وهو متروك) . وقال الحافظ ابن حجر في اللسان (٣/ ٣٥٧) (عبد الله بن مسعر بن كدام عن أبيه قال أبو حاتم متروك الحديث ، وقال العقيلي : لا يتابع على حديثه ولا يعرف إلا به) ثم ساق الحافظ بسنده إليه هذا الحديث . وانظر سلسلة الأحاديث الضعيفة ح ٦٢٨ (٢/ ٩٠ - ٩١) إذ أجاد الشيخ في تخريج الحديث والحكم عليه .

و ((توقه)) أي تحرز من الآفات وتباعد من المهالك والمعاطب[1] وهذا خلاف قول من يزعم أن التوكل إنما هو في الاستسلام وترك الحذر والتوقي ، ولا يرى أن للأمور عللا وأسبابا قد تعبدنا الله بمراعاتها واستأثر بعلم الغيب فيها ، وقد مر النبي صلى الله عليه وسلم بهدف[2] مائل فأسرع المشي وقال : ((كرهت موت الفوات))[3] .

ثم ساق الخطابي بسنده إلى مطرف بن عبد الله بن الشخير[4] قوله :

---

(١) انظر النهاية لابن الأثير (٥/٢١٧) .

(٢) الهدف : كل بناء مرتفع مشرف . النهاية (٥/٢٥١) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/٣٥٦) ولفظه : ((أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بجدار أو حائط مائل فأسرع المشي ، فقيل له فقال : ((إني أكره موت الفوات)) .
وأخرجه أبو يعلى في مسنده ح ٦٥٨١ (٦/ ١١٠) . وذكره الحافظ في الفتح (٣/٢٥٤) وسكت عنه .
قال الهيثمي في المجمع (٢/٣١٨) بعد أن عزاه للإمام أحمد وأبي يعلى (وإسناده ضعيف) .
قلت : في سنده إبراهيم بن إسحاق ، قال الهيثمي (٢/٣١٨) : ولم أجد من وثقه . وقال الحافظ في التقريب (ص ٩٢) ترجمة ٢٢٨ (إبراهيم ابن الفضل المخزومي المدني أبو إسحاق ويقال : إبراهيم بن إسحاق متروك) .

(٤) هو أبو عبد الله مطرف بن عبد الله بن الشخير ، الحرشي العامري البصري ، الإمام الزاهد العابد الثقة ، من كبار التابعين ، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، ومات بالبصرة سنة ٨٦ وقيل ٨٧ وقيل ٩٥ .
تاريخ مولد العلماء ووفياتهم (١/٢٢٩) وسير أعلام النبلاء (٤/١٨٧-١٩٥) وتقريب التهذيب (ص ٥٣٤) ترجمة ٦٧٠٦ .

(ليس ينبغي لأحدنا أن يصعد فوق بيت فيتردى منه ثم يقول : هكذا قضي علي ، ولكن يحترز ويحتاط ، فإن أصابه شيء علم أنه من قدر الله تعالى)[1] [2].

وقال - عند شرحه للحديث : « إذا سمعتم به[3] بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه »[4] - : (قلت : في قوله : « لا تقدموا عليه » إثبات الحذر والنهي عن التعرض للتلف ، وفي قوله : « لا تخرجوا فرارا منه » إثبات التوكل والتسليم لأمر الله وقضائه ، فأحد الأمرين تأديب وتعليم والآخر تفويض وتسليم)[5].

---

(١) لم أقف على هذا الأثر من غير طريق الخطابي .

(٢) غريب الحديث (١/ ٦٩٩ - ٧٠٠) .

(٣) يعني الطاعون .

(٤) أخرجه البخاري مطولا في صحيحه من حديث عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - كتاب الطب باب ٣٠ ح ٥٧٢٨ (الفتح ١٠/ ١٧٩) وفي الحيل باب ١٣ ح ٦٩٧٣ (الفتح ١٢/ ٣٤٤) وفي مواضع أخرى من الصحيح من حديث أسامة ابن زيد - رضي الله عنهما - .
انظر دليل القارئ للشيخ عبد الله الغنيمان (ص ٥٠) .
وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب السلام ح ٩٨ (٤/ ١٧٤١) وأبو داود في سننه ، كتاب الجنائز باب ١٠ ح ٣١٠٣ (٣/ ٤٧٨) .
والترمذي في سننه من حديث أسامة بن زيد ، كتاب الجنائز باب ٦٦ ح ١٠٦٥ (٣/ ٣٦٩) ومالك في الموطأ ، كتاب الجامع باب ٧ ح ٢٢ (٢/ ٨٩٥ - ٨٩٦) .
وفي الباب عن سعد بن أبي وقاص وخزيمة بن ثابت وجابر وعائشة .
انظر تحفة الأحوذي (٤/ ١٧٤) .

(٥) معالم السنن (١/ ٢٩٩) .

المبحث الخامس

((نواقض التوحيد))

المطلب الأول : الشرك وبيان أقسامه :

ذكر الخطابي - رحمه الله - جملة من الأعمال ، تعتبر من نواقض التوحيد أعظمها الشرك بالله عز وجل . وقبل أن أذكر قوله أُشير إلى معنى الشرك في اللغة والاصطلاح ، مع الإشارة إلى أقسامه ، ثم أورد كلامه بعد ذلك إن شاء الله تعالى .

فقد ذكر ابن فارس أن مادة (شرك) المكونة من حرف الشين والراء والكاف لها أصلان :

أحدهما : يدل على مقارنة وخلاف انفراد ، والآخر: يدل على امتداد واستقامة .

فالأول : الشركة : وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما ، ويقال : شاركت فلانا في الشيء إذا صرت شريكه ، وأشركت فلانا إذا جعلته شريكا لك ، قال الله جل ثناؤه في قصة موسى : ﴿ وأشركه في أمري ﴾ [1] .

ويقال في الدعاء : اللهم أشركنا في دعاء المؤمنين ، أي اجعلنا لهم شركاء في ذلك ، وشركت الرجل في الأمر أشركه .

وأما الأصل الآخر : فالشرك : لَقَمُ الطريق ، وهو شراكه أيضا ، وشراك النعل مشبه بهذا ، ومنه شرك الصائد ، سمي بذلك لامتداده [2] .

---

(١) سورة طه آية (٣٢) .

(٢) معجم مقاييس اللغة (٣ / ٢٦٥) مادة : (شرك)

وقال الراغب الأصبهاني : (شرك : الشركة والمشاركة خلط الملكين ، وقيل هو أن يوجد شيء لاثنين فصاعدا ، عينا كان ذلك الشيء أو معنى كمشاركة الإنسان والفرس في الحيوانية ، ومشاركة فرس وفرس في الكُمْتة والدُّهمة ، يقال : شركته وشاركته وتشاركوا واشتركوا وأشركته في كذا)[(١)].

وفي اللسان : (الشركة والشركة سواء ، مخالطة الشريكين ، يقال : اشتركنا بمعنى تشاركنا ، وقد اشترك الرجلان ، وتشاركا وشارك أحدهما الآخر والشريك المشارك ، والشرك كالشريك ، والجمع أشراك وشركاء)[(٢)].

واصطلاحا : معناه أن يجعل لله سبحانه وتعالى شريكاً ونداً في عبادته أو تعظيمه ومحبته ، أو صرف شيء من خصائص ربوبيته وألوهيته لغيره ، سواء كان ذلك بالقصد والنية أم بالعمل والاعتقاد .

وهو على قسمين : شرك أكبر ، وشرك أصغر ، فضابط الأول أن يتخذ العبد لله نداً يحبه كمحبته أو يرجوه أو يخافه أو يدعوه أو يصرف له نوعا من العبادة الظاهرة أو الباطنة ، وهذا شرك مخرج من دائرة الإسلام وملته ، وصاحبه متوعد أشد الوعيد إن أصر عليه ولقي الله به ((إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا))[(٣)] ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾[(٤)]

---

(١) المفردات (ص ٢٥٩) . مادة : (شرك).

(٢) لسان العرب (١٠ / ٤٤٨) - مع بعض الاختصار -

(٣) سورة النساء آية (١١٦) .

(٤) سورة المائدة بعض آية (٧٢) .

وضابط الثاني : أنه كل وسيلة يتوسل بها ويتوصل من طريقها إلى الشرك بشرط أن لا يبلغ ذلك مرتبة العبادة ، وهو غير مخرج من الملة ويخاف على صاحبه إذ هو تحت المشيئة كسائر الذنوب والمعاصي والكبائر ، ومن أمثلته الحلف بغير الله والرياء ونحو ذلك من الأقوال والأفعال المؤدية إلى الشرك[1] .

وقد تناول الخطابي - رحمه الله - جملة وفيرة من أنواع الشرك بالبيان والتفصيل معقودة في المطلب الآتي :

---

(١) انظر : الحق الواضح المبين (ص ١١٥ - ١١٦) .

المطلب الثاني

-(((بيان جملة من أنواع الشرك)))-

١- الحلف بغير الله تعالى : قال الخطابي -رحمه الله- بعد إيراده لحديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((من حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل : لا إله إلا الله ، ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق))[1]: (إنما أوجب قول لا إله إلا الله على من حلف باللات والعزى شفقا من الكفر أن يكون قد لزمه لأن اليمين إنما تكون بالمعبود الذي يُعظم ، فإذا حلف بهما فقد ضاهى الكفار في ذلك وأُمر أن يتداركه بكلمة التوحيد المبرئة من الشرك)[2] (وإنما يلزمه الإنابة والاستغفار)[3]

وقال -عند شرحه للحديث : ((من حلف بالأمانة فليس منا))[4]:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير - سورة النجم - باب ٢ ح : ٤٨٦٠ (الفتح ٨ / ٦١١) وكذا في مواطن أخرى من الصحيح . انظر: ح ٦١٠٧ و ٦٣٠١ و ٦٦٥٠ ، ومسلم في صحيحه كتاب الأيمان ح ٥ (٣/١٢٦٧ - ١٢٦٨) وأبو داود في سننه كتاب الأيمان والنذور باب ٤ ح ٣٢٤٧ (٣/٥٦٨ - ٥٦٩) والنسائي في سننه ، كتاب الأيمان والنذور باب ١١ ح ٣٧٧٥ (٧/٧) والترمذي في سننه كتاب النذور والأيمان باب ١٧ ح ١٥٤٥ (٤/١١٦) وابن ماجه في سننه كتاب الكفارات باب ٢ ح ٢٠٩٦ (١/٦٧٨) .

(٢) أعلام الحديث (٣/١٩١٨) .

(٣) معالم السنن (٤/٤٥) .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الأيمان والنذور باب ٦ ح ٣٢٥٣ (٣/٥٧١) .

(هذا يشبه أن تكون الكراهة فيها من أجل أنه إنما أُمر أن يحلف بالله وبصفاته وليست الأمانة من صفاته ، وإنما هي أمر من أمره وفرض من فروضه ، فنهوا عنه لما في ذلك من التسوية بينها وبين أسماء الله عز وجل وصفاته) .(١)

---

(١) معالم السنن (٤/٤٦) .

قلت : قد وردت مجموعة أحاديث وكذا بعض آثار في النهي عن الحلف بغيره عز وجل ، كقوله عليه الصلاة والسلام : ((إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت)) .

أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأيمان والنذور باب ٤ ح ٦٦٤٦ (الفتح ١١/ ٥٣٠) وكذا في مواضع أخرى من الصحيح ، انظر ح ٢٦٧٩ ، ٣٨٣٦ و ٦١٠٨ و ٦٦٤٨ ، ومسلم في صحيحه كتاب الأيمان ح ١ و ٣ ١٣ (٣/١٢٦٦ - ١٢٦٧) وأخرجه آخرون ، انظر إرواء الغليل ح ٢٥٦٠ (٨/١٨٧ - ١٨٩) .وقوله : ((من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)) .
أخرجه الترمذي في سننه كتاب النذور والأيمان باب ٨ ح ١٥٣٥ (٤/١١٠) والإمام أحمد في مسنده (طبعة شاكر) ح ٦٠٧٢ (٨/ ٢٢١ - ٢٢٢) قال الشيخ : إسناده صحيح . وانظر المصدر نفسه ح (٥٥٩٣و٥٣٧٥ و ٥٧٣٦) وصححه الحاكم في المستدرك (٤/٢٩٧) .
ووافقه الذهبي . وقال ابن مسعود - رضي الله عنه - : (لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي أن أحلف بغيره صادقا) .
أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ح ٢٢٨١ (٣/٧٩) والطبراني في الكبير ح ٨٩٠٢ (٩/٢٠٥) وذكره الهيثمي في المجمع (٤/١٧٧) وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح ، وصححه الشيخ الألباني في الإرواء ح ٢٥٦٢ (٨/١٩١ - ١٩٢) .
قال الشيخ سليمان بن عبد الله : (وأجمع العلماء على أن اليمين لا تكون إلا بالله أو بصفاته ، وأجمعوا على المنع من الحلف بغيره ، قال ابن عبد البر : لا يجوز الحلف بغير الله بالإجماع)
تيسير العزيز الحميد (ص ٥٩٠) .

٢ - الطيــــــرة

قال - رحمه الله - عند شرحه لحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قــال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((لا طيرة وخيرها الفأل)) قالــوا : وما الفأل يارسول الله ؟ قال : ((الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم)).(١)

(قلت : إنما صار الفأل خير أنواع هذا الباب لأن مصدره عن نطق وبيان ، فكأنه خبر جاءك عن غيب ، وأما سنوح الطير وبروحها(٢) فليس فيه شيء من هذا المعنــى وإنما هو تكلف من المتطير وتعاط لما لا أصل له في نوع علم وبيان ، إذ ليس للطيــر والبهائم نطق ولا تمييز فيستدل بنطقها على مضمون معنى فيه ، وطلب العلم مــن غير مظانه جهل ، فلذلك تركت الطيرة واستؤنس بالفأل).(٣)

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الطب باب ٢٣ ح ٥٧٥٤ (الفتــــح ٢١٢/١٠) وباب ٢٤ ح ٥٧٥٥ (الفتح ٢١٤/١٠) .
قلت : وأحاديث النهي عن التطير كثيرة جدا ذكر طرفا منها الحافــــظ ابن حجر في الفتح (٢١٣/١٠) .

(٢) السانح بمهملة ثم نون ثم حاء مهملة ، والبارح بموحدة وآخره مهملـــة فالسانح ماولاك ميامنه بأن يمر عن يسارك إلى يمينك ، والبارح بالعكس وكانوا يتيمنون بالسانح ويتشاءمون بالبارح لأنه لا يمكن رميه إلا بأن ينحرف إليه . أفاده الحافظ في الفتح (٢١٣/١٠) .

(٣) أعلام الحديث (٢١٣٦/٣) .

(وأما الطيرة فلا خفاء بأمرها وبما يجب من اجتنابها وإضافة الخير والشر فيها إلى الله عز وجل لا شريك له)[(١)] .

وفي حديث معاوية بن الحكم السلمي[(٢)] - رضي الله عنه - وفيه : (قلت يارسول الله إني حديث عهد بجاهلية ، وقد جاء الله بالإسلام ، وإن منّا رجالا يأتون الكهان[(٣)] ، قال : ((فلا تأتهم)) قال : ومنا رجال يتطيرون ، قال : ((ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم)) الحديث[(٤)] .

قال الخطابي : (وقوله في الطيرة : ((ذلك شيء في نفوسهم فلا يضرهم))[(٥)] يريد أن ذلك شيء يوجد في النفوس البشرية وما يعترى الإنسان من قبل الظنون والأوهام من غير أن يكون له تأثير من جهة الطباع أو يكون فيه ضرر كما كان يزعمه أهل الجاهلية)[(٦)] .

---

(١) أعلام الحديث (٣/ ٢١١٧) .

(٢) هو معاوية بن الحكم السلمي ، قال ابن عبد البر : (كان ينزل المدينة ويسكن في بني سليم) وقال البخاري : (له صحبة ، يعد في أهل الحجاز) .
الاستيعاب (٣/ ١٤١٤ - ١٤١٥) وأسد الغابة (٥/ ٢٠٧- ٢٠٨) والإصابة (٦/ ١٤٨ - ١٤٩) .

(٣) سيأتي الحديث عنهم إن شاء الله تعالى .

(٤) أخرجه مسلم - مطولا - في صحيحه ، كتاب المساجد ح ٣٣ (١/ ٣٨١- ٣٨٢) ومختصرا في كتاب السلام ح ١٢١ (٤/ ١٧٤٨ - ١٧٤٩)
وأبو داود في سننه كتاب الصلاة باب ١٧١ ح ٩٣٠ (١/ ٥٧٠ - ٥٧٣)
والنسائي في سننه كتاب السهو باب ٢٠ ح ١٢١٨ (٣/ ١٤ - ١٨)

(٥) كذا قال ، وانظر متن الحديث أعلاه .

(٦) معالم السنن (١/ ٢٢٢) .

وعن الفرق بين الفأل والطيرة يقول الخطابي -عليه رحمة الله- : (قد أعلم النبي-صلى الله عليه وسلم-أن الفأل إنما هو أن يسمع الإنسان الكلمة الحسنة فيفأل بها ، أي يتبرك بها ويتأولها على المعنى الذي يطابق اسمها ، وأن الطيرة بخلافها ، وإنما أخذت من اسم الطير، وذلك أن العرب كانت تتشاءم ببروح الطير إذا كانوا في سفر أو مسير ، ومنهم من كان يتطير بسنوحها فيصدهم ذلك عن المسير ويردهم عن بلوغ ما يمموه من مقاصدهم[1] فأبطل -صلى الله عليه وسلم-أن يكون لشيء منها تأثير في اجتلاب ضرر أو نفع ، واستُحب الفأل بالكلمة الحسنة يسمعها من ناحية حسن الظن بالله) .[2]

---

(١) انظر ما سبق (ص ٣١٧) هامش (٢) .

(٢) المعالم (٤/ ٢٣٥) وانظر : غريب الحديث (١/ ١٨٣) .

قال العلامة ابن القيم : (أخبر صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة أن الفأل من الطيرة وهو خيرها ، فقال : « لا طيرة وخيرها الفأل » . فأبطل الطيرة وأخبر أن الفأل منها ولكنه خيرها ، ففصل بين الفأل والطيرة لما بينهما من الامتياز والتضاد ونفع أحدهما ومضرة الآخر ، ونظير هذا منعه من الرقاء بالشرك وإذنُه في الرقية إذا لم تكن شركا لما فيهما من المنفعة الخالية من المفسدة ، فقوله صلى الله عليه وسلم : ((لا طيرة وخيرها الفأل)) ينفي عن الفأل مذهب الطيرة من تأثير أو فعل أو شركة ، ويخلص الفأل منها ، وفي الفرقان بينهما فائدة كبيرة ، وهي أن التطير هو التشاؤم من الشيء المرئي أو المسموع فإذا استعملها الإنسان فرجع بها من سفره وامتنع بها مما عزم عليه فقد قرع باب الشرك بل ولجه وبرئ من التوكل على الله وفتح على نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله والتطير مما يراه أو يسمعه ، وذلك قاطع له عن مقام ((إياك نعبد وإياك نستعين)) و ((فاعبده وتوكل عليه)) و ((عليه توكلت وإليه أنيب)) فيصير قلبه متعلقا بغير الله عبادة وتوكلا ،

= = = = =

ونفى أن يكون للطير شيء غير ما بينه الله ورسوله في أمرها وما يتعلق بها ، وأن ماعدا ذلك - مما يظن فيها - لا يصح به قول ولا يستقيم به حال ، وفي بيان هذا المعنى يقول - عند شرحه لحديث أبي ذر - رضي الله عنه - : (لقد تركنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علما)[١] - (معناه أنه صلى الله عليه وسلم استوفى بيان الشريعة حتى لم يغادر منه شيئا مشكلا ، وبيّن لهم أحكام الطير وما يحل ويحرم ، وكيف يذبح الطير ويذكى وما الذي يفدى إذا أصابه المحرم مما لا يفدى منها إلى ما أشبه هذا من أمرها ، ولم يرد أن في الطير علما سوى هذا ، عَلَّمَهُ إياهم ورخص لهم أن يَتَعَاطَوا زجر الطير الذى كان أهل الجاهلية يعدونه علما ويظنونه حقا ، بل أبطله وزجر عنه)[٢] .

(=) فأين هذا من الفأل الصالح السار للقلوب المؤيد للآمال ، الفاتح باب الرجاء ، المسكن للخوف ، الرابط للجأش ، الباعث على الاستعانة بالله والتوكل عليه والاستبشار المقوي لأمله ، السار لنفسه ، فهذا ضد الطيرة ، فالفأل يُفضي بصاحبه إلى الطاعة والتوحيد ، والطيرةُ تفضي بصاحبها إلى المعصية والشرك ، فلهذا استحب صلى الله عليه وسلم الفأل وأبطل الطيرة) .

مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٤٥ - ٢٤٧) مع بعض التصرف ، والموضوع في فصول بديعة جدا في المصدر المذكور . انظر (٢/ ٢٢٩ - ٢٤٧) .

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٥/ ١٥٣ و ١٦٢) وذكره الخطابي في الغريب (٢/ ٢٨٧) وابن تيمية في الحموية (ص ٥) وابن القيم في المفتاح (٢/ ٢١٨) . كلهم بألفاظ متقاربة .

(٢) غريب الحديث (٢/ ٢٨٧) .

٣ ـ الكهانة :

وقد عرّف الخطابي ـ رحمه الله تعالى ـ الكاهن بقوله : (الكاهن هو الذى يدعي مطالعة علم الغيب ويخبر الناس عن الكوائن ، وكان في العرب كهنة يدعون أنهم يعرفون كثيرا من الأمور .

فمنهم من كان يزعم أن له رَئِيا من الجن وتابعة تلقى إليه الأخبار .

ومنهم من كان يدعي أنه يستدرك الأمور بفهم أعطيه .

وكان منهم من يسمى عرافا ، وهو الذى يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها ، كالشيء يسرق فيعرف المظنون به السرقة ، وتتهم المرأة بالزنية فيعرف من صاحبها ونحو ذلك من الأمور .

ومنهم من كان يسمي المنجم كاهنا ، فالحديث[1] يشتمل على النهي عن إتيان

---

(١) يعني حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ)) .

أخرجه الإمام أحمد في مسنده (طبعة شاكر) ح ٩٥٣٢ (١٨ / ١٥٣) وصحح الشيخ إسناده .

ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه بألفاظ متقاربة وزيادات يسيرة ، انظر : سنن أبي داود ، كتاب الطب باب ٢١ ح ٣٩٠٤ (٤ / ٢٢٥ - ٢٢٦) وسنن الترمذي كتاب الطهارة باب ١٠٢ ح ١٣٥ (١ / ٢٤٢ - ٢٤٣) ـ مع تعليق الشيخ شاكر ـ وسنن ابن ماجه ، كتاب الطهارة باب ١٢٢ ح ٦٣٩ (١ / ٢٠٩) .

هؤلاء كلهم والرجوع إلى قولهم وتصديقهم على مايدعونه من هذه الأمور ، ومنهم من كان يدعو الطبيب كاهنا ، وربما دعوه - أيضا - عرافا ، وقال أبو ذؤيب :

يقولون لي لو كان بالرمل لم يمت . . نبيشة والكهان تكذب قيلها[1]

وقال آخر :

جعلت لعراف اليمامة حكمه . . وعرّاف نجد ، إن هما شفياني[2]

فهذا غير داخل في النهي ، وإنما هو مغالطة في الأسماء ، وقد أثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم الطب وأباح العلاج والتداوي).[3]

ثم يصفهم أبو سليمان بأنهم (قوم لهم أذهان حادة ونفوس شريرة وطباع نارية ، فألفتهم الشياطين لما بينهم من التناسب في هذه الأمور وساعدتهم بكل ما تصل قدرتهم إليه).[4]

---

(١) انظر : شرح أشعار الهذليين (١/ ١٧٤) وهو فيه برواية :
يقولون لي لو كان بالرمل لم يمت . . نشيبة والطراق يكذب قيلها
قال شارحه : (يقولون : لو كان بمكان مرئ لم يمت ، والطراق الذين يضربون بالحصى ويتكهنون) .

(٢) البيت لعروة بن حزام الضبي من قصيدته النونية الطويلة ، أوردها القالي في النوادر من كتاب ذيل الأمالي (٢/ ١٧٥) وما بعدها وذكر طرفا منها ثعلب في مجالسه (١/ ٢٤١ - ٢٤٢) .

(٣) معالم السنن (٤/ ٢٢٨ - ٢٢٩) .

(٤) نقله عنه الحافظ في الفتح (١٠/ ٢١٧) ولم أقف عليه فيما رجعت إليه من كتبه .

ـ ويوضح ـ رحمه الله ـ حقيقة أسجاعهم التي يروجون بها أباطيلهم وأكاذيبهم والفرق بينها وبين ما جاء من غير طريقهم مما هو حق وصدق ، فيقول ـ عند شرحه لقوله عليه الصلاة والسلام ـ : ((إنما هذا من إخوان الكهان))[1] :

(وقوله صلى الله عليه وسلم هذا من إخوان الكهان من أجل سجعه الذي سجع فإنه لم يعبه بمجرد السجع دون ما تضمنه سجعه من الباطل ، وإنما ضرب المثل بالكهان لأنهم كانوا يروجون أقاويلهم الباطلة بأسجاع تروق السامعين فيستميلون

---

(١) المشار إليه هو حمل بن مالك بن النابغة الهذلي ، وتمام الحديث أن أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : (اقتتلت امرأتان من هذيل ، فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها ، فاختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن دية جنينها غرة : عبد أو وليدة ، وقضى بدية المرأة على عاقلتها وورثها ولدها ومن معهم ، فقال حمل بن النابغة الهذلي : يا رسول الله كيف أغرم من لا شرب ولا أكل ، ولا نطق ولا استهل ؟ فمثل ذلك يُطَل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ : ((إنما هذا من إخوان الكهان)) من أجل سجعه الذي سجع) .

أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الطب باب ٤٦ ح ٥٧٥٨ (الفتح ٢١٦/١٠) وانظر ح ٥٧٥٩ و ٥٧٦٠ و ٦٧٤٠ و ٦٩٠٤ و ٦٩٠٩ و ٦٩١٠ (مختصرا ومطولا) .

ومسلم في صحيحه (واللفظ له) كتاب القسامة ح ٣٦ (٣/١٣٠٩ — ١٣١٠) .

وأبو داود في سننه كتاب الديات باب ٢١ ح ٤٥٧٦ (٤/٧٠١ — ٧٠٣) .

والنسائي في سننه كتاب القسامة باب ٣٩ ، ٤٠ ح ٤٨١٨ وما بعده (٤٨/٨ - ٤٩) .

القلوب ويستصغون الأسماع إليها ، فأما إذا وضع السجع في موضع حق فإنه ليس بمكروه ، وقد تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواضع من كلامه) وساق له أمثلة عدة .[1]

وعن أجر الكاهن يقول : (وأما أجر الكاهن فلا إشكال في تحريمه ، وفي أنه من أكل المال بالباطل ، وذلك لأن قوله زور وفعله محرم ، وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن حلوان الكاهن)[2] [3] .

---

(١) معالم السنن (٤/٣٤ - ٣٥) .

(٢) وانظر : أعلام الحديث (٣/٢١٣٨) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب البيوع باب ١١٣ ح ٢٢٣٧ (الفتح ٤/٤٢٦) وكذا في مواضع أخرى من الصحيح ، انظر ح ٢٢٨٢و٥٣٤٦ و ٥٧٦١ .

ومسلم في صحيحه كتاب المساقاة ح ٣٩ (٣/١١٩٨) .

وأبو داود في سننه كتاب البيوع باب ٦٥ ح ٣٤٨١ (٣/٧٥٣)

والنسائي في سننه كتاب البيوع باب ٩١ ح ٤٦٦٦ (٧/٣٠٩) .

والترمذي في سننه كتاب النكاح باب ٣٧ ح ١١٣٣ (٣/٤٣٠ - ٤٣١)

وكذا في مواضع أخرى متفرقة فيه . انظر ح ١٢٧٦ و ٢٠٧١ ،

وابن ماجه في سننه ، كتاب التجارات باب ٩ ح ٢١٥٩ (٢/٧٣٠) .

(٣) غريب الحديث (٢/٤٧٤) .

٤- السحر :

السحر لغة : كل ما لطف مأخذه ودق .[1]

قال ابن قدامة : (وهو عقد ورقىً وكلام يتكلم به أو يكتبه أو يعمل شيئا يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له ، وله حقيقة فمنه ما يقتل وما يمرض وما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه وما يبغض أحدهما إلى الآخر أو يحبب بين اثنين ، وهذا قول الشافعي).[2]

وقال ابن القيم : (والسحر هو مركب من تأثيرات الأرواح الخبيثة ، وانفعال القوى الطبيعية عنها ، وهو أشد ما يكون من السحر ، ولا سيما في الموضع الذي انتهى السحر إليه) .[3]

قلت : وقد أجمع أهل السنة والجماعة على وقوع السحر بدليل القرآن وصحيح الأخبار وأنكره المعتزلة وطائفة من الناس[4] وفي بيان الرد على هؤلاء المنكرين

---

(١) قاموس المحيط مادة " سحر " .

(٢) المغني (٨ / ١٥٠) .

(٣) زاد المعاد (٤/١٢٥ - ١٢٦) .

(٤) انظر : المعتمد في أصول الدين (ص ١٦٧) والإرشاد (ص ٢٧٠-٢٧٢) والمغني لابن قدامة (٨ / ١٥٠ - ١٥١) .
ولمزيد تعريف السحر وبيان أقسامه وأقوال العلماء في كل ذلك وغيره .
راجع: بدائع الفوائد (٢/٢٢١-٢٢٨) وكشاف اصطلاحات الفنون (٣ / ١٥٢ - ١٥٧) .

يقول أبو سليمان الخطابي - رحمه الله - : (وقد أنكر قوم من أصحاب الطبائع[1] السحر وأبطلوا حقيقته ، والجواب : أن السحر ثابت وحقيقته موجودة ، وقد اتفق أكثر الأمم من العرب والفرس والهند وبعض الروم على إثباته ، وهؤلاء من أفضل سكان واسطة الأرض وأكثرهم علما وحكمة ، وقد ذكر الله عز وجل أمر السحر في كتابه في قصة سليمان ، وما كان الشياطين يعملونه من ذلك ، ويعلمون الناس منه ، فقال : ﴿ ولٰكن الشيٰطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هٰروت ومٰروت ﴾[2] وأمر بالاستعاذة منه فقال : ﴿ ومن شر النفٰثٰت في العقد ﴾[3] ، وورد في ذلك عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن الصحابة - رضى الله عنهم - أخبار كثيرة لا ينكرها لكثرتها إلا من أنكر العيان وجحد الضرورة ، ولذلك فرع الفقهاء في كتبهم من الأحكام في السحرة ومايلزمهم من العقوبات فيما يأتونه من أفعالهم كما فعلوه في سائر الجنايات التى يقترفها الجناة من أهل العبث والفساد ، ولا يبلغ ما لا أصل له ، ولا حقيقة هذا المبلغ من الشهرة والاستفاضة ، فنفي السحر جهل ، والاشتغال بالرد على من نفاه لغو وفضل ، والسحر من عمل الشيطان يفعله في الإنسان بنفثه وهمزه ووسوسته ويتولاه الساحر بتعليمه إياه ومعونته عليه ، فإذا تلقاه عنه استعمله في غيره بالقول والنفث في العقدة ، وللكلام والقول تأثير بيّن في النفوس والطباع

---

(١) المنتسبون إلى ما يسمى بعلم الطبيعة ، وهو علم يبحث عن طبائع الأشياء وما اختصت به من القوة ، والطبائع الأربع عند الأقدمين : الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة.؟ و المعجم الوسيط مادة (طبع) (ص٠٥٥) انظر كشاف اصطلاحات الفنون (٣/٩١٢)

(٢) سورة البقرة بعض آية (١٠٢) .

(٣) سورة الفلق آية (٤) .

ولذلك صار الإنسان يحمى ويغضب إذا سمع الكلام المكروه ، وربما حم الإنسان من غم يصيبه وبقول يسمعه وقد مات فيما رويناه من الأخبار قوم بكلام سمعوه ولقـــول امتعضوا منه . .) .[1]

---

(١) أعلام الحديث (٢ / ١٥٠٠ - ١٥٠٤) مع بعض الاختصار .

٥ - التنجيم :

وفي بيان حكمه وتعلمه يقول الخطابي : (علم النجوم المنهى عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التى لم تقع وستقع في مستقبل الزمان كإخبارهم بأوقات هبوب الرياح ومجيء المطر وظهور الحر والبرد وتغير الأسعار وما كان في معانيها من الأمور ، يزعمون أنهم يدركون معرفتها بسير الكواكب في مجاريها وباجتماعها واقترانها ، ويدعون لها تأثيرا في السفليات وأنها تتصرف على أحكامها وتجري على قضايا موجباتها ، وهذا منهم تحكم على الغيب وتعاط لعلم استأثر الله سبحانه به لا يعلم الغيب أحد سواه .

فأما علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والحس الذي يعرف به الزوال ويعلم به جهة القبلة فإنه غير داخل فيما نهى عنه ، وذلك أن معرفة رصد الظل ليس شيئا بأكثر من أن الظل مادام متناقصا فالشمس بعد صاعدة نحو وسط السماء من الأفق الشرقي ، وإذا أخذ في الزيادة فالشمس هابطة من وسط السماء نحو الأفق الغربي ، وهذا علم يصح دركه من جهة المشاهدة إلا أن أهل هذه الصناعة قد دبروه بما اتخذوا له من الآلة التي يستغنى الناظر فيها عن مراعاة مدته ومراصدته .

وأما ما يستدل به من جهة النجوم على جهة القبلة فإنما هي كواكب أرصدها أهل الخبرة بها من الأئمة الذين لا نشك في عنايتهم بأمر الدين ومعرفتهم بها وصدقهم فيما أخبروا به عنها ، مثل أن يشاهدوها بحضرة الكعبة ويشاهدوها في حال الغيبة عنها ، فكان إدراكهم الدلالة عنها بالمعاينة ، وإدراكنا لذلك بقبولنا لخبرهم إذ كانوا غير متهمين في دينهم ولا مقصرين في معرفتهم) .(١)

---

(١) معالم السنن (٤/ ٢٢٩ - ٢٣٠) .

٦- الاستسقاء بالأنواء :

وفي إيضاح هذا يقول الخطابي : (والنوء واحد الأنواء ، وهي الكواكب الثمانية والعشرون التي هي منازل القمر ، كانوا يزعمون أن القمر إذا نزل بعض تلك الكواكب مُطروا فأبطل صلى الله عليه وسلم قولهم وجعل سقوط المطر من فعل الله سبحانه دون فعل غيره) .(١) (٢)

وقال في موضع آخر : (والنوء : الكوكب ، ولذلك سموا منازل القمر الأنواء ، وإنما سمي النجم نوءاً لأنه ينوء طالعا عند مغيب رقيبه من ناحية

---

(١) عن زيد بن خالد الجهني - رضي الله عنه - قال : (صلى لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : ((هل تدرون ماذا قال ربكم ؟)) قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ((أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال : مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب وأما من قال بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب)) .

أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأذان باب ١٥٦ ح ٨٤٦ (الفتح ٢ / ٣٣٣) وفي مواطن أخرى من الصحيح ، انظر ح ١٠٣٨ ، ٤١٤٧ و ٧٥٠٣ .
ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان ح ١٢٥ (١ / ٨٣ - ٨٤) .
وأبو داود في سننه كتاب الطب باب ٢٢ ح ٣٩٠٦ (٤ / ٢٢٧ - ٢٢٨)
والنسائي في سننه كتاب الاستسقاء باب ١٦ ح ١٥٢٥ (٣ / ١٦٤ - ١٦٥)

(٢) معالم السنن (٤ / ٢٣١) .

المغرب ، وكان من عادتهم في الجاهلية أن يقولوا : مطرنا بنوء كذا ، فيضيفون النعمة في ذلك إلى غير الله عز وجل ، وينسون الشكر له على ذلك ، وهو المنعم عليهم بالغيث والسقيا ، فزجرهم عن هذا القول فسماه كفرا ، إذ كان ذلك يُفضي بصاحبه إلى الكفر إذا اعتقد أن الفعل للكوكب ، وهو فعل الله عز وجل لا شريك له) .[١]

---

(١) أعلام الحديث (١/٥٥٣ - ٥٥٤) .

٧ ـ النّشـــرة :

وفي بيانها يقول أبو سليمان : (النشرة ضرب من الرقية والعـــلاج ، يعالج به من كان يظن به مس الجن ، وقيل : سميت نشرة لأنه ينشر بها عنـــه أي يُحل عنه ما خامره من الداء).[1]

ويقول في موضع آخر : (النشرة معروفة وهى ضرب من علاج المصاب بمس الجن وعمل السحر ، ينشر به ذلك القارض تنشيرا وقد يجلَّلُ صاحبه بصبوب من مياه مختلفة المواضع ينفث فيه ويرقى به وقد كرهه غير واحد من العلماء[2]).[3]

---

(١) معالم السنن (٤ / ٢٢٠) ومثله في النهاية لابن الأثير (٥ / ٥٤) .

(٢) كالحسن البصرى ـ رحمه الله ـ وسيأتي نقل ذلك عنـــه .

(٣) أعلام الحديث (٢ / ١٥٠٤) .

قال الإمام البخاري في صحيحه من كتاب الطب ، باب هل يستخرج السحر؟ (وقال قتادة : قلت لسعيد بن المسيب : رجل به طب ـ أو يؤخذ عن امرأته ـ أيحل عنه أو ينشر ؟ قال : لا بأس به ، إنما يريدون به الإصـــلاح فأما ما ينفع فلم ينه عنه) اهـ . قال الحافظ في الفتح (١٠ / ٢٣٣) ـ عند هذا النص ـ : (وصله أبو بكر الأثرم في كتاب السنن من طريـــق أبان العطار عن قتادة ، ومثله من طريق هشام الدستوائي عن قتـــادة بلفظ : (يلتمس من يداويه ، فقال : إنما نهى الله عما يضر ولم ينه عمـــا ينفع) ، وأخرجه الطبرى في التهذيب من طريق يزيد بن زريع عن قتادة عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يرى بأسا إذا كان بالرجل سحر أن يمشي إلى من يطلق عنه ، فقال : هو صلاح ، قال قتادة : وكان الحسن يكره ذلك ، يقول : لا يعلم ذلك إلا ساحر ، قال : فقال سعيد بن المسيب : إنما نهى الله عما يضر ولم ينه عما ينفع .
وقد أخرج أبو داود في المراسيل عن الحسن رفعه ((النشرة مـــن عمـــل الشيطان)) ووصله أحمد وأبو داود بسند حسن عن جابر ، ====

٨ - التمائـــم :

وفي تعريفها وبيان حكمها يقول الخطابي : (والتميمة يقال إنها خرزة كانوا يتعلقونها يرون أنها تدفع عنهم الآفات ، واعتقاد هذا الرأي جهل وضلال ، إذ لا مانع ولا دافع غير الله سبحانه ولا يدخل في هذا التعوذ بالقرآن والتبـــرك والاستشفاء به ، لأنه كلام الله سبحانه ، والاستعاذة به ترجع إلى الاستعاذة بالله سبحانه ، ويقال : بل التميمة قلادة تعلق فيها العوذ ، قال أبو ذؤيب :

وإذا المنيـــة أنشبت أظفارهـــــا . . ألفيـــت كـــل تميمـــة لا تنفـــع[1]

(=) قال ابن الجوزي : (النشرة حل السحر عن المسحور ، ولا يكاد يقـدر عليه إلا من يعرف السحر) وقد سئل أحمد عمن يطلق السحر عـــــن المسحور فقال (لا بأس به) ، وهذا هو المعتمد ، ويجاب عن الحديث والأثر بأن قوله : ((النشرة من عمل الشيطان)) إشارة إلى أصلهـــــا ويختلف الحكم بالقصد ، فمن قصد بها خيراً كان خيراً وإلا فهو شر ، ثم الحصر المنقول عن الحسن ليس على ظاهره لأنه قد ينحل بالرقى والأدعية والتعويذ ، ولكن يحتمل أن تكون النشرة نوعين) اهـ .

قلت : وهذا ما ذهب إليه ابن القيم - رحمه الله تعالى - حيث قـــال : (النشرة حل السحر عن المسحور ، وهي نوعان : حل بسحر مثلـــــه وهو الذى من عمل الشيطان ، وعليه يحمل قول الحسن ، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب ، فيبطل عمله عن المسحور .
والثاني : النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة ، فهذا جائز) . فتح المجيد (ص ٣٠٩) .

(١) انظـر : شرح أشعار الهذليين (١/٨) .

وقال آخر :

بلاد بها عق الشباب تميمتي .:. وأول أرض مس جلدي ترابها [1]

وقد قيل : إن المكروه من العوذ هو ما كان بغير لسان العرب فلا يفهم معناه ، ولعله قد يكون فيه سحر أو نحوه من المحظور ، والله أعلم) . [2]

---

(١) هذا البيت نُسب لعدة أشخاص - مع اختلاف يسير جدا في بعض ألفاظه - فقد نسبه الجاحظ في : الحنين إلى الأوطان (ص ٢٥) لحماد بن إسحاق الموصلي ، ونسبه ابن منظور في اللسان (٧ / ٤١٨) و(١٢ / ٦٩-٧٠) لرقاع بن قيس الأسدي ، ونسبه آخرون لآخرين .

(٢) معالم السنن (٤ / ٢٢٠ - ٢٢١) ، وانظر غريب الحديث (٢ / ٤٤٥) .

٩ ـ الرقـــى :

يُفرق الخطابي ـ رحمه الله تعالى ـ بين الرقى الشرعية والشركية فيوضح ذلك بقوله : (والفرق بين الرقية التى أمر بها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبين ما كرهه ونهى عنه [1] من رقية العرافين وأصحاب النشر ومن يدعي تسخير الجن لهم أن ما أمر به ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأباح استعماله منها هو ما يكون بقوارع [2] القرآن وبالعوذ التي يقع منها ذكر الله عز وجل وأسماؤه على ألسن الأبرار من الخلق والأخيار الطاهرة نفوسهم ، فيكون ذلك سببا للشفاء بإذن الله ، وهو

---

(١) من الأحاديث الدالة على إباحة الرقى ما جاء عن عوف بن مالك الأشجعي ـ رضى الله عنه ـ قال : (كنا نرقى في الجاهلية ، فقلنا يارسول الله كيف ترى في ذلك ؟ فقال : ((اعرضوا علي رقاكم ، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك)) .
رواه مسلم في صحيحه كتاب السلام ح ٦٤ (١٧٢٧/٤) .
وأبو داود في سننه كتاب الطب باب ١٨ ح ٣٨٨٦ (٢١٤/٤) .
ومن الأحاديث الدالة على النهي قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : ((إن الرقى والتمائم والتولة شرك)) .
رواه أبو داود في سننه كتاب الطب باب ١٧ ح ٣٨٨٣ (٢١٢/٤)
وابن ماجه في سننه كتاب الطب باب ٣٩ ح ٣٥٣٠ (١١٦٧/٢) ،
وأحمد في مسنده (٣٨١/١) .
ولا تعارض ـ بحمد الله ـ بين هذه النصوص كما أفاده الخطابي وغيره ، وسيأتي بعضه إن شاء الله .

(٢) قال في القاموس (ص ٩٦٩) (مادة قرع) : وقوارع القرآن : الآيات التي من قرأها أمن من الشياطين والإنس والجن ، كأنها تقرع الشيطان .

الطب الروحاني [١] وعلى هذا كان معظم الأمر في الزمان المتقدم الصالح أهله وبه كان يقع الاستشفاء واستدفاع أنواع البلاء ، فلما عزَّ وُجُودُ هذا الصنف من أبرار الخليقة وأخيار البرية فزع الناس إلى الطب الجسماني حين لم يجدوا للطب الروحاني نجوعا في العلل والأسقام لعدم المعاني التي كان يجمعها الرقاة والمعوذون والمستشفون بالدعوات الصالحة والبركات الموجودة فيهم .

وأما التي نهى عنها صلى الله عليه وسلم فهي أمور مشتبهة مركبة من حق وباطل يجمع إلى ظاهر ما يقع فيها من ذكر الله تعالى ما يستسر به من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتعوذ بمردتهم ، وإلى نحو هذا المذهب ينحو أكثر من يرقى من الحية ويستخرج السم من بدن الملسوع ، ويقال : إن الحية لما بينها وبين الإنسان من العداوة الجوهرية تؤالف الشياطين ، إذ هي أعداء لبني آدم والعداوة بين الجنسين وبين الآدمي عداوة جوهرية ، فإذا عزم على الحية بأسماء الشياطين أجابت وخرجت من أماكنها ومكامنها ، وكذلك اللديغ إذا رقي بتلك الأسماء سالت سمومها وجرت في مواضعها من بدن الإنسان ، فلذلك كُره من الرقى ما لم يكن بذكر الله وأسمائه وبكتابه وباللسان الذي يعرف بيانه ويفهم معناه ليكون بريئا من شوب الشرك) [٢] والله أعلم .

---

(١) قال الجرجاني في التعريفات (ص ١٤٠) : (الطب الروحاني هو العلم بكمالات القلوب وآفاتها وأمراضها وأدوائها وبكيفية حفظ صحتها واعتدالها) .

(٢) أعلام الحديث (٣ / ٢١٣١ - ٢١٣٢) وانظر المصدر نفسه (٣ / ٢١١٦) .

ويقول ـ أيضا ـ : (فأما الرقى فالمنهي عنه هو ما كان منها بغير لسان العرب فلا يدرى ما هو ، ولعله قد يدخله سحر أو كفر ، فأما إذا كان مفهوم المعنى وكان فيه ذكر الله تعالى فإنه مستحب متبرك به ، والله أعلم) .[1]

وعند شرحه لقوله عليه الصلاة والسلام ـ : ((لا رقية إلا من عين أو حُمَة))[2]

قال : (وليس في هذا نفي جواز الرقية في غيرهما من الأمراض والأوجاع ، لأنه قد ثبت عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه رقى بعض أصحابه[3] من وجع كان به ،

---

(١) معالم السنن (٤/٢٢٦) .

قال الحافظ في الفتح (١٠/١٩٥) : (وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط : أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته وباللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره ، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات الله تعالى) .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الطب باب ١٧ ح ٣٨٨٤ (٤/٢١٣) والترمذي في سننه كتاب الطب باب ١٥ ح ٢٠٥٧ (٤/٣٩٤) .

قال الخطابي في المعالم (٤/٢٢٦) : (الحمة سم ذوات السموم وقد تسمى إبرة العقرب والزنبور حمة وذلك لأنها مجرى السم) .

(٣) لم أقف على تعيينه ومعرفته ، وإن كان ذلك جاء عاما في نصوص عدة ، انظر : كتاب الطب من صحيح البخاري ، باب رقية النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال للشفاء [١] علمي حفصة [٢] رقية النملة [٣] ، وإنما معناه أنه لا رقية أولى وأنفع من رقية العين والسم ، وهذا كما قيل : لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار) . [٤]

---

(١) هي أم سليمان الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس بن خلف القرشية العدوية ، أسلمت قديما وكانت من المبايعات ومن عقلاء النساء وفضلائهن وكان عليه الصلاة والسلام يقيل عندها ، فضائلها جمة ومناقبها كثيرة .
الاستيعاب (٤/١٨٦٨ - ١٨٧٠) وأسد الغابة (٧/١٦٢ - ١٦٣) والإصابة (٧/٧٢٧ - ٧٢٩) .

(٢) هي أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وإحدى المهاجرات ، توفيت بالمدينة سنة ٤٥ .
الاستيعاب (٤/١٨١١ - ١٨١٢) وأسد الغابة (٧/٦٥-٦٧) والإصابة (٧/٥٨١ - ٥٨٣) .

(٣) قال الخطابي في المعالم (٤/٢٢٧) (النملة قروح تخرج في الجنبين ويقال : إنها تخرج أيضا في غير الجنب) .

(٤) معالم السنن (٤/٢٢٦) .

الباب الثالث

الباب الثالث

(((منهج الخطابي في الإيمان وبعض مسائله)))

ويشتمل على أربعة فصول :

الفصل الأول : الإيمان

الفصل الثاني : الإيمان بالنبوات والكتب المنزلة .

الفصل الثالث : الإيمان بالقضاء والقدر .

الفصل الرابع : الإيمان باليوم الآخر .

=============

الفصل الأول

(((الإيمان)))

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الإيمان لغة واصطلاحا .

المبحث الثاني : العلاقة بين مسمى الإيمان والإسلام .

المبحث الثالث : دخول الأعمال في مسمى الإيمان .

المبحث الرابع : حكم ما يقع في القلب من الوساوس .

المبحث الخامس : حكم مرتكب الكبيرة .

================

** الفصل الأول **

الإيمـــان

المبحث الأول : تعريف الإيمان لغة واصطلاحا .

الإيمان مصدر آمن يؤمن إيمانا ، فهو مؤمن . وهو مشتق من الأمن .

قال الجوهري [1] : (الإيمان : التصديق ، والله تعالى المؤمن ، لأنه آمن عباده من أن يظلمهم ، وأصل آمن أأمن بهمزتين ، لينت الثانية . والأمن ضد الخوف) [2] .

وقال الراغب الأصبهاني : (آمن إنما يقال على وجهين : أحدهما : متعديا بنفسه ، يقال آمنته ، أي جعلت له الأمن ، ومنه قيل لله مؤمن . الثاني : غير متعد ، ومعناه صار ذا أمن . قال تعالى : ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ﴾ [3] . قيل معناه بمصدق لنا . إلا أن الإيمان هو التصديق الذي معه أمن) [4] .

وقال ابن منظور [5] : (الإيمان ضد الكفر ، والإيمان بمعنى التصديق ضده التكذيب يقال : آمن به قوم وكذب به قوم) [6] .

إذاً فالإيمان في اللغة هو التصديق الذي معه أمن ، وليس هو مجرد التصديق فقط كما قاله البعض وادعى عليه الإجماع) [7] .

---

(١) هو أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ، أحد أئمة اللغة والأدب المشاهير ، يضرب به المثل في ضبط اللغة وحسن الخط وجودته مات بنيسابور سنة ٣٩٣ . وقيل غير ذلك .
معجم الأدباء (٦ / ١٥١ - ١٦٥) وسير أعلام النبلاء (١٧ / ٨٠ - ٨٢) وبغية الوعاه (١ / ٤٤٦ - ٤٤٨) .

(٢) الصحاح (٥ / ٢٠٧١) .

(٣) سورة يوسف بعض آية (١٧) .

(٤) المفردات (ص ٢٦) .

(٥) هو أبو الفضل محمد بن مكرم بن على الأنصاري الإفريقي المصري ، جمال الدين . إمام لغوي حجة . ولد سنة ٦٣٠ وتوفي بمصر سنة ٧١١ .
الدرر الكامنة (٥ / ٣١ - ٣٣) وبغية الوعاة (١ / ٢٤٨) وحسن المحاضرة (١ / ٣٨٨ و ٥٣٤) .

(٦) لسان العرب (١٣ / ٢١) مادة (أمن) .

(٧) كالقاضي أبي بكر الباقلاني في كتابه التمهيد (ص ٣٨٩) . ولقد رد الإمام ابن تيمية هذه الدعوى من ستة عشر وجها بأسلوب علمي متين في كتابه الإيمان (ص ١١٦) وما بعدها ، مما لا يوجد في غيره.
- والعلم عند الله تعالى -

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : (فإن الإيمان مشتق من الأمن ، فإنما يستعمل في خبر يؤتمن عليه المخبر ، كالأمر الغائب الذى يؤتمن عليه المخبر ، ولهذا لم يوجد قط في القرآن وغيره لفظ آمن له إلا في هذا النوع ، فاللفظ متضمن مع التصديق ومعنى الائتمان والأمانة كما يدل عليه الاستعمال والاشتقاق ، ولهذا قالوا : ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ﴾ (١) أى لا تقر بخبرنا ولا تثق به ولا تطمئن إليه ولو كنا صادقين ، لأنهم لم يكونوا عنده ممن يؤتمن على ذلك ، فلو صدقوا لم يأمن لهم) (٢) .

وأما حده اصطلاحا فهو : (جميع الطاعات الباطنة والظاهرة ، فالباطنة أعمال القلب وهو تصديق القلب ، والظاهرة هي أفعال البدن الواجبات والمندوبات) (٣) .

قال الخطابي - رحمه الله - : (إن الإيمان الشرعي اسم لمعنى ذي شعب وأجزاء ، له أعلى وأدنى ، فالاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها ،

---

(١) سورة يوسف بعض آية (١٧) .

(٢) الإيمان (ص ٢٧٦ - ٢٧٧) مع بعض الاختصار .

(٣) كتاب مسائل الإيمان للقاضي أبي يعلى (ص ١٥٢) .

والحقيقة تقتضي جميع شعبها وتستوفي جملة أجزائها كالصلاة الشرعية لها شعب وأجزاء ، والاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها ، والحقيقة تقتضي جميع أجزائها وتستوفيها ، ويدل على ذلك قوله : ((الحياء شعبة من الإيمان))[1] فأخبر أن الحياء إحدى تلك الشعب) اهـ.[2]

فما ذهب إليه الخطابي - هنا - من تعريفٍ لاسم الإيمان الشرعي هو قول السلف - رحمهم الله تعالى - بل والإجماع معقود عليه .[3]

قال الحافظ ابن منده - عليه رحمة الله - : (فأصله - يعني الإيمان - المعرفة بالله والتصديق له وبه وبما جاء من عنده بالقلب واللسان ، مع الخضوع له

---

(١) هو طرف من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - ولفظه بتمامه : ((الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان)) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان باب ٣ ح ٩ (الفتح ١/ ٥١) ، وأخرجه مسلم في صحيحه بأتم من هذا بلفظ : ((الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان)). كتاب الإيمان ح ٥٧ و ٥٨ (١/ ٦٣) .
وأبو داود في سننه كتاب السنة باب ١٥ ح ٤٦٧٦ (٥/ ٥٥ - ٥٦)
والنسائي في سننه كتاب الإيمان باب ١٦ ح ٥٠٠٤ و ٥٠٠٥ (٨/ ١١٠)
والترمذي في سننه كتاب الإيمان باب ٦ ح ٢٦١٤ (٥/ ١٠) .
وابن ماجه في سننه ، المقدمة باب ٩ ح ٥٧ (١/ ٢٢) .

(٢) معالم السنن (٤/ ٣١٢) .

(٣) انظر التمهيد لابن عبد البر (٩/ ٢٣٨) .

والحب له والخوف منه والتعظيم له ، مع ترك التكبر والاستنكاف والمعاندة ، فإذا أتى بهذا الأصل فقد دخل في الإيمان ولزمه اسمه وأحكامه ، ولا يكون مستكملا له حتى يأتي بفرعه ، وفرعه المفترض عليه أو الفرائض واجتناب المحارم ، وقد جاء الخبر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : ((الإيمان بضع وسبعون أو ستون شعبة ، أفضلها شهادة أن لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان))[1] فجعل الإيمان شعبا بعضها باللسان والشفتين وبعضها بالقلب ، وبعضها بسائر الجوارح ، فشهادة أن لا إله إلا الله فعل اللسان ، تقول : شهدت أشهد شهادة ، والشهادة فعله بالقلب واللسان لا اختلاف بين المسلمين في ذلك ، والحياء في القلب ، وإماطة الأذى عن الطريق فعل سائر الجوارح)[2] .

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٣٤٢) .

(٢) كتاب الإيمان (١/ ٣٣١ - ٣٣٢) .

المبحث الثاني

((العلاقة بين مسمى الإيمان والإسلام))

قال الخطابي - رحمه الله تعالى - : (ما أكثر ما يغلط الناس في هذه المسألة ، فأما الزهري فقد ذهب إلى ما حكاه معمر عنه[1]، واحتج بالآية .[2]

وذهب غيره إلى أن الإيمان والإسلام شيء واحد ، واحتج بالآية الأخرى وهي قوله : ﴿ فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾[3] قال : فدل ذلك على أن المسلمين هم المؤمنون ، إذ كان الله سبحانه قد وعد أن يُخلِّص المؤمنين من قوم لوط وأن يخرجهم من بين ظَهراني من وجب عليه العذاب منهم ، ثم أخبر أنه قد فعل ذلك بمن وجده فيهم من المسلمين إنجازا للموعد ، فدل الإسلام على الإيمان ، فثبت أن معناهما واحد ، وأن المسلمين هم المؤمنون .

---

(١) وهو التفريق بين مسمى الإيمان والإسلام ، حيث قال - رحمه الله - : (نرى أن الإسلام الكلمة ، والإيمان العمل) .
رواه أبو داود في سننه ، كتاب السنة باب ١٦ ح ٤٦٨٤ (٥/٦٢)
كما ذكره ابن منده في الإيمان (١/٣١١) ، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤/٨١٢) .

(٢) يعني قوله تعالى : ﴿ قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ﴾ سورة الحجرات بعض آية (١٤) .

(٣) سورة الذاريات آية (٣٥) و (٣٦) .

وقد تكلم في هذا الباب رجلان من كبراء أهل العلم وصار كل واحد منهما إلى مقالة من هاتين المقالتين ، ورد الآخر منهما على المتقدم وصنف عليه كتابا يبلغ عدد أوراقه المائتين [(١)] .

قلت : والصحيح من ذلك أن يقيد الكلام في هذا ولا يطلق على أحد الوجهين ، وذلك أن المسلم قد يكون مؤمنا في بعض الأحوال ولا يكون مؤمنا في بعضها ، والمؤمن مسلم في جميع الأحوال ، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا ، وإذا حملت الأمر على هذا استقام لك تأويل الآيات واعتدل القول فيها ولم يختلف عليك شيء منها ، وأصل الإيمان التصديق وأصل الاسلام الاستسلام والانقياد فقد يكون المرء مستسلما في الظاهر غير منقاد في الباطن ، ولا يكون صادق الباطن غير منقاد في الظاهر) [(٢)] .

وقال - عند شرحه لحديث سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - ((أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أعطى رهطا - وسعد جالس - فترك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رجلا هو أعجبهم إلي ، فقلت : يارسول الله مالك عن فلان ؟ فوالله إني لأراه مؤمنا ، فقال : أو مسلما ، فسكت قليلا ثم غلبني ما أعلم منه فعدت

---

(١) قال ابن تيمية في الإيمان (ص ٣٤٣) : (قلت : الرجلان اللذان أشار إليهما الخطابي أظن أحدهما - وهو السابق - محمد بن نصر ، فإنه الذي علمته بسط الكلام في أن الإسلام والإيمان شيء واحد من أهل السنة والحديث ، وما علمت لغيره قبله بسطا في هذا ، والآخر الذي رد عليه أظنه (بياض بالكتاب) لكن لم أقف على رده) اهـ .

(٢) معالم السنن (٤/ ٣١٥) وانظر المصدر نفسه (٤/ ٣٢٠ - ٣٢١) .

لمقالتي فقلت : مالك عن فلان ؟ فوالله إني لأراه مؤمنا ،فقال : أو مسلما ،
ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال :
ياسعد إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه خشية أن يكبه الله في النار))[1].

(ظاهر هذا الكلام يوجب الفرق بين الإيمان والإسلام ، وهذه المسألة قد أكثر
الناس الكلام فيها ، وصنفوا لها صحفا طويلة ، والمقدار الذي لا بد من ذكره
هاهنا على وجه الايجاز والاختصار أن الإيمان والإسلام قد يجتمعان في مواضع
فيقال للمسلم : مؤمن ، وللمؤمن : مسلم ،ويفترقان في مواضع ،فلا يقال لكل مسلم
مؤمن ، ويقال لكل مؤمن : مسلم ،فالموضع الذي يتفقان فيه هو أن يستوى الظاهر
والباطن ، والموضع الذى لا يتفقان فيه أن لا يستويا ، ويقال له عند ذلك : مسلم
يعني أنه مسلم ، وهو معنى ما جاء في الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم :
((أو مسلما)) ، وكذلك معنى الآية في قوله تعالى : ﴿ قالت الأعراب آمنا
قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ﴾[2] ، أى استسلمنا ،وفي الاسلام بمعنى الاستسلام
قول أمية بن أبي الصلت[3]:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان باب ١٩ ح ٢٧ (الفتح : ١/ ٧٩) وفي كتاب الزكاة باب ٥٣ ح ١٤٧٨ (الفتح ٣/ ٣٤٠-٣٤١) ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ح ٢٣٦ (١/ ١٣٢) وفي كتاب الزكاة ح ١٣١ (٢/ ٧٣٢ - ٧٣٣) .
وأبو داود في سننه كتاب السنة باب ١٦ ح ٤٦٨٣ (٥/ ٦٠ - ٦٢) .

(٢) سورة الحجرات بعض آية (١٤) .

(٣) هو أمية بن عبد الله(أبى الصلت)بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي ، شاعر جاهلي كافر ،قدم دمشق ، وكان مطلعاً على الكتب القديمة ، وممن حرموا على أنفسهم شرب الخمر ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية =====

أسلمت وجهي لمن أسلمت . . له الريح تحمل مزنا ثقالا)[1] [2] .

قلت : هذه المسألة - كما لا يخفى - قد وقع الخلاف فيها بين السلف - رحمهم الله تعالى - على قولين مشهورين :

الأول : التفريق بين مسمى الإيمان والإسلام وأنهما متغايران لكل واحد منهما مدلول يخصه ، وإلى هذا ذهب عبد الله بن عباس والحسن البصري ، ومحمد بن سيرين ومحمد بن شهاب الزهري وعبد الرحمن بن مهدي ، وابن أبي ذئب والإمام مالك وشريك وقتادة وحماد بن زيد والإمام أحمد وابن جرير واللالكائي وابن كثير وجمهور السلف .

ومن أدلة هؤلاء قوله تعالى : ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ﴾[3] وقوله : ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ﴾[4] ففرق

(=) وقد أدرك الإسلام ولم يسلم ، ومات بالطائف سنة ٥ .
الشعر والشعراء (١ / ٤٦٦ - ٤٦٩) وتهذيب الأسماء واللغات (١ / ١٢٦) والأعلام (٢ / ٢٣) .

(١) هذا البيت نسب في الأغاني (٣ / ١٢٨) لزيد بن عمرو بن نفيل ضمن بيتين آخرين ، وهي بلفظ :
أسلمت وجهي لمن أسلمت . . له المزن تحمل عذبا زلالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت . . له الأرض تحمل صخرا ثقالا
دحاها فلما استوت شدها . . سواء وأرسى عليها الجبالا

(٢) أعلام الحديث (١ / ١٦٠ - ١٦١) .
(٣) سورة الحجرات بعض آية (١٤) .
(٤) سورة الأحزاب بعض آية (٣٥) .

بين الإسلام والإيمان في هاتين الآتيين ، ومن السنة حديث جبريل عليه السلام حين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام والإيمان ، فأجابه عليه الصلاة والسلام بما يفيد التفريق بينهما[1] وحديث سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - وقد مضى ذكره .[2]

الثاني : عدم التفريق بينهما وأن الإيمان والإسلام اسمان لمعنى واحد أي أنهما مترادفان، وإلى هذا ذهب الإمام البخاري ومحمد بن نصر المروزي والحافظ ابن منده وابن عبد البر والمزني وابن حزم ، قال ابن عبد البر : (وعلى القول بأن الإيمان هو الإسلام جمهور أصحابنا وغيرهم من الشافعيين والمالكيين ، وهو قول داود وأصحابه ، وأكثر أهل السنة والنظر المتبعين للسلف والأثر) .[3]

قلت ، ومن أدلة هؤلاء قوله تعالى : ﴿ ولا يرضى لعباده الكفر ﴾[4] ، وقوله ﴿ ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾[5] وقوله : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾[6] وقوله : ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ﴾[7] . قال ابن منده - بعد سرده لهذه الآيات - : (فمدح الله الإسلام

---

(١) حديث جبريل المشار إليه معروف مشهور ، أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ح ١ (١/ ٣٦) وأبو داود في سننه كتاب السنة باب ١٧ ح ٤٦٩٥ (٥/ ٦٩ - ٧٣) والنسائي في سننه كتاب الإيمان باب ٥ ح ٤٩٩٠ (٨/ ٩٧ - ١٠١) .
والترمذي في سننه كتاب الإيمان باب ٤ ح ٢٦١٠ (٥/ ٦ - ٧) ، وابن ماجه في سننه المقدمة باب ٩ ح ٦٣ (١/ ٢٤ - ٢٥) .

(٢) (ص ٣٤٥-٣٤٦) .

(٣) التمهيد (٩/ ٢٥٠) .

(٤) سورة الزمر بعض آية (٧) .

(٥) سورة المائدة بعض آية (٣) .

(٦) سورة الأنعام بعض آية (١٢٥) .

(٧) سورة الزمر بعض آية (٢٢) .

بمثل ما مدح به الإيمان وجعله اسم ثناء وتزكية ، وأخبر أن من أسلم فهو على نور من ربه وهدى وأخبر أنه دينه الذي ارتضاه ، ألا ترى أن أنبياء الله ورسله رغبوا فيه إليه وسألوه إياه ، فقال إبراهيم خليل الرحمن -صلى الله عليه وسلم- وإسماعيل -صلى الله عليه وسلم- سألا فقالا : ﴿ واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ﴾ (١) وقال يوسف عليه السلام : ﴿ توفني مسلما وألحقني بالصلحين ﴾ (٢) وقال : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلم دينا فلن يقبل منه ﴾ (٣) وقال : ﴿ إن الدين عند الله الإسلم ﴾ (٤) ، وقال عز وجل : ﴿ ووصى بها إبرٰهم بنيه ويعقوب يٰبنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ (٥) وقال : ﴿ وقل للذين أوتوا الكتٰب والأميين ءأسلمتم ، فإن أسلموا فقد اهتدوا ﴾ (٦) وقال في موضع : ﴿ قولوا ءامنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبرٰهيم وإسمٰعيل ﴾ إلى قوله : ﴿ فإن ءامنوا بمثل ما ءامنتم به فقد اهتدوا ﴾ (٧) .

فحكم الله عز وجل بأن من أسلم فقد اهتدى ، ومن آمن فقد اهتدى فسوى بينهما .

وقال في موضع آخر : ﴿ الذين ءامنوا بـٔايٰتنا وكانوا مسلمين ﴾ (٨) ، وقال في قصة

---

(١) سورة البقرة بعض آية (١٢٨) .

(٢) سورة يوسف بعض آية (١٠١) .

(٣) سورة آل عمران بعض آية (٨٥) .

(٤) سورة آل عمران بعض آية (١٩) .

(٥) سورة البقرة آية (١٣٢) .

(٦) سورة آل عمران بعض آية (٢٠) .

(٧) سورة البقرة آية (١٣٦) وبعض آية (١٣٧) .

(٨) سورة الزخرف آية (٦٩) .

لوط : ﴿ فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾[(١)] ، وقال : ﴿ وإذا يتلى عليهم قالوا ءامنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ﴾[(٢)] وقال : ﴿ إن تُسمع إلا من يؤمن بئايتنا فهم مسلمون ﴾[(٣)] . فدل ذلك على أن من آمن فهو مسلم ، وأن من استحق أحد الاسمين استحق الآخر إذا عمل بالطاعات التي آمن بها ، فإذا ترك منها شيئا مقرا بوجوبها كان غير مستكمل ، فإن جحد منها شيئا كان خارجا من جملة الإيمان والإسلام ، وهذا قول من جعل الإسلام على ضربين ، إسلام يقين وطاعة ، وإسلام استسلام من القتل والسبي ، قال الله عز وجل : ﴿ قالت الأعراب ءامنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ﴾ وقال : ﴿ ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾[(٤)] ، ثم ساق بعض الأدلة من السنة النبوية دلالة لهذا المعنى) . اهـ[(٥)]

ولقد نصر كل فريق رأيه وأيد مذهبه بما يطول سرده وبيان وجه دلالته ، وتكفي الإشارة - إن شاء الله - فيما ذُكر ، ومن شاء الاستزادة والاطلاع على المسألة فليراجع مظان ذلك ومصادره[(٦)] وبالله التوفيق .

---

(١) سورة الذاريات آية (٣٥ و ٣٦) .

(٢) سورة القصص آية (٥٣) .

(٣) سورة النمل بعض آية (٨١) وسورة الروم بعض آية (٥٣)

(٤) سورة الحجرات ، بعض آية (١٤) .

(٥) كتاب الإيمان (١ / ٣٢١ - ٣٢٣) .

(٦) راجع : الشرح والإبانة لابن بطة (ص ١٨٢ - ١٨٣) ، والإيمان لابن منده (١ / ٣١١ - ٣٢٦) ، وشرح أصول الاعتقاد (٤ / ٨١٢-٨١٥) والدرة فيما يجب اعتقاده (ص ٣٥٩ - ٣٦٢) ومسائل الإيمان =====

والذي يهم - في هذا المقام - أن أبا سليمان الخطابي - رحمه الله - قد اختار التفصيل في المسألة مُبيِّناً أن بين الاسمين تلازماً مع كونهما مفترقين ، وذلك أن الشارع متى قرن بينهما كان المراد بالإسلام الأعمال الظاهرة ، والمراد بالإيمان الأعمال القلبية ، كما يدل على هذا حديث جبريل - عليه السلام - وأنه متى افترقا شمل أحدهما الآخر ودخل فيه ، كما يدل عليه حديث وفد عبد القيس ، إذ فسر الإيمان فيه بما فسر به الإسلام في حديث جبريل إذ قال لهم عليه الصلاة والسلام :«أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟»قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال :«شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس . .» الحديث[1]، فظهر أنهما إذا اجتمعا افترقا ، وإذا افترقا اجتمعا ، ولهذا جاءت عبارة السلف : (كل

(=) لأبي يعلى (ص ٤٢١ - ٤٣١) ، والتمهيد لابن عبد البر (٩/٢٤٧-٢٥٠) والإيمان لابن تيمية (ص ٢٤٦) وما بعدها ، وجامع العلوم والحكم (ص ٢٣) وما بعدها ، وتفسير ابن كثير (٤/٢٣٤) ، وفتح الباري (١/١١٤) وما بعدها ، ولوامع الأنوار البهية (١/٤٢٦-٤٣٠) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب ٤٠ ح ٥٣ (الفتح ١/١٢٩) وفي مواطن أخرى في الصحيح ، انظر ح ٨٧ و ٥٢٣ ،
وسلم في صحيحه كتاب الإيمان ح ٢٣ (١/٤٦) .
وأبو داود في سننه كتاب السنة باب ١٥ ح ٤٦٧٧ (٥/٥٧) .
والنسائي في سننه ، كتاب الإيمان وشرائعه باب ٢٥ ح ٥٠٣١ (٨/١٢٠)
والترمذي في سننه كتاب الإيمان باب ٥ ح ٢٦١١ (٥/٨) .
وأحمد في مسنده (١/٢٢٨) .

مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا) .[1]

والذي يظهر - والعلم عند الله تعالى - أن قول الخطابي في هذه المسألة هو الراجح لما فيه من الجمع الحسن بين النصوص والأدلة ، وبه يمكن التوفيق بين أقوال السلف - رحمهم الله - بتوجيهها وإعمالها كلها ، وهو أيضا ما رجحه جمع من أهل العلم المحققين وارتضوه ، وهذه بعض مقولاتهم في ذلك :

قال أبو بكر الإسماعيلي في رسالته إلى أهل الجبل : (قال كثير من أهل السنة والجماعة إن الإيمان قول وعمل ، والإسلام فعل ما فرض الله على الإنسان أن يفعله إذا ذكر كل اسم على حدته مضموما إلى الآخر ، فقيل المؤمنون والمسلمون جميعا ، مفردين أريد بأحدهما معنى لم يرد به الآخر ، وإذا ذكر أحد الاسمين شمل الكل وعمهم) .[2]

وقال الإمام البغوي[3] : (جعل النبي-صلى الله عليه وسلم-في هذا الحديث[4] الإسلام اسما لما ظهر من الأعمال ، وجعل الإيمان اسما لما بطن من

---

(١) كما سبق نقله عن الخطابي وسيأتي عن ابن الصلاح ، وانظر جامع العلوم والحكم (ص ٢٧) .

(٢) نقلا عن جامع العلوم والحكم (ص ٢٧) . قال ابن رجب - بعده - : (وقد ذكر هذا المعنى أيضا الخطابي في كتابه معالم السنن ، وتبعه عليه جماعة من العلماء من بعده) .

(٣) هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي أحد الأعلام ، إمام محدث فقيه مفسر ، ولد سنة ٤٣٦ ، ومات سنة ٥١٦ سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٣٩ - ٤٤٣) وطبقات الشافعية للسبكي (٧/ ٧٥ - ٨٠) والأعلام (٢/ ٢٥٩) .

(٤) يعني حديث جبريل عليه السلام ، وقد مضى تخريجه ص :(٣٤٨)

الاعتقاد ، وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان أو التصديق بالقلب ليس من الإسلام ، بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد وجماعها الدين ، ولذلك قال : ((ذاك جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم)) ، والتصديق والعمل يتناولهما اسم الإيمان والإسلام جميعا ، يدل عليه قوله سبحانه وتعالى : ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾[1] ﴿ورضيت لكم الإسلام دينا﴾[2] ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه﴾[3] ، فأخبر أن الدين الذى رضيه ويقبله من عباده هو الإسلام ، ولن يكون الدين في محل القبول والرضى إلا بانضمام التصديق إلى العمل)[4] . ثم ذكر كلام الخطابي تأييدا لما قال .

وقال ابن الصلاح[5] :- بعد كلام له في المسألة - : (فخرج مما ذكرناه وحققنا أن الإيمان والإسلام يجتمعان ويفترقان ، وأن كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا ، وهذا تحقيق وافر بالتوفيق بين متفرقات نصوص الكتاب والسنة الواردة في الإيمان والإسلام التي طالما غلط فيها الخائضون ، وما حققناه من ذلك موافق لجماهير العلماء من أهل الحديث وغيرهم)[6] .

---

(١) سورة آل عمران بعض آية (١٩) .

(٢) سورة المائدة بعض آية (٣) .

(٣) سورة آل عمران بعض آية (٨٥) .

(٤) شرح السنة (١ / ١٠ - ١١) .

(٥) هو أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن (صلاح الدين) بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري الموصلي الشافعي ، المعروف بابن الصلاح ، إمام حافظ علامة ، ومن المتقدمين في معرفة علوم الحديث والفقه والتفسير ، ولد سنة ٥٧٧ ، ومات بدمشق سنة ٦٤٣ .
سير أعلام النبلاء (٢٣ / ١٤٠ - ١٤٤) وتذكرة الحفاظ (٤ / ١٤٣٠ - ١٤٣٣) وشذرات الذهب (٥ / ٢٢١ - ٢٢٢) .

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي (١ / ١٤٨) والإيمان لابن تيمية (ص ٣٤٥) .

وقال ابن تيمية : (والرد إلى الله ورسوله في مسألة الإسلام والإيمان يوجب أن كلا من الاسمين - وإن كان مسماه واجبا - لا يستحق أحد الجنة إلا بأن يكون مؤمنا مسلما ، فالحق في ذلك ما بينه النبي في حديث جبريل ، فجعل الدين وأهله ثلاث طبقات ، أولها : الإسلام ، وأوسطها الإيمان ، وأعلاها الإحسان ، ومن وصل إلى العليا فقد وصل إلى التي تليها ، فالمحسن مؤمن والمؤمن مسلم ، وأما المسلم فلا يجب أن يكون مؤمنا) .[1]

وقال أيضا - بعد ذكره لجملة من كلام محمد بن نصر المروزي، وهو من القائلين بالترادف بين مسمى الإيمان والإسلام - : (مقصود محمد بن نصر المروزى - رحمه الله - أن المسلم الممدوح هو المؤمن الممدوح وأن المذموم ناقص الإسلام والإيمان ، وأن كل مؤمن فهو مسلم ، وكل مسلم فلابد أن يكون معه إيمان ، وهذا صحيح وهو متفق عليه ، ومقصوده أيضا أن من أطلق عليه الإسلام أطلق عليه الإيمان وهذا فيه نزاع لفظي ، ومقصوده أن مسمى أحدهما هو مسمى الآخر ، وهذا لا يعرف عن أحد من السلف ، وإن قيل : هما متلازمان ، فالمتلازمان لا يجب أن يكون مسمى هذا هو مسمى هذا ، وهو لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا أئمة الإسلام المشهورين أنه قال : مسمى الإسلام هو مسمى الإيمان كما نصره ، بل ولا عرفتُ أنا أحدا قال ذلك من السلف . . . فإذا قيل : إن الإسلام والإيمان التام متلازمان لم يلزم أن يكون أحدهما هو الآخر كالروح والبدن ، فلا يوجد عندنا روح إلا مع البدن ، ولا يوجد بدن حي إلا مع الروح ، وليس أحدهما الآخر ، فالإيمان كالروح ، فإنه قائم بالروح ومتصل بالبدن ، والإسلام كالبدن ، ولا يكون

---

(١) كتاب الإيمان (ص ٣٤١ - ٣٤٢) .

البدن حيا إلا مع الروح ، بمعنى أنهما متلازمان ، لا أن مسمى أحدهما هو مسمى الآخر) [(١)]

وقال ابن رجب - بعد كلام له في المسألة وتقريره لها على معنى قول الخطابي - : (وبهذا التفصيل الذي ذكرناه يزول الاختلاف ، فيقال : إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ ، وإن قرن بين الاسمين كان بينهما فرق والتحقيق في الفرق بينهما أن الإيمان هو تصديق القلب وإقراره ومعرفته ، والإسلام هو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده له ، وذلك يكون بالعمل وهو الدين كما سمى الله في كتابه الإسلام دينا ، وفي حديث جبريل سمى النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام والإيمان والإحسان دينا ، وهذا أيضا مما يدل على أن أحد الاسمين إذا أفرد دخل فيه الآخر ، وإنما يفرق بينهما حيث قرن أحد الاسمين بالآخر ، فيكون حينئذ المراد بالإيمان جنس تصديق القلب ، وبالإسلام جنس العمل) . [(٢)]

---

(١) الإيمان (ص ٣٤٩ - ٣٥١) .

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ٢٨) .

المبحث الثالث

((دخول الأعمال في مسمى الإيمان))

قال الخطابي - رحمه الله - : (إن الإيمان اسم يتشعب إلى أمور ذات عدد جماعها الطاعة ، ولهذا صار من صار من العلماء إلى أن الناس متفاضلون في درج الإيمان وإن كانوا متساوين في اسمه ، وكان بدء الإيمان كلمة الشهادة ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة سنة يدعو الناس إليها وسمى من أجابه إلى ذلك مؤمنا ، إلى أن نزلت الفرائض بعد ، وبهذا الاسم خوطبوا عند إيجابها عليهم ، قال الله تعالى : ﴿ يٰأيها الذين ءامنوا إذا قمتم إلى الصلوٰة فاغسلوا وجوهكم ﴾(١) وقال : ﴿ يأيها الذين ءامنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير ﴾(٢) ، وهذا الحكم مستمر في كل اسم يقع على أمر ذي شعب وأجزاء ، كالصلاة والحج ونحوهما ، فإن رجلا لو مرّ على مسجد وفيه قوم فيهم من يستفتح للصلاة ، وفيهم من هو راكع أو ساجد فقال : رأيتهم يصلون أو وجدتهم مصلين كان صادقا في قوله ، مع اختلاف أحوالهم في الصلاة ، وتفاضل أفعالهم منها ، وكذلك هذا في مناسك الحج ، ولو أن قوما أمروا بدخول دار فدخلها أحد فلما تعتب الباب أقام مكانه ، وجاوزه الآخر حتى دخل صحن الدار وأمعن في الدخول إلى البيوت والمخادع كانا في انطلاق اسم دخول الدار عليهما متساويين ، مع اختلاف أحوالهما في القلة والكثرة منه ، وعلى هذا سائر نظائرها وأشكالها .

ويؤيد القول بأن الإيمان ذو شعب ما رويناه عن النعمان بن مرة الأنصاري(٣) حدثنا

---

(١) سورة المائدة بعض آية (٦) .

(٢) سورة الحج آية (٧٧) .

(٣) هو النعمان بن مرة الأنصارى الزرقي المدني ، تابعي ثقة ، ذكره

====

ابن الأعرابي قال : حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيقي [(١)] قال : حدثنا يزيد بن هارون [(٢)] قال : أخبرنا يحى بن سعيد الأنصاري [(٣)] أن النعمان بن مرة الأنصاري أخبره أن رجلا ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((إن الإيمان ذو شعب والحياء شعبة من الإيمان)) [(٤)] [(٥)].

(=) مسلم في الطبقة الأولى من أهل المدينة .
تهذيب التهذيب (١٠/٤٥٥) وتقريب التهذيب (ص ٥٦٤) ترجمة رقم (٧١٦٠) .

(١) هو أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن مروان الواسطي الدقيقي ، إمام محدث حجة ، وثقه الدارقطني ، وقال أبو حاتم : صدوق . مات سنة ٢٦٦ .
الجرح والتعديل (٨/٥) وسير أعلام النبلاء (١٢/٥٨٢ - ٥٨٤) وتهذيب التهذيب (٩/٣١٧ - ٣١٨) .

(٢) هو أبو خالد يزيد بن هارون بن زاذى ويقال : زاذان ، السلمي مولاهم الواسطي ، إمام حافظ ثقة ، قال الإمام أحمد : كان يزيد حافظا متقنا ، مات في خلافة المأمون سنة ٢٠٦ .
تاريخ بغداد (١٤/٣٣٧ - ٣٤٧) وسير أعلام النبلاء (٩/٣٥٨ - ٣٧١) وتقريب التهذيب (ص ٦٠٦) ترجمة رقم ٧٧٨٩ .

(٣) هو أبو سعيد يحي بن سعيد بن قيس بن عمرو القاضي ، الإمام العلامة المجود الثقة الثبت ، عالم المدينة وتلميذ فقائها السبعة ، مات سنة ١٤٣ وقيل ١٤٤ .
تهذيب الأسماء واللغات (٢/١٥٣ - ١٥٤) وتهذيب التهذيب (١١/٢٢١ - ٢٢٤) وشذرات الذهب (١/٢١٢) .

(٤) رواه الإمام أحمد في كتاب الإيمان (ق ١٢١/أ) و (ق ١٢٤/ب) ، وهو مرسل لأن النعمان تابعي ، وقد روى الطرف الأخير منه مرفوعا من حديث أبي هريرة - رضى الله عنه - وقد مضى تخريجه ص : (٣٤٢)

(٥) أعلام الحديث (١/١٤٢ - ١٤٣) .

وقال أيضا - عند شرحه للحديث : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله))[١] : (قد روى هذا الحديث بألفاظ مختلفة من زيادة ونقصان ، وكلها صحاح ، منها : حديث أبي هريرة الذي رواه عن عمر في محاجته أبا بكر في قتال مانعي الزكاة وهو قوله : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها))[٢] ، وهو حديث مختصر ، ليس فيه ذكر الصلاة والزكاة ، ومنها : حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن

---

(١) حديث متواتر أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب ١٧ ح ٢٥ (الفتح ١/٧٥) .
ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان ح ٣٦ (١/٥٣) .
وأخرجه آخرون كثير يطول ذكرهم ، انظر شرح العقيدة الطحاوية بتحقيق التركي والأرناؤوط (١/٢٢ - ٢٣) تعليق (١) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الزكاة باب ١ ح ١٣٩٩ (الفتح ٣/٢٦٢) بلفظ : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله)) .
وفي كتاب استتابة المرتدين ح ٦٩٢٤ .
وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ح ٧٢٨٤ ، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان ح ٣٢ (١/٥١ - ٥٢) .

يستقبلوا قبلتنا وأن يأكلوا ذبيحتنا وأن يصلوا صلاتنا ، فإذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها))[١] ، ومنها : حديث ابن عمر هذا[٢] وقد زاد فيه ذكر الزكاة ، وقد اجتمعت هذه الأحاديث بأسانيدها في كتاب الزكاة من هذا الكتاب[٣] ورتبتها هناك[٤] وبينت وجوهها على اختلافها ، لأن ذلك الموضع كان أملك تبيان وجوهها وإشباع القول فيها ، وليس هذا باختلاف تناقض إنما هو اختلاف ترتيب إذا اعتبرته بالزمان والتوقيت ، وذلك أن الفرائض كانت تنزل شيئا فشيئا في أزمنة مختلفة ، فكان حديث أبي هريرة الذي رواه عن عمر حكاية الحال عن أول مبدأ الإسلام والدعوة إذ ذاك مقصورة على كلمة الشهادتين وحقوقها مضمنة في درجها غير مذكورة ، وحديث أنس وابن عمر متأخران ، ثم سائر الأحاديث التي فيها ذكر الأشياء المزيدة على ما في هذه الأخبار الثلاثة من صيام الشهر وإعطاء الخمس من المغنم المذكور في خبر وفد عبد القيس[٥] إنما جاءت فيما بعد ، وهو أيضا حديث صحيح لا يشك في ثبوته وفيما وصفناه من ذلك دليل على أن هذه الفرائض كلها من الإيمان)[٦].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة باب ٢٨ ح ٣٩٢ (الفتح : ٤٩٧/١) بألفاظ متقاربة ، وأبو داود في سننه كتاب الجهاد باب ١٠٤ ح ٢٦٤١ (٣/ ١٠١ - ١٠٢) والنسائي في سننه كتاب الإيمان باب ١٥ ح ٥٠٠٣ (٨/ ١٠٩) وفي كتاب تحريم الدم باب ١ ح ٣٩٦٦ (٧/ ٧٥) .

(٢) أي الحديث الأول .

(٣) يعني صحيح البخاري .

(٤) يعني في كتابه أعلام الحديث شرح صحيح البخارى (١/ ٧٢٦ - ٧٤٥) .

(٥) تقدم تخريجه (ص ٣٥) .

(٦) أعلام الحديث (١/ ١٥٧ - ١٥٩) .

وقال - متحدثا عن مسمى الإيمان والإسلام والإحسان الواردة في حديث جبريل[1] -:

(اختلاف هذه الأسماء الثلاثة وافتراقها في المسألة عنها يوهم افتراقا في أحكامها ومعانيها ، وأن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان ليست من الإيمان وليس الأمر في الحقيقة كذلك ، وإنما هو اختلاف ترتيب وتفصيل لما يتضمنه اسم الإيمان من قول وفعل واخلاص ،ألا ترى أنه حين سأله عن الإحسان قال : ((أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)) ، وهذا إشارة إلى الإخلاص في العبادة ،ولم يكن هذا المعنى خارجا عن الجوابين الأولين ،فدل أن التفرقة في هذه الأسماء إنما وقعت بمعنى التفصيل وعلى سبيل الزيادة في البيان والتوكيد والدليل على صحة ذلك قوله في حديث وفد عبد القيس أنه أمرهم بالإيمان بالله ثم قال : ((أتدرون ما الإيمان ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا الخمس من المغنم))[2] ، فجعل هذه الأعمال كلها إيمانا ، وذلك مما يبين لك أن الإسلام من الإيمان وأن العمل غير خارج عن هذا الاسم)[3].

وقال - كذلك - : (قد أعلم صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث[4] أن الصلاة

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٣٤٨) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٣٥١) .

(٣) أعلام الحديث (١/ ١٨١) وانظر المصدر نفسه (١/ ٣٧٧) .

(٤) يقصد حديث وفد عبد القيس ، وقد تقدم تخريجه (ص ٣٥) .

والزكاة من الإيمان ، وكذلك صوم رمضان وإعطاء خمس الغنيمة ، وكان هذا جوابا عن مسألة صدرت عن جهالةٍ بالإيمان وشرائطه ، فأخبرهم عما سألوه وعلمهم ماجهلوه ، وجعل هذه الأمور من الإيمان كما جعل الكلمة منه ، وليس بين هذا وبين قوله : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله))[١] خلاف ، لأنه كلمة شعار وقعت الدعوة بها إلى الإيمان لتكون أمارة للداخلين في الإيمان والقابلين لأحكامه ، وهذا كلام قصد فيه البيان والتفصيل له ، والتفصيلُ لا يناقض الجملة ، لكن يلائمها ويطابقها)[٢] .

مما سبق إيراده عن الإمام الخطابي - رحمه الله تعالى - ونقْلُه عنه في مسألة دخول الأعمال في مسمى الإيمان وتقريره لذلك وانتصاره له ، تظهر جليا موافقته التامة فيها لمذهب السلف قاطبة لما دلت عليه نصوص الكتاب العزيز وأدلة السنة المطهرة ، فانعقد على ذلك قولهم واجتمعت عليه - بحمد الله - كلمتهم[٣] - خلافا لما عليه غيرهم من أهل الأهواء والبدع الذين سلكوا في هذا

---

(١) تقدم تخريجه بتمامه (ص: ٣٥٨) .

(٢) معالم السنن (٤/ ٣١٣) .

(٣) قال الإمام الشافعي - رحمه الله - : (وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون : الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاث عن الآخر) حكاه عنه ابن تيمية في الإيمان (ص ١٩٧) ونسبه لكتاب الأم ، ولم أقف عليه فيه .
وقال البغوي في شرح السنة (١/ ٣٨ - ٣٩) : (اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان وقالوا : إن الإيمان قول وعمل وعقيدة) . وسيأتي - إن شاء الله تعالى - بعض النقول في هذا المعنى .

سبلا شتى وطرائق قددا - .[1]

فمن النصوص القرآنية القاضية لمذهب أهل السنة والجماعة - وهي كثيرة - قول الله عز وجل : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمٰنكم ﴾[2] . قال الإمام أحمد : (فجعل صلاتهم إيمانا ، فالصلاة من الإيمان).[3]

وقال ابن عبد البر : (لم يختلف المفسرون أنه أراد صلاتكم إلى بيت المقدس ، فسمى الصلاة إيمانا)[4] .

وقوله : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾[5] قال ابن حزم - رحمه الله - : (فسمى الله تعالى تحكيم النبي - صلى الله عليه وسلم - إيمانا ، وأخبر الله تعالى أنه

---

(١) إذ ذهب جمهور أهل الإرجاء إلى أن الإيمان تصديق القلب وقول اللسان ، والأعمال ليست منه . انظر الإيمان لابن منده (١ / ٣٣١) والفصل لابن حزم (٣ / ٢٢٧) والإيمان لابن تيمية (ص ١٨٣) .
وذهب الكرامية إلى أن الإيمان قول باللسان دون التصديق بالجنان فمن نطق بالشهادة ولم يعتقد بقلبه فهو مؤمن .
انظر : المقالات (١ / ٢٢٣) والبرهان للسكسكي (ص ٣٥) وذكر مذاهب الفرق لليافعي (ص ١٣٦) .
وذهب الجهمية إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب فقط ، انظر : المقالات (١ / ٢١٤) والبرهان للسكسكي (ص ٣٤) وذكر مذاهب الفرق لليافعي (ص ١٣٦) .

(٢) سورة البقرة بعض آية (١٤٣) .

(٣) السنة لأبي بكر الخلال (ص ٥٨٩) .

(٤) التمهيد (٩ / ٢٤٥) .

(٥) سورة النساء آية (٦٥) .

لا إيمان إلا ذلك مع أن لا يوجد في الصدر حرج مما قضى ، فصح يقينا أن الإيمان عمل وعقد وقول ، لأن التحكيم عمل ، ولا يكون إلا مع القول ومع عدم الحرج من الصدر وهو عقد ، وهذا نص قولنا ولله الحمد) [1] .

وقوله - جل وعلا - : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوٰة ويؤتوا الزكوٰة وذٰلك دين القيمة ﴾ [2] .

قال ابن بطه [3] - رحمه الله - : (فإن هذه الآية جمعت القول والعمل والنية فإن عبادة الله لا تكون إلا من بعد الإقرار به ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة لا يكون إلا بالعمل ، والإخلاص لا يكون إلا بعزم القلب والنية) [4] .

وقال ابن كثير - رحمه الله - : (وقد استدل كثير من الأئمة كالزهري والشافعي بهذه الآية الكريمة على أن الأعمال داخلة في الإيمان) [5] .

---

(١) الدرة فيما يجب اعتقاده (ص ٣٣٨) .

(٢) سورة البينة آية (٥) .

(٣) هو أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبرى الحنبلي ، الإمام المحدث الفقيه ، أحد الأئمة الأعلام ، ولد بقربة " عكبرا " - بليدة على نهر دجلة فوق بغداد - سنة ٣٠٤ وبها مات سنة ٣٨٧ .
تاريخ بغداد (١٠ / ٣٧١ - ٣٧٥) وطبقات الحنابلة (٢ / ١٤٤ - ١٥٣) وشذرات الذهب (٣ / ١٢٢ - ١٢٤) .

(٤) الإبانة (٢ / ٨١٤) .

(٥) تفسير ابن كثير (٤ / ٥٧٤ - ٥٧٥) ، وما نسبه للزهري والشافعي من الاستدلال بالآية هو أيضا منقول عن جمع من السلف ، منهم الفضيل بن عياض ، نقله عنه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة (١ / ٣٧٥) ، والإمام أحمد كما في السنة للخلال (ص ٥٨٧ و ٥٨٩ و ٥٩٠) ومحمد بن نصر المروزي كما في الإيمان لابن منده (١ / ٣٢٧) .

إلى غير هذه النصوص القرآنية من أدلة الكتاب العزيز الدالة على هذا المعنى.[١]

ومن النصوص الحديثية - وهي كثيرة أيضا - : قوله عليه الصلاة والسلام: ((الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان))[٢] .

وقوله : ((البذاذة من الإيمان))[٣] ، وقوله : ((الطهور شطر

---

(١) انظر السنة للخلال (ص ٥٨٦) ، والشريعة للآجري (ص ١٢٢) ومابعدها والإبانة لابن بطة (٢/ ٧٨٠) ومابعدها ، والإيمان لابن منده (١/ ٣٢٧) وما بعدها ، وشرح أصول الاعتقاد (٤/ ٨٣١) والدرة فيما يجب اعتقاده (ص ٣٣٦) وما بعدها وكتاب مسائل الإيمان للقاضي أبي يعلى (ص ١٦٢) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٣٤٣) .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الترجل باب ١ ح ٤١٦١ (٤/ ٣٩٣-٣٩٤) من حديث أبي أمامة الحارثي - رضي الله عنه - بلفظ : قال : ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً عنده الدنيا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ألا تسمعون ، ألا تسمعون ، إن البذاذة من الإيمان ، إن البذاذة من الإيمان)) .
وأخرجه ابن ماجه في سننه ، كتاب الزهد باب ٤ ح ٤١١٨ (٢/ ١٣٧٩) وصححه الحاكم في المستدرك (١/ ٩) وأقره الذهبي ، وذكره أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الإيمان (ص ٦٣) ، وقال المناوي في الفيض (٣/ ٢١٧) : (وقال الحافظ العراقي في أماليه : حديث حسن وقال الديلمي : هو صحيح). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح ٣٤١ (١/ ٦٠١ - ٦٠٥) .

الإيمان))[١] ، وقوله : ((حسن العهد من الإيمان))[٢] وقوله : ((أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا))[٣] . إلى غير هذه النصوص مما ورد في هذا المعنى دلالة على دخول هذه الأعمال المذكورة - وغيرها مما لم يذكر ما هو في معناها - في مسمى الإيمان .

---

(١) هو قطعة من حديث طويل وتمامه : ((الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن - أو تملأ - ما بين السموات والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو ، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها)) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الطهارة ح ١ (١/٢٠٣) والترمذي في سننه كتاب الدعوات باب ٨٦ ح ٣٥١٧ (٥/٥٣٥-٥٣٦) والنسائي في سننه كتاب الزكاة باب ١ ح ٢٤٣٧ (٥/٥ - ٨) وابن ماجه في سننه كتاب الطهارة باب ٥ ح ٢٨٠ (١/١٠٢ - ١٠٣) ، والدارمي في سننه كتاب الطهارة باب ٢ ح ٦٥٣ (١/١٧٤) والإمام أحمد في مسنده (٥/٣٤٢ و ٣٤٣ - ٣٤٤) .

(٢) هو طرف من حديث لعائشة - رضي الله عنها - أخرجه الحاكم في المستدرك (١/١٥ - ١٦) وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فقد اتفقا على الاحتجاج برواته في أحاديث كثيرة وليست له علة ، ووافقه الذهبي وأخرجه أيضا القضاعي في مسند الشهاب ح ٩٧١ (٢/١٠٢) وصححه الألباني في الصحيحة ح ٢١٦ (١/٣٧٦ ، ٣٧٩) .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة باب ١٦ ح ٤٦٨٢ (٥/٦٠) والترمذي في سننه كتاب الرضاع باب ١١ ح ١١٦٢ (٣/٤٥٧) . والدارمي في سننه كتاب الرقاق باب ٧٤ ح ٢٧٩٢ (٢/٤١٥ - ٤١٦) وأحمد في المسند (٢/٢٥٠ و٤٧٢ و٥٢٧) وصححه الحاكم في المستدرك (١/٣) ووافقه الذهبي كلهم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وفي الباب عن عائشة وابن عباس - رضي الله عنهم - انظر تحفة الأحوذي (٤/٣٢٥) .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام - بعد سرده لبعض هذه النصوص - : (فكل هذا من فروع الإيمان) . ثم ذكر نصوصا أخرى وقال عقبها : (في أشياء من هذا النحو كثيرة يطول ذكرها تبين لك التفاضل في الإيمان بالقلوب والأعمال ، وكلها يشد أو أكثرها أن أعمال البر من الإيمان ، فكيف تُعانَد هذه الآثار بالابطال والتكذيب)[1] .

وقال الآجري : (فالأعمال - رحمكم الله تعالى - بالجوارح : تصديق للإيمان بالقلب واللسان ، فمن لم يصدق الإيمان بعمل جوارحه مثل الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وأشباه لهذه ، ورضي من نفسه بالمعرفة والقول لم يكن مؤمنا ، ولم تنفعه المعرفة والقول ، وكان تركه للعمل تكذيبا منه لإيمانه ، وكان العمل بما ذكرنا تصديقا منه لإيمانه ، وبالله تعالى التوفيق)[2] .

وقال أيضا : (اعلموا - رحمنا الله تعالى وإياكم - يا أهل القرآن ، ويا أهل العلم ويا أهل السنن والآثار ، ويا معشر من فقههم الله عز وجل في الدين بعلم الحلال والحرام ، أنكم إن تدبرتم القرآن كما أمركم الله عز وجل ، علمتم أن الله عز وجل - أوجب على المؤمنين بعد إيمانهم به وبرسوله : العمل ، وأنه عز وجل لم يثن على المؤمنين بأنه قد رضي عنهم وأنهم قد رضوا عنه وأثابهم على ذلك الدخول إلى الجنة والنجاة من النار إلا بالإيمان والعمل الصالح ، وقرن مع الإيمان العمل الصالح ، لم يدخلهم الجنة بالإيمان وحده حتى ضم إليه العمل الصالح الذي قد

---

(١) الإيمان (ص ٦٣ و ٦٥) .

(٢) الشريعة (ص ١٢٠) .

وفقهم له ، فصار الإيمان لا يتم لأحد حتى يكون مصدقا بقلبه وناطقا بلسانه وعاملا بجوارحه ، لا يخفى من تدبر القرآن وتصفحه وجده كما ذكرت .

واعلموا - رحمنا الله تعالى وإياكم - أني قد تصفحت القرآن فوجدت فيه ما ذكرته في ستة وخمسين موضعا من كتاب الله عز وجل أن الله تبارك وتعالى لم يدخل المؤمنين الجنة بالإيمان وحده ، بل أدخلهم الجنة برحمته إياهم وبما وفقهم له من الإيمان به والعمل الصالح ، وهذا رد على من قال : الإيمان المعرفة ، ورد على من قال : المعرفة والقول وإن لم يعمل ، نعوذ بالله من قائل هذا)[1] - ثم سرد تلك المواضع جميعها التي قد أشار إليها في الكتاب العزيز - .

وقال ابن بطة - بعد ذكره لطائفة من أقوال السلف تأييداً لهذا المعنى - :

(فهذا طريق الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين الذين جعلهم الله هداة هذا الدين موافق ذلك لنص التنزيل وسنة الرسول ، فنعوذ بالله من عبد بلي بمخالفة هؤلاء وآثر هواه ، ورد دين الله وشرائعه وسنة نبيه إلى نظره ورأيه واختياره ، واستعمل اللجاج والخصومة يريد أن يطفئ نور الله ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)[2] .

وقال ابن حزم : (وأما من قال : إن الإيمان عقد بالقلب وقول باللسان دون الأعمال فبدعة سوء ، إلا أن قائلها لا يكفر بذلك عند كثير من الناس ، لأن الأمة لم تجمع على تكفيره ، وبالله تعالى التوفيق ، وإنما لم يكفر من ترك العمل وكفر من ترك القول لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم بالكفر على من أبى من

---

(١) الشريعة (ص ١٢٢) .

(٢) الإبانة (٢/ ٨٢٧) .
وانظر : شرح أصول الاعتقاد (٤/ ٨٣١ - ٨٥١) .

من القول وإن كان عالما بصحة الإيمان بقلبه ، وحكم بالخروج من النار لمن علم بقلبه وقال بلسانه وإن لم يعمل خيرا قط) .[(١)]

وقال القاضي أبو يعلى - بعد سرده لعدة نصوص تدل على هذا المعنى -:

(وكل هذه الأخبار تشهد لما ذكرنا بالصحة[(٢)] ، وأن الطاعات إيمان ، لأنه[(٣)] أشار إلى جميع ما تقدم أنه إيمان) .[(٤)]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل ، قول القلب واللسان ، وعمل القلب واللسان والجوارح) .[(٥)]

وقال شارح الطحاوية - بعد سوقه - كذلك - لجملة من الأحاديث الواردة في الباب : (فإذا كان الإيمان أصلا له شعب متعددة ، وكل شعبة منها تسمى إيمانا ، فالصلاة من الإيمان ، وكذلك الزكاة والصوم والحج ، والأعمال الباطنة كالحياء والتوكل والخشية من الله والإنابة إليه ، حتى تنتهي هذه الشعب إلى إماطة الأذى عن الطريق ، فإنه من شعب الإيمان ، وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة ، ومنها مالا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق ، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتا عظيما ، منها ما يقرب من شعبة الشهادة ومنها ما يقرب من شعبة إماطة الأذى) .[(٦)]

وعن الجهل ببعض شعب الإيمان يقول الخطابي - رحمه الله تعالى - :

---

(١) الدرة فيما يجب اعتقاده (ص ٣٣٧ - ٣٣٨) .

(٢) يعني دخول الأعمال في مسمى الإيمان .

(٣) يعني الإمام أحمد - رحمه الله - إذ صدر كلامه بالنقل عنه ، انظر (ص ١٦٥) من كتابه مسائل الإيمان .

(٤) مسائل الإيمان (ص ١٧٣) .

(٥) العقيدة الواسطية مع شرحها للهراس (ص ٢٣١) .

(٦) شرح العقيدة الطحاوية (٢ / ٤٧٦) .

(فإن قيل : إذا كان الإيمان عندكم على مارويتموه من العدد بضعا وستين أو سبعين شعبة أو بابا ، فهل يمكنكم أن تسموها بأسمائها بابا بابا ، كما حصرتموها عددا وحسابا ؟ أرأيتم إن لم يمكنكم ذلك وعجزتم عن تفصيلها شيئا شيئا ، هل يصح إيمانكم بما هو مجهول عندكم غير معلوم لكم ؟ ، قيل : إن إيماننا بحق ما كُلفناه من ذلك صحيح ، والعلم به حاصل ، والجهل معه مرفوع وذلك من وجهين :

أحدهما : أنه أنه قد نص على أعلى الإيمان وأدناه باسم أعلى الطاعات وأدناها وهو في خبر سهيل بن أبي صالح[1] ، فدخل في ذلك جميع ما يقع بينهما من جنس الطاعات كلها ، وجنس الطاعات معلوم غير مجهول .

والوجه الآخر : أنه لم يؤخذ علينا معرفة هذه الأشياء بخواص أسمائها حتى يلزمنا ذكرها وتسميتها في عقد الإيمان ، وإنما كُلفنا التصديق بجملتها والاجتهاد في الإتيان بها بما أمكن منها ، كما كلفنا الإيمان بأنبياء الله وملائكته وكتبه ورسله ، وإن كنا لا نثبت أسماء أكثر الملائكة وأسماء كثير من الأنبياء ، صلوات الله عليهم أجمعين، ثم إن ذلك غير قادح فيما أتينا به من أصل الإيمان ، وقد روى عن النبي-صلى الله عليه وسلم- فيما يحكي عن ربه عز وجل : ((أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر))[2] وقد يلزمنا الإيمان بها جملة

---

(١) عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم: ((الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان)) وقد مضى تخريجه (ص ٣٤٢) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق باب ٨ ح ٣٢٤٤ (الفتح

= = = = =

وإن كان لا سبيل لنا إلى معرفة تفصيلها) [١] [٢] .

(=) ٦/٣١٨) وكذا في كتاب التفسير ح ٤٧٧٩ و٤٧٨٠ ، وفي كتاب التوحيد ح ٨٤٩٨ ، .
ومسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ح ٢ (٤/ ٢١٧٤) ،
وابن ماجه في سننه ، كتاب الزهد باب ٣٩ ح ٤٣٢٨ (٢/ ١٤٤٧) .

(١) أعلام الحديث (١/ ١٤٤ - ١٤٥) .

(٢) قال أبو عبيد القاسم بن سلام - رحمه الله - : (فإن قال لك قائل : فما هذه الأجزاء الثلاثة وسبعون ؟ قيل له : لم تسم لنا مجموعة فنسميها ، غير أن العلم يحيط أنها من طاعة الله وتقواه ، وإن لم تذكر لنا في حديث واحد ، ولو تفقدت الآثار لوجدت متفرقة فيها) .
كتاب الإيمان (ص ٦٢ - ٦٣) .

المبحث الرابع

((حكم ما يقع في القلب من الوساوس))

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول : من خلق ربك ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته))(١) .

قال الخطابي - رحمه الله - : (قلت : وفي رواية محمد بن سيرين(٢) عن أبي هريرة زيادة لم يذكرها أبو عبد الله(٣) لا يستغنى عنها في بيان معنى الحديث ، - ثم ساق بسنده هذه الرواية - :((لا يزال الناس يتساءلون حتى يقولوا : هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟)) قال أبو هريرة : فقد سئلت اليوم عنها مرتين(٤) ، - ثم ساق أيضا بسنده حديث أبي هريرة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق باب ١١ ح ٣٢٧٦ (الفتح ٦/٣٣٦) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان ح ٢١٣ و ٢١٤ (١/١٢٠) وابن السني في عمل اليوم والليلة ح ٦٢٥ (ص ٢٩٥) .

(٢) هو أبو بكر محمد بن سيرين البصري مولى أنس بن مالك - رضي الله عنه - من أعلام التابعين وأئمتهم ، كان ثقة ثبتا عابدا ، ولد بالبصرة سنة ٣٣هـ ، وبها مات سنة ١١٠ .
تهذيب الأسماء واللغات (١/٨٢ - وسير أعلام النبلاء (٤/٦٠٦-٦٢٢) وتقريب التهذيب (ص ٤٨٣) ترجمة ٥٩٤٧ .

(٣) يعني الإمام البخاري - رحمه الله - .

(٤) قد روى هذا الحديث بألفاظ عدة لكنها كلها متقاربة ، فأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان ح ٢١٢ (١/١١٩) بلفظ : ((لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا : خلق الله الخلق ، فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليقل آمنت بالله)) . ======

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((لا يزال الناس يسألون عن العلم حتى يقولوا : هذا الله خلقنا فمن خلق الله ؟))

قال[١] : فبينما أبو هريرة ذات يوم آخذ بيد رجل وهو يقول : صدق الله ورسوله صدق الله ورسوله ، قال أبو هريرة : لقد سألني عنها رجلان وهذا الثالث[٢] .

قلت : وجه هذا الحديث ومعناه : ترك الفكر فيما يخطر بالقلب من وساوس الشيطان والامتناع من قبولها واللياذ بالله عز وجل في الاستعاذة منه والكف عن مجاراته في حديث النفس ومطاولته في المحاجة والمناظرة والاشتغال بالجواب على ما يوجبه حق النظر في مثله لو كان المناظر عليه بشرا وكلمك في مثل هناك[٣] ، فإن من ناظرك وتسمع كلامه ويسمع كلامك لا يمكنه أن يغالطك فيما يجرى بينكما من الكلام حتى يخرجك من حدود النظر ورسوم الجدل ، فإن باب السؤال والجواب وما يجرى فيه من المعارضة والمناقضة معلوم ، والأمر فيه محدود محصور ، فإذا رعيت الطريقة وأصبت الحجة وألزمتها خصمك انقطع وكفيت مؤنته وحسمت شغبه ، وباب ما يوسوس به الشيطان إليك غير محدود ولا متناه ، لأنك كلما ألزمته حجة وأفسدت عليه مذهبا راغ إلى نوع آخر من الوساوس التي أعطي التسليط فيها عليك ، فهو لا يزال يوسوس إليك حتى يؤديك إلى الحيرة والضلال ، فأرشد النبي صلى الله عليه وسلم عند ما يعرض من وساوسه في هذا الباب إلى الاستعاذة بالله من شره

(=) وأبو داود في سننه كتاب السنة باب ١٩ ح ٤٧٢١ (٥ / ٩١ - ٩٢) ، وأخرج البخاري في صحيحه كتاب الإعتصام بالسنة باب ٣ ح ٧٢٩٦ ، (الفتح ١٣ / ٢٦٥) من حديث أنس - رضي الله عنه - : ((لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا : هذا الله خالق كل شيء فمن خلق الله)) وانظر صحيح مسلم (١ / ١١٩ - ١٢١) .

(١) أي ابن سيرين - رحمه الله - .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان ح ٢١٥ (١ / ١٢٠) وابن منده في كتاب الإيمان ح ٣٥٨ (١ / ٤٨٠) .

(٣) هكذا مكتوب ، ولعل الصواب : ((هذا)) أو ((ذاك))

والانتهاء عن مراجعته وحسم الباب فيه بالاعراض عنه والاستعاذة بذكر الله والاشتغال بأمر سواه ، وهذا حيلة بليغة وجنة حصينة يخزى معها الشيطان ويبطل كيده .

قلت : ولو أراد النبي -صلى الله عليه وسلم- محاجته وأذن في مراجعته والرد عليه فيما يوسوس به لكان الأمر على كل موحد سهلا في قمعه وإبطال قوله ، فإنه لو يقدر أن يكون السائل عن مثل هذا واحدا من البشر لكان جوابه والنقض عليه متلقى من سؤاله ومأخوذا من فحوى كلامه ، وذلك أنه إذا قال : هذا الله خلق الخلق فمن الذى خلقه ؟ فقد نقض بأول كلامه آخره ، وأعطى أن لا شيء يتوهم دخوله تحت هذه الصفة من ملك وإنس وجن ونوع من أنواع الحيوان الذى يتأتي منه فعل ، لأن جميع ذلك واقع تحت اسم الخلق ، فلم يبق للمطالبة مع هذا محل ولا قرار ، وأيضا فلو جاز على هذه المقدمة أن يسأل فيقال : من خلق الله ؟ فيسمى شيء من الأشياء يدعى له هذا الوصف للزم أن يقال : ومن خلق ذلك الشيء ولا متد القول في ذلك إلى مالا يتناهى ، والقول بما لا يتناهى فاسد ، فسقط السؤال من أصله .[1]

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : (والتسلسل الذي يسمى التسلسل في العلل والمعلولات والمؤثر والأثر ، والفاعل والمفعول والخالق والمخلوق هو ممتنع باتفاق العقلاء وبصريح المعقول ، بل هو ممتنع في بديهة العقل بعد التصور ، وهو الذى أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بالاستعاذة منه في قوله -صلى الله عليه وسلم- ====

وما كان يقال لمن يسأل هذا السؤال : إنما وجب إثبات الصانع الواحد لما اقتضاه أوصاف الخليقة من سمات الحدث الموجبة أن لها محدثا ، فقلنا إن لها خالقا ، ونحن لم نشاهد الخالق عيانا فنحيط بكنهه ، ولم يصح لنا أن نصفه بصفات الخلق فيلزمنا أن نقول إن له خالقا ، والشاهد لا يدل على مثله في الغائب ، إنما يدل على فعله ، والاستدلال إنما يكون بين المختلفات دون المشتبهات ، والمفعول لا يشبه فاعله في شيء من نعوته الخاصة ، فبطل ما يقع في الوهم من اقتضاء خالق لمن خلق الخلق كله ، ولو صرنا نكثر في هذا لدخلنا في نوع ما نهينا عنه فيما رويناه من الحديث ، فإذاً ننتهي إلى ما أمرنا به من حسم هذا الباب في مناظرة الشيطان لجهله وقلة إنصافه وكثرة شغبه ، وقد تواصى الحكماء فيما دونوه ورسموه من حدود الجدل وآداب النظر بترك مناظرة من هذا صفته ، وأمروا بالسكوت والاعراض عنه) .[1] اهـ

هذه المسألة المتعلقة بشخص العبد ، وما يجده البعض في قلبه من وساوس شتى حول إيمانه بربه - عز وجل - أو غير ذلك مما يعلق بالخاطر من شكوك وشبهات تدور في النفس وخلد الذهن ، قد تكلم عنها العلماء وأبانوا مسلك النجاة فيها والخلوص منها اعتمادا منهم واستناداً على الأحاديث النبوية الكاشفة لذلك .

(=) ((يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ فيقول : الله ، فيقول : من خلق الله ؟ فإذا وجد ذلك أحدكم فليستعذ بالله ولينته)) ، فأمره بالاستعاذة منه ليقطع عنه الوساوس الفاسدة التي يلقيها الشيطان بغير اختياره ويؤذيه بها ، حتى قد يتمنى الموت أو حتى يختار أن يحترق ولا يجدها ..) .
درء تعارض العقل والنقل (٣/ ١١٧ - ١١٨) .

(١) أعلام الحديث (٣/ ١٥١٠ - ١٥١٤) .

يقول ابن تيمية - عليه رحمة الله - : (وكثيرا ما تعرض للمؤمن شعبة من شعب النفاق ، ثم يتوب الله عليه ، وقد يرد على قلبه بعض ما يوجب النفاق ويدفعه الله عنه ، والمؤمن يبتلى بوساوس الشيطان وبوساوس الكفر التي يضيق بها صدره كما قالت الصحابة : (يارسول الله إن أحدنا ليجد في نفسه مالأن يخر من السماء إلى الأرض أحب اليه من أن يتكلم به) فقال : ((ذاك صريح الإيمان))[1] وفي رواية : (ما يتعاظم أن يتكلم به) ، قال : ((الحمد لله الذى رد كيده إلى الوسوسة))[2] ، أي حصول هذا الوسواس ، مع هذه الكراهة العظيمة له ، ودفعه

---

(١) أخرج الإمام أحمد في مسنده - بسند صحيح - (٢/٣٩٧) من حديث أبي هريرة - رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إني أحدث نفسي بالحديث لأن أخر من السماء أحب إليّ من أن أتكلم به ، قال : ((ذاك صريح الإيمان)) .
وأخرجه ابن منده في كتاب الإيمان ح ٣٤٠ (١/٤٧١) .
وعند مسلم في صحيحه من كتاب الإيمان ح ٢٠٩ (١/١١٩) من حديث أبي هريرة - أيضا - قال : جاء ناس من أصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم- فسألوه : إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به ، قال : ((وقد وجدتموه)) ؟ قالوا : نعم ، قال : ((ذاك صريح الإيمان))
وأبي داود في سننه ، كتاب الأدب باب ١١٨ ح ٥١١١ (٥/٣٣٦)
وابن منده في كتاب الإيمان ح ٣٤٤ (١/٤٧٢ - ٤٧٣) .

(٢) هو قطعة من حديث ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : جاء رجل إلى النبي-صلى الله عليه وسلم-فقال : يارسول الله ، إن أحدنا يجد في نفسه - يعرّض بالشيء - لأن يكون حُممة أحب إليه من أن يتكلم به ، فقال : ((الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الحمد لله الذى رد كيده إلى الوسوسة)) . أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب باب ١١٨ ح ٥١١٢ (٥/٣٣٦ - ٣٣٧) والإمام أحمد في مسنده (١/٢٣٥) وابن منده - مختصرا - في كتاب الإيمان ح ٣٤٥ (١/٤٧٣) .

عن القلب هو من صريح الإيمان كالمجاهد الذي جاءه العدو فدافعه حتى غلبه ، فهذا أعظم الجهاد ، والصريح : الخالص كاللبن الصريح ، وإنما صار صريحا لما كرهوا تلك الوساوس الشيطانية ودفعوها ، فخلص الإيمان فصار صريحا .

ولا بد لعامة الخلق من هذه الوساوس ، فمن الناس من يجيبها فيصير كافرا أو منافقا ، ومنهم من قد غمر قلبه الشهوات والذنوب فلا يحس بها إلا إذا طلب الدين ، فإما أن يصير مؤمنا وإما أن يصير منافقا ، ولهذا يعرض للناس من الوساوس في الصلاة مالا يعرض لهم إذا لم يصلوا ، لأن الشيطان يكثر تعرضه للعبد إذا أراد الإنابة إلى ربه والتقرب إليه والاتصال به ، فلهذا يعرض للمصلين مالا يعرض لغيرهم ، ويعرض للخاصة أهل العلم والدين أكثر مما يعرض للعامة ، ولهذا يوجد عند طلاب العلم والعبادة من الوساوس والشبهات ماليس عند غيرهم .. وهذا مما يجده كل مؤمن من نفسه ، فالشيطان يريد بوساوسه أن يشغل القلب عن الانتفاع بالقرآن ، فأمر الله القارئ ، إذا قرأ القرآن أن يستعيذ منه ، قال تعالى : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ﴾(١) .. وفي الصحيحين عن النبي - صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم))(٢) .

---

(١) سورة النحل آية (٩٨ - ١٠٠) .

(٢) البخارى كتاب الأدب باب ٤٤ ح ٦٠٤٨ (الفتح : ١٠/ ٤٦٥) وباب ٧٦ ح ٦١١٥ (الفتح ١٠/ ٥١٨ - ٥١٩) ومسلم كتاب البر والصلة والآداب ح ١٠٩ و ١١٠ (٤/ ٢٠١٥) .

فأمر سبحانه بالاستعاذة عند طلب العبد الخير لئلا يعوقه الشيطان عنه ، وعند ما يعرض عليه من الشر ليدفعه عنه عند إرادة العبد للحسنات ، وعند ما يأمره الشيطان بالسيئات ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((لا يزال الشيطان يأتي أحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول : من خلق الله؟ فمن وجد ذلك فليستعذ بالله ولينته))[1] ، فأمر بالاستعاذة عند ما يطلب الشيطان أن يوقعه في شر ، أو يمنعه من خير ، كما يفعل العدو مع عدوه . .)[2] .

ويقول ابن القيم - رحمه الله - : (ولما كان الشيطان على نوعين : نوع يرى عيانا وهو شيطان الإنس ، ونوع لا يرى وهو شيطان الجن ، أمر سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يكتفي من شر شيطان الإنس بالاعراض عنه والعفو والدفع بالتي هي أحسن ، ومن شيطان الجن بالاستعاذة بالله منه[3] ، وجمع بين النوعين في سورة الأعراف[4] وسورة المؤمنين[5] وسورة فصلت[6] ، والاستعاذة في القرآن

---

(١) سبق تخريجه ص : (٣٧١)
(٢) كتاب الإيمان (ص ٢٦٨ - ٢٧٠) .
(٣) قال تعالى : ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ومايلقىٰها إلا الذين صبروا وما يلقىٰها إلا ذو حظ عظيم ، وإما ينزغنك من الشيطٰن نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم)) سورة فصلت آية (٣٤ - ٣٦) .
(٤) فقال تعالى : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجٰهلين ، وإما ينزغنك من الشيطٰن نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم)) سورة الأعراف آية (١٩٩ - ٢٠٠) .
(٥) فقال تعالى : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزٰت الشيٰطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾ سورة المؤمنون آية (٩٦ - ٩٨) .
(٦) الآية (٢٤ - ٢٦) وقد سبق سردها أعلاه .

والذكر أبلغ في دفع شر شياطين الجن ، والعفو والاعراض والدفع بالإحسان أبلغ في دفع شر شياطين الإنس ، قال :

فما هو إلا الاستعاذة ضارعا * أو الدفع بالحسنى هما خير مطلوب

فهذا دواء الداء من شر ما يرى * وذاك دواء الداء من شر محجوب) [١] .

ويقول ابن كثير - رحمه الله - بعد ذكره للآيات الثلاث السابقة - : (فهذه ثلاث آيات ليس لهن رابعة في معناها ، وهو أن الله تعالى يأمر بمصانعة العدو الإنسي والإحسان إليه ليرده عنه طبعه الطيب الأصل إلى الموالاة والمصافاة ، ويأمر بالاستعاذة به من العدو الشيطاني لا محالة ، إذ لا يقبل مصانعة ولا إحسانا ولا يبتغي غير هلاك ابن آدم ، لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم من قبل) [٢] .

ويقول في موضع آخر : (إن شيطان الإنس ربما ينخدع بالإحسان إليه ، فأما الشيطان الجن فإنه لا حيلة فيه إذا وسوس إلا الاستعاذة بخالقه الذي سلطه عليك ، فإذا استعذت بالله والتجأت إليه كفه عنك ورد كيده) [٣] .

فما خلص إليه هؤلاء الأئمة الأعلام وسطرته أقلامهم بشأن ما يفعله من ابتلي بوساوس الشيطان من اللجوء إلى المولى تعالى واللياذ به والتعوذ به من الشيطان الرجيم هو ما أفاده الخطابي في كلامه الآنف الذكر ، حيث بدأ قوله بذلك وختمه به ، فيكون - بحمد الله - موافقا للنصوص الواردة في هذه المسألة

---

(١) زاد المعاد (٢/ ٤٦٢ - ٤٦٣) .

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ١٤) .

(٣) المصدر السابق (٤/ ١٠٩) .

مع ما قرره أئمة السلف فيها وبيان الموقف نحوها.[1] وبالله التوفيق .

---

(١) راجع : كتاب الإيمان لابن منده (١/ ٤٧١ - ٤٨٤) ، وشرح السنة للبغوي (١/ ١١٢) وما بعدها ، وشرح مسلم للنووي (٢/ ١٥٣-١٥٦) ودرء تعارض العقل والنقل (١/ ٣٦٣) وما بعدها و (٣/ ٢٢و ١١٧- ١١٨ و ٣٠٦) وما بعدها ، وزاد المعاد (٢/ ٤٦٠ - ٤٦٣) ، وفتح الباري (٦/ ٣٤١) و (١٣/ ٢٧٢ - ٢٧٤) ، وتحفة الذاكرين (ص ٢٦٢) ، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ح ١١٦ و ١١٧ و ١١٨ ، (١/ ١٨١ - ١٨٥) وقواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي (ص ٣١) وما بعدها .

المبحث الخامس

-((حكم مرتكب الكبيــــــرة))-

قبل البدء ببيان هذه المسألة وتفصيل القول فيها يحسن إيضاح معنى الكبيرة لغة واصطلاحا لضبطها وتحديد معالمها ومفهومها .

قال في اللسان [١] : (الكبر : الإثم الكبير وما وعد الله عليه من النـار، والكبرة كالكبر ، التأنيث للمبالغة ، وفي التنزيل العزيز : ﴿ الذين يجتنبـون كبـٰئِر الإثم والفوٰحش ﴾ [٢] وفي الأحاديث ذكر الكبائر في غير موضع ، واحدتهـا كبيرة ، وهي الفعلة القبيحة من الذنوب المنهي عنها شرعا العظيم أمرهـــا) .

أما اصطلاحا فقد اختلف في ضابطها على أقوال عدة [٣] :

فقيل : كل شيء نهى الله عنه فهو كبيـــرة .

وقيل : إنها ما يترتب عليها حد ، أو توعد عليها بالنار أو اللعنة أو الغضب .

وقيل : هي ما اتفقت الشرائع على تحريمه .

وقيل : كل معصية يقدم المرء عليها من غير استشعار خوف أو ندم فهي كبيرة .

إلى غير ذلك من الأقوال .

قال ابن القيم : (وأما الكبائر فاختلف السلف فيها اختلافا لا يرجـــع إلى تباين وتضاد ، وأقوالهم متقاربة) [٤] .

---

(١) (٥/١٢٩) مادة : «كبر»

(٢) سورة الشورى بعض آية (٣٧) .

(٣) انظر : فتاوى ابن الصلاح (١/١٤٧ - ١٤٩) ، وشرح صحيح مسلم للنووي (٢/٨٤ - ٨٧) ومجموع الفتاوى (١١/٦٥٠ - ٦٦٠) ومدارج السالكين (١/٣٤٧ - ٣٥٣) وتفسير ابن كثير (١/٤٩٧ - ٤٩٩) وشرح العقيدة الطحاوية (٢/٥٢٥ - ٥٢٧) ، وفتح الباري (١٠/٤٠٩-٤١٢) و(١٣/١٨١ - ١٨٤) والزواجر عن اقتراف الكبائر (١/٥ - ١٠) .

(٤) مدارج السالكين (١/٣٤٧) .

إلا أن شيخ الإسلام رجح قول عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - في تفسيره لقول الله عز وجل - : ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تُنهون عنه نُكفر عنكم سيئاتكم ونُدخلكم مُدخلا كريما ﴾[1] ، قال : (الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب)[2] .

قال ابن تيمية : (وهذا الضابط يسلم من القوادح الواردة على غيره ، فإنه يدخل كل ما ثبت في النص أنه كبيرة ، كالشرك والقتل والزنى والسحر وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ، وغير ذلك من الكبائر التي فيها عقوبات مقدرة مشروعة ، وإنما قلنا إن هذا الضابط أولى من سائر الضوابط المذكورة لوجوه :

أحدها : أنه المأثور عن السلف بخلاف تلك الضوابط فإنها لا تُعرف عن أحد من الصحابة والتابعين والأئمة .

الثاني : أن هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكره الله ورسوله في الذنوب ، فهو حد يتلقى من خطاب الشارع .

الثالث : أن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكبائر والصغائر ، وأما تلك الأمور فلا يمكن الفرق بها بين الكبائر والصغائر)[3] .

قلت : وهذا ما اختاره ابن أبي العز في شرح الطحاوية[4] وكذا الحافظ ابن حجر - رحمهما الله تعالى - : قال الحافظ : (إن كل ما توعد عليه باللعن أو العذاب أو شرع فيه حد فهو كبيرة ، وهو المعتمد)[5] ، وقال - أيضا - : (ومن أحسن

---

(١) سورة النساء : آية (٣١) .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٥ / ٤١) .

(٣) مجموع الفتاوى - مختصرا - (١١ / ٦٥١ - ٦٥٥) وانظر ما بعدها .

(٤) (٢ / ٥٢٦) وهو نص كلام ابن تيمية السابق .

(٥) فتح الباري (١٢ / ١٨١) .

التعاريف قول القرطبي في المفهم : (كل ذنب أطلق عليه بنص كتاب أو سنة أو إجماع أنه كبيرة أو عظيم ، أو أخبر فيه بشدة العقاب ، أو علق عليه الحد أو شدد النكير عليه فهو كبيرة ، وعلى هذا فينبغي تتبع ما ورد فيه من الوعيد أو اللعن أو الفسق من القرآن أو الأحاديث الصحيحة والحسنة ويضم إلى ما ورد فيه التنصيص في القرآن والأحاديث الصحاح والحسان على أنه كبيرة ، فمهما بلغ مجموع ذلك عرف منه تحرير عدها)(١).

وعن حكم مرتكب الكبيرة يقول الخطابي - رحمه الله تعالى - عند شرحه لقوله عليه الصلاة والسلام -: ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن))(٢) - :

---

(١) فتح الباري (١٢/١٨٤) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المظالم باب ٣٠ ح ٢٤٧٥ (الفتح ٥/١١٩) وفي كتاب الأشربة ح ٥٥٧٨ (الفتح ١٠/٣٠) وفي كتاب الحدود ح ٦٧٧٢ (الفتح ١٢/٥٨ - ٥٩) وح ٦٨١٠ (الفتح ١٢/١١٤) ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ح ١٠٠ (١/٧٦) وأبو داود في سننه كتاب السنة باب ١٦ ح ٤٦٨٩ (٥/٦٤ - ٦٥) والنسائي في سننه كتاب قطع السارق باب ١ ح ٤٨٧٠ و ٤٨٧١ ، (٨/٦٤ - ٦٥) وفي كتاب الأشربة باب ٤٢ ح ٥٦٥٩ (٨/٣١٣) والترمذي في سننه كتاب الإيمان باب ١١ ح ٢٦٢٥ (٥/١٥) ، وابن ماجه في سننه كتاب الفتن باب ٣ ح ٣٩٣٦ (٢/١٢٩٨ - ١٢٩٩) والدارمي في سننه ، كتاب الأضاحي باب ٢٢ ح ١٩٩٤ ، - مختصرا - (٢/١٢٠) وأحمد في مسنده (٢/٢٤٣ ، ٣١٧ ، ٣٧٦ ، ٣٨٦ ، ٤٧٩) . كلهم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - .
وفي الباب عن ابن عباس وعائشة وعبد الله بن أبي أوفى .
انظر تحفة الأحوذي (٧/٣٧٥ - ٣٧٦) .

ستؤدي به هذه الأمور إذا استمر عليها إلى الخروج من الإيمان والوقوع في ضده

وقد قال -صلى الله عليه وسلم-: ((من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه)) [1] [2].

وقال - أيضا - في موضع آخر عند شرحه للحديث نفسه - : (الخوارج [3] ومن

يذهب مذهبهم ممن يكفر المسلمين بالذنوب [4] يحتجون به ، ويتأولونه على غير

---

(١) هو قطعة من حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنه - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب البيوع باب ٢ ح ٢٠٥١ (الفتح ٤/ ٢٩٠) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب المساقاة ح ١٠٧ (٣/ ١٢١٩ - ١٢٢٠) ، وأبو داود في سننه - مع اختلاف بعض ألفاظه - كتاب البيوع والإجارات باب ٣ ح ٣٣٢٩ و ٣٣٣٠ (٣/ ٦٢٣ - ٦٢٥) ، والنسائي في سننه كتاب البيوع باب ٢ ح ٤٤٥٣ (٧/ ٢٤١ - ٢٤٣) وفي كتاب الأشربة باب ٥٠ ح ٥٧١٠ (٨/ ٣٢٧) .
والترمذي في سننه كتاب البيوع باب ١ ح ١٢٠٥ (٣/ ٥٠٢) ،
وابن ماجه في سننه كتاب الفتن باب ١٤ ح ٣٩٨٤ (٢/ ١٣١٨-١٣١٩) .

(٢) أعلام الحديث (٢/ ١٢٣٦ - ١٢٣٧) .

(٣) تقدم التعريف بهم (ص ١٥٥) .

(٤) تكفير الفاسق الملي مسألة من كبريات مباحث العقيدة التي خالف فيها جمهور أهل البدع جمهور أهل السنة والجماعة،وتفصيلها عند أهل الأهواء كما يلي :-
أولا : ذهب النجدات إلى أن الإصرار على الصغيرة والكبيرة كفر .
انظر المقالات (١/ ١٧٠) والفرق بين الفرق (ص ٨٩) والملل والنحل (١/ ١٢٤) والبرهان للسكسكي (ص ٢٥) وذكر مذاهب الفرق (ص ٤٢) والخطط للمقريزي (٢/ ٣٥٤) .
وبهذ القول قالت طائفة من الإباضية . انظر: المقالات (١/ ١٨٧) .
ثانيا : أن مرتكب الكبيرة كافر كفر ملة يخلد في النار مع سائر الكفار ، وإلى هذا ذهب الأزارقة .

=====

....

(=) انظر المقالات (١/ ١٧٠) والفرق بين الفرق (ص ٩١) والملل والنحل (١/ ١٢٢) والبرهان للسكسكي (ص ٢١) وذكر مذهب الفرق (ص ٣٤) وعلى هذا أكثر طوائف الخوارج كما نصت عليه كتب المقالات والفرق، حتى صار هذا من سمتهم وعلاماتهم، وقد قال القاضي عبد الجبار المعتزلي في شرح الأصول الخمسة (ص ٦٣٢): (وقد أنكرت الخوارج أن يكون في المعاصي صغيرة، وحكمت بأن الكل كبيرة). والخطابي -رحمه الله- نسب ذلك إلى الخوارج -أيضا- بدون التفرقة بينهم.

ثالثا: أن مرتكب الكبيرة كافر كفر نعمة لا كفر ملة، ومع هذا فإن أهل الكبائر في النار خالدون مخلدون فيها. وإلى هذا ذهب الإباضية.

انظر: المقالات (١/ ١٨٩) والفرق بين الفرق (ص ١٠٣) والفصل لابن حزم (٢/ ٢٧٣) والملل والنحل (١/ ١٣٥) والبرهان (ص ٢٢)

رابعا: أن مرتكب الكبيرة ليس مؤمنا ولا كافراً لا في الاسم ولا في الحكم بل هو في منزلة بين المنزلتين، إذ لا يسمى -في هذه الحال- مؤمنا ولا كافرا وإنما يسمى فاسقا، وهكذا أيضا في الحكم عليه فهو بين الحكمين فلا يعطى حكم الكافر ولا حكم المؤمن، وإنما له حكم بينهما، وجميع هذه الأشياء تخصه بدار الدنيا، أما في الآخرة فجزاؤه التخليد في النار.
يقول القاضي عبد الجبار المعتزلي مبينا معنى المنزلة بين المنزلتين: (والأصل في ذلك أن هذه العبارة إنما تستعمل في شيء بين شيئين ينجذب إلى كل واحد منهما بشبه، هذا في أصل اللغة، وأما في اصطلاح المتكلمين، فهو العلم بأن لصاحب الكبيرة اسم بين الاسمين وحكم بين الحكمين). شرح الأصول الخمسة (ص ١٣٧).
ثم يشرح هذا التعريف بقوله: (إن صاحب الكبيرة له اسم بين الاسمين وحكم بين الحكمين، لا يكون اسمه اسم الكافر، ولا اسمه اسم المؤمن، وإنما يسمى فاسقا، وكذلك فلا يكون حكمه حكم الكافر ولا حكم المؤمن، بل يفرد له حكم ثالث، وهذا الحكم الذي ذكرناه هو سبب تلقيب المسألة بالمنزلة بين المنزلتين، فإن صاحب الكبيرة له منزلة تتجاذبها هاتان

======

وجهه ، وتأويله عند العلماء على وجهين :[1]

أحدهما : أن معناه النهي ، وإن كانت صورته الخبر ، يريد : لا يزن الزاني - بحذف الياء - ، ولا يسرق السارق - بكسر القاف - على معنى النهي ، يقول : إذ هو مؤمن لا يزني ولا يسرق ولا يشرب الخمر ، فإن هذه الأفعال لا تليق بالمؤمنين ولا تشبه أوصافهم .

(=) المنزلتان ، فليست منزلته منزلة الكافر ولا منزلة المؤمن ، بل له منزلة بينهما) . شرح الأصول الخمسة (ص ٦٩٧) .
وانظر فرق وطبقات المعتزلة (ص ١١) والانتصار للخياط (ص ٢٣٧ - ٢٣٩) والتبصير في الدين (ص ٦٢) .
خامسا : أن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان ، وهذه مقولة المرجئة بناء على معتقدهم أنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة .
انظر : ذكر مذاهب الفرق لليافعي (ص ١٣٤) وشرح العقيدة الطحاوية (٢ / ٤٣٤) والكليات لأبي البقاء (٤ / ٢٩٧) .

(١) أفاد الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في فتح الباري (١٢ / ٦٠) السبب في اختلاف العلماء في تأويل الحديث المذكور فقال : (ومن أقوى ما يحمل على صرفه عن ظاهره إيجاب الحد في الزنى على أنحاء مختلفة في حق الحر المحصن والحر البكر وفي حق العبد ، فلو كان المراد بنفي الإيمان ثبوت الكفر لاستووا في العقوبة ، لأن المكلفين فيما يتعلق بالإيمان والكفر سواء ، فلما كان الواجب فيه من العقوبة مختلفا دل على أن مرتكب ذلك ليس بكافر حقيقة) .
وانظر : شرح صحيح مسلم للنووي (٢ / ٤١ و ٤٢) .

والوجه الآخر : أن هذا كلام وعيد لا يراد به الإيقاع ، وإنما يقصد به الردع والزجر ، كقوله : ((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده))[١] .

وقوله : ((لا إيمان لمن لا أمانة له))[٢] ، وقوله : ((ليس بالمسلم من لم يأمن جاره بوائقه))[٣] ، هذا كله على معنى الزجر والوعيد ، أو نفي الفضيلة وسلب الكمال دون الحقيقة في رفع الإيمان وإبطاله ، والله أعلم .

وقد روى في تأويل هذا الحديث معنى آخر وهو مذكور في حديث رواه أبو داود في هذا الباب[٤] - وساق الخطابي سند أبي داود - عن أبي هريرة

---

(١) هذا طرف من حديث صحيح ورد عن جمع من الصحابة - رضوان الله عليهم - بزيادة في آخره عند بعضهم ، انظر أسانيدهم ومن خرج حديثهم بصحيح الجامع ح ٦٧٠٩ و ٦٧١٠ و ٦٧١١ (٢/ ١١٣٧) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ١٣٥ و ١٥٤ و ٢١٠ و ٢٥١) وابن أبي شيبة في الإيمان ح ٧ (ص ٥) والقضاعي في مسند الشهاب ح ٨٤٨ و ٨٤٩ و ٨٥٠ (٢/ ٤٣) وحسنه البغوي في شرح السنة ح ٣٨ (١/ ٧٤ - ٧٥) وصححه ابن حبان كما في الإحسان ح ١٩٤ ، (١/ ٤٢٢ - ٤٢٣) ، وأخرجه غيرهم ، كلهم من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - من طرق ، قال الألباني في تخريج أحاديث المشكاة ح ٣٥ (١/ ١٧) - بعد أن ذكر بعض مخرجيه - : (وهو حديث جيد أحد إسناديه حسن وله شواهد) .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ١٦٥) وسكت عليه ، وأخرجه ابن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة ح ٦٢٥ (٢/ ٥٩١) وهو فيهما بلفظ ((ليس بمؤمن من لا يأمن جاره غوائله)) قال الشيخ الألباني في الصحيحة ح ٢١٨١ (٥/ ٢١٣ - ٢١٤) (وإسناده حسن ، رجاله رجال الشيخين غير الكندي ، قال الحافظ : صدوق له أفراد ، وله شواهد في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة وغيره نحوه بلفظ : ((بوائقه)) .

(٤) يعني في باب الرد على المرجئة كما في نسخة معالم السنن ، وهو في
====

- رضي الله عنه - مرفوعا : ((إذا زنى الرجل خرج منه الإيمان وكان عليه كالظلة، فإذا انقلع رجع إليه الإيمان)) .[1] [2]

من خلال هذا النقل عن أبي سليمان الخطابي - رحمه الله - في هذه المسألة العقدية الخطيرة ، تتبين وجهته فيها واضحة جلية في موافقته السلف وماأجمعوا عليه ، ورده العلني على الخوارج ومن ذهب مذهبهم في تكفير المسلمين وإخراجهم من الملة ، بسبب تعلقهم بتأويلات خاطئة لبعض النصوص وحملها على غير وجهها والقصد من دلالتها مما اضطره إلى بيانها وسوقه أقوال أهل العلم فيها على غير ما ذهب إليه المخالفون وقرروه وبنوا حكمهم عليه ، فالنصوص المستفيضة من الكتاب العزيز والسنة المطهرة حاكمة على مذهبهم بالبطلان وقاضية صراحة على أن الكبيرة لا تخرج صاحبها من دائرة الإيمان كلية كما تقوله الخوارج والمعتزلة ولا تجعله

(=) سنن أبي داود بتعليق الدعاس تحت باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه .

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة باب ١٦ ح ٤٦٩٠ (٥/٦٦) والترمذي في سننه معلقا ، كتاب الإيمان باب ١١ بعد حديث ٢٦٢٥ (٥/١٥) والحاكم في مستدركه (١/٢٢) وقال : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، فقد احتجا برواته) ووافقه الذهبي ، وابن بطة في الإبانة ح ٩٧٦ (٢/٧١٨ - ٧١٩) وابن منده في الإيمان ح ٥١٩ (٢/٥٧٩) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ح ١٨٦٤ (٦/١٠١٧ - ١٠١٨) .

(٢) معالم السنن (٤/٣١٦ - ٣١٧) .

مؤمنا كامل الإيمان كما تقوله غلاة المرجئة ، والسلف ـ بحمد الله ـ وسط بين المرجئة من جهة والخوارج والمعتزلة من جهة أخرى ، فهو عندهم مؤمن ناقص الإيمان ، مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، وأنه إذا مات وهو مصر عليها ولم يتب منها فأمره إلى الله سبحانه وتحت مشيئته ، إن شاء غفر له ابتداء وأدخله جنته ، وإن شاء عذبه على قدر ذنبه ثم أخرجه من النار وأدخله الجنة ، إذ لا يخلد في النار إلا من كفر وأشرك ـ نعوذ به تعالى من ذلك ـ .

ولا بأس ـ هنا ـ من إيراد بعض الأدلة الشرعية وشيء من أقوال السلف في بيان هذه المسألة ، تأكيداً لكلام أبي سليمان الخطابي وتصويباً لما ذهب إليه ونصره ، ويتضمن ذلك ـ أيضا ـ الرد على المخالف كالخوارج ومن وافقهم في الحكم على مرتكب الكبيرة ، ومن الله وحده العون والتوفيق .

قال الله تعالى : ﴿ يٰأيها الذين ءامنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ، فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ، ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ﴾[1] ، فقد سمى الله تبارك وتعالى القاتل أخا للمقتول وهي أخوة الإيمان بينهما ، فدل على أن كبيرة القتل لم تخرجه من الإيمان .

قال البغوي في تفسيره لهذه الآية : (وفي الآية دليل على أن القاتل لا يصير كافرا بالقتل ، لأن الله تعالى خاطبه بعد القتل بخطاب الإيمان فقال : ﴿ يأيها الذين ءامنوا كتب عليكم القصاص ﴾ وقال في آخر الآية :

---

(١) سورة البقرة آية (١٧٨) .

﴿ فمن عفي له من أخيه شيء ﴾ وأراد به أخوة الإيمان ،فلم يقطع الأخوة بينهما بالقتل).[1]

وقال تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾[2]

قال ابن جرير الطبري[3] في تفسير هذه الآية : (وقد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله ،إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه عليه ما لم تكن كبيرته شركا بالله).[4]

وقال تعالى : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾[5] . فأطلق الله

---

(١) تفسير البغوى (١/١٤٦) وانظر زاد المسير (١/١٨٠).

(٢) سورة النساء بعض آية (٤٨).

(٣) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبرى ، الإمام البارع العلم الفقيه المحدث المؤرخ المفسر الشهير ، ولد في آمل طبرستان سنة ٢٢٤ ، واستوطن بغداد إلى أن توفي بها سنة ٣١٠ .
تاريخ بغداد (٢/١٦٢ - ١٦٩) وتهذيب الأسماء واللغات (١/٧٨ - ٧٩) وسير أعلام النبلاء (١٤/٢٦٧ - ٢٨٢).

(٤) تفسير الطبرى (٥/١٢٦).

(٥) سورة الحجرات آية (٩) .

تعالى على كلتا الطائفتين المتقاتلتين من المؤمنين اسم الإيمان وخاطبهم بذلك ، مما يدل على أن كبيرة القتل لم تخرجهما من دائرة الإيمان .

وبهذه الآية استدل البخاري وغيره على أنه لا يُخرج عن الإيمان بالمعصية [(١)] .

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية الدالة على هذا المعنى .

وثبت من حديث أبي ذر - رضي الله عنه - قال : (أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - وعليه ثوب أبيض وهو نائم ، ثم أتيته وقد استيقظ فقال : ((ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة)) قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : ((وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر)) .

وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال : وإن رغم أنف أبي ذر) [(٢)] .

---

(١) قال البخاري - رحمه الله - في صحيحه من كتاب الإيمان باب : ((وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما)) فسماهم المؤمنين . قال الحافظ ابن حجر : (استدل المؤلف على أن المؤمن إذا ارتكب معصية لا يكفر ، بأن الله تعالى أبقى عليه اسم المؤمن فقال : ((وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا)) ثم قال : ((إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم)) فتح الباري (١ / ٨٥) .

(٢) أخرجه البخارى في صحيحه كتاب اللباس باب ٢٤ ح ٥٨٢٧ (الفتح ١٠ / ٢٨٣) وفي مواضع أخرى متفرقة من الصحيح .
وسلم في صحيحه كتاب الإيمان ح ١٥٤ (١ / ٩٥) .
وأحمد في مسنده (٥ / ١٦٦) وكذا في مواضع أخرى فيه .
وابن أبي عاصم في السنة ح ٩٥٧ و ٩٥٨ و ٩٥٩ (ص ٤٥٠ - ٤٥١) .

قال الحافظ في الفتح - عند شرحه لهذا الحديث - : (وحاصل ما أشار إليه - يعني الإمام البخاري - أن الحديث محمول على من وحد ربه ومات على ذلك تائبا من الذنوب التي أشير إليها في الحديث ، فإنه موعود بهذا الحديث بدخول الجنة ابتداء..وأما من تلبس بالذنوب المذكورة ومات من غير توبة فظاهر الحديث أنه أيضا داخل في ذلك ، لكن مذهب أهل السنة أنه في مشيئة الله تعالى ، ويدل عليه حديث عبادة بن الصامت في كتاب الإيمان فإن فيه :((ومن أتى شيئا من ذلك فلم يعاقب به فأمره إلى الله تعالى إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه))[1]، [illegible] المفسر مقدم على المبهم)[2].

وعن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال - وحوله عصابة من أصحابه - : ((بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا في معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله ، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه)) فبايعناه[3] .

قال النووي عن هذين الحديثين - أعني حديث أبي ذر وحديث عبادة بن الصامت - :

---

(١) سيأتي ذكر الحديث بتمامه بعد هذا

(٢) فتح الباري (١٠/ ٢٨٣) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان باب ١١ ح ١٨ (الفتح ١/ ٦٤) وفي مواطن أخرى متفرقة في الصحيح ، .
والنسائي في سننه كتاب البيعة باب ٩ ح ٤١٦١ و ٤١٦٢ (٧/ ١٤١- ١٤٢) ومختصرا في باب ٣٨ ح ٤٢١٠ (٧/ ١٦١ - ١٦٢) .

(فهذان الحديثان مع نظائرهما في الصحيح مع قول الله عز وجل :

﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾[١] مع إجماع أهل الحق على أن الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من أصحاب الكبائر غير الشرك لا يكفرون بذلك ، بل هم مؤمنون ناقصوا الإيمان إن تابوا سقطت عقوبتهم ، وإن ماتوا مصرين على الكبائر كانوا في المشيئة ، فإن شاء الله تعالى عفا عنهم وأدخلهم الجنة أولا ، وإن شاء عذبهم ثم أدخلهم الجنة)[٢].

فهذه بعض النصوص الحديثية الدالة على ما دل عليه الكتاب العزيز ـ كما سبق بيانه ـ .

أما قول السلف في المسألة فإن كلمتهم قد اتفقت على ما دلت عليه النصوص الشرعية المحكمة في حكم مرتكب الكبيرة ، وقد سبق إيراد بعض ذلك وبيان توجيهه وإيضاح دلالته ، وهذه طائفة أخرى من أقوالهم :

قال ابن بطة : (ويخرج الرجل من الإيمان إلى الإسلام[٣] ، ولا يخرجه من الإسلام إلا الشرك بالله أو برد فريضة من فرائض الله عز وجل جاحدا بها ، فإن تركها تهاونا وكسلا كان في مشيئة الله عز وجل ، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له)[٤].

وقال الصابوني : (ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن أذنب ذنوبا كثيرة صغائر كانت أو كبائر فإنه لا يكفر بها ، وإن خرج من الدنيا غير تائب منها ومات على التوحيد

---

(١) سورة النساء بعض آية (٤٨) .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/٤١ - ٤٢) .

(٣) هذا مبني على أن مسمى الإسلام والإيمان عند اجتماعهما يفترقان ـ كما سبق الحديث عن ذلك ـ .

(٤) الشرح والإبانة (ص ١٨٣) .

والإخلاص فإن أمره إلى الله عز وجل ، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالما غانما غير مبتلى بالنار ولا معاقب على ما ارتكبه من الذنوب واكتسبه ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار ، وإن شاء عاقبه وعذبه مدة بعذاب النار ، وإذا عذبه لم يخلده فيها ، بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار)[١] .

وقال ابن عبد البر : (. . فإن مات صاحب الكبيرة فمصيره إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه ، فإن عذبه فبجرمه ، وإن عفا عنه فهو أهل العفو وأهل المغفرة ، وإن تاب قبل الموت وقبل حضوره ومعاينته ، وندم واعتقد أن لا يعود واستغفر ووجل ، كان كمن لم يذنب ، وبهذا كله الآثار الصحاح عن السلف قد جاءت وعليه جماعة المسلمين)[٢] .

وقال ابن تيمية ـ وهو يتحدث عن أصول أهل السنة والجماعة ـ : (وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج ، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي . . ولا يسلبون الفاسق الملي الإسلام بالكلية ولا يخلدونه في النار كما تقول المعتزلة ، بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان كما في قوله : ﴿ فتحرير رقبة مؤمنة ﴾[٣] ، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ﴾[٤] وقوله صلى الله عليه وسلم : ((لا يزني الزاني حين

---

(١) عقيدة السلف (ص ٧١ - ٧٢) .

(٢) التمهيد (٤/ ٤٩) .

(٣) سورة النساء بعض آية (٩٢) .

(٤) سورة الأنفال بعض آية (٢) .

يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن)[1].

ونقول : هو مؤمن ناقص الإيمان ، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم)[2].

وقال ابن أبي العز الحنفي : (إن أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفرا ينقل عن الملة بالكلية كما قالت الخوارج ، إذ لو كفر كفراً ينقل عن الملة لكان مرتداً يقتل على كل حال ، ولا يُقبل عفو ولي القصاص ولا تجرى الحدود في الزنى والسرقة وشرب الخمر ، وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام .

ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام ، ولا يدخل في الكفر ، ولا يستحق الخلود في النار مع الكافرين كما قالت المعتزلة ، فإن قولهم باطل أيضا ، إذ قد جعل الله مرتكب الكبيرة من المؤمنين ، قال تعالى : ﴿ يَـٰأيها الذين ءامنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ﴾ إلى أن قال : ﴿ فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف ﴾[3] ، فلم يخرج القاتل من الذين ءامنوا وجعله أخا لولي القصاص ، والمراد أخوة الدين بلا ريب .. ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يقتل ، بل يقام عليه الحد ، فدل على أنه ليس بمرتد)[4].

---

(١) مضى تخريجه (ص :٣٨٢)

(٢) العقيدة الواسطية مع شرحها لمحمد خليل هراس (ص ٢٣٣ - ٢٣٤) .

(٣) سورة البقرة بعض آية (١٧٨) .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (٢ / ٤٤٢ - ٤٤٣) .

** الفصل الثاني **

(((الإيمان بالنبوات والكتب المنزلة)))

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف النبي والرسول والفرق بينهما .

المبحث الثاني : حكم المفاضلة بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

المبحث الثالث : الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : وجوب الإيمان به وطاعته والانقياد له .

المطلب الثاني : بعض أسمائه عليه الصلاة والسلام .

المطلب الثالث : بيان بعض معجزاته عليه الصلاة والسلام .

المطلب الرابع : حكم سبه عليه الصلاة والسلام .

المبحث الرابع : الإيمان بالقرآن الكريم .

==================

** الفصل الثاني **

((الإيمان بالنبوات والكتب المنزلة))

المبحث الأول : تعريف النبي والرسول والفرق بينهما .

النبي في اللغة : مأخوذ من النبوة والنباوة ، وهي الارتفاع عن الأرض . أو أن اشتقاقه من نبأ وأنبأ بمعنى أخبر ، كما في قوله تعالى : ﴿ عم يتساءلون ، عن النبأ العظيم ﴾ .(١)

والنبي - أيضا - بدون همز : الطريق .(٢)

وكل هذه المعاني موافقة للمفهوم الشرعي للنبوة ، إذ أنها إخبار عن الله ، وهي مقام رفيع ومكانة منيفة لصاحبها ، وكذا فهي طريق موصل إليه سبحانه .

والرسول لغة : مشتق من الإرسال ، ومعناه البعث والتوجيه والإطلاق والامتداد يقال : أرسلت فلانا في رسالة أي بعثته ، فهو مرسل ورسول ، ويجمع على أرسل ورسل ورسلاء ، وإنما سمو الرسل بذلك لأنهم مبعوثون من الله وموجهون منه سبحانه لتبليغ أوامره ووحيه لخلقه .(٣)

الفرق بين النبي والرسول :

وعن الفرق بين النبي والرسول يقول الخطابي - رحمه الله تعالى - : (والفرق بين

---

(١) سورة النبأ آية (١ - ٢) .

(٢) انظر : غريب الحديث للخطابي (٣/١٩٣ - ١٩٤) ومعجم مقاييس اللغة مادة (نبو) (٥/٣٨٤ - ٣٨٥) ، ولسان العرب مادة (نبأ) (١/١٦٢ - ١٦٣) ومادة (نبا) (١٥/١٦٢ - ١٦٣) .

(٣) انظر : المفردات للراغب (ص ١٩٥) ولسان العرب مادة (رسل) (١١/٢٨٣ - ٢٨٤) والقاموس المحيط مادة (رسل) (ص : ١٣٠٠) .

النبي والرسول أن النبي هو المنبأ المخبر ، فعيل بمعنى مفعل ، والرسول هو المأمور بتبليغ ما نبئ وأخبر به ، فكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولا).[١]

قلت : قد اختلف أهل العلم - رحمه الله عليهم - في هذه المسألة ، وذلك بسبب اختلاف ضبطهم للتعريف الاصطلاحي لكل من النبي والرسول ، وأشهر ما قيل في ذلك : أن النبي هو من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه ، والرسول هو من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه [٢]
وهذا هو الظاهر من كلام الخطابي ، إلا أن هذا القول لا يستقيم مع الآية القرآنية الدالة على أن النبي مأمور - أيضا - بالإبلاغ والبيان والدعوة كما سيأتي بيان ذلك وإيضاحه بتوفيق الله .

ولعل الراجح أن بينهما عموم وخصوص مطلق ، فالنبوة داخلة في الرسالة والرسالة أعم من جهة نفسها وأخص من جهة أهلها ، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا ، فالأنبياء أعم ، والنبوة نفسها جزء من الرسالة ، فالرسالة تتناول النبوة وغيرها بخلاف النبوة فإنها لا تتناول الرسالة .[٣]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (فالنبي هو الذي ينبئه الله ، وهو ينبئ بما أنبأ الله به ، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول ، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول . . فالأنبياء ينبئهم الله فيخبرهم بأمره ونهيه وخبره ، وهم ينبئون المؤمنين بهم ما أنبأهم الله به من الخبر والأمر

---

(١) أعلام الحديث (١/٢٩٨) .
(٢) انظر : المنهاج للحليمي (١/٢٣٩) وشرح العقيدة الطحاوية : (١٥٥/١) ولوامع الأنوار البهية : (١/٤٩) .
(٣) الإيمان لابن تيمية (ص : ٦ - ٧) .

والنهي .. فقوله : ﴿ وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبي ﴾[1] دليل على أن النبي مرسل ، ولا يسمى رسولا عند الإطلاق ، لأنه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنه حق)) .[2]

وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي[3] - رحمه الله - : (وآية الحج تُبين أن ما اشتهر على ألسنة أهل العلم من أن النبي هو من أُوحِيَ إليه وحي ولم يؤمر بتبليغه ، وأن الرسول هو النبي الذي أوحي إليه وأمر بتبليغ ما أوحي إليه غير صحيح ، لأن قوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ﴾ الآية[4] يدل على أن كلا منهما مرسل ، وأنهما مع ذلك بينهما تغاير ، واستظهر بعضهم أن النبي الذى هو رسول أنزل إليه كتاب وشرع مستقل مع المعجزة التي ثبتت بها نبوته ، وأن النبي المرسل الذى هو غير الرسول هو من لم ينزل عليه كتاب ، وإنما أوحي إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله ، كأنبياء بني إسرائيل الذين

---

(١) سورة الحج بعض آية (٥٢) .

(٢) النبوات (ص ٢٨١ - ٢٨٢) مع بعض الاختصار .

(٣) هو أبو محمد المختار محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن أحمد نوح الجكني الشنقيطي ، من الأئمة الفحول والأعلام البارزين في هذا العصر ، فقيه أصولي مفسر لغوي ، حافظٌ لكثيرٍ من أشعار العرب وأنسابهم وأيامهم ، ولد سنة ١٣٢٥ ، ومات بمكة المكرمة سنة ١٣٩٣ ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي للشيخ عطية محمد سالم بآخر أضواء البيان وترجمته - أيضا - لعبد الرحمن بن عبد العزيز السديس

(٤) سورة الحج بعض آية (٥٢) .

كانوا يرسلون ويؤمرون بالعمل بما في التوراة ،كما بينه تعالى بقوله : ﴿ يحكم بها النبيون الذين أسلموا ﴾[1] [2] الآية .

** **

**

(١) سورة المائدة بعض آية (٤٤) .
(٢) أضواء البيان : (٥ / ٧٣٥).

** المبحث الثاني **

((حكم المفاضلة بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام))

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ((لا تخيروا بين الأنبياء)).[1]

قال الخطابي - رحمه الله - : (معنى هذا ترك التخيير بينهم على وجه الإزراء ببعضهم ، فإنه ربما أدى ذلك إلى فساد الاعتقاد فيهم والإخلال بالواجب من حقوقهم وبفرض الإيمان بهم .

وليس معناه أن يعتقد التسوية بينهم في درجاتهم ، فإن الله سبحانه قد أخبر أنه قد فاضل بينهم ، فقال عز وجل : ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ﴾[2]) اهـ .[3]

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع

---

(١) هو طرف من حديث طويل - وفيه قصة - أخرجه البخاري في صحيحه في مواضع عدة منه مختصرا ومطولا مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه فهو في كتاب الخصومات باب ١ ح : ٢٤١٢ (الفتح ٥ / ٧٠) وفي أحاديث الأنبياء ح ٣٣٩٨ ، وفي التفسير ح ٤٦٣٨ ، وفي الديات ح ٦٩١٦ و ٦٩١٧ ، وفي التوحيد ح ٧٤٢٧ ومسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ح ١٦٣ (٤ / ١٨٤٥) وأبو داود في سننه كتاب السنة باب ١٤ ح ٤٦٦٨ (٥ / ٥١) وأبويعلى في مسنده ح ١٣٦٣ (٢ / ١٢٧) .

(٢) سورة البقرة بعض آية (٢٥٣) .

(٣) معالم السنن (٤ / ٣٠٩) .

وأول مشـــفع)) .[1]

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - عن النبي-صلى الله عليه وسلمقال : ((ماينبغي لعبد أن يقول : إني خير من يونس بن متى)) .[2]

قال أبو سليمان - عند شرحه لهذين الحديثين - : (قد يتوهم كثير من الناس أن بين الحديثين خلافا ، وذلك أنه قد أخبر في حديث أبي هريرة أنه سيد ولد آدم ، والسيد أفضل من المسُود ، وقال في حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - ((ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى)) ، والأمر في ذلك بين ووجه التوفيق بين الحديثين واضح وذلك أن قوله : ((أنا سيد ولد آدم))إنما هو إخبار عما أكرمه الله به من الفضل والسؤدد وتحدث بنعمة الله عليه ، وإعلام لأمته وأهل دعوته مكانه عند ربه ومحلَّه من خصوصيته ، ليكون إيمانهم بنبوتـه واعتقادُهم لطاعته على حسب ذلك . وكان بيان هذا لأمته وإظهاره لهم من اللازم له والمفروض عليه .

فأما قوله في يونس صلوات الله عليه وسلامه فقد يتأول على وجهين :

<u>أحدهما</u> : أن يكون قوله ما ينبغي لعبد إنما أراد به من سواه من الناس دون نفســـه .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ح ٣ (٤/ ١٧٨٢)وأبو داود في سننه ، كتاب السنة باب ١٤ ح ٤٦٧٣ (٥/ ٥٤) ، وأحمد في مسنده : ٢/ ٥٤٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأنبياء باب ٣٥ ح ٣٤١٣ (الفتح ٦/ ٤٥٠) ، ومن حديث أبي هريرة في الأنبياء أيضا ح ٣٤١٦ (الفتح ٦/ ٤٥١) ومسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ح ١٦٧ (٤/ ١٨٤٦) وأبو داود في سننه ، كتاب السنة ، باب ١٤ ح ٤٦٦٩ (٥/ ٥١) .

والوجه الآخر : أن يكون ذلك عاما مطلقا فيه وفي غيره من الناس ، ويكون هذا القول منه على الهضم من نفسه وإظهار التواضع لربه ، يقول : لا ينبغي لي أن أقول أنا خير منه ، لأن الفضيلة التي نلتها كرامة من الله سبحانه وخصوصية منه ، لم أنلها من قبل نفسي ولا بُلغتها بحولي وقوتي ، فليس لي أن أفتخر بها ، وإنما يجب علي أن أشكر عليها ربي .

وإنما خص يونس بالذكر فيما نرى - والله أعلم - لما قصه الله تعالى علينا من شأنه وما كان من قلة صبره على أذى قومه ، فخرج مغاضبا ولم يصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل .(١)

قلت : وهذا أولى الوجهين وأشبههما بمعنى الحديث ، فقد جاء من غير هذا الطريق أنه قال صلى الله عليه وسلم : ((ما ينبغي لنبي أن يقول إني خير من يونس بن متى))(٢) ، فعم به الأنبياء كلهم فدخل هو في جملتهم ، وقد ذكره

---

(١) قال الحليمي في المنهاج :(٢/ ١٢١) : (ليس لأحد أن يفضل نفسه على يونس ، وهذا لأن الله عز وجل أخبر عنه أنه أبق وأنه ذهب مغاضبا وأنه لم يصبر على ما ظن أنه يصبه من قومه ، فقد كان يمكن أن يتوهم متوهم إذا وجد صابرا على ما يصيبه في ذات الله ، قوى العزيمة على مجاهدة أعداء الله أنه خير من يونس ، فأبان النبي -صلى الله عليه وسلم- أن ذلك لا ينبغي لأحد أن يقوله ، لأن يونس كان نبيا ، وغير النبي لا يكون خيرا من النبي ، فهذا معنى الحديث والله أعلم) .
وانظر : فتح الباري (٦/ ٤٥٢) ففيه توجيه آخر .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب السنة باب ١٤ ح ٤٦٧٠ (٥/ ٥٢) والإمام أحمد في المسند (طبعة أحمد شاكر) ح ١٧٥٧ (٣/ ١٩٦) وصحح إسناده ، وذكر الحافظ في الفتح (٦/ ٤٥١) أن الطبراني أخرجه في معجمه ، وقد صححه الألباني ، فأورده في صحيح الجامع ح ٥٨٢١ (٢/ ١٠١٣) .

أبو داود في هذا الباب).[1] [2]

وفي موضع آخر يقول - في الجمع بين هذه الأحاديث - : (ووجه الجمع بينهما أن هذه السيادة إنما هي في القيامة ، إذ قدم في الشفاعة على جميع الأنبياء[3] وإنما منع أن يفضل على غيره منهم في الدنيا ، وإن كان - صلى الله عليه وسلم - مفضلا في الدارين من قبل الله عز وجل).[4]

(وهو صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم أحمرَهم وأسوَدهم).[5]

ويشرح - رحمه الله - مرة أخرى حديث ابن عباس[6] فيقول : (يريد : ليس لعبد أن يفضل نفسه على يونس ، ويحتمل أن يكون أراد : لا ينبغي لأحد أن يفضلني

---

(١) انظر : الإحالة إليه في التعليق السابق .

(٢) معالم السنن (٤/ ٣١٠ - ٣١١) .

(٣) وقال النووي في شرح صحيح مسلم (١٥/ ٢٧) : (وأما قوله - صلى الله عليه وسلم - ((يوم القيامة)) مع أنه سيدهم في الدنيا والآخرة ، فسبب التقييد أن في يوم القيامة يظهر سؤدده لكل أحد ولا يبقى منازع ولا معاند ونحوه ، بخلاف الدنيا فقد نازعه ذلك فيها ملوك الكفار وزعماء المشركين وهذا التقييد قريب من معنى قوله تعالى : ﴿ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴾ مع أن الملك له سبحانه قبل ذلك ، لكن كان في الدنيا من يدعي الملك أو من يضاف إليه مجازا ، فانقطع كل ذلك في الآخرة) .

(٤) أعلام الحديث (١/ ٣٣٧) .

(٥) غريب الحديث (٢/ ٣٥) .
وانظر المصدر نفسه (٣/ ٢٥٦) .

(٦) وهو قوله - عليه الصلاة والسلام - : ((لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى)) وقد مضى تخريجه (ص: ٤٠٢)

عليه ، وإنما خص يونس لأن الله عز وجل لم يذكره في جملة أولي العزم من الرسل ، وقال : ﴿ ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم ﴾[١] ، وقال : ﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه ﴾[٢] . فقصَّر به عن مراتب أولي العزم والصبر من الرسل . يقول صلى الله عليه وسلم : إذا لم يكن أُذن لكم أن تفضلوني على يونس فلا يجوز لكم أن تفضلوني على غيره من ذوي العزم ، من أجلة الأنبياء - صلوات الله عليهم أجمعين - ، وهذا منه صلى الله عليه وسلم على مذهب التواضع أيضا والهضم من النفس ، وليس بمخالف لقوله : ((أنا سيد ولد آدم))[٣] لأنه لم يقل ذلك بالمنة فيه ، وأراد بالسيادة ما يكرم به في القيامة من الشفاعة)[٤] .

---

(١) سورة القلم بعض آية (٤٨) .

(٢) سورة الأنبياء بعض آية (٨٧) .

(٣) تقدم تخريجه (ص : ٤٠١-٤٠٣)

(٤) أعلام الحديث (٣/١٥٥٧ - ١٥٥٨) وانظر المصدر نفسه (٣/١٥٦١) . قال ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (ص ١٣٢) : (وإنما أراد أنه سيد ولد آدم يوم القيامة لأنه الشافع يومئذ والشهيد ، وله لواء الحمد والحوض ، وهو أول من تنشق عنه الأرض) .

من خلال ما سبق من كلام أبي سليمان الخطابي في مسألة المفاضلة بين الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - والذي أوضح فيه المفاضلة بينهم عموما ثم المفاضلة بينهم - جميعا - مع نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -، تبينت جودته في عرض ذلك وإفادته العلمية فيه، إذ سرد عدة نصوص شرعية، وجمع بين ما يظهر فيها من تعارض، مع الكشف عن مدلولها بما يرفع ذلك التعارض الذي قد يقع لبعض الناس عند سماع أو قراءة تلك النصوص، وهو في كل ذلك موافق للمنهج السلفي فيما ذهب إليه وأبانه وقرره.

وها أنا أسوق بعض النصوص القرآنية والحديثية - وإن كان قد سبق ذكر بعضها - ثم أردفها بكلام أهل العلم دلالة على ما سلكه ونهجه في هذه المسألة.

قال الله تعالى: ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ﴾[1]

وقال جل شأنه: ﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وءاتينا داود زبورا ﴾[2].

فقد دلت الآية الأولى على حصول المفاضلة بين الرسل - عليهم الصلاة والسلام - وأن بعضهم أفضل من بعض.

كما دلت الآية الثانية - أيضاً - على وجود المفاضلة بين الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -.

وقد أجمعت الأمة على أن الرسل أفضل من الأنبياء[3]، ونص الكثير من العلماء على

---

(١) سورة البقرة بعض آية (٢٥٣).

(٢) سورة الإسراء بعض آية (٥٥).

(٣) لوامع الأنوار البهية (١/ ٤٩ - ٥٠)، وانظر الفرقان لابن تيمية (ص ١٠).

أن أفضل المرسلين أولوا العزم منهم ، وهم الذين خصوا بالذكر مجتمعين في قول الله عز وجل : ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثٰقهم ومنك ومن نوح وإبرٰهيم وموسىٰ وعيسى ابن مريم ، وأخذنا منهم ميثٰقا غليظا ﴾ [1] ، وفي قوله : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصىٰ به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبرٰهيم وموسىٰ وعيسىٰ أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كَبُر على المشركين ماتدعوهم إليه ، الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ﴾ [2] .

واختص نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن غيره من الأنبياء والرسل بخصائص جمة ، ومراتب عالية ، ومكارم عدة ، نال بذلك التفضيل المطلق على العالمين من الجنة والناس أجمعين ، بل والملائكة المقربين [3] .

وقد قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : ((فضلت على الأنبياء بست ، أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون)) [4] .

وقال : ((أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبي يومئذ آدمُ فمن سواهُ إلا تحت لوائي ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر)) [5] .

---

(١) سورة الأحزاب : آية (٧) .

(٢) سورة الشورى : آية (١٣) .

(٣) انظر بداية السول (ص ٧٦ - ٧٧) ولوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٩٤- ٢٩٥) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ح ٥ (١/ ٣٧١) ، والترمذي في سننه كتاب السير باب ٥ بعد ح ١٥٥٣ (٤/ ١٢٣) ، وأحمد في مسنده (٢/ ٤١١ - ٤١٢) كلهم من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ .

(٥) أخرجه الترمذي في سننه (مطولا) من حديث أبي سعيد الخدري ===

وقال : ((أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها))[(١)] [(٢)] .

إلى غير هذه النصوص الكثيرة الدالة على فضله - عليه الصلاة والسلام - وعلو مكانته ورتبته على سائر الخلائق في الدنيا والأُخرى .[(٣)]

قال ابن قتيبة : (قالوا : رويتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((لا تفضلوني على يونس بن متى ، ولا تخايروا بين الأنبياء))[(٤)] ، ثم رويتم أنه قال : ((أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر))[(٥)] .

(=) رضي الله عنه ، كتاب تفسير القرآن باب ١٨ ح ٣١٤٨ (٥/ ٣٠٨) وفي كتاب المناقب (مختصرا) باب ١ ح ١٦١٥ (٥/ ٥٨٧) وابن ماجه في سننه كتاب الزهد باب ٣٧ ح ٤٣٠٨ (٢/ ١٤٤٠) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع ح ١٤٦٨ (١/ ٣٠٩) وكذا في صحيح سنن الترمذي ح ٢٨٥٩ (٣/ ١٩٠) وفي صحيح ابن ماجه ح ٣٤٧٧ (٢/ ٤٣٠) .

(١) أي أحركها . والقعقعة : حكاية حركة الشيء يسمع له صوت . كذا في النهاية (٤/ ٨٨) .

(٢) هو قطعة من حديث طويل عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أخرجه الترمذي في سننه كتاب تفسير القرآن باب ١٨ ح ٣١٤٨ ، (٥/ ٣٠٨ - ٣٠٩) وقال : (هذا حديث حسن صحيح) ، والدارمي في سننه من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - المقدمة باب ٨ ح ٥٠ (١/ ٤٠) ، وأحمد في المسند من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - (١/ ٢٨١) .
وصححه الألباني في صحيح الجامع ح ١٤٥٩ (١/ ٣٠٦) وكذا في السلسلة الصحيحة ح ١٥٧٠ (٤/ ٩٧ - ٩٩) .

(٣) للوقوف على مزيد من الآي القرآني الكريم والأحاديث النبوية الشريفة في ثبوت الأفضلية المطلقة للنبي - صلى الله عليه وسلم - .
انظر : بداية السول في تفضيل الرسول ، فهي رسالة لطيفة مباركة نافعة .

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ ، وقد صح طرفه الأخير في نصوص أخرى . انظر ما تقدم (ص ٤٠٦)

(٥) تقدم تخريجه (ص : ٤٠٧)

قالوا : وهذا اختلاف وتناقض .

قال أبو محمد : ونحن نقول : إنه ليس ههنا اختلاف ولا تناقض ، وإنما أراد أنه سيد ولد آدم يوم القيامة لأنه الشافع يومئذ والشهيد ، وله لواء الحمد والحوض وهو أول من تنشق عنه الأرض .

وأراد بقوله : ((لا تفضلوني على يونس)) من طريق التواضع . .)[1].

وقال الحليمي : (فإن قال قائل : من أين استجزت المفاضلة بين الأنبياء ، ثم تفضيل أحد منهم على غيرهم وقد جاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : ((لا تخايروا بين الأنبياء)) .[2]

قيل له : قد قال الله عز وجل ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ﴾[3] ، فأخبر أنه فاوت بينهم في الفضل ، فإن وصفناهم بما وصفهم الله تعالى فلا عيب علينا في ذلك .

فأما المخايرة بين الأنبياء الذي ورد فيه النهي ، فإنما يراد بذلك محاذاة أهل الملل في تفضيل نبينا -صلى الله عليه وسلم- كاليهود تجادل في موسى ، والنصارى تجادل في عيسى ، وتفضيل نبينا -صلى الله عليه وسلم- عليهما .

أو المعنى في ذلك : أن هذه المخايرة إذا وقعت بين أهل دينين مختلفين لم يؤمن أن يخرج كل واحد من المخايرين في تفضيل من يريد تفضيله إلى الإزراء بالآخر والتعبير منه فيكفر بذلك .

فإذا كانت المخايرة من مسلم يريد الوقوف على الأفضل فيقابل بينهما ليظهر له

---

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ١٣٢).

(٢) تقدم تخريجه (ص : ٤٠١)

(٣) سورة البقرة بعض آية (٢٥٣) .

رجحان ، فليس هذا بنهي عنه ،لأن الرسل إذا كانوا متفاضلين وكان الأفضل يوجب فضل حق ، وكان الحق إذا وجب لا يُهتدى إلى أدائه إلا بعد معرفته ومعرفة مستحقيه ، كانت إلى معرفة الأفضل حاجة ، ووجب أن يكون لله تعالى دلالة ، وطلب العلم المحتاج إليه من قبل أعلامه المنصوبة عليه ليس مما ينكر والله أعلم).[1]

وقال النووي : (قال العلماء : وقوله صلى الله عليه وسلم : ((أنا سيد ولد آدم)) لم يقله فخرا ، بل صرح بنفي الفخر في غير مسلم في الحديث المشهور : ((أنا سيد ولد آدم ولا فخر))[2] ، وإنما قاله لوجهين :

أحدهما : امتثال قوله تعالى : ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾.[3]

والثاني : أنه من البيان الذي يجب عليه تبليغه إلى أمته ليعرفوه ويعتقدوه ويعملوا بمقتضاه ويوقروه صلى الله عليه وسلم بما تقتضي مرتبته كما أمرهم الله تعالى .

وأما الحديث الآخر : ((لا تفضلوا بين الأنبياء)) ، فجوابه من خمسة أوجه :

أحدها : أنه صلى الله عليه وسلم قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم ، فلما علم أخبر به .

والثاني : قاله أدبا وتواضعا .

والثالث : أن النهي إنما هو عن تفضيل يؤدي إلى تنقيص المفضول .

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان (٢/١١٧ - ١١٨) .

(٢) تقدم تخريجه (ص٤٠٧-٤٠٨)

(٣) سورة الضحى : آية (١١) .

والرابـع : إنما نهى عن تفضيل يؤدي إلى الخصومة والفتنة كما هو المشهور في سبب الحديث[1].

والخامس : أن النهي مختص في نفس النبوة فلا تفاضل فيها ، وإنما التفاضل بالخصائص وفضائل أخرى ، ولا بد من اعتقاد التفضيل ، فقد قال الله تعالى : ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ﴾[2])[3].

وقال ابن تيمية : (إنه قد ثبت في الصحيحين عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : ((أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم))[4] ، وليس فيه ذكر محمد ولا علي ،

---

(١) الذي أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب الخصومات باب ١ ح ٢٤١١ ، ٢٤١٢ (الفتح : ٥/ ٧٠) وفي مواطن أخرى من الصحيح .
وسلم في صحيحه،كتاب الفضائل ح ١٥٩ و ١٦٠ (٤/ ١٨٤٣- ١٨٤٤)
وأبو داود في سننه كتاب السنة باب ١٤ ح ٤٦٧١ (٥/ ٥٣) ،
وأحمد في مسنده (٢/ ٢٦٤) .

(٢) سورة البقرة بعض آية (٢٥٣) .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/ ٣٧ - ٣٨) .

(٤) هو قطعة من حديث طويل عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأنبياء باب ٨ ح ٣٣٤٩ (الفتح ٦/ ٣٨٦- ٣٨٧) وكذا في مواضع أخرى من الصحيح ،
وسلم في صحيحه ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ح ٥٨ (٤/ ٢١٩٤- ٢١٩٥) .
والنسائي في سننه (مختصرا) ، كتاب الجنائز باب ١١٨ ح ٢٠٨٢ (٤/ ١١٤) .
والترمذي في سننه كتاب صفة القيامة باب ٣ ح ٢٤٢٣ (٤/ ٦١٥ - ٦١٦)
وفي كتاب تفسير القرآن باب ٢٢ ح ٣١٦٧ (٥/ ٣٢١ - ٣٢٢) .

وتقديم إبراهيم بالكسوة لا يقتضي أنه أفضل من محمد مطلقا ، كما أن قوله : ((إن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول من يفيق فأجد موسى باطشا بالعرش، فلا أدري هل استفاق قبلي أم كان من الذين استثنى الله))[1] ، فتجويز أن يكون سبقه في الإفاقة أو لم يصعق بحال ، لا يمنعنا أن نعلم أن محمدا أفضل من موسى . ولكن إذا كان التفضيل على وجه الغض من المفضول في النقص له نهى عن ذلك ، كما نهى في هذا الحديث عن تفضيله على موسى ، وكما قال لمن قال : يا خير البرية ، قال : ((ذاك إبراهيم))[2] ، وصح قوله : ((أنا سيد ولد آدم ولا فخر آدم فمن دونه تحت لوائي يوم القيامة ولا فخر))[3])[4] .

---

(١) انظر لفظ هذا الحديث بأتمه في صحيح البخاري، كتاب التوحيد باب: ٣١ ح ٧٤٧٢ (الفتح ١٣/٤٤٧) وهو أيضا في مواضع أخرى متفرقة - سبق ذكر بعضها - ، ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل ح ١٦٠ (٤/ ١٨٤٤) وأبو داود في سننه كتاب السنة باب ١٤ ح ٤٦٧١ (٥/٥٣) وأحمد في مسنده (٢/٢٦٤) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل ح ١٥٠ (٤/١٨٣٩) ، والترمذي في سننه كتاب تفسير القرآن باب ٨٧ ح ٣٣٥٢ (٥/٤٤٦) وأحمد في مسنده (٣/١٧٨ و ١٨٤) .

(٣) تقدم تخريجه (ص ٤٠٧-٤٠٨)

(٤) منهاج السنة (٧/٢٥٥ - ٢٥٦) .
وانظر : تفسير البغوي (١/٢٣٦ - ٢٣٧) ، وتفسير ابن كثير (١/٣١١) وشرح الطحاوية (١/١٥٨ - ١٦٣) ولوامع الأنوار البهية (٢/٢٩٨- ٣٠٠) .

** المبحث الثالث **

((الإيمان بنبوة محمد -صلى الله عليه وسلم-))

المطلب الأول

((وجوب الإيمان به وطاعته والانقياد له))

قال الخطابي -رحمه الله- : (.. وأما النصيحة لرسوله -صلى الله عليه وسلم- فإنما هي في تصديقه على الرسالة وقبول ما جاء به ودعا إليه ، وطاعته فيما سنّ وشرع ، وبيّن من أمر الدين وشرح ، والانقياد له فيما أمر ونهى وحكم وأمضى ، وترك التقديم بين يديه ، وإعظام حقه وتعزيره[1] وتوقيره ومؤازرته ونصرته ، وإحياء طريقته في بث الدعوة وإشاعة السنة ، ونفي التهمة في جميع ما قاله ونطق به ، فإنه كما وصفه ربه وباعثه فقال : ((وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يُوحى))[2] وقال : ((فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما))[3])[4] .

وقال الخطابي -أيضا- : (الحمد لله ((الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين))[5] ، جعله مهيمنا على كتابه ومبينا له وقاضياً على ما أُجمل منه بالتفسير ، وعلى ما أُبهم من ذكره بالبيان والتلخيص ليرفع بذلك من قدره ويَشيدَ بذكره ، فتكون أحكام شرائع دينه وصادرة عن بيان قوله وتوقيفه .

---

(١) العزر : النصر بالسيف ، وعزّره : أعانه وقواه ونصره وعظمه . انظر اللسان مادة عزر (٤/٥٦٢) .

(٢) سورة النجم : آية (٣ - ٤) .

(٣) سورة النساء : آية (٦٥) .

(٤) أعلام الحديث (١/١٩٢) .

(٥) سورة الجمعة بعض آية (٢) .

ثم قرن طاعته بطاعته ، وضَمَّنَ الهدى في متابعته ، فقال : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾[(١)] . وقال-جل جلاله-: ﴿ وإن تطيعوه تهتدوا ﴾[(٢)] ، وشهد له بالصدق فيما قاله وبلغه ، فقال-عز وجل- : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى ﴾[(٣)] ، وسلم له فيما شرعه وسنه الحكم ، وألقى إليه في ذلك أزمة الأمر ، فقال عز وجل : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾[(٤)])[(٥)] .

ما ذكره الشيخ الخطابي - تحت هذا المطلب - وساقه من نصوص شرعية محكمة يبين وجوب الإيمان بنبوة نبينا محمد-صلى الله عليه وسلم-ومحبته وتصديقه وطاعته والانقياد له ،يُعد من أصول الإيمان الذي لا يتم إيمان العبد إلا به ، ولا يستقيم له أمر إلا باعتقاده ، بل إنه لا يقبل للمرء صرف ولا عدل إلا بتوحيد متابعته ونهج طريقه ،إذ جميع السبل غير سبيله مسدودة ، وكل الأعمال على غير هديه مردودة ، ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ،قل أطيعوا الله والرسول ،فإن تولوا فإن الله لا يحب الكٰفرين ﴾[(٦)] ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولٰئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصٰلحين وحسن أولٰئك رفيقا ﴾[(٧)] ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ﴾[(٨)]

---

(١) سورة النساء بعض آية (٨٠) .
(٢) سورة النور بعض آية (٥٤) .
(٣) سورة النجم : آية (٣ - ٤) .
(٤) سورة النساء آية (٦٥) .
(٥) من مقدمة كتاب أعلام الحديث (١/ ٩٩ - ١٠٠) .
(٦) سورة آل عمران : آية (٣١ - ٣٢) .
(٧) سورة النساء : آية (٦٩) .
(٨) سورة النساء : آية (١١٥) .

﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾[(١)] .

وهكذا في كثير من النصوص القرآنية الكريمة .

وقد قال -صلى الله عليه وسلم-: ((كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ، قالوا : يارسول الله ومن يأبى ؟ قال : من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى))[(٢)] .

وقال : ((إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال : يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء ، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا ، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم ، فذلك مَثَل من أطاعني فاتبع ما جئت به ، ومَثَل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق))[(٣)] .

وقال : ((بعثت بالسيف حتى يعبد الله لا شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ، ومن تشبه بقوم فهو منهم))[(٤)] .

---

(١) سورة النور بعض آية (٦٣) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الاعتصام بالسنة باب ٢ ح ٧٢٨٠ (الفتح ١٣/ ٢٤٩) وأحمد في مسنده (٢/ ٣٦١) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الاعتصام بالسنة باب ٢ ح : ٧٢٨٣ (الفتح ١٣/ ٢٥٠) وفي كتاب الرقاق باب ٢٦ ح ٦٤٨٢ (الفتح : ١١/ ٣١٦) . ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل ح ١٦ (٤/ ١٧٨٨- ١٧٨٩) من حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - .

(٤) أخرجه أحمد في المسند (طبعة شاكر) ح ٥١١٤ و ٥١١٥ (٧/ ١٢١ و ١٢٢) وصحح إسناده وعلق البخاري طرفاً منه في صحيحه من كتاب الجهاد باب ٨٨ (الفتح ٦/ ٩٨) ، وأخرج أبو داود في سننه الجملة الأخيرة منه في كتاب اللباس باب ٥ ح ٤٠٣١ (٤/ ٣١٤) ====

وعن عبد الله بن جابر - رضي الله عنه - قال : (جاءت ملائكة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو نائم ، فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا : إن لصاحبكم هذا مثلا ، فقال بعضهم: إنه نائم ، وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا : مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا ، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة ، فقالوا : أولوها له يفقهها ، فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا : فالدار الجنة ، والداعي محمد - صلى الله عليه وسلم -، فمن أطاع محمداً - صلى الله عليه وسلم - فقد أطاع الله ، ومن عصى محمدا - صلى الله عليه وسلم - فقد عصى الله ، ومحمد فرق بين الناس)[1] .

(ولقد أبان الجلة من العلماء عن هذه المعاني السامية المؤكدة لطاعة

(=) وقال الحافظ في الفتح (٦/ ٩٨) : (وله شاهد مرسل بإسناد حسن أخرجه ابن أبي شيبة من طريق الأوزاعي عن سعيد بن جبلة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بتمامه) .
وقد صححه الشيخ الألباني في الإرواء ح ١٢٦٩ (٥/ ١٠٩ - ١١١) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاعتصام بالسنة باب ٢ ح ٧٢٨١ (الفتح ١٣/ ٢٤٩) .
والترمذي في سننه - عن جابر أيضا - من غير هذا الوجه ، كتاب الأمثال باب ١ ح ٢٨٦٠ (٥/ ١٤٥) .
وأحمد في المسند (١/ ٣٩٩) من حديث ابن مسعود (وفيه قصة) مع اختلاف في ألفاظه .

الرسول -صلى الله عليه وسلم- والانقياد له ومتابعته - كما سبق نقله عن الإمام الخطابي - قال الإمام أحمد : (نظرت في المصحف فوجدت فيه طاعة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في ثلاثة وثلاثين موضعا) .[1]

وقال العلامة ابن القيم - بعد كلام له في الموضوع - : (والمقصود أن بحسب متابعة الرسول تكون العزة والكفاية والنصرة ، كما أن بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنجاة . فالله سبحانه علق سعادة الدارين بمتابعته ، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته ، فلأتباعه الهدى والأمن والفلاح والعزة والكفاية والنصرة والولاية والتأييد وطيب العيش في الدنيا والآخرة ، ولمخالفيه الذلة والصغار والخوف والضلال والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة ، وقد أقسم -صلى الله عليه وسلم- بأن ((لا يؤمن أحدكم حتى يكون هو أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين))[2] ، وأقسم الله سبحانه بأن لا يؤمن من لا يحكمه في كل ما تنازع فيه

---

(١) الإبانة لابن بطة (١/ ٢٦٠) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان باب ٨ ح ١٥ (الفتح : ١/ ٥٨) ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، ح ٦٩ (١/ ٦٧) .
والنسائي في سننه كتاب الإيمان وشرائعه باب ١٩ ح ٥٠١٣ (٨/ ١١٤ - ١١٥) .
وابن ماجه في سننه ، المقدمة ح ٦٧ (١/ ٣٦) .
وأحمد في مسنده (٣/ ٢٠٧) . جميعهم من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - ، ولفظ البخاري : ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)) وعند البخاري أيضا وغيره من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - بلفظ : ((فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده)) .

هو وغيره ثم يرضى بحكمه ولا يجد في نفسه حرجا مما حكم به ثم يسلم له تسليما وينقاد له انقيادا .[(١)]

وقال تعالى : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾[(٢)] ، فقطع سبحانه وتعالى التخيير بعد أمره وأمر رسوله ، فليس لمؤمن أن يختار شيئا بعد أمره صلى الله عليه وسلم ، بل إذا أمر فأمره حتم ، وإنما الخيرة في قول غيره إذا خفي أمره ، وكان ذلك الغير من أهل العلم به وبسنته ، فبهذه الشروط يكون قول غيره سائغ الاتباع لا واجب الاتباع ، فلا يجب على أحد اتباع قول أحد سواه ، بل غايته أنه يسوغ له اتباعه ، ولو ترك الأخذ بقول غيره لم يكن عاصيا لله ورسوله ، فأين هذا ممن يجب على جميع المكلفين اتباعه ويحرم عليهم مخالفته ويجب عليهم ترك كل قول لقوله ؟ فلا حكم لأحد معه ، ولا قول لأحد معه ، كما لا تشريع لأحد معه ، وكل من سواه فإنما يجب اتباعه على قوله إذا أمر بما أمر به ، ونهى عما نهى عنه ، فكان مبلغا محضا ، ومخبرا لا منشئا ومؤسسا ، فمن أنشأ أقوالا وأسس قواعد بحسب فهمه وتأويله لم يجب على الأمة اتباعها ولا التحاكم إليها حتى تعرض على ما جاء به الرسول ، فإن طابقته ووافقته وشهد لها بالصحة قبلت حينئذ ، وإن خالفته وجب ردها واطراحها ، فإن لم يتبين فيها أحد الأمرين جعلت موقوفة ، وكان أحسن

---

(١) وذلك في قول الله عز وجل : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ سورة النساء آية (٦٥) .

(٢) سورة الأحزاب بعض آية (٣٦) .

أحوالها أن يجوز الحكم والافتاء بها وتركه ، وأما أنه يجب ويتعين ، فكلا ولما)[1]

** **

**

---

(١) زاد المعاد (١/٣٧ - ٣٨) .

(٢) وانظر : الشفا للقاضي عياض ، إذ عقد فصلا في وجوب طاعته - عليه الصلاة والسلام - وآخر في وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتداء بهديه وثالثا في الوعيد على مخالفته وعصيان أوامره (٢/٦) وما بعدها .

** المطلب الثاني **

((بعض أسمائه -عليه الصلاة والسلام-))[١]

عن جبير بن مطعم[٢] -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((لي خمسة أسماء ، أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذى يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب))[٣] .

قال الخطابي : (قوله : ((لي خمسة أسماء)) معناه أن هذه الأسماء مذكورة في كتب الله تعالى[٤] ، فأي اسم وجد منها فهو اسمه وصفته .

---

(١) قد ألفت كتب مستقلة في أسماء النبي -صلى الله عليه وسلم- ومعانيها . انظر: معجم ما ألف عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (ص ٣٧- ٤٠) .

(٢) هو أبو محمد جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف القرشي ، صحابي جليل ، كان من حلماء قريش وأحد ساداتهم ، عالما بأنساب العرب . أسلم يوم الفتح وقيل يوم خيبر ، ومات بالمدينة سنة ٥٧ وقيل : ٥٩ . الاستيعاب (١/٢٣٢ - ٢٣٣) وأسد الغابة (١/٣٢٣- ٣٢٤) والإصابة (١/٤٦٢ - ٤٦٣) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب باب ١٧ ح ٣٥٣٢ (الفتح ٦/٥٥٤) ، وفي كتاب التفسير -سورة الصف- باب ١ ح ٤٨٩٦ ، (الفتح ٨/٦٤٠ - ٦٤١) ، .
ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل ح ١٢٥ (٤/١٨٢٨) .
والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف ح ٣١٩١ (٢/٤١٢-٤١٣)
والترمذي في سننه كتاب الأدب باب ٦٧ ح ٢٨٤٠ (٥/١٣٥) .
وأحمد في مسنده (٤/٨٠ و ٨١ و ٨٤) .
ومالك في موطئه كتاب ٦١ باب ١ ح ١ (٢/١٠٠٤) .
والترمذي في الشمائل باب ٥١ ح ٣٦٠ (ص ٢٩٦) .

(٤) قال النووي في شرح صحيح مسلم (١٥/١٠٦) : (قال العلماء : وإنما اقتصر على هذه الأسماء مع أن له -صلى الله عليه وسلم- أسماء غيرها كما سبق ، لأنها موجودة في الكتب المتقدمة وموجودة للأمم السالفة) .

أما محمد وأحمد فهما مشهوران ، وأما الحاشر فقد ذكر تفسيره في الحديث وهو الذي يحشر الناس على أثره ، كقوله : ((أنا أول من تنشق عنه الأرض))[١] ، والعاقب الآخر ، يريد أني خاتم الأنبياء جاء عقبهم ، يقال : عقبت القوم أعقبهم إذا جئت آخرهم)[٢] [٣] .

** **

**

هو طرف من حديث

(١) ↑ تقدم تخريجه (ص : ٤٠٧)

(٢) أعلام الحديث (٣/١٥٨٧-١٥٨٨) .

(٣) انظر : أسماء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومعانيها لابن فارس ، والشفا (١/٢٢٨-٢٣٥) .
وشرح صحيح مسلم (١٥/١٠٤-١٠٦) وتهذيب الأسماء واللغات (١/٢١-٢٢) ، وزاد المعاد (١/٨٦-٩٧) .

** المطلب الثالث **

ـ(((بيان بعض معجزاته عليه الصلاة والسلام ـ)))ـ

أـ انشقاق القمر :

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ ((أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فأراهم انشقاق القمر)) .[1]

قال الخطابي : (قلت : انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدل لها شيء من آيات الأنبياء صلوات الله عليهم ، وذلك أنه ظهر في ملكوت السماء خارج عن جملة طباع ما في العالم المركب من الطبائع الأربع[2] ، فيطمع في نيله بحيلة وعلاج وتأليف وتركيب ونحوها من الأمور التي يتعاطاها المحتالون ويتصنع لها المتكلفون فلذلك صار الخطب فيه أعظم ، والبرهان به أظهر وأبهر .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب باب ٢٧ ح ٣٦٣٧ (الفتح ٦/٦٣١) ، وأعاده في كتاب مناقب الأنصار باب ٣٦ ح ٣٨٦٨ ، (الفتح ٧/١٨٢) وفي كتاب التفسير ـ سورة اقتربت الساعة ـ باب ١ ح ٤٨٦٧ و ٤٨٦٨ (الفتح ٨/٦١٧) .
ومسلم في صحيحه ، كتاب صفات المنافقين ح ٤٦ و ٤٧ (٤/٢١٥٩)
وفي الباب عن ابن مسعود وابن عباس وجبير بن مطعم ، وابن عمر وحذيفة وغيرهم ، بعضها مخرج في الصحيحين .

(٢) قال في كشاف اصطلاحات الفنون (٢/٩١٢) : (الطباع الأربع : الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة لأنها أصل الوجود ، إذ العالم مركب منها) .
وانظر : المعجم الوسيط (ص ٥٥٠) .

وقد أنكر هذا الخبر منكرون وقالوا : لو كان له حقيقة لم يجز أن يخفى أمره على عوام الناس ولتواترت به الأخبار عن قرن إلى قرن ،لأنه أمر مصدره عن حس ومشاهدة ، فالناس فيه شركاء وهم مطالبون بفطر العقول ،ومن جهة دواعي النفوس بذكر كل أمر عجيب ونقل كل خبر غريب ، فلو كان لما رُوِي من ذلك أصل لكان قد خلد ذكره في الكتب ودون في الصحف ،ولكان أهل السير وأهل التنجيم والحفظة على الأزمان وأهل العناية بالتاريخ يعرفونه ولا ينكرونه ،إذ كان لا يجوز الإطباق منهم على تركه وإغفاله مع جلالة شأنه وجلاء أمره .

والجواب : أن الأمر في هذا خارج عما ذهبوا إليه من قياس الأمور النادرة الغريبة إذا ظهرت لعامة الناس واستفاض العلم بها عندهم ، وذلك أن هذا شيء طلبه قوم خاص من أهل مكة على ما رواه أنس بن مالك فأراهم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ليلا ، لأن القمر آية الليل ولا سلطان له بالنهار ،وأكثر الناس في الليل تنام ومستكنون بأبنية وحجب ، والأيقاظ البارزون منهم في البوادي والصحارِي قد يتفق أن يكونوا في ذلك الوقت مشاغيل بما يلهيهم من سمر وحديث وبما يهمهم من شغل ومهنة ،ولا يجوز أن يكونوا لا يزالون مقنعي رؤوسهم رافعين لها إلى السماء ،مترصدين مركز القمر من الفلك لا يغفلون عنه ،حتى إذا حدث بجرم القمر حدث من الانشقاق أبصروه في وقت انشقاقه قبل التئامه واتساقه،وكثيرا ما يقع للقمر الكسوف فلا يشعر به الناس حتى يخبرهم الآحاد منهم والأفراد من جماعتهم ، وإنما كان ذلك في قدر اللحظة التي هي مدرك البصر .

ولو أحب الله أن تكون معجزات نبيه عليه السلام أمورا واقعة تحت الحس قائمة للعيان حتى يشترك في معاينته الخاصة والعامة لفعل ذلك ولكنه سبحانه قد جرت سنته بالهلاك والاستئصال في كل أمة أتاها نبيها بآية عامة يدركها الحس

فلم يؤمنوا بها[1] ، وخص هذه الأمة بالرحمة فجعل آية نبيها التي دعاهم إليها وتحداهم بها عقلية ، وذلك لما أوتوه من فضل العقول وزيادة الأفهام ولئلا يهلكوا ، فيكون سبيلهم سبيل من هلك من سائر الأمم المسخوط عليهم المقطوع دابرهم ، فلم يبق لهم عين ولا أثر ، والحمد لله على لطفه بنا وحسن نظره إلينا ، وصلى الله على نبيه المصطفى وعلى آله وسلم كثيرا)[2]. اهـ

(١) كما وقع لقوم نوح - عليه الصلاة والسلام - وغيرهم من الأمم المكذبة لآيات ومعجزات رسلها ، قال تعالى : - بشأن قوم نوح - ﴿ فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عمين ﴾ سورة الأعراف (آية ٦٤) . وقال - بشأن هود وقومه عاد - : ((فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين)) سورة الأعراف (آية ٧٢) . وقال بشأن ثمود قوم صالح - : ﴿ فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴾ سورة الأعراف (آية ٧٨) .
وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : ((سأل أهل مكة النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يجعل لهم الصفا ذهبا ، وأن ينحي الجبال عنهم فيزدرعوا ، فقيل له : إن شئت أن تستأني بهم ، وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا ، فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم ، قال : ((لا ، بل أستأني بهم)) ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية : ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة ﴾ سورة الإسراء بعض آية (٥٩) .
أخرجه الإمام أحمد في المسند (طبعة شاكر) ح ٢٣٣٣ (٩٦/٤)
وذكره ابن كثير في التفسير (٥١/٣) وقال : (ورواه النسائي من حديث جرير) ، وجوّد إسناده في السيرة النبوية (٤٨٢/١ - ٤٨٣) ، وصحح أحمد شاكر إسناده .
وانظر لهذا المعنى تفسير ابن كثير (٥١/٣ - ٥٢) .

(٢) أعلام الحديث (١٦١٨/٣ - ١٦٢٠) .

هكذا يثبت الخطابي - رحمه الله - هذه المعجزة الباهرة والآية الظاهرة للرسول -صلى الله عليه وسلم- ويرد على منكريها وجاحديها ، مجيبا عما به نفوها وعارضوها . ويكفي القول بأنها معجزة ثبت أمرها بالنص القرآني الكريم في قوله -جل شأنه-: ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾[1] ، وهذا الانشقاق للقمر هو ما حصل في عهده -عليه الصلاة والسلام- كما هو ثابت بالأحاديث المتواترة بالأسانيد المتصلة الصحيحة ، وانعقد عليه الإجماع .

وممن وقفتُ عليه ممن أنكر وكذب حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - الوارد - أيضا - في ثبوت ذلك[2] : النظام المعتزلي[3] حيث قال : (وزعم - يعني ابن مسعود - أن القمر انشق وأنه رآه ، وهذا من الكذب الذي لا خفاء به ، لأنّ الله -تعالى- لا يشق له القمر وحده ولا لآخر معه ، وإنما يشقه ليكون آية

---

(١) سورة القمر : آية (١) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب باب ٢٧ ح ٣٦٣٦ (الفتح ٦/ ٦٣١) وفي مواطن عدة من الصحيح ، انظر ح ٣٨٦٩ وح ٣٨٧١ (الفتح ٧/ ١٨٢) وح ٤٨٦٤ وح ٤٨٦٥ (الفتح ٨/ ٦١٧) ومسلم في صحيحه كتاب صفات المنافقين ح ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ (٤/ ٢١٥٨) وأحمد في مسنده (طبعة شاكر) ح ٣٩٢٤ (٦/ ١٢) وح ٤٢٧٠ (٦/ ١٣٥) وح ٤٣٦٠ (٦/ ١٦٧) .

(٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن سيار بن هانئ النظام البصري من أئمة المعتزلة ومشاهيرهم ، مات ما بين سنة ٢٢١ و ٢٢٣ ، كتاب القلائد (ص ٦٤) ولسان الميزان (١/ ٦٧) والأعلام (١/ ٤٣) .

للعالمين وحجة للمرسلين ، ومزجرة للعباد ، وبرهانا في جميع البلاد ، فكيف لم تعرف بذلك العامة ، ولم يؤرخ الناس بذلك العام ، ولم يذكره شاعر ، ولم يسلم عنده كافر ، ولم يحتج به مسلم على ملحد ؟) .[1]

قال ابن قتيبة - مُفنِّداً ما زعمه النظام - : (طعنه على عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - بقوله : إن القمر انشق وأنه رأى ذلك ثم نسبه إلى الكذب ، وهذا ليس بإكذاب لابن مسعود ، ولكنه بخس لعلم النبوة وإكذاب القرآن العظيم ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾[2] فإن كان القمر لم ينشق في ذلك الوقت ، وكان مراده : سينشق القمر فيما بعد فما معنى قوله : ﴿ وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾[3] ، بعقب هذا الكلام ؟ أليس فيه دليل على أن قوما رأوه منشقا فقالوا : هذا سحر مستمر من سحره ، وحيلة من حيله ، كما قد كانوا يقولون في غير ذلك من أعلامه - صلى الله عليه وسلم - .

وكيف صارت الآية من آيات النبي - صلى الله عليه وسلم - والعلم من أعلامه لا يجوز عنده أن يراها الواحد والاثنان والنفر دون الجميع ، أو ليس قد يجوز أن يخبر الواحد والاثنان والنفر والجميع ، كما أخبر مكلم الذئب بأن ذئبا كلمه[4] وأخبر آخر

---

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٤ - ٢٥) ، وانظر : الفرق بين الفرق (ص ١٤٨) والتبصير في الدين (ص ٦٨ - ٦٩) والملل والنحل (ص ٥٧ ، ٥٨).

(٢) سورة القمر آية (١) .

(٣) سورة القمر آية (٢) .

(٤) حديثه ورد عن جمع من الصحابة من طرق بعضها صحيح .

=====

بأن بعيرا شكاله[1] ، وأخبر آخر أن مقبورا لفظته الأرض) [2] [3] .

وقال الزجاج[4] ـ متحدثا عن هذه المعجزة ـ : (وقد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين لمخالفي الملة ، وذلك لما أعمى الله قلبه ، ولا إنكار للعقل فيها ، لأن القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشاء ، كما يفنيه ويكوره في آخر أمره ، وأما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا لنقل متواترا واشترك أهل الأرض كلهم في معرفته ولم يختص بها أهل مكة ، فأجاب العلماء بأن هذا الانشقاق حصل في الليل ، ومعظم الناس نيام غافلون ، والأبواب مغلقة ، وهم متغطون بثيابهم فقل من يتفكر في السماء أو ينظر إليها إلا الشاذ النادر . ومما هو مشاهد معتاد أن كسوف القمر وغيره من العجائب والأنوار الطوالع والشهب العظام وغير ذلك مما يحدث في السماء في الليل يقع ولا يتحدث بها إلا الآحاد ولا علم عند غيرهم لما ذكرناه . وكان هذا الانشقاق آية حصلت في الليل لقوم سألوها واقترحوا رؤيتها ، فلم يتنبه غيرهم لها . قالوا[5] : وقد يكون القمر كان حينئذ في بعض

(=) انظر دلائل النبوة للبيهقي (٦ / ٣٩ - ٤٤) وشمائل الرسول لابن كثير (ص ٢٧٦ - ٢٨٢) والصحيح المسند من دلائل النبوة للوادعي (ص ١٠٠)

(١) حديثه ورد في وقائع متعددة من رواية جمع من الصحابة ، جمعها الحافظ ابن كثير في الشمائل (ص ٢٦٢ - ٢٧٢) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب باب ٢٥ ح ٣٦١٧ (الفتح ٦ / ٦٢٤) ومسلم في صحيحه كتاب صفات المنافقين ح ١٤ (٤ / ٢١٤٥) وأحمد في مسنده (٣ / ٢٢٢) جميعهم من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ .

(٣) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٩ - ٣٠) .

(٤) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السرى بن سهل الشهير بالزجاج ، البغدادي العلامة من أئمة النحو والعربية ولد ببغداد سنة ٢٤١ ومات بها سنة ٣١١ ، وقيل غير ذلك . تاريخ بغداد (٦ / ٨٩ - ٩٣) ووفيات الأعيان (١ / ٤٩ - ٥٠) وشذرات الذهب (٢ / ٢٥٩ - ٢٦٠) .

(٥) أي العلماء في أجوبتهم .

المجارى والمنازل التي تظهر لبعض الآفاق دون بعض كما يكون ظاهرا لقوم غائبا عن قوم، كما يجد الكسوف أهل بلد دون بلد ، والله أعلم) .[١]

وقال ابن تيمية : (آياته -صلى الله عليه وسلم- المعلقة بالقدرة والفعل والتأثير أنواع :

الأول : منها ما هو في العالم العُلوي كانشقاق القمر وحراسة السماء بالشهب الحراسة التامة لما بعث ، وكمعراجه إلى السماء .

فقد ذكر الله انشقاق القمر وبيّن أن الله فعله وأخبر به لحكمتين عظيمتين :

إحداهما : كونه من آيات النبوة لما سأله المشركون آية فأراهم انشقاق القمر .

والثانية : أنه دلالة على جواز انشقاق الفلك ، وأن ذلك دليل على ما أخبرت به الأنبياء من انشقاق السموات ، ولهذا قال تعالى : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ، وكذبوا واتبعوا أهواءهم ، وكل أمر مستقر ، ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغن النذر ، فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر ، خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر ﴾ .[٢]

فذكر اقتراب الساعة وانشقاق القمر ، وجعل الآية في انشقاق القمر دون الشمس وسائر الكواكب لأنه أقرب إلى الأرض من الشمس والنجوم ، وكان الانشقاق فيه دون سائر أجزاء الفلك إذ هو الجسم المستنير الذي يظهر الانشقاق فيه لكل من يراه ظهورا لا يتمارى فيه ، وأنه - نفسه - إذا قبل الانشقاق فقبوله محله أولى بذلك وقد عاينه الناس وشاهدوه .

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم (١٧ / ١٤٣ - ١٤٤) وكذا نقله الحافظ في الفتح (٧ / ١٨٥) باختلاف في بعض الألفاظ ونسبه لمعاني القرآن للزجاج ، ولم أقف عليه فيه .

(٢) سورة القمر آية (١ - ٧) .

وكان النبي-صلى الله عليه وسلم-يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار مثل صلاة الجمعة والعيدين ليسمع الناس ما فيها من آيات النبوة ودلائلها والاعتبار بما فيها ، وكل الناس يقر بذلك ولا ينكره ، فعلم أن انشقاق القمر كان معلوما عند الناس عامة .. [و] ظن بعض المتفلسفة كأرسطوا وشيعته أن الأفلاك لا تقبل الانشقاق وحجتهم على ذلك في غاية الضعف ، فإنهم قالوا : لو كانت تقبل الانشقاق لكان المحدد للأفلاك المحرك لها يتحرك حركة مستقيمة ، والحركة المستقيمة تحتاج إلى خلاء خارج العالم ولا خلاء هناك ، وهذه الحجة فاسدة من وجوه :

منها : أنها تدل على ذلك في الفلك الأعلى لا فيما دونه كفلك القمر وغيره ، وهذا مما أجابهم به الرازي وغيره .

ومنها : أن وجود الأجسام خارج الفلك كوجود الفلك في حيزه .

فقول القائل : إن ذلك يحتاج إلى خلاء ، كقوله : إن وجود الفلك في حيزه يحتاج إلى خلاء ، وقوله بنفي الخلاء عن حيزه ، فإن كان الخلاء عدما محضا فهو منتف في الجانبين ، وإن قيل : إنه أمر وجودى لزم أن يحتاج إليه في الموضعين ، وحينئذ فيبطل القول بنفيه .

وبهذا يظهر جوابهم عن إنكارهم انشقاق القمر ، فإن عمدتهم فيه أن الفلك لا يقبل الانشقاق ، وقد عرف فساد ذلك عقلا وسمعا ، وتواترت عن الأنبياء أنهم أخبروا بانشقاق السموات ..) (١)

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤ / ١٦١ - ١٧١) .
وانظر كلام أهل العلم في إثبات هذه المعجزة والرد القويم على منكريها وجاحديها . : تفسير ابن كثير (٤ / ٢٨٠) وكذا شمائل الرسول (أيضا ص: ١٤٥-١٥٠) ولوامع الأنوار (٢ / ٢٩١-٢٩٤) وروح المعاني للألوسي (٢٧ / ٧٤ - ٧٧) وإظهار الحق لرحمت الله بن خليل الهندى (٤ / ١٠٢٧ - ١٠٤٩) فقد أجاد فيه وأفاد ، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لمحمد الصادق عرجون (٢ / ٣٣٥) .

ب ـ تسبيح الحصى . ج ـ حنين الجذع . د ـ رجف الجبل .

هـ ـ انجذاب الشجرة . و ـ سجود البعير . ز ـ نبوع الماء .

ح ـ تكثير الطعام . ط ـ إخبار الذراع .

قال الخطابي ـ رحمه الله ـ وهو يتحدث عما شاهده الصحابة الكرام من آيات بينة ، ومعجزات ظاهرة ، دلت على ثبوت نبوة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وصدق رسالته ودعوته ـ : (..هذا إلى ما شاهدوه من آياته وسائر معجزاته المشهورة[1] عنه ، الخارجة من رسوم[2] الطباع ، الناقضة للعادات ، كتسبيح الحصى في كفه[3] ،

---

(١) في درء تعارض العقل والنقل (٧/٢٩٨) : المشهودة .

(٢) في المصدر السابق (٧/٢٩٨) : سوم .

(٣) أورد الخبر في ذلك البيهقي في الدلائل (٦/٦٤ ـ ٦٥) وذكره عنه ابن كثير في الشمائل (ص ٢٥٦ ـ ٢٥٨) ، كما ذكر الخبر الهيثمي في المجمع (٥/١٧٩) و (٨/٢٩٩) جميعهم من حديث أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ .
أما الخبر عند البيهقي ففي سنده الكديمي ، وهو محمد بن يونس بن موسى أبو العباس البصري ، قال فيه ابن حبان في المجروحين (٢/٣١٢ ـ ٣١٤) : (كان يضع على الثقات الحديث وضعا ، ولعله قد وضع أكثر من ألف حديث) . وقال ابن عدي في الكامل (٦/٢٩٢ ـ ٢٩٤) : (اتهم بوضع الحديث وبسرقته) . وسئل عنه الدارقطني فقال : (يتهم بوضع الحديث) الميزان (٧٤ ـ ٧٥) .
وفي سند الخبر ـ أيضا ـ صالح بن أبي الأخضر اليمامي مولى هشام ابن عبد الملك ، لينه الإمام البخاري في التاريخ الكبير (٤/٢٧٣) وقال : (قال يحي ليس بشيء) . كما ضعفه النسائي ويحي القطان ، وقال الساجي : صدوق يهم ليس بحجة ، وذكره ابن حبان في المجروحين (١/٣٦٨ ـ ٣٦٩) ، وعده العقيلي في الضعفاء (٢/١٩٨ ـ ١٩٩) وكذا ابن عدي في الكامل (٤/٦٤ ـ ٦٦) .
قال الحافظ في الفتح (٦/٥٩٢) : (وأما تسبيح الحصى فليست له

===

وحنين الجذع لمفارقته [1] ،

=== إلا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها) .

وقال الهيثمي في الموضع الأول المذكور أعلاه : (رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه محمد بن أبي حميد وهو ضعيف) ، وقال في الموضع الثاني : (رواه البزار بإسنادين ورجال أحدهما ثقات وفي بعضهم ضعف) .

وقد عد ابن تيمية هذا الخبر من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم . الفرقان (ص ١٥٥) .

(١) عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال : (كان المسجد مسقوفا على جذوع من نخل ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها ، فلما صنع له المنبر وكان عليه ، فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العِشَار ، حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكنت) .

أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب باب ٢٥ ح ٣٥٨٥ (الفتح ٦ / ٦٠٢) ، وكذا في مواضع أخرى من الصحيح .

وفي الباب عن أنس وأبي بن كعب وابن عباس وابن عمر وأبي سعيد وسهل بن سعد وبريدة وأم سلمة ـ رضي الله عنهم جميعا ـ ، يطول سرد أحاديثهم ومخرجيها ، وقد قال البيهقي في الدلائل ٢ / ٥٦٣) ـ بعد سرده لمجموعة من هذه الأحاديث ـ : (هذه الأحاديث التي ذكرناها في أمر الحنانة كلها صحيحة ، وأمر الحنانة من الأمور الظاهرة والأعلام النيرة ، التي أخذها الخلف عن السلف : ورواية الأحاديث فيه كالتكليف ، والحمد لله على الإسلام والسنة وبه العياذ والعصمة) .

وقال الحافظ ابن كثير عن خبر حنين الجذع : (وقد ورد من حديث جماعة من الصحابة بطرق متعددة تفيد القطع عند أئمة هذا الشأن وفرسان هذا الميدان) . الشمائل (ص ٢٤٣) .

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٦ / ٥٩٢) : (فإن حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع

===

ورجفَ[1] الجبل تحته وسكونُه لما ضربه برجله[2] ،

=== على طرق ذلك من أئمة الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة له في ذلك) .

وانظر : دلائل النبوة لأبي نعيم (٢/ ٣٩٩ – ٤٠٤) ، ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٥٥٦ – ٥٦٣) و (٦/ ٦٦ – ٦٨) ، والشمائل لابن كثير (ص ٢٤٣ – ٢٥٥) ، وقطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة للسيوطي ، كتاب المناقب ح ٩٨ (ص ٢٦٨ – ٢٧٠) ، ونظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني ح ٢٦٣ (ص ١٣٤ – ١٣٥) والصحيح المسند من دلائل النبوة للوادعي (ص ١٩٠ – ١٩٣) .

(١) في صون المنطق (ص ٩٦) : وزحف .

(٢) من أنس بن مالك – رضى الله عنه – قال : (صعد النبي صلى الله عليه وسلم أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف بهم ، فضربه برجله وقال : « أثبت أحد ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيدان »).

أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة باب ٦ ح ٣٦٨٦ (الفتح ٧/ ٤٢) ، وفي موضعين آخرين من الكتاب نفسه ، ح ٣٦٧٥ وح ٣٦٩٩ ، وأبو داود في سننه كتاب السنة باب ٩ ح ٤٦٥١ (٥/ ٤٠) ، والترمذي في سننه ، كتاب المناقب باب ١٩ ح ٣٦٩٧ (٥/ ٦٢٤) .

وفي الباب عن أبي هريرة وعثمان بن عفان وسعيد بن زيد وابن عباس وسهل بن سعد وبريدة – رضي الله عنهم جميعا – ، وقد جاءت روايات صحيحة على أن ذلك كان بجبل حراء الذي بضواحي مكة المكرمة ، ولا مانع من تعدد القصة إن لم يحصل في ذلك شك من بعض الرواة ، وانظر لهذا فتح الباري (٧/ ٣٨) ، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ح ٨٧٥ (٢/ ٥٥٨ – ٥٦٢) .

وانجذاب الشجرة بأغصانها وعروقها إليه [1] ،

---

(١) عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : (جاء جبريل عليه السلام ذات يوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس حزين ، قد خضب بالدماء ، قد ضربه بعض أهل مكة ، فقال : مالك ؟ فقال : « فعل بي هؤلاء وفعلوا » ، قال : أتحب أن أريك آية ؟ قال : « نعم ، أرني » ، فنظر إلى شجرة من وراء الوادي ، قال : أدع تلك الشجرة ، فدعاها فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه ، قال : قل لها فلترجع ، فقال لها فرجعت حتى عادت إلى مكانها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حسبي » .

أخرجه ابن ماجه في سننه ، كتاب الفتن باب ٢٣ ح ٤٠٢٨ (٢ / ١٣٣٦) والدارمي في سننه ، المقدمة باب ٤ ح ٢٣ (١ / ٢٦) ، والإمام أحمد في مسنده (٣ / ١١٣) كلهم من طريق الأعمش عن أبي سفيان عنه .

قال الحافظ ابن كثير في الشمائل (ص ٢٣٩) – بعد أن ساق رواية الإمام أحمد – : (وهذا إسناد على شرط مسلم ، ولم يروه إلا ابن ماجه عن محمد بن طريف عن أبي معاوية) . وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٣ / ٢٤٨) : (هذا إسناد صحيح إن كان أبوسفيان – واسمه طلحة بن نافع – سمع من أنس) . وقد صحح الشيخ الألباني الحديث في صحيح ابن ماجه ح ٣٢٥٤ (٢ / ٣٧٢ – ٣٧٣) وكذا صحح إسناده في تخريج المشكاة (٣ / ١٦٦٥) ح ٥٩٢٤ .

وقد وردت عدة أحاديث صحاح في خبر انقياد الشجر له عليه الصلاة والسلام من حديث جابر بن عبد الله وعمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر – رضى الله عنهم جميعا – .

انظر دلائل النبوة لأبي نعيم (٢ / ٣٨٩ – ٣٩٤) ، ودلائل النبوة للبيهقي (٦ / ١٣ – ١٧) ، والشمائل لابن كثير (ص ٢٣٨ – ٢٤٢) والصحيح المسند من دلائل النبوة للوادعي (ص ٩٧ – ٩٨) .

وسجـــود البعـــــير لـــــــه[1] ،

---

(١) عن أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ قال : (كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسْنون عليه ، وأن الجمل استصعب عليهم فمنعهم ظهره ، وأن الأنصار جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : إنه كان لنا جمل نسْنِي عليه وإنه استصعب علينا ومنعنا ظهره ، وقد عطش الزرع والنخل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : " قوموا " فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحية ، فمشى النبي صلى الله عليه وسلم نحوه ، فقالت الأنصار : يانبي الله إنه قد صار مثل الكلب الكَلِب ، وإنا نخاف عليك صولته ، فقال : " ليس عليّ منه بأس " ، فلما نظر الجمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته أذل ما كانت قط حتى أدخله في العمل ، فقال له أصحابه يارسول الله : هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ، ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك ، فقال : « لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها .. » الحديث .

أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/ ١٥٨ ــ ١٥٩) ، قال الحافظ ابن كثير ــ بعد سوقه له ــ في الشمائل (ص ٢٦٢ ــ ٢٦٣) : (وهذا إسناد جيد ، وقد روى النسائي بعضه من حديث خلف ابن خليفة به) .

وذكره الهيثمي في المجمع (٩ / ٤) وقال : (رواه أحمد والبزار ، ورجاله رجال الصحيح غير حفص ابن أخي أنس وهو ثقة) .

وفي الباب عن ابن عباس وعائشة وأبي هريرة وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة ــ رضى الله عنهم جميعا ــ .

انظر الشمائل لابن كثير (ص ٥٦٢) وما بعدها ومجمع الزوائد (٩ / ٤ ــ ٧) .

ونبوعُ الماء من بين أصابعه حتى توضأ به بشر كثير (١)

---

(١) عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال : (قد رأيتني مع النبي – صلى الله عليه وسلم – وقد حضرت العصر ، وليس معنا ماء غير فضلة فجعل في إناء ، فأتى النبي – صلى الله عليه وسلم – به فأدخل يده فيه وفرج أصابعه ثم قال : « حي على أهل الوضوء ، البركة من الله » ، فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه ، فتوضأ الناس وشربوا ، فجعلت لا آلو ما جعلت في بطني منه ، فعلمت أنه بركة ، قلت لجابر – القائل هو سالم بن أبي الجعد راويه عنه – : كم كنتم يومئذ ؟ قال : ألف وأربعمائة) .

أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأشربة باب ٣١ ح ٥٦٣٩ (الفتح ١٠ / ١٠١ – ١٠٢) ، وفي مواضع أخرى من الصحيح عن جابر وغيره .

قلت : هذه المعجزة الباهرة للرسول الكريم – عليه الصلاة والسلام – مما تواتر نقله عن جمع من الصحابة في مناسبات كثيرة ومواطن عدة ، قال القاضي عياض عند حديث أنس – وهو في معنى حديث جابر – : (هذه القصة رواها الثقات من العدد الكثير عن الجم الغفير عن الكافة متصلة بالصحابة ، وكان ذلك في مواطن اجتماع الكثير منهم في المحافل ومجمع العساكر ، ولم يرد عن أحد منهم إنكار على راوي ذلك ، فهذا النوع ملحق بالقطعي من معجزاته) ، وقال القرطبي : (قضية نبع الماء من بين أصابعه – صلى الله عليه وسلم – تكررت منه في عدة مواطن في مشاهد عظيمة ، ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي) ، وقال الحافظ ابن حجر : (وحديث نبع الماء جاء من رواية أنس عند الشيخين وأحمد وغيرهم من خمسة طرق ، وعن جابر بن عبد الله من أربعة طرق ، وعن ابن مسعود عند البخاري والترمذي ، وعن ابن عباس عند أحمد والطبراني من طريقين ، وعن ابن أبي ليلى والد عبد الرحمن عند الطبراني) . فتح الباري (٦ / ٥٨٤ – ٥٨٥) .

وانظر دلائل النبوة للبيهقي (٤ / ١٢١ – ١٢٨) والتمهيد (١ / ٢١٧ – ٢٢٠) ونظم المتناثر ح ٢٦٧ (ص ١٣٦) .

وربو الطعام اليسير بتبريكه فيه حتى أكل منه عدد جم [1] ،

---

(١) قد وردت أحاديث كثيرة مستفيضة في هذا المعنى ، منها حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ قال : (لما حُفر الخندق رأيت بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ خَمَصا شديدا ، فانكفيت إلى امرأتي فقلت : هل عندكِ شيء ؟ ، فإني رأيت برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خَمَصاً شديداً ، فأخرجت إليَّ جِرابا فيه صاع من شعير ، ولنا بهيمة داجن فذبحتها ، وطحنَتِ الشعير ، فَفَرَغَتْ إلى فراغي وقطعتها في برمتها ، ثم وليت إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت : لا تفضحني برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبمن معه ، فجئته فساررته فقلت : يارسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعا من شعير كان عندنا فتعال أنت ونفر معك ، فصاح النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « يا أهل الخندق إن جابرا قد صنع سُوراً ، فحي هلا بكم » ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء » ، فجئت وجاء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقدم الناس حتى جئت امرأتي فقالت : بك وبك ، فقلت : قد فعلت الذي قلت ، فأخرجت له عجينا فبصق فيه وبارك ، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ، ثم قال : « أدع خابزة فلتخبز معي ، واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها » ، وهم ألف ، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا ، وإن برمتنا لتغط كما هي ، وإن عجيننا ليخبز كما هو) .

أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازى باب ٢٩ ح ٤١٠٢ (الفتح ٧/٣٩٥ ـ ٣٩٦) .

وفي الباب عن أنس وعائشة وأبي هريرة وعبد الرحمن بن أبي بكر وسمرة ابن جندب ـ رضي الله عنهم جميعا ـ وقد قال النووي في شرح صحيح مسلم (١٥/٣٨) : (تكثير الطعام وجد منه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في مواطن مختلفة وعلى أحوالٍ كثيرة وصفات متنوعة) .

وقال ابن حجر في الفتح (٥/٢٣٢) : (وقد ورد تكثير الطعام في الجملة من أحاديث جماعة من الصحابة) .

وانظر : الشمائل لابن كثير (ص ١٩٧ ـ ٢٣٧) ونظم المتناثر ح ٢٦٧ (ص ١٣٦) والصحيح المسند من دلائل النبوة للوادعي (ص ١٠٣ ـ ١١٢) .

وإخبار الذراع إياه بأنها مسمومة[1] ،

---

(١) عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – (أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية ثم أهدتها لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع فأكل منها وأكل رهط من أصحابه معه ، ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ارفعوا أيديكم » وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليهودية فدعاها فقال لها : « أسممت هذه الشاة » ؟ قالت اليهودية : من أخبرك؟ قال : « أخبرتني هذه في يدي » للذراع ، قالت : نعم ، قال : « فما أردت إلى ذلك » ؟ قالت : قلت : إن كان نبيا فلن يضره ، وإن لم يكن نبياً استرحنا منه ، فعفا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها ، وتوفي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة ..) الحديث .

أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الديات باب ٦ ح ٤٥١٠ (٤/ ٦٤٨ – ٦٤٩) ، والدارمي في سننه ، المقدمة باب ١١ ح ٦٨ (١/ ٤٦ – ٤٧) . وهو منقطع ، لأن الزهري – راويه عن جابر – لم يسمع منه ، لكن يقويه مرسل أبي سلمة الذي رواه أيضاً أبو داود والدارمي في سننهما بعد إيرادهما لحديث جابر المتقدم ، وقد وصله الحاكم وصححه في المستدرك (٣/ ٢١٩ – ٢٢٠) من حديث أبي هريرة ، وكذا أخرجه وصححه في (٤/ ١٠٩) من حديث أبي سعيد الخدري ووافقه الذهبي وصححه الألباني في تخريج المشكاة ح ٥٩٣١ (٣/ ١٦٦٧–١٦٦٨)

وأصل قصة الشاة التي سُمت للنبي – صلى الله عليه وسلم – بخيبر أصلها في الصحيحين – لكن بغير ذكر إخبار الذراع – من حديث أنس وعائشة وأبي هريرة ، وقد قال ابن القيم في سرد حديثه عن غزوة خيبر : (وفي هذه الغزاة سُم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أهدت له زينب بنت الحارث اليهودية امرأة سلام بن مشكم شاة مشوية قد سمتها ، وسألت أي اللحم أحب إليه ؟ فقالوا : الذراع ، فأكثرت من السم في الذراع ، فلما انتهش من ذراعها أخبره الذراع بأنه مسموم ، فلفظ الأكلة ثم قال : « اجمعوا لي من هاهنا من اليهود . . . » وذكر الحديث زاد المعاد (٣/ ٣٣٥) .

= = =

وأمور كثيرة سواها يكثُر تعدادها[١] ، وهي مشهورة ومجموعة في الكتب التي أنشئت[٢] لمعرفة هذا الشأن)[٣] [٤] .

= = = وانظر دلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ١٩٦ ــ ١٩٧) ودلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٢٥٦ ــ ٢٦٤) والسيرة النبوية لابن كثير (٣/ ٣٩٤ ــ ٤٠٠) .

(١) فقد ذكر البيهقي في الدلائل (١/ ١٠) عن بعض أهل العلم أن أعلام نبوته ـ صلى الله عليه وسلم ـ تبلغ ألفاً . ونقل الحافظ في الفتح (٦/ ٥٨٣) عن الزاهدي الحنفي المتوفى سنة (٦٥٨) أنه ظهر على يديه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ألف معجزة ، وقال هو أو غيره بأنها بلغت ثلاثة آلاف . وذكر النووي في مقدمة شرح صحيح مسلم (١/ ٢) أنها تزيد على ألف ومائتين .

وأفاد شيخ الإسلام ابن تيمية في الفرقان (ص ١٥٨) بأنها قد جمعت في نحو ألف معجزة .

(٢) في صون المنطق (ص ٩٧) : انتسبت .

(٣) لقد أفردت كتب كثيرة مستقلة جمعت معجزات النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودلائل وأعلام نبوته بلغت ما يزيد على سبعين مؤلفا ، انظر أساميها ومؤلفيها في معجم ما أُلف عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (ص ٦٢ ــ ٦٥ و ١٨٧ ــ ١٩٠) .

(٤) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٢٩٨ ــ ٢٩٩) وصون المنطق (ص ٩٦ ــ ٩٧) كلاهما نقلا عن الغنية عن الكلام وأهله للخطابي .

المطلب الرابع
حكم سبه -عليه الصلاة والسلام-

عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- (أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي -صلى الله عليه وسلم- وتقع فيه ، فينهاها فلا تنتهي ويزجرها فلا تنزجر ، قال : فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي -صلى الله عليه وسلم- وتشتمه ، فأخذ المغول [1] فوضعه في بطنها واتكأ عليها فقتلها ، فوقع بين رجليها طفل فلطخت ما هناك بالدم ، فلما أصبح ذُكر ذلك لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- فجمع الناس فقال : « أنشد الله رجلا فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام » ، فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتزلزل [2] ، حتى قعد بين يدي النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال : يارسول الله أنا صاحبها ، كانت تشتمك وتقع فيك فأنهاها فلا تنتهي وأزجرها فلا تنزجر ، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين ، وكانت بي رفيقة ، فلما كان البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك فأخذت المغول فوضعته في بطنها واتكأت عليها حتى قتلتها ، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: « ألا اشهدوا أن دمها هدر ») [3].

---

(١) المِغول : بكسر الميم وسكون الغين المعجمة : شبه سيف قصير يشتمل به الرجل تحت ثيابه فيغطيه ، وقيل حديدة دقيقة لها حد ماضٍ وقفاً ، وقيل هو سوط في جوفه سيف دقيق يشده الفاتك على وسطه ليغتال به الناس .
انظر: مجمل اللغة لابن فارس مادة (غول) (٤/ ٢٤ - ٢٥) ولسان العرب مادة (غول) (١١/ ٥١٠) .

(٢) في سنن النسائي : يتدلدل ، والمعنى : يضطرب في مشيته .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الحدود باب ٢ ح ٤٣٦١ (٤/ ٥٢٨ - ٥٢٩) ، والنسائي في سننه ، كتاب تحريم الدم ، باب ١٦ ح ٤٠٧٠ (٧/ ١٠٦) . وقد صححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود ح ٣٦٦٥ (٣/ ٨٢٤) وفي صحيح سنن الترمذي ح ٣٧٩٤ (٣/ ٨٥٣) .

قال الخطابي ـ رحمه الله ـ عند شرحه لهذا الحديث ـ : (وفيه بيان أن ساب النبي صلى الله عليه وسلم مقتول (مهدر الدم) ، وذلك أن السب منها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارتداد عن الدين [1] ، ولا أعلم أحدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله .

ولكن إذا كان الساب ذمياً فقد اختلفوا فيه ، فقال مالك بن أنس : من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى قتل إلا أن يسلم [2] ، وكذلك قال أحمد بن حنبل [3] ، وقال الشافعي : يقتل الذمي إذا سب

---

(١) قال ابن القيم : (وقد وَهِم الخطابي في أمر هذه المقتولة . . فاعتقد أنها مسلمة ، وليس في الحديث ما يدل على ذلك ، بل الظاهر أنها كانت كافرة كما صرح به في الحديث ، ولو كانت مرتدة منتقلة إلى غير دين الإسلام لم يقر سيدها على ذلك أياما طويلة ، ولم يكتف بمجرد نهيها عن السب ، بل كان يطلب منها العود إلى الإسلام ، والرجل لم يقل كفرت ولا ارتدت ، وإنما ذكر مجرد السب والشتم ، فدل على أنها لم يصدر منها زائد عليه) .

أحكام أهل الذمة (٢/ ٨٤١ ـ ٨٤٢) .

(٢) للإمام مالك في المسألة قولان : أحدهما ما ذكره الخطابي عنه ، والثاني : القتل مطلقا .
انظر : البيان والتحصيل (١٦/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨ و ٤١٣ ـ ٤١٤) ، والشفا للقاضي عياض (٢/ ٢١٦) .

(٣) بل النصوص الواردة عن الإمام أحمد تفيد قتل الساب مطلقا .
قال حنبل : سمعت أبا عبد الله يقول : (كل من شتم النبي صلى الله عليه وسلم أو تنقصه مسلماً كان أو كافرا فعليه القتل) .
وفي رواية أبي طالب أن أبا عبد الله سئل عمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يقتل ، قد نقض العهد) .

رواهما أبو بكر الخلال في أحكام أهل الملل (مخطوط) ، كتاب الحدود ـ باب فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم ـ (ق ١٠٤ ل / أ) .

وعن عبد الله قال : سمعت أبي يقول فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم

= = =

النبي-صلى الله عليه وسلم-وتبرأ منه الذمة [١] ، واحتج في ذلك بخبر كعب بن الأشرف ، وقد ذكرناه في كتاب الجهاد [٢] ، وحكى عن أبي حنيفة أنه قال : لا يقتل الذمي بشتم النبي-صلى الله عليه وسلم- ماهم عليه من الشرك أعظم [٣]) [٤] .

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت : (لم يقتل من نسائهم -تعني بني قريظة- إلا امرأة ، إنها لعندي تحدث تضحك ظهراً وبطناً ، ورسول الله -صلى الله عليه وسلم-يقتل رجالهم بالسيوف [٥] ، إذ هتف هاتف باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا ، قلت : وما شأنك ؟ قالت : حَدَثٌ أحدثته ، قالت : فانطلق بها فضربت عُنقها ، فما أنسى عجباً منها أنها تضحك ظهراً وبطناً وقد علمت أنها تقتل) [٦] .

قال الخطابي : (قلت : يقال إنها كانت شتمت النبي-صلى الله عليه وسلم- ، وهو الحدث الذي أحدثته ، وفي ذلك دلالة على وجوب قتل من فعل ذلك،

=== قال : (تضرب عنقه) .
مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبد الله (٣/ ١٣٩٢) .
قال الشيخ ابن تيمية -بعد أن ذكر جملة من النصوص والروايات عن الإمام أحمد في هذا المعنى- : (فأقواله كلها نص في وجوب قتله -يعني الساب الذمي- وفي أنه قد نقض العهد ، وليس عنه في هذا اختلاف) . الصارم المسلول (ص ٥) .

(١) انظر : كتاب الأم (٤/ ١١٨) .
(٢) انظر معالم السنن (٢/ ٣٣٦ - ٣٣٧) .
(٣) انظر تحرير المسألة عند الحنفية في حاشية رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين (٤/ ٢١٣ - ٢١٦) .
(٤) معالم السنن (٣/ ٢٩٦) .
(٥) في المسند (٦/ ٢٧٧) : بالسوق .
(٦) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الجهاد باب ١٢١ ح ٢٦٧١ (٣/ ١٢٣) وأحمد في مسنده (٦/ ٢٧٧) ، وقد حسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود ح ٢٣٢٥ (٢/ ٥٠٦) .

ويحكى عن مالك أنه كان لا يرى لمن سب النبي -صلى الله عليه وسلم- توبة ، ويقبل توبة من ذكر الله سبحانه بسب أو شتم ويكف عنه [١] ، وأخبرني بعض أهل العلم من أهل الأندلس أن هذه القضية جارية فيما بينهم وأن أمراءهم والقضاة يحكمون بها على من فعل ذلك وربما بقي أسراء الروم في أيديهم فيطول مقامهم بينهم فيطلبون الخلاص بالموت فيجاهرون بشتم النبي -صلى الله عليه وسلم- فعند ذلك لا ينهون أن يقتلوا ، والغالب على بلاد الأندلس ونواحي المغرب رأي مالك) [٢] .

وعن أبي برزة [٣] -رضي الله عنه- قال : (مررتُ على أبي بكر وهو متغيظ على رجل من أصحابه فقلت : ياخليفة رسول الله ، من هذا الذي تغيظ عليه ؟ قال : ولم تسأل ؟ قلت : اضرب عنقه ، قال : فوالله لَأَذْهَبَ عِظَمُ كلمتي غضبه ، ثم قال : ما كانت لأحدٍ بعد محمد -صلى الله عليه وسلم-) [٤] .

---

(١) المشهور عند المالكية أن من سب الله تعالى أو النبي -صلى الله عليه وسلم- أو أحداً من الملائكة أو الأنبياء ، فإن كان مسلما قتل اتفاقا ، واختلف هل يستتاب أم لا ؟ فعلى القول بالاستتابة تسقط عنه العقوبة إذا تاب وفاقا لهما -يعني أبا حنيفة والشافعي- وعلى عدم الاستتابة وهو المشهور لا تسقط عنه بالتوبة كالحدود . قوانين الأحكام الشرعية لابن جزي (ص ٣٩٥) .

(٢) معالم السنن (٢/ ٢٨١ — ٢٨٢) .

(٣) صحابي مشهور ، اختلف في اسمه واسم أبيه ، وأصح ماقيل في ذلك أن اسمه نضلة بن عبيد ، وهو قول الإمام أحمد ويحي بن معين ، وقال غيرهما : نضلة بن عبد الله ، ويقال : نضلة بن عائذ ، وعبد الله بن نضلة ، وخالد بن نضلة .

قال ابن عبد البر : نزل البصرة وله بها دار ، وأتى خراسان فنزل مرو ، ومات بالبصرة بعد ولاية ابن زياد وقبل موت معاوية سنة ٦٠ ، وقيل بل مات سنة ٦٤ .

الاستيعاب (٤/ ١٦١٠) وأسد الغابة (٦/ ٣١—٣٣) والإصابة (٧/ ٣٨) .

(٤) أخرجه النسائي في سننه ، كتاب تحريم الدم باب ١٧ ح ٤٠٧٣ (٧/ ١٠٩)

قال الخطابي ـ رحمه الله ـ : (قلت : قد قيل في هذا الحديث ، إن الرجل سب أبا بكر [١] ، وروى من غير هذا الطريق أنه قال لأبي برزة : لو قلت ذلك لك أكنت تفعله ؟ فقال : نعم ، فقال : ما كان ذلك لأحد بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ [٢].

يريد : أن أحداً لا يلزم قوله ولا تجب طاعته في قتل مسلم إلا بعد أن يعلم أنه حق ، إلا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنه لا يأمر إلا بحق ولا يحكم بغير عدل .

وقد يتأول أيضا على أنه لا يجب القتل في سب أحد إلا في سب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ) [٣] . أهـ

ليس بخاف أن من قواطع الأحكام في الإسلام أن من سب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وشرّف وكرّم ـ فهو كافر مرتد ، عقوبته القتل وماله فيء ودمه هدر ، بل ذهب بعض أهل العلم [٤] إلى أن من شك في كفر مرتكب ذلك وعذابه فهو كافر .

وفيما تقدم نقله من نصوص وأقوال الإمام الخطابي في المسألة تظهر موافقته التامة الصريحة لما أجمعت عليه الأمة سلفا وخلفا ـ كما نقل ذلك عنهما ـ : من كون سبه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ارتدادا عن الدين لا يعلم أحدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله .

= = = كتاب الحدود باب ٢ ح ٤٣٦٣ (٤/ ٥٣٠ ـ ٥٣١) وقد صححه الألباني في صحيح سنن النسائي ح ٣٧٩٧ (٣/ ٨٥٤) وكذا ح (٣٧٩٥ ـ ٣٨٠١) وفي صحيح سنن أبي داود ح ٣٦٦٦ (٣/ ٨٢٤ ـ ٨٢٥) .

(١) وممن قاله ابن تيمية في الصارم (ص ٩٤) وابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٤٤٠) والسندي في حاشية سنن النسائي (٧/ ١٠٩) .

(٢) انظر الروايات الأخرى للحديث في المصادر المذكورة .

(٣) أعلام الحديث (٢/ ١٤١٨ ـ ١٤١٩) .

(٤) كمحمد بن سحنون المالكي ، وسيأتي نقل ذلك عنه قريباً .

والإجماع المذكور قد حكاه غير واحد من أئمة العلم وحملته ، وعَمِل بمقتضاه حكام المسلمين وقضاتهم في وقائع متعددة [(١)]

قال محمد بن سحنون [(٢)] : (أجمع العلماء أن شاتم النبي -صلى الله عليه وسلم- المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله له ، وحكمه عند الأمة القتل ، ومن شك في كفره وعذابه كفر) [(٣)].

وقال ابن المنذر : (وأجمعوا على أن على من سب النبي -صلى الله عليه وسلم- القتل) [(٤)].

وقال العلامة ابن القيم — وهو يتحدث عما تضمنته غزوة فتح مكة العظيم من الأمور — : (وفيها تعيين قتل الساب لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأن قتله حد لابد من استيفائه ، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يؤمن مقيس بن صبابة وابن خطل والجاريتين اللتين كانتا تغنيان بهجائه ، مع أن نساء الحرب لا يقتلن كما لا تقتل الذرية ، وقد أمر بقتل هاتين الجاريتين [(٥)] ، وأهدر دم أم ولد الأعمى لما قتلها سيدها لأجل سبها النبي -صلى الله عليه وسلم- [(٦)] ،

---

(١) انظر كتاب الشفا (٢/ ٢١٨) وما بعدها .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عبد السلام سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي القيرواني أحد أعلام المالكية وكبرائهم ، ووالده من الأئمة المشاهير ، ولد أبو عبد الله سنة ٢٠٢ وتوفي بالساحل سنة ٢٥٦ ونُقل إلى القيروان فدفن فيها .
ترتيب المدارك (٤/ ٢٠٤ — ٢٢١) والديباج المذهب (٢/ ١٦٩ — ١٧٣) وشجرة النور الزكية (ص ٧٠) .

(٣) كتاب الشفا (٢/ ٢١٥ — ٢١٦) .

(٤) الإجماع (ص ١٥٣) .

(٥) انظر خبر مقتل هؤلاء في دلائل النبوة للبيهقي (٥/ ٥٩ — ٦٤) ، والصارم المسلول (ص ١٢٦) وما بعدها ، وفتح الباري (٤/ ٦٠ — ٦١) .

(٦) تقدم تخريجه (ص ٤٣٩) .

وقتل كعب بن الأشرف اليهودي ، وقال : ﴿ من لكعب فإنه قد آذى الله ورسوله ﴾[١] ، وكان يسبه .

وهذا إجماع من الخلفاء الراشدين ولا يعلم لهم في الصحابة مخالف ، فإن الصديق ـ رضي الله عنه ـ قال لأبي برزة وقد هم بقتل من سبه : لم يكن هذا لأحد غير رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ[٢] ، ومر عمر ـ رضي الله عنه ـ براهب فقيل له : هذا يسب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فقال : لو سمعته لقتلته ، إنا لم نعطهم الذمة على أن يسبوا نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ.[٣]

ولا ريب أن المحاربة بسب نبينا أعظم أذيةً ونكايةً لنا من المحاربة باليد ومنع دينار جزية في السنة ، فكيف ينقض عهده ويقتل بذلك دون السب ، وأي نسبة لمفسدة منعه ديناراً في السنة إلى مفسدة منع مجاهرته بسب نبينا أقبح سب على رؤوس الأشهاد ، بل لا نسبة لمفسدة محاربته باليد إلى مفسدة محاربته بالسب ، فأولى ما انتقض به عهده وأمانه سب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ولا ينتقض عهده بشيء أعظم منه إلا سبه الخالق سبحانه ، فهذا محض القياس ومقتضى النصوص ، وإجماع الخلفاء الراشدين ـ رضي الله عنهم ـ ، وعلى هذه المسألة

---

(١) الحديث ـ وفيه خبر مقتل كعب ـ أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرهن باب ٣ ح ٢٥١٠ (الفتح ٥/١٤٢) وكذلك في الجهاد ح ٣٠٣١ و ٣٠٣٢ وفي المغازي ح ٤٠٣٧ ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد ح ١١٩ (٣/١٤٢٥ ـ ١٤٢٦) ، وأبو داود في سننه كتاب الجهاد باب ١٦٩ ح ٢٧٦٨ (٣/٢١١ ـ ٢١٢) جميعهم من حديث جابر ابن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٤٤٢-٤٤٣) .

(٣) بل هذا الأثر وجدته مروياً عن عبد الله بن عمر بنصه ، انظر أحكام أهل الملل للخلال ـ كتاب الحدود ـ باب فيمن شتم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ـ مخطوط ـ (ق ١٠٤ ل / أ و ب) والصارم المسلول (ص ٢٠٣) وأحكام أهل الذمة (٢/٧٩٦) .

أكثر من أربعين د ليلا) .[1]

(١) زاد المعاد (٣/ ٤٣٩ — ٤٤٠) .

ومن حكى الإجماع على هذه المسألة :

* الإمام إسحاق بن راهويه (ت ٢٣٨) ، ذكره عنه ابن تيمية في الصارم (ص ٣) .

* وأبوبكر الفارسي أحد أئمة الشافعية ، ذكره عنه ابن تيمية في الصارم (ص ٣) وابن حجر في الفتح (١٢/ ٢٨١) .

* والقاضي عياض (ت ٥٤٤) ذكره في كتابه الشفا (٢/ ٢١٤) .

* والتقي السبكي (ت ٧٥٦) ذكره في فتاويه (٢/ ٢١٤) .

قال الشيخ ابن تيمية في الصارم (ص ٣) : (وهذا الإجماع محمول على إجماع الصدر الأول من الصحابة والتابعين أو أنه إجماعهم على أن ساب النبي صلى الله عليه وسلم يجب قتله إذا كان مسلما) . انتهى مع شيء يسير من الاختصار .

والحق أن هذا الحكم عام في المسلم وغيره بمقتضى نصوص عدة وآثار جمة تفيد هذا وتقطع به قد ذكرها ابن تيمية في كتابه المذكور وكذا العلامة ابن القيم في أحكام أهل الذمة (٢/ ٧٩٥) وما بعدها ، ورجحا القول في ذلك بما لا تحتاج معه لزيادة.

المبحث الرابع
الإيمان بالقرآن الكريم

تحدث الإمام الخطابي ـ رحمه الله ـ عن معنى " النصيحة للكتاب "[1] فقال :
(وأما النصيحة لكتابه ـ يعني كتاب الله المجيد ـ فمعناه الإيمان به ، وبأنه كلام الله ووحيه وتنزيله ، وأنه لا يشبه شيئا من كلام المربوبين ، ولا يقدر على مثله أحد من المخلوقين ، وإقامة حروفه في التلاوة ، وتحسينه عند القراءة ، والذب عنه في تأويل المحرفين له وطعن الطاعنين عليه ، والتصديق بوعده ووعيده ، والاعتبار بمواعظه ، والتفكر في عجائبه ، والعلم بفرائضه وسننه وآدابه ، والعمل بمحكمه ، والتسليم لمتشابهه ، والتفقه في علومه ، والتبين لمواضع المراد من خاصه وعامه ، وناسخه وسائر وجوهه)[2] .
وقال في موضع آخر ـ مفسرا أيضا النصيحة لكتاب الله ـ : (الإيمان والعمل بما فيه)[3] .

---

(١) وهو فيما ثبت من قوله عليه الصلاة والسلام : « الدين النصيحة » قلنا لمن ؟ قال : « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ». أخرجه مسلم في صحيحه من حديث تميم الداري ـ رضي الله عنه ـ كتاب الإيمان ح ١٩٥ (١/ ٧٤) وأبو داود في سننه كتاب الأدب باب ٦٧ ح ٤٩٤٤ (٥/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤) والنسائي في سننه كتاب البيعة باب ٣١ ح ٤١٩٧ ـ ٤١٩٨ (٧/ ١٥٦ ـ ١٥٧) .
وفي الباب عن أبي هريرة وابن عمر وجرير وحكيم بن أبي يزيد عن أبيه وثوبان .
انظر سنن الترمذي مع شرحها تحفة الأحوذي (٦/ ٥٢ ـ ٥٣) .

(٢) أعلام الحديث (١/ ١٩١ ـ ١٩٢) .

(٣) معالم السنن (٤/ ١٢٦) .

ويقول شارحا قوله عليه الصلاة والسلام : « أعوذ بكلمات الله التامات »[١] : (فإن كلمته القرآن ، وصفه بالتمام تنزيها له عن أن يلحقه نقص أو عيب ، كما يوجد ذلك في كلام الآدميين) .[٢] اهـ

من أصول الإيمان وأركانه التي ينبني عليها إيمان العبد وصحة إسلامه — ولا يتم له ذلك إلا به — إيمانه بالكتب السماوية المنزلة على أنبياء الله ورسله — عليهم الصلاة والسلام — ، ووجوب التصديق بها — جميعها — جملة وتفصيلا باعتبار أنها وحي من الخالق جل وعلا لهؤلاء الصفوة والقدوة من الخلق .

وقد دلت نصوص كثيرة مستفيضة من الكتاب والسنة على هذا الأصل وانعقد عليه إجماع الأمة سلفا وخلفا ورضي بذلك المؤمنون . فقد قال جل شأنه : ((ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملئكة والكتب[٣] والنبيين))[٤] . وقال :

---

(١) هذا النص النبوي ورد من حديث خولة بنت حكيم السلمية — رضى الله عنها — قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من نزل منزلا ثم قال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك » .
أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء ح ٥٤ و ٥٥ (٤/٢٠٨٠-٢٠٨١) ، والترمذي في سننه ، كتاب الدعوات باب ٤١ ح ٣٤٣٧ (٥/٤٩٦) وأحمد في المسند (٦/٣٧٧) .

(٢) غريب الحديث (١/٢٥٢) .

(٣) قال العكبرى في التبيان (١/١٤٤) عند هذه الآية : (والكتاب : هنا مفرد اللفظ ، فيجوز أن يكون جنسا ، ويقوى ذلك أنه في الأصل مصدر . ويجوز أن يكون اكتفى بالواحد عن الجمع وهو يريده . ويجوز أن يراد به القرآن ، لأن من آمن به فقد آمن بكل الكتب ، لأنه شاهد لها بالصدق) .

(٤) سورة البقرة بعض آية (١٧٧) .

((آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون . كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله))[١] .

قال شارح الطحاوية : (فجعل الله سبحانه وتعالى الإيمان هو الإيمان بهذه الجملة وسمى من آمن بهذه الجملة مؤمنين ، كما جعل الكافرين من كفر بهذه الجملة بقوله : ((ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا))[٢])[٣] .

والآيات القرآنية الكريمة الدالة على هذا الركن كثيرة جدا .

وأما من السنة النبوية فحديث جبريل عليه السلام ـ حين سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الإيمان ، فقال له : « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره »[٤] .

وإني لم أجد لأبي سليمان الخطابي في هذا الموضوع ـ فيما قرأت من كتبه واطلعت عليه من أقواله ـ غير ما نقلته عنه سابقا من التحدث عن القرآن الكريم ووجوب الإيمان والعمل بما فيه وما ينبغي على المرء المؤمن نحوه . ولا زم هذا كله الإيمان والتصديق بكتب الله تعالى الأخرى المنزلة على من اصطفاه من عباده ، ولعل هذا هو السبب في عدم ذكره لها ، أو أنه لم تأت مناسبة مواتية للحديث عنها .

فقد قال تعالى في وصف المؤمنين المتقين مادحا لهم : ((الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون))[٥] .

---

(١) سورة البقرة بعض آية (٢٨٥) .

(٢) سورة النساء بعض آية (١٣٦) .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٢/٤٠١) .

(٤) تقدم تخريجه (ص ٣٤٨) .

(٥) سورة البقرة آية (١ ـ ٤) .

وقال سبحانه : ((قولوا ءامنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسمٰعيل وإسحٰق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)) .(١)

وقال : ((يأيها الذين ءامنوا ءامنوا بالله ورسوله والكتٰب الذي نزل على رسوله والكتٰب الذى أنزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملٰئكته وكتبه ورُسُله واليوم الآخر فقد ضل ضلٰلا بعيدا)) .(٢)

وقال : ((وقل ءامنت بما أنزل الله من كتٰب)) .(٣)

قال الطحاوى في عقيدته : (ونؤمن بالملائكة والنبيين ، والكتب المنزلة على المرسلين ، ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين) .(٤)

قال الشارح ابن أبي العز : (وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين ، فنؤمن بما سمى الله تعالى منها في كتابه ، من التوراة والإنجيل والزبور ، ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتبا أنزلها على أنبيائه ، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى) .(٥)

---

(١) سورة البقرة آية (١٣٦) .

(٢) سورة النساء آية (١٣٦) .

(٣) سورة الشورى بعض آية (١٥) .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٤٠١) .

(٥) المصدر السابق (٢/ ٤٢٤ — ٤٢٥) .

وراجع المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١/ ٣١٧ — ٣٢٥) ومعارج القبول (٢/ ٩١ — ٩٥) .

الفصل الثالث
الإيمان بالقضاء والقدر

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف القضاء والقدر لغة واصطلاحا .

المبحث الثاني : وجوب الإيمان بالقضاء والقدر والتسليم لذلك .

المبحث الثالث : القضاء والقدر ولزوم اتخاذ الأسباب .

المبحث الرابع : سقوط القول في الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي .

الفصـل الثالـث
الإيمـان بالقضـاء والقـدر

المبحث الأول
تعريف القضاء والقدر لغة واصطلاحا

أ ـ تعريف القضاء لغة :

قال الجوهرى : (القضاء : الحكم ، وأصله قضاى لأنه من قضيت ، إلا أن اليـاء لما جاءت بعد الألف همزت ، والجمع أقضية . والقضية مثله ، والجمع قضايا علـى فعالى ، وأصله فعائل .

وقضى : أى حكم ، ومنه قوله تعالى : ((وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه)) (١).

وقد يكون بمعنى الفراغ ، تقول : قضيت حاجتي ، وضربه فقضى عليه ، أى قتله ، كأنه فرغ منه .

وسم قاض : أى قاتل .

وقضى نحبه قضاء : أي مات .

وقد يكون بمعنى الأداء والإنهاء ، تقول : قضيت دينى ، ومنه قوله تعالـى : ((وقضينا إلى بنى إسراءيل في الكتـٰب)) (٢) ، وقوله تعالى : ((وقضينا إليـه ذٰلك الأمر)) (٣) ، أي أنهيناه إليه وأبلغناه ذلك .

وقال الفراء في قوله تعالى : ((ثم اقضوا إلي)) (٤) ، يعنى امضوا إلي ، كما يقال : قضى فلان أي مات ومضى .

وقد يكون بمعنى الصنع والتقدير ، قال أبو ذؤيب :

وعليهما مسرودتان قضاهما * داود أو صنع السوابغ تبع (٥)

---

(١) سورة الإسراء بعض آية (٢٣) .

(٢) سورة الإسراء بعض آية (٤) .

(٣) سورة الحجر بعض آية (٦٦) .

(٤) سورة يونس بعض آية (٧١) .

(٥) انظر شرح أشعار الهذليين (١/ ٣٩) .

يقال : قضاه أي صنعه وقدره ، ومنه قوله تعالى : ((فقضاهن سبع سموات في يومين)) [١] .

ومنه القضاء والقدر) [٢] .

وقال الراغب الأصفهاني : (القضاء فصل الأمر قولا كان ذلك أو فعلا ، وكل واحد منهما على وجهين : إلهي وبشري ، فمن القول الأول الإلهي قوله : ((وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه)) [٣] ، أي أمر بذلك . وقال : ((وقضينا إلى بني إسراءيل في الكتاب)) [٤] ، فهذا قضاء بالإعلام والفصل في الحكم ، أي أعلمناهم وأوحينا إليهم وحيا جزما ، وعلى هذا ((وقضينا إليه ذالك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين)) [٥] .

ومن الفعل الإلهي قوله : ((والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء)) [٦] ، وقوله : ((فقضاهن سبع سموات في يومين)) [٧] ، إشارة إلى إيجاده الإبداعي والفراغ منه ، نحو : ((بديع السموات والأرض)) [٨] ، وقوله : ((ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم)) [٩] ، أي فصل .

ومن القول البشري : نحو قضى الحاكم بكذا ، فإن حكم الحاكم يكون بالقول .

ومن الفعل البشري : ((فإذا قضيتم مناسككم)) [١٠] ،

---

(١) سورة فصلت بعض آية (١٢) .

(٢) الصحاح (٦/ ٢٤٦٣ — ٢٤٦٤) .

(٣) سورة الإسراء بعض آية (٢٣) .

(٤) سورة الإسراء بعض آية (٤) .

(٥) سورة الحجر آية (٦٦) .

(٦) سورة غافر بعض آية (٢٠) .

(٧) سورة فصلت بعض آية (١٢) .

(٨) سورة البقرة بعض آية (١١٧) .

(٩) سورة الشورى بعض آية (١٤) .

(١٠) سورة البقرة بعض آية (٢٠٠) .

((ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم))[١] ، وقال تعالى : ((قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي))[٢] ، وقال : ((فلما قضى زيد منها وطرا))[٣] وقال : ((ثم اقضوا إلي ولا تنظرون))[٤] ، أي افرغوا من أمركم ، وقوله : ((فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحيوٰة الدنيا))[٥] .

وقول الشاعر[٦] :

قضيت أمورا ثم غادرت بعدها[٧]

يحتمل القضاء بالقول والفعل جميعا)[٨] .

ب ــ تعريف القدر لغة :

قال الخطابي : (القدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر ،كما أن الهدم والقبض والنشر أسماء لما صدر عن فعل الهادم والقابض والناشر ، يقال : قدرت الشئ وقدرت ــ خفيفة وثقيلة ــ بمعنى واحد)[٩] .

وقال الجوهري : (قدر الشئ مبلغه ،وقدر الله وقدره بمعنى ، وهو في الأصل

---

(١) سورة الحج بعض آية (٢٩) .

(٢) سورة القصص بعض آية (٢٨) .

(٣) سورة الأحزاب بعض آية (٣٧) .

(٤) سورة يونس بعض آية (٧١) .

(٥) سورة طه بعض آية (٧٢) .

(٦) هو الشماخ بن ضرار الذبياني .

(٧) ديوانه (ص ٤٤٩) ، وانظر الحماسة لأبي تمام (١/ ٥٤٠) .
وهو صدر بيت ، وعجزه :

بوائج في أكمامها لم تفتق

والبيت من قصيدة في رثاء عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ مطلعها :
جزى الله خيرا من أمير وباركت * يد الله في ذاك الأديم الممزق

(٨) المفردات (ص ٤٠٦) .

(٩) معالم السنن (٤/ ٣٢٢) .

مصدر . وقال الله تعالى : ((ما قدروا الله حق قدره)) [١] ، أى ما عظموا الله حق تعظيمه .

والقدر والقدر أيضا ما يقدره الله عز وجل من القضاء .

وأنشد الأخفش :

ألا يالقومي للنوائب والقدر * وللأمر يأتي المرء من حيث لا يدرى [٢]

ويقال : مالي عليه مقدرة ومقدرة ومقدرة : أى قدرة ، ومنه قولهم : المقدرة تذهب الحفيظة [٣] .

وقدرت الشيء أقدره وأقدره قدرا من التقدير ، وفي الحديث : « إذا غم عليكم الهلال فاقدروا له » [٤] ، أى أتموا ثلاثين .

قال الشاعر :

كلا ثقلينا طامع في غنيمة * وقد قدر الرحمن ماهو قادر [٥]

أي مقدر) [٦] .

---

(١) سورة الحج بعض آية (٧٤) .

(٢) البيت أنشده الأخفش لهدبة بن خشرم ، وقد أورده ابن منظور في اللسان مادة (قدر) (٥/ ٧٤) .

(٣) انظر مجمع الأمثال (١/ ١٤) .

(٤) هو قطعة من حديث ابن عمر — رضى الله عنهما — أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذكر رمضان فقال : « لا تصوموا حتى تروا الهلال ، ولا تفطروا حتى تروه ، فإن غم عليكم فاقدروا له » .
أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصوم باب ١١ ح ١٩٠٦ (الفتح ٤/ ١١٩) وكذا في مواطن أخرى متفرقة ، ومسلم في صحيحه كتاب الصيام ح ٣ وما بعده (٢/ ٢٥٩) .

(٥) البيت لإياس بن مالك بن عبد الله المعنى ، وقد أورده ابن منظور في اللسان مادة (قدر) (٥/ ٧٨) .

(٦) الصحاح (٢/ ٧٨٦ — ٧٨٧) وانظر تهذيب اللغة (٩/ ١٨ — ١٩) ولسان العرب (٥/ ٧٤ — ٨٠) .

ج ـ تعريف القضاء والقدر اصطلاحا :

قال الإمام الخطابي ـ رحمه الله ـ : (وجماع القول في هذا الباب أنهما أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر ، لأن أحدهما بمنزلة الأساس والآخر بمنزلة البناء ، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه) . اهـ[(١)]

قلت : قد اختلفت عبارات أهل العلم ـ رحمهم الله تعالى ـ في تعريفهم الاصطلاحي للقضاء والقدر ، فقال سعيد بن المسيب : (ماقدَّر الله فهو قدر)[(٢)]

وقال الإمام أحمد : (القدر قدرة الله على العباد)[(٣)] .

وقال الراغب الأصفهاني : (والقضاء من الله تعالى أخص من القدر لأنه الفصل بين التقدير ، فالقدر هو التقدير ، والقضاء هو الفصل والقطع ، وقد ذكر بعض العلماء أن القدر بمنزلة المُعَد للكيل ، والقضاء بمنزلة الكيل ، وهذا كما قال أبو عبيدة لعمر ـ رضى الله عنهما ـ لما أراد الفرار من الطاعون بالشام : أتفر من القضاء ؟ قال : أفر من قدر الله إلى قدر الله .[(٤)]

---

(١) معالم السنن (٤/٣٢٣) .

(٢) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة (٢/٤٠٦) ، وإسناده صحيح .

(٣) مسائل الإمام أحمد لابن هانيء (٢/١٥٥) .

وقد قال ابن القيم عن هذا التعريف : (واستحسن ابن عقيل هذا الكلام جدا وقال : هذا يدل على دقة علم أحمد وتبحره في معرفة أصول الدين ، وهو كما قال أبو الوفاء ، فإن إنكار القدر إنكار لقدرة الرب على خلق أعمال العباد وكتابها وتقديرها ، وسلف القدرية كانوا ينكرون علمه بها ، وهم الذين اتفق سلف الأمة على تكفيرهم) .

شفاء العليل (ص ٥٩ ـ ٦٠) .

(٤) هو جزء من حديث طويل عن عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الطب باب ٣٠ ح ٥٧٢٩ (الفتح ١٠/١٧٩) ومسلم في صحيحه كتاب السلام ح ٩٨ (٤/١٧٤٠ ـ ١٧٤١) ومالك في موطئه كتاب الجامع باب ٧ ح ٢٢ (٢/٨٩٤ ـ ٨٩٦) .

تنبيها أن القدر مالم يكن قضاء فمرجو أن يدفعه الله ، فإذا قضى فلا مدفع له ، ويشهد لذلك قوله : ((وكان أمرا مقضيا))[١] ، وقوله : ((كان على ربك حتما مقضيا))[٢] ، ((وقضى الأمر))[٣] ، أي فصل ، تنبيها أنه صار بحيث لا يمكن تلافيه ..)[٤] .

وقال النووي : (واعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر ، ومعناه أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وعلى صفات مخصوصة ، فهي تقع على حسب ماقدرها سبحانه وتعالى)[٥] .

وقال الجرجاني[٦] : (القدر خروج الممكنات من العدم إلى الوجود واحداً بعد واحد مطابقا للقضاء ، والقضاء في الأزل والقدر فيما لا يزال ، والفرق بين القدر والقضاء هو أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها .

والقضاء في الاصطلاح : عبارة عن الحكم الكلي الإلهي في أعيان الموجودات على ماهي عليه من الأحوال الجارية في الأزل إلى الأبد)[٧] .

---

(١) سورة مريم بعض آية (٢١) .

(٢) سورة مريم بعض آية (٧١) .

(٣) سورة البقرة بعض آية (٢١٠) وفي هود بعض آية (٤٤) .

(٤) المفردات (ص ٤٠٦-٤٠٧) .

(٥) شرح صحيح مسلم (١/١٥٤) .

(٦) هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الحنفي المعروف بالشريف الجرجاني ، فيلسوف ومن كبار العلماء في العربية ولد بجرجان سنة ٧٤٠ ومات بشيراز سنة ٨١٦ .
بغية الوعاة (٢/١٩٦ - ١٩٧) ومفتاح السعادة (١/١٩٢ - ١٩٣) والبدر الطالع (١/٤٨٨ - ٤٩٠) .

(٧) التعريفات (ص ١٧٤ و ١٧٧) .

ونقل الحافظ ابن حجر عن بعض أهل العلم (أن القضاء : الحكم بالكليات على سبيل الإجمال فى الأزل ، والقدر : الحكم بوقوع الجزئيات التي لتلك الكليات على سبيل التفصيل)(١) .

وبعد تمام هذه النقول ومقارنتها بما ذكره الخطابي ـ رحمه الله ـ تبين أن قوله سديد إن شاء الله ، لوضوح عبارته ودقة مدلوله ، ولهذا اعتمده غير واحد من العلماء واستحسنه واعتبره ملخصا مفيدا لما قيل في هذه المسألة . وبالله وحده التوفيق .

---

(١) فتح البارى (١١/١٤٩) .
وراجع : الحجة في بيان المحجة (٢/٣٠ ـ ٣١) والعقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز (١/٣٢٠) وفتح البارى (١/١١٨) و (١١/٤٧٧) ولوامع الأنوار البهية (١/٣٤٥) .

المبحث الثاني
وجوب الإيمان بالقضاء والقدر والتسليم لذلك

قال الخطابي ــ رحمه الله ــ عند شرحه لقوله عليه الصلاة والسلام : ﴿إذا سمعتم به[١] بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه﴾[٢]

(قلت : في قوله : " لا تقدموا عليه " إثبات الحذر والنهي عن التعرض للتلف ، وفي قوله : " لا تخرجوا فرارا منه " إثبات التوكل والتسليم لأمر الله وقضائه ، فأحد الأمرين تأدب وتعليم ، والآخر تفويض وتسليم)[٣] .

ويقول ــ في شرح حديث عمران بن حصين ــ رضي الله عنه ــ : (نهى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الكي ، فاكتوينا فما أفلحن ولا أنجحن)[٤] ــ :

(.. وأما حديث عمران بن حصين في النهي عن الكي فقد يحتمل وجوها : أحدها أن يكون من أجل أنهم كانوا يعظمون أمره ويقولون : آخر الدواء الكي[٥] ويرون أنه يحسم الداء ويبرئه ، وإذا لم يفعل ذلك عطب صاحبه وهلك ، فنهاهم عن ذلك إذا كان على هذا الوجه ، وأباح لهم استعماله على معنى التوكل على الله سبحانه وطلب الشفاء والترجي للبرء بما يحدث الله ـ عز وجل ـ من صنعه فيه ويجلبه من الشفاء على أثره ، فيكون الكي والدواء سببا لا علة ،

---

(١) يعني الطاعون .

(٢) تقدم تخريجه (ص : ٣١١) .

(٣) معالم السنن (١/ ٢٩٩) .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الطب باب ٧ ح ٣٨٦٥ (٤/ ١٩٧ ــ ٢٠٠) والترمذي في سننه كتاب الطب باب ١٠ ح ٢٠٤٩ (٤/ ٣٨٩) وقال : هذا حديث حسن صحيح وابن ماجه في سننه ، كتاب الطب باب ٢٣ ح ٣٤٩٠ (٢/ ١١٥٥) وأحمد في مسنده (٤/ ٤٢٧) .

(٥) وهو من الأمثال العربية المشهورة .

وهذا أمر قد تكثر فيه شكوك الناس وتخطئ فيه ظنونهم وأوهامهم ، فما أكثر ما تسمعهم يقولون : لوأقام فلان بأرضه وبلده لم يهلك ، ولو شرب الدواء لم يسقم ، ونحو ذلك من تجريد إضافة الأمور إلى الأسباب وتعليق الحوادث بها دون تسليط القضاء عليها وتغليب المقادير فيها ، فتكون الأسباب أمارات لتلك الكوائن لا موجباتٍ لها . وقد بين الله جل جلاله ذلك في كتابه حيث قال : ((أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة)) [١] ، وقال تعالى حكاية عن الكفار : ((وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم ، والله يحي ويميت ، والله بما تعملون بصير)) [٢] .

وسلك الحكماء في هذا طريق الصواب وقيدوا كلامهم في مثله .

قال أبو ذؤيب يذكر ابنا له هلك يدعى نبيشة :

يقولون لي لو كان بالرمل لم يمت * نبيشة ، والكهان يكذب قيلها
ولو أنني استودعته الشمس لارتقت * إليه المنايا عينها ورسولها [٣]

يريد الكهان الأطباء ، والعرب تدعوا الأطباء كهانا ، وكل من يتعاطى علما مغيبا فهو عندهم كاهن .

وقال رؤبة [٤] في كلمة له : ولو توقى لوقاه الواقي .

---

(١) سورة النساء بعض آية (٧٨) .

(٢) سورة آل عمران بعض آية (١٥٦) .

(٣) انظر شرح أشعار الهذليين (١ / ١٧٤) وفيه (نشيبة) بدل (نبيشة)

(٤) هو أبو الجحلف ، ويقال أبو الشعثاء رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة ابن لبيد بن صخر التميمي السعدى . من الفصحاء البلغاء ، وكان رأسا في اللغة والشعر والرجز ، مات سنة ١٤٥ .
وفيات الأعيان (٢ / ٣٠٣ — ٣٠٥) وسير أعلام النبلاء (٦ / ١٦٢) ، وخزانة الأدب (١ / ٨٩ — ٩٣) .

ثم خشي أن يكون قد فوض فتداركه فقال على اثره :

وكيف يوقى ما الملاقي لاقي ؟ [(١)]

ومثل هذا في كلامهم كثير) [(٢)] .

وعن أم المؤمنين عائشة — رضى الله عنها — قالت : (فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش ، فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول : « اللهم أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ») [(٣)] .

قال الخطابي : (قلت : في هذا الكلام معنى لطيف ، وهو أنه قد استعاذ بالله وسأله أن يجيره برضاه من سخطه ، وبمعافاته من عقوبته . والرضا والسخط ضدان متقابلان ، وكذلك المعافاة والمؤاخذة بالعقوبة ، فلما صار إلى ذكر مالا ضد له وهو الله سبحانه استعاذ به منه لا غير ، ومعنى ذلك الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه . وقوله : (« لا أحصي ثناء عليك » أي لا أطيقه ولا أبلغه ، وفيه إضافة الخير والشر إليه سبحانه) [(٤)] .

---

(١) لم أجده في ديوانه ولا فيما رجعت إليه مما هو بين يدي من الكتب الأدبية .

(٢) معالم السنن (٤/ ٢١٨ — ٢١٩) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ح ٢٢٢ (١/ ٣٥٢) وأبو داود في سننه ، كتاب الصلاة باب ١٥٢ ح ٨٧٩ (١/ ٥٤٧) ، والنسائي في سننه كتاب التطبيق باب ٧١ ح ١١٣٠ (٢/ ٢٢٢ — ٢٢٣) وابن ماجه في سننه كتاب الدعاء باب ٣ ح ٣٨٤١ (٢/ ١٢٦٣) وأحمد في مسنده ٦/ ٥٨ و ٢٠١ .

وأخرجه — أيضا — أبو داود في الصلاة ح ١٤٢٧ والنسائي في قيام الليل ح ١٧٤٧ والترمذي في الدعوات ح ٣٥٦٦ وابن ماجه في إقامة الصلاة ح ١١٧٩ والحاكم في المستدرك (١/ ٣٠٦) وصححه ، ووافقه الذهبي . جميعهم من حديث علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — .

(٤) معالم السنن (١/ ٢١٤) .

وقال – عند شرحه لحديث ابن مسعود – رضي الله عنه – : «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ...» الحديث[1] : (وفي الحديث بيان أن ظاهر الأعمال من الحسنات والسيئات أمارات وليس بموجبات وأن مصير الأمور في العاقبة إلى ماسبق به القضاء وجرى به القدر في التأدية)[2] .

وفي موضع آخر يقول : (والله سبحانه خالق الخير والشر ، لا يكون شيء منهما إلا بمشيئته ، وخلقه الشر شرا في الحكمة كخلقه الخير خيرا ، فالأمران معا مضافان إليه خلقا وإيجادا ، وإلى الفاعلين لهما من عباده فعلا واكتسابا)[3] .

وقال أيضا : (.. ولم يزل من سنة الله في خلقه أن يختلف أمر بلاده في الجدب والخصب ، وأحوال عباده في الجِدّة والعسر ، فمرفه له ومقتر عليه ، أمر قد جرت به المقادير ، فلا مرد له ولا اعتراض عليه)[4] . اهـ

يمثل الإيمان بقضاء الله تعالى وقدره أصلا عظيما من أصول الدين ، فهو أحد الأركان الستة التي يدور عليها فلك الإيمان ورحاه ، بحيث لا يتم ولا يتحقق إيمان العبد إلا بها كاملة مجتمعة ، وهي المنصوص عليها في حديث

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الخلق باب ٦ ح ٣٢٠٨ (الفتح ٦/٣٠٣) وفي الأنبياء ح ٣٣٣٢ وفي القدر ح ٦٥٩٤ وفي التوحيد ح ٧٤٥٤ ، ومسلم في صحيحه كتاب القدر ح ١ (٤/٢٠٣٦) وأبو داود في سننه كتاب السنة باب ١٧ ح ٤٧٠٨ (٥/٨٢ – ٨٣) والترمذي في سننه كتاب القدر باب ٤ ح ٢١٣٧ (٤/٤٤٦) وابن ماجه في سننه المقدمة باب ١٠ ح ٧٦ (١/٢٩) وأحمد في مسنده (١/٣٨٢ و ٤١٤ و ٤٣٠) .

(٢) أعلام الحديث (٢/١٤٨٣) .

(٣) معالم السنن (٤/٣١٧) .

(٤) غريب الحديث (١/٤٢٨) .

جبريل - عليه السلام - وفيه عن الإيمان : «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» . (١)

وفيما ذكره أبو سليمان - رحمه الله - وأبانه عن هذا الركن الإيماني العظيم الهام تظهر موافقته التامة لما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، ولما تواتر عن سلف الأمة وأئمتها من وجوب الإيمان بالقضاء والقدر وتسليم الأمر فيهما للمولى سبحانه، إذ قال - جل وعلا - : ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولٰنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ (٢) . وقال : ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتٰب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير﴾ (٣) .

إلى غير هذين النصين من الآي القرآني الكريم المبارك الدال على هذا المعنى .

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان)) (٤) .

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٣٤٨) .

(٢) سورة التوبة آية (٥١) .

(٣) سورة الحديد آية (٢٢) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب القدر ح ٣٤ (٢٠٥٢/٤) وابن ماجه في سننه، المقدمة باب ١٠ ح ٧٩ (٣١/١) وفي الزهد باب ١٤ ح : ٤١٦٨ (١٣٩٥/٢) وأحمد في مسنده (٣٦٦/٢ و ٣٧٠) .
وابن أبي عاصم في السنة ح ٣٥٦ (ص ١٥٧) . جميعهم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - .

وقال : ((لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه)) [١].

إلى غير هذين الحديثين من أحاديث أخرى كثيرة جدا واردة في هذا المقام [٢].

ولقد آمن السلف الصالح بهذه النصوص المحكمة البينة ، فأقروا بها وأذعنوا لها وسلموا الأمر فيها ، فاطمأنت بذلك نفوسهم وسكنت أفئدتهم وثلجت صدورهم ، لعلمهم واعتقادهم أن ما شاءه المولى تعالى كان ، وما لم يشأه لم يكن ، إذ الكل يجري بقضائه وقدره وتحت تصرفه وإرادته ، لا مبدل لكلماته ولا راد لحكمه .

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب القدر باب ١٠ ح ٢١٤٤ (٤/٤٥١) من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - وقال : (هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن ميمون ، وعبد الله بن ميمون منكر الحديث) .
وقد أخرجه الإمام أحمد في المسند بتحقيق أحمد شاكر) ح ٣٧٠٣ (١٠/١٧٥-١٧٦) وح ٦٩٨٥ (١١/١٧٢) من حديث عبد الله ابن عمرو ومن حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . وصحح الشيخ أحمد شاكر إسناديهما في الموضعين ، وكذا صحح الحديث الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ح ٢٤٣٩ (٥/٥٦٦) وساق له في ذلك عشرة أحاديث أخرى صحيحة عن جمع من الصحابة .

(٢) أوسع من رأيته جمع النصوص والآثار في هذا الباب الإمام الحافظ اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣/٥٣٤-٥٧٤) و (٤/٥٧٧) وما بعدها وأحسن من أوسعه بحثاً وبياناً وافياً العلامة ابن القيم في كتابه شفاء العليل .

قال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في قول الله سبحانه : ((ومن يؤمن بالله يهد قلبه)) [١] ـ : (هو الذي إذا أصابته مصيبة رضي بها وعرف أنها من الله) [٢] .

وسئل الإمام الشافعي عن القدر فأنشأ يقول :

فما شئت كان وإن لم أشأ * وما شئت إن لم تشأ لم يكن

خلقت العباد على ما علمت * ففي العلم يجري الفتى والمسن

على ذا مننت وهذا خذلت * وهذا أعنت وذا لم تعن

فمنهم شقي ومنهم سعيد * ومنهم قبيح ومنهم حسن [٣]

---

(١) سورة التغابن بعض آية (١١) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه معلقا ، كتاب التفسير (سورة التغابن) (الفتح ٨/ ٦٥٢) .

قال الحافظ ابن حجر عنده : (أي يهتدي إلى التسليم فيصبر ويشكر ، وهذا التعليق وصله عبد الرزاق عن ابن عيينة عن الأعمش عن أبي ظبيان عن علقمة مثله ، لكن لم يذكر ابن مسعود ، وكذا أخرجه الفريابي عن الثوري وعبد بن حميد عن عمر بن سعد عن الثوري عن الأعمش ، والطبري من طريق عن الأعمش ، نعم أخرجه البرقاني من وجه آخر فقال (عن علقمة قال : شهدنا عنده ـ يعني عند عبد الله ـ عرض المصاحف فأتى على هذه الآية ((ومن يؤمن بالله يهد قلبه)) قال : هي المصيبات تصيب الرجل فيعلم أنها من عند الله فيسلم ويرضى) .

وعند الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : (المعنى يهدي قلبه اليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه) .

(٣) الأبيات أوردها البيهقي ـ بسنده ـ في الاعتقاد (ص ١٦٢) ، ومن طريقه ساقها التاج السبكي في الطبقات (١/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥) وذكرها ابن كثير في البداية والنهاية (١٠/ ٢٦٥) والقرطبي في التذكرة (ص ٤٥) وزاد بيتا في آخرها ، وهو :

ومنهم غني ومنهم فقير * وكل بأعماله مرتهن

وحضر رجل عند الإمام أحمد يسأله ، فجعل الرجل يقول : يا أبا عبد الله ، رأس الأمر وإجماعُ المسلمين على أن الإيمان بالقدر خيره وشره ، حلوه ومره والتسليم لأمره ، والرضا بقضائه ؟ فقال أبو عبد الله : نعم (١).

وقال أبو بكر الإسماعيلي — محدداً أصول اعتقاد أئمة الحديث — : (ويقولون ما يقوله المسلمون بأسرهم : ماشاء الله كان ومالا يشاء لا يكون ، كما قال تعالى : ((وما تشاءون إلا أن يشاء الله)) (٢)) (٣).

وقال ابن بطة — بعد كلام له معدداً فيه ما يجب اعتقاده — : (ثم من بعد ذلك الإيمان بالقدر ، خيره وشره ، وحلوه ومره ، وقليله وكثيره ، مقدور واقع من الله عز وجل على العباد في الوقت الذي أراد أن يقع ، لا يتقدم الوقت ولا يتأخر على ما سبق بذلك علم الله ، وأن ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وما تقدم لم يكن ليتأخر ، وما تأخر لم يكن ليتقدم . وفي هذا من صحة الدلائل وثبوت الحجة في جميع القرآن وأخبار المصطفى -صلى الله عليه وسلم- مالا يمكن رفعه ، ولا يقدر على رده إلا بالافتراء على الله عز وجل ومنازعته في قدره.

---

(١) مسائل الإمام أحمد لابن هانئ (٢/١٥٦).

(٢) سورة التكوير بعض آية (٢٩).

(٣) اعتقاد أئمة الحديث (ص ٥٧).
وانظر عقيدة السلف للصابوني (ص ٨١ — ٨٢).

وإلى ما وصفناه دعت الرسل وأنزلت الكتب ، وعليه اتفق أهل التوحيد ممن أقر لله بالربوبية وعلى نفسه بالعبودية من ملك مقرب ونبي مرسل منذ كان الخلق إلى انقضائه مجمعون على أنه ليس شيء كان ولا شيء يكون في السموات ولا في الأرض إلا ما أراده الله عز وجل وشاءه وقضاه ، والخلق كلهم أضعف في قوتهم وأعجز في أنفسهم من أن يحدثوا بسلطان الله عز وجل شيئا يخالفون فيه مراده ويغلبون مشيئته ويردون قضاءه .

فالإيمان بهذا حق لازم فريضة من الله عز وجل على خلقه ، فمن خالف ذلك أو خرج عنه أو طعن فيه ولم يثبت المقادير لله عز وجل ويضفها ويضف المشيئة إليه فهو أول الزندقة ، لأنه جاءت الأخبار أن القدر أبو جاد الزندقة .)[1][2]

وقال ابن أبي زمنين : (ومن قول أهل السنة أن المقادير كلها خيرها وشرها ، حلوها ومرها من الله عز وجل ، فإنه خلق الخلق وقد علم ما يعملون وما إليه يصيرون ، فلا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع) .[3]

وقال ابن عبد البر : (قال الله عز وجل : ((إنا كل شيء خلقناه بقدر))[4] ، وقال : ((وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين))[5] . فليس لأحد

---

(١) لم يثبت في هذا حديث مرفوع - حسب علمي - ، والذي وقفت عليه من ذلك ما جاء عن ميمون بن مهران قال : قال لي ابن عباس : (احفظ عني ثلاثا : إياك والنظر في النجوم ، فإنه يدعو إلى الكهانة ، وإياك والقدر فإنه يدعو إلى الزندقة ، وإياك وشتم أحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فيكبك الله في النار على وجهك) .
أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ، رقم ١١٣٤ (٤/ ٦٣٣) .
وكذا ما ورد عن الزهري أنه قال : (القدر رياض الزندقة ، فمن دخل فيه هملج) . - يعني أسرع - .
المصدر السابق ، رقم ١٣١٤ (٤/ ٧٠٩) .

(٢) الشرح والإبانة (ص ١٩٣ - ١٩٦) .

(٣) أصول السنة (٢/ ٦٩٥) .

(٤) سورة القمر آية (٤٩) .

(٥) سورة التكوير آية (٢٩) .

مشيئة تنفذ إلا أن تنفُذَ منها مشيئة الله تعالى ، وإنما يجرى الخلق فيما سبق من علم الله ، والقدر سر الله لا يدرك بجدال ولا يشفى منه مقال ، والحجاج فيه مرتجة ، لا يفتح شيء منها إلا بكسر شيء وغلقه ، وقد تظاهرت الآثار وتواترت الأخبار فيه عن السلف الأخيار الطيبين الأبرار بالاستسلام والانقياد والاقرار بأن علم الله سابق ، ولا يكون في ملكه إلا ما يريد ، ((وما ربك بظلم للعبيد))[(١)])[(٢)] .

وقال النووي : — عند شرحه لما أورده الإمام مسلم في صحيحه من أحاديث الإيمان بالقدر — : (وفي هذه الأحاديث كلها دلالات ظاهرة لمذهب أهل السنة في إثبات القدر ، وأن جميع الواقعات بقضاء الله تعالى وقدره ، خيرها وشرها ، نفعها وضرها)[(٣)] .

---

(١) سورة فصلت بعض آية (٤٦) .

(٢) التمهيد (٦/١٣ — ١٤) .

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (١٦/١٩٥ — ١٩٦) .

المبحث الثالث
القضاء والقدر ولزوم اتخاذ الأسباب

عن علي – رضي الله عنه – قال : (كنا في جنازة في بقيع الغرقد ، فأتانا النبي صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة ، فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال : « ما منكم من أحد ، ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار ، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة » . فقال رجل [1] : يارسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل ، فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة ، وأما من كان منا من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة ؟ . قال : « أما أهل السعادة فييسرون لعمل السعادة ، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة ، ثم قرأ : ((فأما من أعطى واتقى ، وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى ، وكذب بالحسنى ، فسنيسره للعسرى)) [2]) [3] .

---

(١) القائل هو عمر بن الخطاب ، وقيل : سراقة بن مالك ، وقيل : رجل من الأنصار ، وقيل غير هؤلاء . انظر فتح الباري (١١/٤٩٧)

(٢) سورة الليل آية (٥ – ١٠) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجنائز باب ٨٢ ح ١٣٦٢ (٣/٢٢٥) وكذا في التفسير ح ٤٩٤٥ و ٤٩٤٦ و ٤٩٤٧ و ٤٩٤٨ و ٤٩٤٩ وفي الأدب ح ٦٢١٧ وفي القدر ح ٦٦٠٥ وفي التوحيد ح ٧٥٥٢ ومسلم في صحيحه ، كتاب القدر ح٦ (٤/٢٠٣٩ – ٢٠٤٠) وأبو داود في سننه ، كتاب السنة باب ١٧ ح ٤٦٩٤ (٥/٦٨ – ٦٩) والترمذي في سننه كتاب التفسير باب ٨١ ح ٣٣٤٤ (٥/٤٤١) ، وابن ماجه في سننه ، المقدمة باب ١٠ ح ٧٨ (١/٣٠ – ٣١) وأحمد في مسنده (طبعة شاكر) ح ١٠٦٧ (٢/٢٣٧ – ٢٣٨) وكذا ح (١١١٠ و ١١٨١) .

وقد وردت أحاديث أخرى عن بعض الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى قريبة من سياقه .

قال الخطابي ـ رحمه الله ـ : (قلت : معنى قولهم : (أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل) ، مطالبة منهم بموجب أمر تحته تعطيل العبودية ، وذلك أن إخباره ـ صلى الله عليه وسلم ـ إياهم عن سبق الكتاب بسعادة السعيد وشقاوة الشقي إخبار عن غيب علم الله فيهم وهو حجة عليهم ، فرام القوم أن يتخذوه حجة لأنفسهم في ترك العمل ويتكلوا على الكتاب السابق ، فأعلمهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن هاهنا أمرين لا يبطل أحدهما الآخر : باطن هو العلة الموجبة في حكم الربوبية ، وظاهر هو السمة اللازمة في حق العبودية ، وإنما هو أمارة مخيلة في مطالعة علم العواقب غيرُ مفيدة حقيقة العلم به ، ويشبه أن يكونوا ـ والله أعلم ـ إنما عوملوا بهذه المعاملة وتُعبدوا بهذا النوع من التعبد ليتعلق خوفهم بالباطن المغيب عنهم ، ورجاؤهم بالظاهر البادي لهم . والخوفُ والرجاء مدرجتا العبودية ، فيستكملوا بذلك صفة الإيمان ، وبين لهم أن كلا ميسر لما خلق له ، وأن عمله في العاجل دليل مصيره في الآجل ، ولذلك يمثل بقوله عز وجل : ((فأما من أعطى واتقى ، وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى ، وكذب بالحسنى ، فسنيسره للعسرى)) [(١)].

وهذه الأمور إنما هي في حكم الظاهر من أحوال العباد ، ومن وراء ذلك علم الله فيهم وهو الحكيم الخبير ، ((لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون)) [(٢)]. فإذا طلبت لهذا الشأن نظيراً من العلم يجمع لك هذين المعنيين ، فاطلبه في باب أمر الرزق المقسوم مع الأمر بالكسب ، وأمر الأجل المضروب في العمر مع التعالج بالطب ، فإنك تجد المغيب منهما علة موجبة ، والظاهر البادي سببا مخيلا ، وقد اصطلح الناس خواصهم وعوامهم على أن الظاهر منهما لا يترك للباطن ، والكلام في هذا يطول ، والذي ذكرناه منه يكفي الفهم الموفق) [(٣)].

---

(١) سورة الليل آية (٥ ـ ١٠) .

(٢) سورة الأنبياء آية (٢٣) .

(٣) أعلام الحديث (١/ ٧٢٠ ـ ٧٢١) .

وقال في موضع آخر : (فهذا الحديث إذا تأملته أصبت منه الشفاء فيما يتخالجك من أمر القدر ، وذلك أن السائل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقائل له : (أفلا نمكث[1] على كتابنا وندع العمل ؟) لم يترك شيئا مما يدخل في أبواب المطالبات والأسئلة الواقعة في باب التجويز والتعديل إلا وقد طالب به وسأل عنه فأعلمه صلى الله عليه وسلم أن القياس في هذا الباب متروك ، والمطالبة عليه ساقطة ، وأنه أمر لا يشبه الأمور المعلومة التي قد عُقلت معانيها وجرت معاملات البشر فيما بينهم عليها ، وأخبر أنه إنما أمرهم بالعمل ليكون أمارة في الحال العاجلة لما يصيرون إليه في الحال الآجلة ، فمن تيسر له العمل الصالح كان مأمولا له الفوز ، ومن تيسر له العمل الخبيث كان مخوفا عليه الهلاك . وهذه أمارات من جهة العلم الظاهر وليست بموجبات ، فإن الله سبحانه طوى علم الغيب عن خلقه وحجبهم عن دركه ، كما أخفى أمر الساعة ، فلا يعلم أحد متى إبان قيامها ، ثم أخبر على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض أماراتها وأشراطها ، فقال من أشراط الساعة : « أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة يتطاولون في البنيان »[2] ، ومنها كيت وكيت) .[3] اهـ

---

(١) كما في رواية أبي داود — وقد سبقت الإحالة إلى موضعه فيه — .

(٢) هو جزء من الحديث المشهور الذي رواه عبد الله بن عمر عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم في بيان معنى الإسلام والإيمان والإحسان ، وقد أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ح ١ (١/٣٦-٣٨) وأبو داود في سننه ، كتاب السنة باب ١٧ ح ٤٦٩٥ (٥/٦٩ — ٧٣) والنسائي في سننه كتاب الإيمان وشرائعه باب ٥ ح ٤٩٩٠ (٨/٩٧ — ١٠١) والترمذي في سننه ، كتاب الإيمان باب ٤ ح ٢٦١٠ (٥/٦ — ٨) وابن ماجه في سننه ، المقدمة باب ٩ ح ٦٣ (١/٢٤-٢٥) وأحمد في مسنده (١/٥٢ — ٥٣) .

(٣) معالم السنن (٤/٣١٨ — ٣١٩) .

إن الايمان بقضاء الله تعالى وقدره واعتقاد أن الأمور جميعها تسير وفق ماسبق فيه القضاء وجرت به المقادير ، لا يقتضي من العبد ترك العمل المفضي إلى الخمول والدعة والبطالة ، اتكاء واتكالا على ذلك ، بل إن هذا ينافي حقيقة التوكل ومباشرة الأسباب المأمور بها شرعا وعقلا وفطرة .

وقد قضت حكمته سبحانه وتعالى تعلق الأشياء بمسبباتها وارتباطها بها وبنائها عليها ، كما تشهد بذلك العامة والخاصة ، والأمثلة على هذا الأمر معلومة لكل أحد يطول السرد لتقصيها . مع العلم اليقين أن الأسباب نفسها هي ـ أيضا ـ مما قضى وقدر .

وهذا كله ما قرره الإمام الخطابي وأكده في كلامه الماضي عن هذا الموضوع العظيم .

فقد نقل ابن تيمية عن بعضهم أنه قال : (الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ، ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل ، والإعراض عن الأسباب في الكلية قدح في الشرع ، ومجرد الأسباب لا يوجب حصول المسبب ، فإن المطر إذا نزل وبذر الحب لم يكن ذلك كافيا في حصول النبات ، بل لابد من ريح مربية بإذن الله ، ولابد من صرف الانتفاء عنه ، فلابد من تمام الشروط وزوال الموانع ، وكل ذلك بقضاء الله وقدره ، وكذلك الولد لا يولد بمجرد إنزال الماء في الفرج ، بل كم من أنزل ولم يولد له ، بل لابد من أن الله شاء خلقه ، فتحبل المرأة وتربيه في الرحم ، وسائر ما يتم به خلقه من الشروط وزوال الموانع).[1]

وقال العلامة ابن القيم : (وقد رتب الله سبحانه حصول الخيرات في الدنيا والآخرة وحصول السرور في الدنيا والآخرة في كتابه على الأعمال ، ترتيب الجزاء على الشرط ، والمعلول على العلة والمسبب على السبب ، وهذا في القرآن يزيد على ألف موضع . . وبالجملة فالقرآن من أوله إلى آخره صريح في ترتب الجزاء بالخير والشر والأحكام الكونية والأمرية على الأسباب ، بل ترتب أحكام

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٧٠) .

الدنيا والآخرة ومصالحهما ومفاسدهما على الأسباب والأعمال) .[١]

وقال أيضا شارحا حديث علي ـ رضى الله عنه ـ المتقدم[٢] وأحاديث أخرى في معناه : (فاتفقت هذه الأحاديث ونظائرها على أن القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال عليه ، بل يوجب الجد والاجتهاد ، ولهذا لما سمع بعض الصحابة ذلك قال : ما كنت أشد اجتهادا مني الآن .

وهذا مما يدل على جلالة فقه الصحابة ودقة أفهامهم وصحة علومهم ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرهم بالقدر السابق وجريانه على الخليقة بالأسباب ، فإن العبد ينال ماقدر له بالسبب الذي أقدر عليه ومكن منه وهيء له ، فإذا أتى بالسبب أوصله إلى القدر الذي سبق له في أم الكتاب ، وكلما زاد اجتهادا في تحصيل السبب كان حصول المقدور أدنى إليه ، وهذا كما إذا قدر له أن يكون من أعلم أهل زمانه ، فإنه لا ينال ذلك إلا بالاجتهاد والحرص على التعلم وأسبابه ، وإذا قدر له أن يرزق الولد لم ينل ذلك إلا بالنكاح أو التسرى والوطء، وإذا قدر له أن يستغل من أرضه من المغل كذا وكذا لم ينله إلا بالبدر وفعل أسباب الزرع ، وإذا قدر الشبع والري فذلك موقوف على الأسباب المحصلة لذلك من الأكل والشرب واللبس ، وهذا شأن أمور المعاش والمعاد ، فمن عطل العمل اتكالا على القدر السابق فهو بمنزلة من عطل الأكل والشرب والحركة في المعاش وسائر أسبابه اتكالا على ماقدر له . وقد فطر الله سبحانه عباده على الحرص على الأسباب التي بها مرام معاشهم ومصالحهم الدنيوية ، بل فطر الله على ذلك سائر الحيوانات ، فهكذا الأسباب التى بها مصالحهم الأخروية فى معادهم ، فإنه سبحانه رب الدنيا والآخرة ، وهو الحكيم بما نصبه من الأسباب في المعاش والمعاد . .) .[٣]

---

(١) الجواب الكافى (ص ٣٩ـ٤١) .

(٢) (ص ٤٦٩) .

(٣) شفاء العليل (ص ٥١ـ٥٢)
وانظر لهذه المسألة الهامة : مجموع الفتاوى (٨/ ٢٧٢) ومابعدها ، و(ص ٥٢٤ ـ ٥٣٩) ، ولطائف المعارف للحافظ ابن رجب (ص ٨٣) ومابعدها، و(ص ٢٢٧) والفتاوى السعدية (ص ٣٢ـ٣٦) والرياض الناضرة (ص ١٥١ـ١٥٤) .

المبحث الرابع

سقوط القول في الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « احتج آدم وموسى ، فقال له موسى : أنت آدم الذى أخرجتك خطيئتك من الجنة . فقال آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ثم تلومني على أمر قدر علي قبل أن أخلق ؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : فحج آدم موسى مرتين ».[1]

قال الخطابي ـ رحمه الله ـ : (قلت : إنما حجه آدم في دفع اللوم ، إذ ليس لأحد من الآدميين أن يلوم أحدا ، وقد جاء في الحديث : « انظروا إلى الناس كأنكم عبيد ، ولا تنظروا إليهم كأنكم أرباب »[2] ، فأما الحكم الذي تنازعاه فهما في ذلك على السواء لا يقدر أحد أن يسقط الأصل الذي هو القدر ، ولا أن يبطل الكسب الذى هو السبب ، ومن فعل واحدا منهما خرج عن القصد إلى

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب أحاديث الأنبياء باب ٣١ ح ٣٤٠٩ (الفتح ٦/٤٤١) ، وفى التفسير ح ٤٧٣٦ و ٤٧٣٨ ، وفي القدر ح ٦٦١٤ وفى التوحيد ح ٧٥١٥ ، ومسلم في صحيحه ، كتاب القدر ح ١٣ و ١٥ (٤/٢٠٤٢ ـ ٢٠٤٣) . وأبو داود في سننه كتاب السنة باب ١٧ ح ٤٧٠١ (٥/٧٦ـ٧٨) والترمذي في سننه كتاب القدر باب ٢ ح ٢١٣٤ (٤/٤٤٤) وابن ماجه في سننه ، المقدمة باب ١٠ ح ٨٠ (١/٣١) ومالك فى موطئه كتاب القدر باب ١ ح ١ (٢/٨٩٨) مع تقديم وتأخير واختلاف يسير في بعض ألفاظه .

(٢) أخرج مالك في الموطأ ـ بلاغا ـ في كتاب الكلام باب ٣ ح ١٨ (٢/٩٨٦) وأن عيسى بن مريم كان يقول : لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم ، فإن القلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون ، ولا تنظروا في ذنوب الناس كأنكم أرباب ، وأنظروا في ذنوبكم كأنكم عبيد ، فإنما الناس مبتلى ومعافى ، فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية ».

===

أحد الطرفين من مذهب القدر[١] أو إلى الجبر.[٢]

=== قال الشيخ الألباني : لا أصل له مرفوعا ـ ثم قال ـ : نعم قد روى الحديث مرفوعا مختصرا ، وإسناده ضعيف .
وذكره تحت رقم ٩٢٠ من السلسلة الضعيفة .
سلسلة الأحاديث الضعيفة ح ٩٠٨ (٢/٣٠٩ ـ ٣١٠) .

(١) القدرية سموا بذلك لتكذيبهم القدر ، ومقولتهم قائمة على أن العبد خالق لأفعاله كلها خيرها وشرها استقلالا .
وأول ما ظهر عنهم هو أن الأمر أنف ، أي مستأنف ، لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى ، وإنما يعلمه بعد وقوعه .
وكان أول من تكلم به رجل نصراني يقال له سنسويه البقال ، وسماه الأوزاعي سوسن ، أسلم ثم عاد فتنصر ، فأخذ عنه معبد الجهني البصري وأخذ عن معبد غيلان بن مسلم الدمشقي .
وقد أطلق السلف ـ رحمهم الله تعالى ـ هذا الاسم على المعتزلة ـ أيضا ـ ووصموهم به لكونهم نفوا قضاء الله وقدره في معاصي العباد .
انظر : السنة للخلال (ص ٥٢٦ ـ ٥٢٨) ومعالم السنن (٤/٣١٧ و ٣٢٠) وغريب الحديث للخطابي (٢/٣٩٣ ـ ٣٩٤) ، وشرح أصول الاعتقاد (٤/٧٤٦ ـ ٧٥٠) والفرق بين الفرق (ص ١٨ ـ ٢٠) والتبصير في الدين (ص ٦١ ـ ٦٢) وشرح النووي لصحيح مسلم (١/١٥٣ ـ ١٥٦) والبرهان للسكسكى (ص ٥٠) وذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين (ص ٤٩) .

(٢) الجبرية فرقة من المرجئة ، سموا بذلك نسبة إلى الجبر وهو أن الله تعالى جبر الخلق على الإيمان والكفر والطاعة وخلقها فيهم ، فالعبد مجبور على فعله لا قدرة له في ذلك والمشيئة ، فهو كالريشة في مهب الريح ، وأوضح من يمثل هذا الاتجاه الجهمية ، وهم أصناف ، منهم الجبرية الخالصة التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا ، والجبرية المتوسطة التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة .
انظر تفصيل مذهبهم في اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ١٠٣ ـ ١٠٦) والملل والنحل (١/٨٥ـ٨٦) ومابعدهما والبرهان للسكسكي (ص ٤٢ ـ ٤٣) .

وفي قول آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ثم تلومني على أمر قدر علي قبل أن أخلق ، استقصار لعلم موسى . يقول : إذ قد[1] جعلك الله بالصفة التي أنت بها من الاصطفاء بالرسالات والكلام ، فكيف يسعك أن تلومني على القدر المقدور الذي لا مدفع له . فقال -صلى الله عليه وسلم-: « فحج آدم موسى » . وحقيقته أنه دفع حجة موسى التي ألزمه بها اللوم ، وذلك أن الابتداء بالمسألة والاعتراض إنما كان من موسى، ولم يكن من آدم إنكار لما اقترفه من الذنب ، إنما عارضه بأمر كان فيه دفع اللوم ، فكان أصوب الرأيين ماذهب إليه آدم بقضية[2] المصطفى -صلى الله عليه وسلم-.

وقد كنا تأولنا هذا الحديث على غير هذا المعنى في كتاب معالم السنن[3] وهذا أولى الوجهين ، والله أعلم).[4]

---

(١) حرف " قد " زدته من طرح التثريب (٨/ ٢٥١) فيه نقله عن الخطابي .

(٢) أي بحكم ، وهذه الكلمة تصحفت في المطبوع فجاءت هكذا : (بعصيه) والتصويب من طرح التثريب (٨/ ٢٥٢) .

(٣) سيأتي نقله بعد هذا النص .

(٤) أعلام الحديث (٣/ ١٥٥٥ — ١٥٥٦) .

وقال في معالم السنن[1] : - عند شرحه للحديث نفسه - (قد يحسب كثير من الناس أن معنى القدر من الله والقضاء منه معنى الإجبار والقهر للعبد على ما قضاه وقدره ، ويتوهم أن فلج[2] آدم في الحجة على موسى إنما كان من هذا الوجه . وليس الأمر في ذلك على ما يتوهمونه ، وإنما معناه الإخبار عن تقدم علم الله سبحانه بما يكون من أفعال العباد وأكسابهم ، وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها .

والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر ، كما أن الهدم والقبض والنشر أسماء لما صدر عن فعل الهادم والقابض والناشر ، يقال : قدرت الشيء وقدرت - خفيفة وثقيلة - بمعنى واحد .

والقضاء في هذا معناه الخلق ، كقوله عز وجل : ﴿ فقضاهن سبع سموات في يومين ﴾[3] ، أي خلقهن .

وإذا كان الأمر كذلك فقد بقي عليهم من وراء علم الله فيهم أفعالهم وأكسابهم ومباشرتهم تلك الأمور وملابستهم إياها عن قصد وتعمد وتقديم إرادة واختيار ، فالحجة إنما تلزمهم بها واللائمة تلحقهم عليها .

وجماع القول في هذا الباب أنهما أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر ، لأن أحدهما بمنزلة الأساس والآخر بمنزلة البناء ، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه .

---

(١) (٤/٣٢٢ - ٣٢٤) .

(٢) الفلج : الظفر والنصر والفوز ، يقال : فلج بحجته أي أثبتها ، وأفلج الله حجته : أظهرها .
انظر : القاموس المحيط مادة (فلج) (ص ٢٥٨) والمصباح المنير (ص ١٨٣) .

(٣) سورة فصلت بعض آية (١٢) .

وإنما كان موضع الحجة لآدم على موسى-صلوات الله عليهما-أن الله سبحانه إذ كان قد علم من آدم أنه يتناول الشجرة ويأكل منها فكيف يمكنه أن يرد علم الله فيه وأن يبطله بعد ذلك .

وبيان هذا في قول الله سبحانه : ﴿ وإذ قال ربك للملٰئكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾(١) ، فأخبر قبل كون آدم أنه إنما خلقه للأرض وأنه لا يتركه في الجنة حتى ينقله عنها إليها ، وإنما كان تناوله من الشجرة سببا لوقوعه إلى الأرض التي خلق لها وليكون فيها خليفة وواليا على من فيها فإنما أدلى آدم -عليه السلام-بالحجة على هذا المعنى ودفع لائمة موسى عن نفسه على هذا الوجه ، ولذلك قال : «أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني» .

فإن قيل : فعلى هذا يجب أن يسقط عنه اللوم أصلا . قيل : اللوم ساقط من قبل موسى ، إذ ليس لأحد أن يعير أحدا بذنب كان منه ، لأن الخلق كلهم تحت العبودية أكفاء سواء ، وقد روى : «لا تنظروا إلى ذنوب العباد كأنكم أرباب ، وانظروا إليها كأنكم عبيد »(٢) .

ولكن اللوم لازم لآدم من قبل الله سبحانه ،إذ كان قد أمره ونهاه فخرج إلى معصيته وباشر المنهي عنه ، ولله الحجة البالغة سبحانه لا شريك له .

وقول موسى-صلى الله عليه وسلم-وإن كان منه في النفوس شبهة وفي ظاهره متعلق لاحتجاجه بالسبب الذي قد جعل أمارة لخروجه من الجنة فقول آدم في تعلقه بالسبب الذي هو بمنزلة الأصل أرجح وأقوى ، والفلج قد يقع مع المعارضة بالترجيح كما يقع بالبرهان الذي لا معارض له ، والله أعلم) . اهـ

(١) سورة البقرة بعض آية (٣٠) .

(٢) تقدم تخريجه والكلام عليه (ص ٤٧٤) .

والصحيح أن للعبد مشيئة وقدرة ، وأنه الفاعل لكل أعماله على وجه الحقيقة والاختيار ، كما قال جل وعلا : ﴿ وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾ [(١)].

﴿ وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ﴾ [(٢)] . ﴿ ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون ﴾ [(٣)] . ﴿ وإن عليكم لحفظين كراما كتبين يعلمون ما تفعلون ﴾ [(٤)] ﴿ إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا ﴾ [(٥)] ، ﴿ إن هو إلا ذكر للعلمين لمن شاء منكم أن يستقيم ﴾ [(٦)] .

وغير هذا في القرآن الكريم كثير جدا يطول سرده وعده ، ولا ينافي خلقه تعالى لأفعال العباد وتقديرها عليهم كما هو واضح ومعلوم بحمد الله . [(٧)]

ثم إنه لو صح الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي والانغماس في الشهوات لانتهكت الأعراض وسلبت الأموال وعطلت الحدود وضيعت الفرائض وأهلك الحرث والنسل ، بل ولم تخلق جنة ولا نار ، ولم يكن هناك ثواب ولا عقاب . وفي هذا من المفاسد العظيمة المنكرة الظاهرة والباطنة مالا يعد ولا يحصى .

---

(١) سورة البقرة بعض آية (١٩٧) .

(٢) سورة الحج بعض آية (٧٧) .

(٣) سورة الزمر آية (٧٠) .

(٤) سورة الانفطار : آية (١٠ - ١٢) .

(٥) سورة المزمل آية (١٩) .

(٦) سورة التكوير آية (٢٧ - ٢٨) .

(٧) انظر : مجموع الفتاوى (٨/٣٩٣) وما بعدها و (ص ٥٢٠ - ٥٢٣) وشفاء العليل (ص ٢٧١) وما بعدها .

والمحتجون بالقدر على المعاصي هم الجبرية[١] ومن نهج طريقهم من الجهمية[٢] وغيرهم ، وهم بهذا قد فتحوا بابا عريضا وشرا مستطيرا للدعوة إلى الفسوق والفجور والاقبال على ارتكاب كل معصية ورذيلة . (٣)

وكان مما استدل به هؤلاء لتسويغ مذهبهم ومقولتهم حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - في احتجاج آدم على موسى - عليهما الصلاة والسلام - ، وليس لهم في ذلك - بحمد الله - حجة ولا أدنى متعلق كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

وهذا النص النبوي الشريف قد تنازع الناس فيه إلى عدة أقوال[٤] ، والذي يهم في هذا المقام هو ما ذكره الخطابي - رحمه الله - في شرحه له وتفسيره لمعناه ، والحقيقة أنه يوافق بذلك السلف - رحمهم الله تعالى - في عموم توجيه الحديث وبيان مدلوله ، وإن اختلفت في هذا بعض عباراتهم ، إذ جميعهم مصدق به غير منكر له كما ادعته القدرية من المعتزلة ومن وافقهم من التكذيب والانكار ، وكذلك لم يتخذوه حجة وبرهانا لفعل المعاصي واقتراف الآثام ، كما تبنت ذلك الجبرية من الجهمية ومن قال بقولهم وارتضى صنيعهم .

قال الحافظ ابن عبد البر - عند شرحه لهذا الحديث - : (وأما قوله :((أفتلوموني

---

(١) سبق التعريف بهم (ص ٤٧٥)

(٢) سبق التعريف بهم (ص ٩٩)

(٣) انظر لبيان هذا المذهب الفاسد الفرق بين الفرق (ص ٢١١ - ٢١٢) والملل والنحل (١/ ٨٧) .

(٤) انظرها مع مناقشتها وبيان الصحيح منها في رسالة الاحتجاج بالقدر لابن تيمية (ضمن مجموعة الرسائل الكبرى) (٢/ ٩٩ - ١٠٣) ودرء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤١٨ - ٤٢٠) وشفاء العليل (ص ٢٨) وما بعدها وفتح الباري (١١/ ٥٠٩ - ٥١٢) .

على أمر قد قدّر علي)) فهذا عندي مخصوص به آدم ، لأن ذلك إنما كان منه ومن موسى عليهما السلام بعد أن تيب على آدم وبعد أن تلقى من ربه كلمات تاب بها عليه ، فحسن منه أن يقول ذلك لموسى ، لأنه قد كان تيب عليه من ذلك الذنب .

وهذا غير جائز أن يقوله اليوم أحد إذا أتى مانهاه الله عنه ويحتج بمثل هذا ، فيقول : أتلومني على أن قتلت أو زنيت أو سرقت ، وذلك قد سبق في علم الله وقدره علي قبل أن أخلق .

هذا ما لا يسوغ لأحد أن يقوله ، وقد اجتمعت الأمة أن من أتى ما يستحق الذم عليه فلا بأس بذمه ولا حرج في لومه ، ومن أتى ما يحمد له فلا بأس بمدحه عليه وحمده).[1]

ونقل عنه الحافظ ابن حجر قوله - في هذا الحديث أيضا - : (هذا الحديث أصل جسيم لأهل الحق في إثبات القدر وأن الله قضى أعمال العباد ، فكل أحد يصير لما قدر له بما سبق في علم الله ، قال : وليس فيه حجة للجبرية ، وإن كان في بادىء الرأي يساعدهم).[2]

وقال الطيبي[3] : (مذهب الجبرية إثبات القدرة لله ونفيها عن العبد أصلا ،

---

(١) التمهيد (١٨/١٥) .

(٢) فتح الباري (١١/٥٠٩) .

(٣) هو الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي ، علامة مشهور صاحب شرح المشكاة وغيره ، توفي سنة ٧٤٣.
الدرر الكامنة (٢/١٥٦ - ١٥٧) والبدر الطالع (١/٢٢٩ - ٢٣٠) وشذرات الذهب (٦/١٣٧ - ١٣٨) .

ومذهب المعتزلة بخلافه ، وكلاهما من الافراط والتفريط على شفا جرف هار ، والطريق المستقيم القصد) .[١]

ويقول العلامة ابن القيم عند قوله تعالى : ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾[٢]

(قلت : اعتقد جماعة أن المراد بالآية : سلب فعل الرسول -صلى الله عليه وسلم- عنه وإضافته إلى الرب تعالى ، وجعلوا ذلك أصلا في الجبر وإبطال نسبة الأفعال إلى العباد وتحقيق نسبتها إلى الرب وحده ، وهذا غلط منهم في فهم القرآن ، فلو صح ذلك لوجب طرده في جميع الأعمال ، فيقال : ما صليت إذ صليت ، وماصمت إذ صمت وما ضحيت إذ ضحيت ، ولا فعلت كل فعل إذ فعلته ، ولكن الله فعل ذلك ، فإن طردوا ذلك لزمهم في جميع أفعال العباد -طاعتهم ومعاصيهم- إذ لا فرق، فإن خصوه بالرسول -صلى الله عليه وسلم- وحده وأفعاله جميعها أو رميه وحده ، تناقضوا ، فهؤلاء لم يوفقوا لفهم ما أريد بالآية .

وبعد : فهذه الآية نزلت في شأن رميه -صلى الله عليه وسلم- المشركين يوم بدر بقبضه من الحصباء ، فلم تدع وجه أحد منهم إلا أصابته ، ومعلوم أن تلك الرمية من البشر لا تبلغ هذا المبلغ ، فكان منه -صلى الله عليه وسلم- مبدأ الرمي وهو الحذف ومن الله سبحانه وتعالى نهايته وهو الإيصال ، فأضاف إليه رمي الحذف الذي هو مبدؤه ، ونفى عنه رمي الايصال الذي هو نهايته .

ونظير هذا قوله في الآية نفسها : ﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ﴾[٣] ، ثم قال : ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾[٢] ، فأخبره أنه هو وحده الذي تفرد

---

(١) فتح البارى (١١/٥١٢) .
(٢) سورة الأنفال بعض آية (١٧) .
(٣) سورة الأنفال بعض آية (١٧) .

بقتلهم ولم يكن ذلك بكم أنتم ، كما تفرد بإيصال الحصى إلى أعينهم ولم يكن ذلك من رسوله . ولكن وجه الإشارة بالآية أنه أقام أسبابا ظاهرة لدفع المشركين وتولى دفعهم وإهلاكهم بأسباب باطنة غير الأسباب التي تظهر للناس ، فكان ما حصل من الهزيمة والقتل والنصرة مضافا إليه وبه ، وهو خير الناصرين)[1] .

ويقول أيضا - بعد أن دلل على قدرته تعالى على أفعال عباده وإرادته لها وجعلهم فاعلين بفضل قدرته ومشيئته - : (فهو سبحانه يحول بين المرء وقلبه ، وبين الإنسان ونطقه ، وبين اليد وبطشها ، وبين الرجل ومشيها ، فكيف يظن به ظن السوء ويجعل له مثل السوء أنه لا يقدر على ما يقدر عليه عباده ، ولا تدخل أفعالهم تحت قدرته ، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون لقدرته علوا كبيرا .

نعم ولا نظن به ظن السوء ونجعل له مثل السوء أنه يعاقب عباده على ما لم يفعلوه ولا قدرة لهم على فعله ، بل على ما فعله هو دونهم واضطرهم إليه وجبرهم عليه ، وذلك بمنزلة عقوبة الزمن إذا لم يطر إلى السماء ، وعقوبة أشل اليد على ترك الكتابة ، وعقوبة الأخرس على ترك الكلام ، فتعالى الله عن هذين المذهبين الباطلين المنحرفين عن سواء السبيل)[2] .

فهذه النقول كلها سقتها تدليلا لما ذكرت من كون أبي سليمان الخطابي - رحمه الله تعالى - قد قرر مذهب السلف في التصديق بالقدر والتسليم بما ورد فيه ، وإن اختلفت في ذلك العبارة وتنوعت الإشارة ، وبالله وحده - دون سواه - التوفيق والتسديد .

---

(١) مدارج السالكين (٣/٤٤٤ - ٤٤٥) .

(٢) شفاء العليل (ص ١١٧ - ١١٨) .

** الفصل الرابع **

((اليوم الآخر ومقدماته))

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : بعض أشراط الساعة

أ) ظهور الفتن من قِبل المشرق .

ب) فتنة المسيح الدجال .

المبحث الثاني : عذاب القبر وأسبابه .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : فتنة القبر وعذابه .

المطلب الثاني : بعض أسباب عذاب القبر .

المبحث الثالث : حكم من مات من أطفال المشركين .

المبحث الرابع : يوم القيامة .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الشفاعة العظمى .

المطلب الثاني : رؤية الله عز وجل في الآخرة .

المطلب الثالث : وجود الجنة والنار ، وأنهما مخلوقتان أبديتان .

** الفصل الرابع **

ــ ((اليوم الآخر ومقدماته))ــ

المبحث الأول : بعض أشراط الساعة .

أ) : ظهور الفتن من قِبل المشرق .

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - : ((اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا)) . قالوا يارسول الله وفي نجدنا ، فأظنه قال في الثالثة : ((هناك الزلازل والفتن ، وبها يطلع (قرن)[1] الشيطان))[2] .

قال الخطابي - رحمه الله - : (نجد : ناحية المشرق ، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها ، وهي مشرق أهلها . وأصل النجد : ما ارتفع من الأرض ، والغور ما انخفض منها . وتهامة كلها من الغور ومنها مكة ، والفتنة تبدو من المشرق ، ومن ناحيتها يخرج يأجوج ومأجوج والدجال في أكثر ما يروى من الأخبار) (٣) اهـ .

(١) قال مُحقق كتاب أعلام الحديث (٢٣٢٩/٤) هامش (٧) عند هذا اللفظ : (سقط من الأصل وأثبته من الصحيح) اهـ.
قلت : وقد وجدته غير مثبت في نسخة البخاري المطبوعة بمطبعة المكتبة الإسلامية باستانبول الموافقة لطبعة العامرة بتركيا ، ولعل نسخة الإمام الخطابي غير موجود بها هذا اللفظ كما هو في الطبعة المذكورة أعلاه (٩٥/٨) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الفتن باب ١٦ ح ٧٠٩٤ (الفتح ٤٥/١٣) وفي الاستسقاء باب ٢٧ ح ١٠٣٧ (الفتح ٥٢١/٢) .
والترمذي في سننه ، كتاب المناقب باب ٧٥ ح ٣٩٥٣ (٧٣٣/٥) وأحمد في مسنده (طبعة شاكر) ح ٥٩٨٧ (١٨٧/٨ - ١٨٨) .

(٣) أعلام الحديث (٢٣٣٠/٤) .

دلت نصوص ثابتة قطعية أن من أشراط الساعة وعلاماتها كثرة الهرج والمرج واللغط وظهور الفتن وانتشارها ونزولها في البلاد كلها طولا وعرضا ، وإن كان ذلك يختلف من قطر لقطر ومصر لمصر ، زيادة ونقصانا ، وكلما طال الزمان بأهله وبعد بهم ، كانت الفتن أشد ومصائبها أعظم ، كما شهدت على ذلك براهين الشرع ، ودلت عليه الحوادث والوقائع .

فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - في حديث له مرفوع : ((لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشر منه ، حتى تلقوا ربكم . سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم)) .[1]

وقد أخبر عليه الصلاة والسلام عن بزوغ هذه الفتن وكبر بلائها وهولها حتى يصبح الرجل - من شدة وقعها - مؤمنا ويمسي كافرا ، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا ، وتجيء الفتنة تلو الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي ثم تنكشف ، وتظهر أخرى غيرها فيقول هذه هذه ، وهكذا تستمر الفتن تترا وتنتشر إلى ماشاء الله .

ففي الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : ((بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الفتن باب ٦ ح ٧٠٦٨ (الفتح ١٣/١٩ - ٢٠) ولفظه : عن الزبير بن عدى قال : أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما يلقون من الحجاج ، فقال: (اصبروا ، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشر منه . . . .) الحديث .
وأخرجه الترمذي في سننه كتاب الفتن باب ٣٥ ح ٢٢٠٦ (٤/٤٩٢) بلفظ : ((ما من عام إلا الذي بعده شر منه)) الحديث .
وعند الإمام أحمد في المسند (٣/١٣٢) بلفظ : ((لا يأتي عليكم عام أو يوم)) ، وانظر منه (٣/١٧٧ و ١٧٩) .

كافرا ، أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا ، يبيع دينه بعرض من الدنيا)) [(١)] .

وفي حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال [(٢)] ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن)) [(٣)] .

إلى غير هذين الحديثين الشريفين من أحاديث كثيرة جدا يطول حصرها وسردها في هذا المكان دالة على هذا الأمر العظيم الذي نبه عليه النبي - صلوات الله وسلامه عليه - وحذر أمته منه ومن مغبته ، وأرشدهم إلى ما يعصمهم من هذه الشرور والآثام بالتعوذ منها والابتعاد عنها مع صحة الإيمان بالله تعالى والتصديق باليوم الآخر ولزوم جماعة المسلمين - أهل السنة والجماعة - وإن كانوا في ضعف وقلة عدد .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ح ١٨٦ (١/١١٠) والترمذي في سننه كتاب الفتن باب ٣٠ ح ٢١٩٥ (٤/٤٨٧) ، .
وأحمد في مسنده (٢/٣٠٤ و ٥٢٣) .

(٢) الشعفة : محركة : رأس الجبل جمع شعف وشعوف وشعاف وشعفات ، والمعنى ظاهر . القاموس المحيط مادة (شعف) (ص ١٠٦٥)
وانظر النهاية لابن الأثير : (٢/٤٨١) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب ١٢ ح ١٩ (الفتح ١/٦٩) وفي بدء الخلق ح ٣٣٠٠ وفي المناقب ح ٣٦٠٠ وفي الرقاق ح ٦٤٩٥ ، وفي الفتن ح ٧٠٨٨ ، وأبو داود في سننه كتاب الفتن والملاحم باب ٤ ح ٤٢٦٧ (٤/٤٦١ - ٤٦٢) والنسائي في سننه كتاب الإيمان وشرائعه باب ٣٠ ح ٥٠٣٦ (٨/١٢٣ - ١٢٤) ،
وابن ماجه في سننه كتاب الفتن باب ١٣ ح ٣٩٨٠ (٢/١٣١٧)
ومالك في موطئه كتاب الاستئذان باب ٦ ح ١٦ (٢/٩٧٠) ،
وأحمد في مسنده (٣/٦ و ٣٠ و ٤٣ و ٥٧) .

فقال عليه الصلاة والسلام : ((تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن))[(١)] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال : كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سفر فنزلنا منزلا ، فمنا من يصلح خباءه ، ومنا من ينتضل[(٢)] ومنا من هو في جشره[(٣)] ، إذ نادى منادى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : الصلاة جامعة ، فاجتمعنا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : ((إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم ، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها ، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها ، وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضا[(٤)] ، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن

---

(١) هو طرف من حديث زيد بن ثابت - رضي الله عنه - أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفة نعيمها ح ٦٧ (٤ / ٢٢٠٠) .

(٢) ينتضل : من المناضلة وهي المراماة بالنشاب . شرح صحيح مسلم للنووي (١٢ / ٢٣٣) .

(٣) الجشر : بفتح الجيم والشين ، وهي الدواب التي ترعى وتبيت مكانها . المصدر السابق (١٢ / ٢٣٣) .

(٤) فيرقق بعضها بعضا : قال النووي : (هذه اللفظة رويت على أوجه أحدها وهو الذى نقله القاضي عن جمهور الرواة يرقق بضم الياء وفتح الراء وبقافين ، أى يصير بعضها رقيقا ، أى خفيفا لعظم ما بعده ، فالثاني يجعل الأول رقيقا . وقيل معناه : يشبه بعضها بعضا ، وقيل يدور بعضها في بعض ويذهب ويجيء . وقيل معناه يسوق بعضها إلى بعض بتحسينها وتسويلها . والوجه الثاني : فيرفق بفتح الياء وإسكان الراء وبعدها فاء مضمومة .
والثالث : فيدفق بالدال المهملة الساكنة وبالفاء المكسورة ، أى يدفع ويصب) . المصدر السابق (١٢ / ٢٣٣) .

هذه مهلكتي ، ثم تنكشف ، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن : هذه هذه ، فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه . .)) الحديث .[1]

وعودا على بدء فإن ما ذكره الخطابي - عليه رحمة الله - من كون الفتنة تبدو من ناحية المشرق ، وأن المراد بنجد في النص المذكور بادية العراق ونواحيها ، تفسيرا منه لما ورد في الحديث النبوي الشريف السابق ذكره ، كلام صائب وقول سديد وبيان وجيه ، إذ ليس المقصود بذلك - قطعا - نجد اليمامة كما ادعاه بعض متأخرى المبتدعة ومتبعي الأهواء[2] ضد أهل التوحيد والدعاة إليه ، الذين أحيا الله بهم السنن، وعلى أيديهم - بفضله تعالى - ماتت البدع، فأزالوا معالم الشرك ، وطمسوا أعلام الوثنية ، وقضوا على الخرافة ، ونشروا علم السلف ، وبصّروا الناس في الدين ، وحكّموا شرع الله القويم .

وهذا التفسير الخاطىء والمقولة الساقطة من هؤلاء المارقين لم يقلها أحد فيما أعلم من الأئمة المتقدمين سواء كانوا لغويين أو من شراح الأحاديث والأخبار ، بل إن نصوصاً كثيرةً نبوية أخرى تبين هذا المعنى وتجليه على وفق ما ذكره الخطابي وأشار إليه سابقا.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة ح ٤٦ (٣/١٤٧٢-١٤٧٣)
والنسائي في سننه ،كتاب البيعة باب ٢٥ ح ٤١٩١ (٧/١٥٢-١٥٤)
وابن ماجه في سننه كتاب الفتن باب ٩ ح ٣٩٥٦ (٢/١٣٠٦-١٣٠٧)
وأحمد في مسنده (٢/١٩١) .

(٢) لمعرفة هؤلاء والوقوف على دعوتهم تلك والرد عليهم من لدن علماء أعلام ، انظر: كتاب دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لعبد العزيز محمد العبد اللطيف (ص ١٧٨ - ١٩٢) .
وراجع: أكمل البيان في شرح حديث نجد قرن الشيطان لمؤلفه العلامة حكيم محمد أشرف سندهو .

والمطلع على حوادث الأيام ووقائع الأزمان المبثوثة في بطون الكتب ودواوين التاريخ يجد مصداق ما ذكر واضحا بينا ساطعا ، فإن جل الفتن إن لم يقل كلها ، وكذا نشوء الفرق الضالة والنحل المختلفة بتعدد أساميها وتباين اتجاهاتها ، وفشو البدع ومقالات السوء ، كان منبعه وانطلاق شره وشرره من قبل المشرق .

ففي العراق ظهر الخوارج والشيعة الراوفض والجهمية والمعتزلة والقدرية وغير هؤلاء من الطوائف ، وبه كانت موقعة الجمل وحرب صفين - اللتان قتل فيهما خلق كثير من الصحب الكرام الأخيار - وكذا معركة كربلاء الشهيرة التى استشهد فيها سبط الرسول-صلى الله عليه وسلم-وريحانته الحسين بن علي - رضي الله عنه - وكثير من أهل بيته ممن كان معه . وبالعراق - أيضا - ظهرت فتنة القول بخلق القرآن التي تبناها المعتزلة ، وتزعمها الخليفة العباسي المأمون،فناصرها وحمل الناس على القول بها واعتقادِها ، فامتحن بسبب ذلك العلماء من أئمة المسلمين . فكانت مقولة شر وبلاء جرت على الأمة كل ويل وثبور .

كما كان ظهور المغول والتتار وجيوشهم العرمة من المشرق ، ولا يخفى ما أوقعوه بالمسلمين وأحلوه بديارهم من شر مستطير ،تدميراً وقتلاً ونهباً وتشريداً .

قال المهلب[1] : (إنما تركه-صلى الله عليه وسلم-الدعاء لأهل المشرق ليضعفوا

---

(١) هو أبو القاسم المهلب بن أحمد بن أسيد بن أبي صفرة الأسدي التميمي من أهل العلم الكبار ، كان متفننا في الفقه والحديث والعربية شرح موطأ مالك وصحيح البخاري ، مات بالأندلس سنة ٤٣٥ وقيل غير ذلك .

الصلة (٢/٦٢٦ - ٦٢٧) وبغية الملتمس (ص ٤٧١) والديباج المذهب (٢/٣٤٦) .

عن الشرك الذي هو موضوع في جهتهم لاستيلاء الشيطان بالفتن)[1].

وقال ابن عبد البر عند شرحه لحديث ابن عمر - رضي الله عنهما - : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير إلى المشرق ويقول : ((ها ، إن الفتنة هاهنا ، إن الفتنة هاهنا ، من حيث يطلع قرن الشيطان))[2] : (في هذا الحديث علم من أعلام نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لإخباره بالغيب عما يكون بعده ، والفتنة هاهنا بمعنى الفتن ، لأن الواحدة هاهنا تقوم مقام الجميع في الذكر ، لأن الألف واللام في الفتنة ليسا إشارة إلى معهود ، وإنما هما إشارة إلى الجنس ، مثل قوله : ((الزانية والزاني)) ((والسارق والسارقة)) .

فأخبر صلى الله عليه وسلم عن إقبال الفتن من ناحية المشرق ، وكذلك أكثر الفتن من المشرق انبعثت وبها كانت ، نحو الجمل وصفين وقتل الحسين وغير ذلك مما يطول ذكره مما كان بعد ذلك من الفتن بالعراق وخراسان إلى اليوم . وقد كانت الفتن في كل ناحية من نواحي الإسلام ، ولكنها بالمشرق أكثر أبدا)[3].

---

(١) فتح الباري (٤٦/١٣) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق باب ١١ ح ٣٢٧٩ (الفتح ٣٣٦/٦) وانظر منه كتاب الفتن ح ٧٠٩٣ ، ومسلم في صحيحه : كتاب الفتن وأشراط الساعة ح ٤٧ (٢٢٢٩/٤) ومالك في موطئه كتاب الاستئذان باب ١١ ح ٢٩ (٩٧٥/٢) .

(٣) التمهيد (١٧/ ١١-١٢) .

وقال النووي مبيناً معنى قرن الشيطان الوارد في الحديث : (وأما قرنا الشيطان فجانبا رأسه ، وقيل هما جمعاه اللذان يغريهما بإضلال الناس ، وقيل شيعتاه من الكفار ، والمراد بذلك اختصاص المشرق بمزيد من تسلط الشيطان ومن الكفر كما في الحديث الآخر : ((رأس الكفر نحو المشرق))[1] ، وكان ذلك في عهده صلى الله عليه وسلم حين قال ذلك ، ويكون حين يخرج الدجال من المشرق ، وهو فيما بين ذلك منشأ الفتن العظيمة ومثار الكفرة الترك الغاشمة العاتية الشديدة البأس)[2] .

ونقل الحافظ ابن حجر عن بعضهم قوله : (كان أهل المشرق يومئذ أهل كفر ، فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الفتنة تكون من تلك الناحية فكان كما أخبر ، وأول الفتن كان من قبل المشرق فكان ذلك سببا للفرقة بين المسلمين ، وذلك مما يحبه الشيطان ويفرح به ، وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة)[3] .

قال الحافظ : (وحاصله أن منشأ الفتن من جهة المشرق وكذا وقع)[4] .

---

(١) هو طرف من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ ولفظه بتمامه : ((رأس الكفر نحو المشرق ، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل والفدادين أهل الوبر ، والسكينة في أهل الغنم)) .
أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الخلق باب ١٥ ح ٣٣٠١ (الفتح ٦ / ٣٥٠) وفي المناقب ح ٣٤٩٩ ـ بزيادة بعض الألفاظ ونقص أخرى ـ ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ح ٨٥ (١ / ٧٢) ومالك في موطئه كتاب الاستئذان باب ٦ ح ١٥ (٢ / ٩٧٠) ، وأحمد في مسنده : (٢ / ٥٠٦) .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٢ / ٣٤) .

(٣) فتح الباري (١٣ / ٤٧) .

(٤) المصدر السابق (٦ / ٣٤١) .

وفي إفادة الخطابي بأن خروج يأجوج ومأجوج[1] وكذا الدجال يكون من ناحية المشرق في أكثر ما يروى من الأخبار ، أذكر بعض ما وقفت عليه من نصوص في ذلك وأورد فيها ببعض كلام أهل العلم فيما يأتي - ومنه تعالى استمد الحول والعون - :

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((يأتي المسيح[2] من قبل المشرق همته المدينة ، حتى ينزل دبر أحد ، ثم تصرف الملائكة وجهه - قبل الشام وهنالك يهلك))[3].

ومن حديثه - أيضا - قال : أحدثكم ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم - الصادق المصدوق : ((إن الأعور الدجال مسيح الضلالة يخرج من قبل المشرق في زمان اختلاف من الناس وفرقة . .)) الحديث .[4]

قال الحافظ ابن كثير : (فيكون بدء ظهوره من أصبهان من حارة بها يقال لها اليهودية)[5].

---

(١) انظر اشتقاق اسمهم وبيان أصلهم وبعض أخبارهم في كتاب الفتن والملاحم لابن كثير (١/١٠٩-١١٣) وفتح الباري (٦/٣٨٦) و (١٣/١٠٥-١٠٧) ولوامع الأنوار البهية (٢/١١٣) وما بعدها .

(٢) يعني الدجال .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحج ح ٤٨٦ (٢/١٠٠٥) وأحمد في مسنده (٢/٣٩٧و٤٥٧) .

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان ح ٦٨١٢ (١٥/٢٢٣) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٣٤٩) وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ، غير علي بن المنذر وهو ثقة .

(٥) كتاب الفتن والملاحم (١/٩٧) .

وقال الحافظ ابن حجر : (وأما من أين يخرج ؟ فمن قبل المشرق جزما)[1].

وأما بالنسبة لأمر يأجوج ومأجوج فلم أقف - جهد بحثي - على نص صريح في تحديد موطن خروجهم ، وإن كان بعض العلماء كالخطابي وغيره قد عيّن ظهورهم من جهة المشرق كما سيأتي نقل ذلك عمن قاله .

ولا بأس - هنا - من سوق الأدلة المثبتة لخروج هؤلاء القوم إيمانا بها واعتقادا لمدلولها وإن لم يُعلم موقعهم ويُطلع على مكان ظهورهم ، إذ ليس في ذلك كبير فائدة مادام أن الشرع قد سكت عنه ولم يظهره .

قال الله تعالى - في سياق قصة ذي القرنين وذكره لشأنه - : ﴿ ثم أَتْبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا ، قالوا يـٰذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعلُ لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا ، قال ما مكّنّي فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما ، ءاتوني زبر الحديد ، حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال ءاتوني أُفرغ عليه قِطرا ، فما اسطـٰعوا أن يظهروه وما استطـٰعوا له نقبا ، قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا ، وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ، ونفخ في الصور فجمعنـٰهم جمعا ﴾[2].

وقال تعالى : ﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون

---

(١) فتح الباري : (١٣/٩١) .

(٢) سورة الكهف آية (٩٢ - ٩٩) .

واقترب الوعد الحق فإذا هي شخصة أبصٰر الذين كفروا يٰويلنا قد كنا في غفلة من هٰذا بل كنا ظٰلمين ﴾ .(١)

وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((يفتح الردم - ردم يأجوج ومأجوج - مثل هذه))(٢) . وعقد وهيب(٣) تسعين .

وعن زينب بنت جحش(٤) - رضي الله عنها - أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- دخل عليها يوما فزعا يقول : ((لا إله إلا الله ويل للعرب من شر اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه - وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها - ، قالت زينب بنت جحش : فقلت يارسول الله : أفنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : ((نعم ، إذا كثر الخبث))(٥) .

---

(١) سورة الأنبياء : آية (٩٦ - ٩٧) .
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الفتن باب ٢٨ ح ٧١٣٦ (الفتح ١٣/ ١٠٦) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وقد أخرجه قبل في الأنبياء ح ٣٣٤٧ بلفظ : ((فتح الله من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد بيده تسعين)) .
ومسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة ح ٣ (٤/ ٢٢٠٨) .
(٣) هو أبو بكر وهيب بن خالد بن عجلان الباهلي مولاهم البصري ، إمام حافظ ثقة ثبت حجة أخرج له الجماعة ، قال الحافظ ابن حجر : (لكنه تغير قليلا بآخره) . مات سنة ١٦٥ على ما ذكره البخاري عن أحمد ابن أبي رجاء ، وقيل إنه مات سنة ١٦٩ على ما أرخه ابن خليفة وابن قانع .
التاريخ الكبير (٨/ ١٧٧) وتهذيب التهذيب (١١/ ١٦٩ — ١٧٠) والتقريب (ص ٥٨٦) ترجمة رقم ٧٤٨٧ .
(٤) هي أم المؤمنين زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر ، أخت عبد الله ابن جحش - رضي الله عنه - أسدية من بني أسد بن خزيمة ، تزوجها النبي -صلى الله عليه والسلام- في سنة خمس من الهجرة وقيل في سنة ثلاث مناقبها كثيرة جمة . وكانت أول نسائه لحوقا به وذلك بالمدينة سنة ٢٠ وقيل ٢١ . الاستيعاب (٤/ ١٨٤٩ - ١٨٥٢) وأسد الغابة (٧/ ١٢٥ - ١٢٧) والإصابة (٧/ ٦٦٧ - ٦٧٠) .
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء باب ٧ ح ٣٣٤٦ ====

وفي حديث النواس بن سمعان - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في الخبر عن الدجال ونزول عيسى - عليه الصلاة والسلام - وقتله له إلى أن يقول : ((فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عباداً لي لا يدان[1] لأحد بقتالهم ، فحرز عبادي إلى الطور[2] ، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماء ، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف[3] في رقابهم فيصبحون فرسى[4] كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم[5] ونتنهم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل

(الفتح ٦ / ٣٨١) وفي المناقب ح ٣٥٩٨ وفي الفتن ح ٧٠٥٩ ، وح ٧١٣٥ .

ومسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة ح ١ و ٢ (٤ / ٢٢٠٧ - ٢٢٠٨) والنسائي في الكبرى كما في التحفة (١١ / ٣٢٢) والترمذي في سننه ، كتاب الفتن باب ٢٣ ح ٢١٨٧ (٤ / ٤٨٠) وابن ماجه في سننه كتاب الفتن باب ٩ ح ٣٩٥٣ (٢ / ١٣٠٥) وأحمد في مسنده (٦ / ٤٢٨) .

(١) لا يدان : بكسر النون تثنية يد ، والمعنى لا قدرة ولا طاقة لأحد بقتالهم. وانظر شرح النووي لصحيح مسلم (١٨ / ٦٨) .

(٢) أي ضمهم واجعله لهم حرزا . انظر المصدر السابق (١٨ / ٦٨) .

(٣) النغف : بنون وغين معجمة مفتوحتين ثم فاء ، وهو دود يكون في أنوف الإبل والغنم ، الواحدة نغفة . المصدر السابق (١٨ / ٦٩) .

(٤) الفرسى : بفتح الفاء مقصور ، أي قتلى ، واحدهم فريس . المصدر السابق (١٨ / ٦٩) .

(٥) أي دسمهم ورائحتهم الكريهة . المصدر السابق (١٨ / ٦٩) .

الله طيرا كأعناق البخت[1] فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله . . .)) الحديث.[2]

إلى غير هذه النصوص الحديثية الواردة في هذا المعنى دالة على خروج يأجوج ومأجوج ، وما ذكر منها فيه الكفاية والغناء ، وليس فيها - كما ترى - تعيين موضع خروجهم على وجه التحديد ، فيوكل علم ذلك للمولى سبحانه .

بقي الإشارة إلى ذكر من عيّن هذا أو ألمح إليه من العلماء ممن وقفت عليه :

قال الحافظ ابن كثير : (يقول تعالى مخبرا عن ذي القرنين : ﴿ ثم أتبع سببا ﴾ أي ثم سلك طريقا من مشارق الأرض حتى إذا بلغ بين السدين وهما جبلان متناوحان[3] بينهما ثغرة يخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد الترك).[4]

ثم قال بعد ذلك : (وقد بعث الخليفة الواثق في دولته بعض أمرائه وجهز معه جيشا سرية لينظروا إلى السد ويعاينوه وينعتوه له إذا رجعوا ، فتوصلوا من بلاد إلى بلاد ومن ملك إلى ملك حتى وصلوا إليه ورأوا بناءه من الحديد ومن النحاس ، وذكروا أنهم رأوا فيه بابا عظيما وعليه أقفال عظيمة ، ورأوا بقية اللبن

---

(١) البخت : بضم موحدة وسكون معجمة : نوع من الإبل ، أى طيرا أعناقها في الطول والكبر كأعناق البخت .
تحفة الأحوذى (٦/٥٠٦) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة ح ١١٠ (٤/٢٢٥٠-٢٢٥٥) والترمذى في سننه ، كتاب الفتن باب ٥٩ ح ٢٢٤٠ (٤/٥١٠ – ٥١٣) .
وابن ماجه في سننه ، كتاب الفتن باب ٣٣ ح ٤٠٧٥ (٢/١٣٥٦ – ١٣٥٩) .
وأحمد في مسنده (٤/١٨١ - ١٨٢) .

(٣) أى متقابلان .

(٤) تفسير القرءان العظيم (٣/١٠٩) .

والعمل في برج هناك ، وأن عنده حرسا من الملوك المتاخمة له ، وأنه عال منيف شاهق لا يستطاع ولا ما حوله من الجبال ، ثم رجعوا إلى بلادهم وكانت غيبتهم أكثر من سنتين وشاهدوا أهوالا وعجائب).[1]

وقد استدل بعضهم على مكان وجود السد واطلاع البعض عليه بما رواه البزار من حديث يوسف بن مريم الحنفي قال : بينا أنا قاعد مع أبي بكرة[2] - رضي الله عنه - إذ جاء رجل فسلم عليه فقال : أما تعرفني ؟ فقال له أبو بكرة : من أنت ؟ قال : تعلم رجلا أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبره أنه رأى الردم[3] ؟ فقال أبو بكرة : أنت هو ؟ قال : نعم ، قال : اجلس حدثنا ، قال : انطلقت حتى انطلقت إلى أرض ليس لأهلها إلا الحديد يعملونه ، فدخلت بيتا فاستلقيت فيه على ظهري

---

(١) المصدر السابق (٣/ ١١٠) ، وكذا ذكر هذا الخبر السفاريني بشيء من التفصيل في اللوامع (٢/ ١١٩) ولم يذكرا للخبر سندا ولا توثيقا فمثله لا يحتج به ولا يسلم لما ورد فيه

(٢) هو نفيع بن مسروح وقيل ابن الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج الثقفي كان قد نزل يوم الطائف إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من حصن الطائف فأسلم في غلمان من غلمانها فأعتقهم النبي - عليه الصلاة والسلام - فعد أبو بكرة من مواليه ، مات بالبصرة سنة ٥١ وقيل ٥٢ .
الاستيعاب (٤/ ١٦١٤ — ١٦١٥) وأسد الغابة (٦/ ٣٨ — ٣٩) والإصابة (٦/ ٤٦٧ — ٤٦٨) .

(٣) يعني سد يأجوج ومأجوج .

ب) فتنـة المسـيح الدجـال :

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - : ذكر النبي-صلى الله عليه وسلم-يوما بين ظهرى الناس المسيح الدجال فقال : ((إن الله ليس بأعور ، ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى ، كأن عينه عنبة طافية)) [(١)].

قال الخطابي : (العنبة الطافية : هي الحبة الكبيرة التي خرجت عن حدّ نبتة أخواتها في العنقود ، يريد : أن حدقته قائمة كذلك) [(٢)].

وقال : (كان هذا الحديث عندي من الواضح الذي يستغني بظاهره عن تفسيره ، وقد بقيت زماناً أحسبه أراد بالعنبة الطافية الحبة من العنب تطفو على متن الماء ، وذلك لأن الحدقة العوراء القائمة في المقلة الناتئة من أشبه شيء بها ، حتى أخبرني مخبر عن أبي عمر صاحِبِنا قال : سئل أبو العباس ثعلب عن هذا القول فقال : الطافية : العنبة التي خرجت عن حد نبتة أخواتها ، فَعَلَت وَنَتَأَت وَظَهَرَت ، يقال : طفا الشيء إذا علا وظهر ، ومنه الطافي من السمك .

وأنشد لبعضهم يهجو رجلا ويعيبه بالجهل والنزق :

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء باب ٤٨ ح ٣٤٣٩ (الفتح ٦ / ٤٧٧) وانظر منه كتاب التعبير ح ٦٩٩٩ و ٧٠٢٦ وكتاب المغازي ح ٤٤٠٢ وكتاب الفتن ح ٧١٢٨ وكتاب التوحيد ح ٧٤٠٧ ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان ح ٢٧٣ (١/ ١٥٤-١٥٥) و ٢٧٧ (١/ ١٥٦) وفي الفتن ح : ١٠٠ (٤/ ٢٢٤٧) والترمذي في سننه كتاب الفتن باب ٦٠ ح ٢٢٤١ (٤ / ٥١٤) . وأحمد في مسنده (٢ / ٢٧) وفي مواضع أخرى منه .

(٢) أعلام الحديث (٣ / ١٥٥٩) .

قبحت من سالفة ومن قفا ** شيخ إذا مارسب القوم طفا[1]

يريد : أن الحلماء إذا ترزنوا في مجالسهم طفا هو ،أي علا وظهر بجهله[2]) .

وعن أبي سعيد الخدرى ـ رضي الله عنه ـ قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حديثاً طويلا عن الدجال ، فكان فيما يحدثنا به أنه قال : ((يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة ، فينزل بعض السباخ[3] التي تلي المدينة ، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس ـ أو من خيار الناس ـ فيقول : أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه ، فيقول الدجال : أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون في الأمر ؟ فيقولون : لا ، فيقتله ثم يحييه ، فيقول : والله ما كنت فيك أشدَّ بصيرة مني اليوم ، فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه))[4] .

قال الخطابي ـ رحمه الله تعالى ـ : (قوله : ((نقاب المدينة)) ثم قال على أثره : ((بعض السباخ)) . فإن كان أراد به اسم بقعة بعينها وإلا فالنقاب الطريق في الجبل ، كأنه أراد أن الدجال لا يدخل المدينة من طرقها .

---

(١) لم أقف على قائله ، وقد أورده ابن منظور في اللسان مادة (رسب) (٤١٨/١) وفي (طفا) (١٠/١٥) وفي الموضعين برواية " عبد " بدل " شيخ " .

(٢) غريب الحديث (٦٦٧/١) .

(٣) السباخ : بكسر المهملة جمع سبخة محركة ومسكنة ، وهي الأرض ذات نز وملح . انظر القاموس المحيط مادة (سبخ) (ص ٣٢٣) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الفتن باب ٢٧ ح ٧١٣٢ (الفتح ١٠١/١٣) وأورده قبل في الحج ح ١٨٨٢ ، ومسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة ح ١١٢ (٢٢٥٦/٤) وأحمد في مسنده (٣٦/٣) .

ظهور الدجال ـ أخساه الله وأخزاه ـ وشدة فتنته وهوله وبلاء الناس به وبما يجرى على يديه ، من علامات الساعة العظام وأشراطها الجسام ، وقد تواترت الأحاديث النبوية في شأنه والخبر عنه ، وبيان وصفه ونعته والتحذير منه وذكر ما يتوقى به منه .[1]

قال السفاريني : (قد أنذرت به الأنبياء قومها وحذرت منه أممها ، ونعتته بالنعوت الظاهرة ، ووصفته بالأوصاف الباهرة ، وحذر منه المصطفى وأنذر ، ونعته لأمته نعوتا لا تخفى على ذي بصر) .[2]

وقد صح في الحديث : ((ما بعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب ، ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور ، وإن بين عينيه مكتوب كافر)) .[3]

وثبت من قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : ((لأنا أعلم بما مع الدجال منه ، معه نهران يجريان ، أحدهما رأى العين ، ماء أبيض ، والآخر رأى العين ، نار تأجج فإما أدركن أحد فليأت النهر الذي يراه نارا وليغمض ، ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه فإنه ماء بارد ، وإن الدجال ممسوح العين ظفرة[4] غليظة ، مكتوب بين عينيه كافر

---

(١) انظر : نظم المتناثر من الحديث المتواتر ح ٢٩٠ (ص ١٤٦) .

(٢) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٨٦) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الفتن باب ٢٦ ح ٧١٣١ (الفتح ١٣/ ٩١) وانظر منه كتاب التوحيد ح ٧٤٠٨ ، ومسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة ح ١٠١ (٤/ ٢٢٤٨) وأبو داود في سننه كتاب الملاحم باب ١٤ ح ٤٣١٦ (٤/ ٤٩٤) والترمذي في سننه كتاب الفتن باب ٦٢ ح ٢٢٤٥ (٤/ ٥١٦) وأحمد في مسنده (٣/ ١٠٣) .

(٤) ظفرة : بفتح الظاء والفاء : لحمة تنبت عند المآقي ، وقد تمتد إلى السواد فتغشيه . النهاية (٣/ ١٥٨) .

يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب)) .[١]

وكان النبي-صلى الله عليه وسلم-يستعيذ في صلاته — وغيرها — من فتنة الدجال وشره وأمر أمته بذلك .

فعن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-كان يدعو في الصلاة : ((اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال . .)) الحديث .[٢]

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم:

((إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع ، يقول : اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال)) .[٣]

كما أرشد عليه الصلاة والسلام أمته إلى ما يعصمهم ويقيهم فتنة وبلاء هذا اللعين ،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة ح ١٠٥ (٢٢٤٩/٤)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأذان باب ١٤٩ ح ٨٣٢ (٣١٧/٢) وفي مواطن أخرى متفرقة ، ومسلم في صحيحه كتاب المساجد ، ومواضع الصلاة ح ١٢٩ (٤١٢/١) وفي مواضع أخرى فيما معناه ، وأبو داود في سننه كتاب الصلاة باب ١٥٣ ح ٨٨٠ (٥٤٨/١) .
والنسائي في سننه كتاب السهو باب ٦٤ ح ١٣٠٩ (٣/٥٦-٥٧) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ح ١٢٨ ، (٤١٢/١) .
وأبو داود في سننه كتاب الصلاة باب ١٨٤ ح ٩٨٣ (٦٠١/١) ،
والنسائي في سننه كتاب السهو باب ٦٤ ح ١٣١٠ (٥٨/٣) .
وابن ماجه في سننه كتاب إقامة الصلاة باب ٢٦٠ ح ٩٠٩ وأحمد في مسنده (٤٧٧/٢) وفي بعض حديث هؤلاء اختلاف يسير جدا في بعض الألفاظ .

من ذلك ما ثبت في قوله : ((من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال)) .[1]

وفي قوله : ((إن من بعدكم الكذاب المضل وإن رأسه من بعده حُبُك حُبُك حُبُك[2] - ثلاث مرات - وإنه سيقول : أنا ربكم ، فمن قال : لست ربنا لكن ربنا الله عليه توكلنا وإليه أنبنا ، نعوذ من شرك . لم يكن له عليه سلطان)) .[3]

وفي جواب الخطابي وتوجيهه لما قد يقال أو يسأل عنه من جريان هذه الآيات العظيمة الباهرة على يد هذا الأفاك الكافر الفتان - وكون بعضها من آيات ومعجزات الأنبياء المرسلين — بيان جواز ذلك على سبيل الامتحان للعباد مادام يوجد ما يدل على كذبه ودجله وبطلان دعواه بما قد وسم به من عور ونقص وعيب — ينزه عنه الباري تعالى — ، ولما كتب في جبهته من لفظة كافر يقرؤها كل مؤمن ، فهو جواب جيد سديد قال به كثير من العلماء ونص عليه وارتضاه جمع من شراح الحديث والأخبار ،أسوق طرفاً من أقوالهم تدليلاً وتأييداً على ما ذكره الخطابي وأشار إليه .

قال الإمام ابن جرير الطبرى : (لا يجوز أن تعطى أعلام الرسل لأهل الكذب والإفك في الحالة التى لا سبيل لمن عاين ما أتى به فيها إلا الفصل بين المحق منهم والمبطل ، فأما إذا كان لمن عاين ذلك السبيل إلى علم الصادق من الكاذب

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين وقصرها ح ٢٥٧ (١/٥٥٥) وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ح ٥٨٢ (٢/١٢١-١٢٤) ففيه فوائد علمية .

(٢) أي شعر رأسه متكسر من الجعودة مثل الماء الساكن أو الرمل إذا هبت عليهما الريح فيتجعدان ويصيران طرائق . النهاية (١/٣٣٢) .

(٣) مسند الإمام أحمد (٥/٣٧٢ و ٤١٠) وهو صحيح .

فمن ظهر ذلك على يده فلا ينكر إعطاء الله ذلك للكذابين ، فهذا بيان الذى أعطيه الدجال من ذلك فتنة لمن شاهده ومحنة لمن عاينه)[١].

وقال القاضي عياض[٢] : (هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده وأقدره على شيء من مقدورات الله تعالى ، من إحياء الميت الذي يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره ونهريه واتباع كنوز الأرض له وأمره السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته ، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل أمره ويقتله عيسى -صلى الله عليه وسلم- ويثبت الله الذين آمنوا . هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار ، خلافا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وخلافا للبخاري المعتزلي[٣] وموافقيه من الجهمية وغيرهم في أنه صحيح الوجود ، ولكن الذي يدعى مخارف وخيالات لا حقائق لها ، وزعموا أنه لو كان حقا لم يوثق بمعجزات الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- .

وهذا غلط من جميعهم ، لأنه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له ، وإنما

---

(١) فتح الباري (١٣/١٠٣) .

(٢) هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي القاضي الشهير أحد الأعلام ، إمام في الفقه والأصول والنحو واللغة وأيام العرب وأنسابهم حافظ لمذهب مالك ضابط لقواعده ، ولد بسبتة سنة ٤٧٦ ، ومات بمراكش سنة ٥٤٤ .
الصلة (٢/٤٥٣ - ٤٥٤) وبغية الملتمس (ص ٤٣٧) والديباج المذهب (٢/٤٦ - ٥١) .

(٣) هو أبو بكر البخاري المعتزلي ، كان يلقب (بحمل عائشة) لتعصبه لها
= = = =

يدعي الإلهية ، وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدوث فيه ونقص صورته وعجزه عن إزالة العور الذى في عينيه وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه ، ولهذه الدلائل وغيرها لا يغتر به إلا رعاع من الناس لسد الحاجة والفاقة رغبة في سد الرمق ، أو تقية وخوفاً من أذاه ،لأن فتنته عظيمة جدا تدهش العقول وتحير الألباب ، مع سرعة مروره في الأمر فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء حاله ودلائل الحدوث فيه والنقص ، فيصدقه من صدقه في هذه الحالة ،ولهذا حذرت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من فتنته ،ونبهوا على نقصه ودلائل إبطاله . وأما أهل التوفيق فلا يغترون به ولا يخدعون لما معه لما ذكرناه من الدلائل المكذبة له مع ما سبق لهم من العلم بحاله ، ولهذا يقول له الذي يقتله ثم يحييه ما ازددت فيك إلا بصيرة)[1].

وقال ابن كثير : (إن الدجال يمتحن الله به عباده بما يخلقه معه من الخوارق المشاهدة في زمانه كما تقدم أن من استجاب له يأمر السماء فتمطرهم والأرض فتنبت لهم زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم ، وترجع إليهم مواشيهم سمانا لبنا ، ومن لا يستجيب له ويرد عليه أمره تصيبهم السنة والجدب والقحط والقلة وموت الأنعام ونقص الأموال والأنفس والثمرات ، وانه يتبعه كنوز كيعاسيب النحل ، ويقتل ذلك الشاب ثم يحييه . وهذا كله ليس بمخرفة ،بل حقيقة امتحن الله بها عباده في آخر الزمان فيضل به كثيرا ويهدى به كثيرا ،يكفر المرتابون ويزداد الذين آمنوا

(=) أخذ عن أبي هاشم الكلام وعن أبي الحسن الفقه وبلغ في العلم مبلغا . هكذا ورد في المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل (فرق وطبقات المعتزلة) (ص ١١٥).

(١) شرح النووي لصحيح مسلم (١٨/٥٨ - ٥٩) .

إيمانــا) . (١)

ويقول ابن حجر : (وفي الدجال مع ذلك دلالة بينة لمن عقل على كذبــه ، لأنه ذو أجزاء مؤلفة ، وتأثير الصنعة فيه ظاهر ، مع ظهور الآفة به من عور عينيــه ، فإذا دعا الناس إلى أنه ربهم فأسوأ حال من يراه من ذوي العقول أن يعلم أنه لم يكن ليسوى خلق غيره ويعدله ويحسنه ، ولا يدفع النقص عن نفسه ، فأقل مايجب أن يقول : يا من يزعم أنه خالق السماء والأرض صور نفسك وعدلها وأزل عنهـا العاهة ، فإن زعمت أن الرب لا يحدث في نفسه شيئا فأزل ماهو مكتوب بين عينيك)[٢] .

---

(١) كتاب الفتن والملاحم (١/٩١) .

(٢) فتح البارى (١٣/١٠٣) .

هل ابن صياد هو الدجال الأكبر ؟ :

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن عمر بن الخطاب انطلق مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في رهط قبل ابن صياد حتى وجدوه يلعب مع الصبيان عند أطم بني مغالة[1] ، وقد قارب ابن صياد الحلم فلم يشعر حتى ضرب النبي -صلى الله عليه وسلم- بيده ثم قال لابن صياد : ((تشهد أني رسول الله ؟)) ، فنظر إليه ابن صياد فقال : أشهد أنك رسول الأميين[2] ، فقال ابن صياد للنبي -صلى الله عليه وسلم- : أتشهد أني رسول الله ؟ ، فرفضه وقال : ((آمنت بالله وبرسله ، فقال له : ماذا ترى ؟)) قال ابن صياد : يأتيني صادق وكاذب . فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : ((خلط عليك الأمر)) . ثم قال له النبي -صلى الله عليه وسلم- : ((إني قد خبأت لك خبيئاً)) فقال ابن صياد : هو

---

(١) بنو مغالة : قبيلة من الأنصار نُسبوا إلى امرأة منهم اسمها مغالة . انظر : الأنساب للسمعاني (١٢/٣٦٥) .

(٢) قال الحافظ ابن حجر : (فيه إشعار بأن اليهود الذين كان ابن صياد منهم كانوا معترفين ببعثة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لكن يدعون أنها مخصوصة بالعرب وفساد حجتهم واضح جدا ، لأنهم إذا أقروا بأنه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- استحال أن يكذب على الله ، فإذا ادعى أنه رسوله إلى العرب وإلى غيرها تعين صدقه فوجب تصديقه) . فتح الباري (٦/١٧٣) .

هو الدخ . فقال : ((أخسأ ، فلن تعدو قدرك)) . فقال عمر - رضي الله عنه - : (دعني يارسول الله اضرب عنقه . فقال النبي-صلى الله عليه وسلم: ((إن يكنه فلن تسلط عليه ، وإن لم يكنه فلا ضير لك في قتله)) .[1]

وقال سالم[2] : سمعت ابن عمر - رضي الله عنهما - يقول : انطلق بعد ذلك رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وأبيّ بن كعب إلى النخل التي فيها ابن صياد وهو يختل أن يسمع من ابن صياد شيئا قبل أن يراه ابن صياد ، فرآه النبي -صلى الله عليه وسلم-وهو مضطجع يعني في قطيفة له فيها رمزة ،أو زمرة ، فرأت أم ابن صياد رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وهو يتقي بجذوع النخل ، فقالت لابن صياد : ياصاف — وهو اسم ابن صياد — هذا محمد . فثار ابن صياد ،فقال النبي-صلى الله عليه وسلم- : ((لو تركته بيّن)) .[3]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز باب ٧٩ ح ١٣٥٤ (٣/٢١٨) وفي الجهاد ح ٣٠٥٥ وفي الأدب ح ٦١٧٣ وفي القدر ح ٦٦١٨ ، ومسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة ح ٩٥ (٤/٢٢٤٤) ، وأبو داود في سننه كتاب الملاحم باب ١٦ ح ٤٣٢٩ (٤/٥٠٣ - ٥٠٥) والترمذي في سننه كتاب الفتن باب ٦٣ ح ٢٢٤٩ (٤/٥١٩) .

(٢) هو أبو عمر سالم بن عبد الله بن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، القرشي العدوي المدني ، من سادات التابعين وعلمائهم وثقاتهم ،عده بعضهم من فقهاء المدينة السبعة المشهورين ، ولد سالم في خلافة عثمان - رضي الله عنه - ومات بالمدينة سنة ١٠٦ .
تهذيب الأسماء واللغات (١/٢٠٧ - ٢٠٨) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٥٧ - ٤٦٧) وتهذيب التهذيب (٣/٤٣٦ — ٤٣٨) .

(٣) أي أظهر لنا من حاله ما نطلع به على حقيقته ، والضمير لأم ابن صياد أي لو لم تعلمه بمجيئنا لتمادى على ما كان فيه فسمعنا ما يستكشف به أمره . قاله الحافظ ابن حجر في الفتح (٦/١٧٤) .

=====

قال البخاري : (وقال شعيب[(١)] في حديثه : فرفصه . رمرمة أو زمزمة .)

قال الخطابي - رحمه الله تعالى - مبينا ما جاء في هذين النصين : (الأُطم : بناء من الحجارة مرفوع كالقصر ، وآطام المدينة : حصونها .

وقوله : ((فرفصه)) إنما هو فرصّه[(٢)] ، هكذا حدثونا به من غير وجه ، يريد أنه قد ضغطه حتى ضم بعضه إلى بعض[(٣)] ، ومنه رص البناء ، كقوله عز وجل : ((كأنهم بنيان مرصوص))[(٤)] .

والدخ : الدخان . قال الراجز[(٥)] :

(=) والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجنائز باب ٧٩ حديث ١٣٥٥ (٣/٢١٨) وفي الشهادات ح ٢٦٣٨ وفي الجهاد ح ٣٠٣٣ و ٣٠٥٦ وفي الأدب ح ٦١٧٤ ، ومسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة ح ٩٥ (٤/٢٢٤٤ - ٢٢٤٥) .

(١) يعني ابن أبي حمزة الحافظ المشهور الراوي عن الزهري ، وحديثه المشار إليه أورده البخاري في الصحيح في كتاب الأدب ح ٦١٧٣ لكن تلك الكلمة كانت بلفظ (فرضه) بالضاد المعجمة ، وقد وردت عند بعضهم بالصاد المهملة كما قاله البخاري في حديث شعيب المذكور ولعل نسخة الخطابي تثبت هذا ، كما سيأتي النقل عنه في ذلك وكلامه فيه . وراجع فتح الباري (٣/ ٢٢٠ - ٢٢١) .

(٢) في الصحيح : " فرفضه " .

(٣) انظر غريب الحديث للخطابي (١/ ٦٣٤) وكذا أعلام الحديث (٣/ ٢٢٠٨) .

(٤) سورة الصف بعض آية (٤) .

(٥) هو العجاج ، واسمه عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر التميمي ، أبو الشعثاء ، كان فصيحاً بليغاً وراجزاً مجيداً ، ولد في الجاهلية ثم أسلم وأدرك بعض الصحابة كأبي هريرة - رضي الله عنه - ، ومات في

=====

وســـال غـــرب عينه فلخـــــا ** عند رواق البيت يغشى الدخـــا[1]

وقد زعم بعضهم أنه أراد أن يقول الدخان[2] فزجره النبي صلى الله عليه وســلم - فلم يستطع أن يخرج الكلمة تامة .

وقوله : ((يختِل)) معناه يطلب أن يأتيه من حيث لا يعلم فيسمع ما يقوله في خلوته ، ومنه ختل الصيد ، وهو أن يؤتى من حيث لا يشعر فيصاد .

وقد استدل به بعض أهل العلم في أن شهادة المختبئ شهادة جائزة ، وأن السمع شهادة .[3]

(=) خلافة الوليد بن عبد الملك نحو سنة ٩٠ .
التاريخ الكبير (٧/ ٩٧) والشعر والشعراء (٢/ ٥٩٥ - ٥٩٧)
والأعلام (٤/ ٨٦ - ٨٧) .

(١) الذي في ديوانه (٢/ ٢٨٠) بملحقات الديوان — :
لا خير في الشيخ إذا ما اجلخا ** وسال غرب عينه ولخــــا
وكان أكلاً قاعدا وشـــــخا ** تحت رواق البيت يغشى الدخا
وانظر - غير مأمور - مجالس ثعلب (٢/ ٣٨٣) وأمالي الزجاجي (ص ١٢١)
وخزانة الأدب (٦/ ٤٢٧ - ٤٢٨) .

(٢) قد صح في إحدى روايات حديث ابن صياد عن ابن عمر رضي الله عنه وفيه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : ((إني قد خبأت لــك خبيئة)) وخبأ له ((يوم تأتي السماء بدخان مبين)) .
أخرجه أبو داود في سننه كتاب الملاحم باب ١٦ ح ٤٣٢٩ (٤/ ٥٠٥)
قال المنذري : والإسناد الذي خرجه به أبو داود رجاله ثقات .
وكذا أخرجه الترمذي في سننه كتاب الفتن باب ٦٣ ح ٢٢٤٩ (٤/ ٥١٩)
وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) قد بوب الإمام البخاري على هذا المعنى في صحيحه من كتاب الشهادات وساق فيه بعض أقوال أهل العلم . انظر فتح الباري (٥/ ٢٤٩) .

والرمرمة : تحريك الشفتين . والمرمة[1] : الشفة .

وأما الزمزمة ـ بالزاي ـ فهو من داخل الفم إلى ناحية الحلق . والرمز أيضا رمز الشفتين[2] ، فأما الزمر فمن داخل الفم أيضا كالصغير ونحوه .

وقوله : ((لو تركته لبيَّن)) أي : بين ما في نفسه .

وقوله : ((اخسأ فلن تعدو قدرك)) ، يحتمل وجهين :

أحدهما : يريد أنه لا يبلغ قدرَهُ أن يطالع الغيب من قبل الوحي الذي يُوحى به إلى الأنبياء ، ولا من قِبل الإلهام الذي يُلقى في رُوع الأولياء ، وإنما كان الذي جرى على لسانه من ذلك شيئا ألقاه الشيطان إليه حين سمع النبي-صلى الله عليه وسلم-يراجع به أصحابه قبل دخوله النخل .

والوجه الآخر : أنه أراد بقوله : ((لن تعدو قدرك)) أي لن تسبق قدر الله فيك وفي أمرك .

وقد استدل بعض أهل العلم بهذا الحديث على أن إسلام غير البالغ قد يصح[3]

---

(١) المرمة ـ بالكسر ـ شفة البقرة وكل ذات ظلف ، لأنها بها تأكل ، والمرمة ـ بالفتح ـ لغة فيها .
قال أبو العباس : هي الشفة من الإنسان ، ومن الظِّلف المِرَمَّة والمِقَمَّة ومن ذوات الخف المشفر . اللسان مادة (رمم) (١٢/٢٥٤) .

(٢) الرمز : تصويت خفي باللسان كالهمس ، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت ، إنما هو اشارة بالشفتين . وقيل : الرمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم .
المصدر السابق مادة (رمز) (٥/٣٥٦) .

(٣) مسألة صحة إسلام الصبي من أبوين كافرين أو عدم صحة ذلك اختلفت فيها أقوال العلماء ، وقد رجح الإمام البخاري القول بصحة إسلامه، وهو قول الجمهور عامة غير الشافعية إذ لم يصح عندهم إسلامه ولا ردته ، ====

ولولا ذلك لم يكشفه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان وهو إذ ذاك غير بالغ .

وقد يسأل عن أمره فيقال : كيف يجوز أن يقاره[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو يدعي النبوة ويتركه بالمدينة يساكنه فيها ويجاوره بها ؟ ولم لم يترك عمر أن يفعل ما هم به من ضرب عنقه وهو منكر لنبوته ومدعيها لنفسه ؟

والجواب : أنه قد يحتمل ذلك وجهين من التأويل :

(=) والحق ما ذهب إليه الجمهور بدليل صحة إسلام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وهو صغير لم يبلغ الحلم ، ولما ثبت من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض ، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده ، فقعد عند رأسه فقال له : ((أسلم)) فنظر إلى أبيه وهو عنده ، فقال له : أطع أبا القاسم صلى الله عليه وسلم فأسلم . فخرج النبي صلى الله عليه وسلم - وهو يقول : ((الحمد لله الذي أنقذه من النار)) أخرجه البخاري وغيره . إضافة إلى نصوص أخرى يطول ذكرها هنا .
قال ابن حجر في الفتح (٣/ ٢٢١) عند شرحه لهذا الحديث : (وفي الحديث جواز استخدام المشرك وعيادته إذا مرض ، وفيه حسن العهد واستخدام الصغير ، وعرض الإسلام على الصبي ، ولولا صحته منه ما عرضه عليه ، وفي قوله : ((أنقذه بي من النار)) دلالة على أنه صح إسلامه ..)
راجع صحيح البخاري بشرح فتح الباري (٣/ ٢١٨ - ٢٢١) والمغني لابن قدامة (٨/ ١٣٥ - ١٣٨) ونيل الأوطار (٧/ ٢٠٠ - ٢٠٦).

(١) القر - بالضم - القرار في المكان ، قال في الصحاح في مادة (قرر) (٢/ ٧٩٠) : (وقاره مقارة : أي قر معه وسكن) .
وانظر : لسان العرب مادة (قرر) وكذا القاموس المحيط .

أحدهما : أنه حين تكلم بهذا القول كان غيرَ بالغ ، ولا حكم لقول غير البالغ ولو ارتد من أولاد المسلمين طفل لم يقتل حتى يبلغ فيستتاب ، فإن تاب وإلا قتل بعد بلوغه .

والوجه الآخر : أن هذه القصة إنما جرت له معه أيام مهادنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- اليهود وحلفائهم ، وذلك أنه كتب بعد مقدمه المدينة بينه وبين اليهود كتاباً صالحهم فيه على أن لا يُهاجوا وأن يتركوا على أمرهم ، وكان ابن الصياد من جملتهم ، فلم يعرض له رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بسوء فيما كان من قوله ذلك .

وقد اختلف الناس في أمره اختلافا شديدا ، هل هو الدجال أم لا ؟ واضطربت فيه الروايات والآراء من العلماء ، وقد جمعتها في مسألة مفردة وذكرت فيها تلك الأخبار بأسانيدها . وقد روى عن أبي ذر أنه قال : أرسلني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى أمه فسألتها فقالت : حملته اثني عشر شهرا ، فلما وقع صاح صياح الصبي ابن شهرين ، وكان يشب في اليوم الواحد شباب الصبي بشهر.(1)

---

(١) أخرج الإمام أحمد في مسنده (١٤٨/٥) بسنده عن زيد بن وهب قال : قال أبو ذر : (لأن أحلف عشر مرات أن ابن صائد هو الدجال أحب إلي من أن أحلف مرة واحدة أنه ليس به ، قال : وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعثني إلى أمه قال : « سلها كمْ حملت به ؟ » . قال : فأتيتها فسألتها فقالت : حملت به اثني عشر شهرا ، قال : ثم أرسلني إليها فقال : « سلها عن صيحته حين وقع ؟ » قال : فرجعت إليها فسألتها فقالت : صاح صيحة الصبي ابن شهر . .) .
ورجال إسناده ثقات غير الحارث بن حصيرة قال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب (ص ١٤٥) ترجمة ١٠١٨ : (صدوق يخطئ ، ورمي بالرفض) . ونقل في التهذيب (١٤٠/٢) عن العقيلي قال : (له غير حديث منكر لا يتابع عليه ، منها حديث أبي ذر في ابن صياد) .
= = = = =

وكان أبو ذر وابن عمر وجابر بن عبد الله يقولون : هو الدجال . [(١)]

وقال آخرون : ليس هو به ، وروى أنه قد تاب عن ذلك القول وراجع الإسلام بعد بلوغه ، وأنه مات بالمدينة ، وأنهم لما أرادوا الصلاة عليه كشفوا عن وجهه حتى رآه الناس فقيل لهم اشهدوا . [(٢)]

وروى عن أبي سعيد الخدري أنه قال : شتمت ابن صياد فقال لي : ألم تسمع

(=) ثم وجدت ابن حجر ذكر هذا النص عن أبي ذر ونسب تخريجه للإمام أحمد والبزار وسكت عنه ، وذكره ثانية وصحح سنده .
انظر فتح البارى (٦/١٧٣) و (١٣/٣٢٩) وشرح السنة للبغوى (١٥/٧٧) .

(١) قول ابن عمر - رضى الله عنهما - أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الملاحم باب ١٦ ح ٤٣٣٠ (٤/٥٠٦) عن نافع قال : كان ابن عمر يقول : (والله ما أشك أن المسيح الدجال ابن صياد) . وإسناده صحيح ، وصححه الحافظ في الفتح (١٣/٣٢٥) .
وقول جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب ٢٣ ح ٧٣٥٥ (الفتح ١٣/٣٢٣) عن محمد بن المنكدر قال : (رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله أن ابن الصياد الدجال . قلت : تحلف بالله ؟ قال : إني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي-صلى الله عليه وسلم-فلم ينكره النبي-صلى الله عليه وسلم-) .
وقد أخرجه - أيضا - مسلم في صحيحه ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ح ٩٤ (٤/٢٢٤٣) وأبو داود في سننه كتاب الملاحم باب ١٦ ح ٤٣٣١ (٤/٥٠٦) .

(٢) لم أقف على من أخرجه ولم أجده مسنداً لقائل ، وقد ذكره الحافظ في الفتح (١٣/٣٢٧) نقلا عن الخطابي .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((لا يدخل الدجال مكة)) ، وقد حججت معك . وقال : ((لا يولد له)) ، وقد ولد لي .[1]

---

(١) عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال : (صحبت ابن صائد إلى مكة فقال لي : أما قد لقيت من الناس ، يزعمون أني الدجال ألست سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : ((إنه لا يولد له)) . قال قلت : بلى . قال : فقد ولد لي . أو ليس سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : ((لا يدخل المدينة ولا مكة)) . قلت : بلى . قال : فقد ولدت بالمدينة ، وهذا أنا أريد مكة . قال ثم قال لي في آخر قوله : أما والله إني لأعلم مولده ومكانه وأين هو . قال فَلَبَسني) .

أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفتن ح ٨٩ (٤/ ٢٢٤١ - ٢٢٤٢) .

وعنه ـ أيضا ـ قال : (قال لي ابن صائد ـ وأخذتني منه ذَمَامَة ـ : هَذَا عذرتُ الناس ، مالي ولكم يا أصحاب محمد ؟ ألم يقل نبي الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ((إنه يهودي)) وقد أسلمت . قال : ((ولا يولد له)) ، وقد ولد لي . وقال : ((إن الله قد حرم عليه مكة)) ، وقد حججت . قال فمازال حتى كاد أن يأخذ فيَّ قوله . قال فقال له أما والله إني لأعلم الآن حيث هو وأعرف أباه وأمه . قال : وقيل له : أيسرك أنك ذاك الرجل ؟ قال : فقال : لو عرض علي ما كرهت) .

المصدر السابق كتاب الفتن ح ٩٠ (٤/ ٢٢٤٢) .

وفي رواية أخرى عن أبي سعيد الخدري قال : (خرجنا حجاجا أو عمارا ومعنا ابن صائد ، قال فنزلنا منزلا فتفرق الناس وبقيت أنا وهو ، فاستوحشت منه وحشة شديدة مما يُقال عليه ، قال وجاء بمتاعه فوضعه مع متاعي ، فقلت : إن الحر شديد ، فلو وضعته تحت تلك الشجرة ، قال ففعل . قال : فرفعت لنا غنم فانطلق فجاء بِعُس ، فقال : اشرب أبا سعيد ، فقلت : إن الحر شديد واللبن حار ، ما بي إلا أني أكره أن أشرب عن يده ـ أو قال آخذ عن يده ـ فقال : أبا سعيد لقد هممت أن آخذ حبلا فأعلقه بشجرة ثم أختنق مما يقول لي الناس يا أبا سعيد من خفي عليه حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما خفي عليكم

= = = =

واستدل بعضهم على أنه ليس بالدجال بأن تميما الداري[1] حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصة الدجال والجساسة بالمدينة[2]، وابن الصياد إذ ذاك مقيم بين ظهرانيهم) .[3] اهـ

(=) معشر الأنصار ، ألست من أعلم الناس بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((هو كافر)) وأنا مسلم ؟ أو ليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((هو عقيم لا يولد له)) ، وقد تركت ولدي بالمدينة ؟ أو ليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يدخل المدينة ولا مكة)) ، وقد أقبلت من المدينة وأنا أريد مكة ؟ . قال أبو سعيد الخدري : حتى كدت أن أعذره . ثم قال : أما والله إني لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن قال قلت له : تبا لك سائر اليوم) .
المصدر السابق كتاب الفتن ح ٩١ (٤/٢٢٤٢ - ٢٢٤٣) وسنن الترمذي مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه - كتاب الفتن باب ٦٣ ح ٢٢٤٦ (٤/ ٥١٦ - ٥١٧) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(١) هو أبو رقية تميم بن أوس بن خارجة - وقيل حارثة - بن سود - وقيل سواد - ابن جذيمة الداري نسبة إلى الدار - بطن من لخم - قدم المدينة النبوية فأسلم بها سنة تسع من الهجرة بعد أن كان نصرانيا ، فاستوطن المدينة مدة من الزمان ثم انتقل إلى الشام بعد مقتل عثمان بن عفان - رضي الله عنه - فبقي بها إلى وفاته سنة ٤٠ .
الاستيعاب (١/١٩٣ - ١٩٤) وأسد الغابة (١/٢٥٦ - ٢٥٧) ، والإصابة (١/٣٦٧ - ٣٦٨) .

(٢) وهو خبر مشهور صحيح السند طويل المتن ، أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة ح ١١٩ - ١٢٢ (٤/٢٢٦١ - ٢٢٦٥) وأبو داود في سننه كتاب الملاحم باب ١٥ ح ٤٣٢٦ ، والنسائي في سننه الكبرى كتاب الحج باب ٣٠٤ ح ٤٢٥٨ (٢/٤٨١) والترمذي في سننه كتاب الفتن باب ٦٦ ح ٢٢٥٣ (٤/٥٢١ - ٥٢٢) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) أعلام الحديث (١/٧٠٧ - ٧١٢) وراجع - أيضا - معالم السنن (٤/ ٣٤٨ - ٣٥٠) ففيه بعض الإضافات زيادة على ما ذكر .

مسألة ابن صياد هل هو الدجال الأكبر أم لا ؟ من الأمور التي وقع النزاع فيها بين أهل العلم سلفا وخلفا - رحم الله جميعهم - ، وطال الكلام حولها بين أخذ ورد وترجيح ، بحسب ما ظهر لكل فريق من نظره لكل دليل ، بينما سلك آخرون سبيل التوفيق والجمع بين تلك النصوص والأقوال .

قال النووي : (قال العلماء وقصته - يعني ابن صياد - مشكلة وأمره مشتبه في أنه هل هو المسيح الدجال المشهور أم غيره ، ولا شك في أنه دجال من الدجاجلة)[1]

وقال السفاريني : (اختلف الناس الصحابة فمن بعدهم قديماً وحديثاً في الدجال هل هو صافي بن صياد أو غيره)[2].

ويقول الشوكاني[3] : (وقد اختلف الناس في أمر ابن صياد اختلافا شديدا وأشكل أمره حتى قيل فيه كل قول)[4].

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم (١٨/٤٦) .

(٢) لوامع الأنوار البهية (٢/١٠٧) .

(٣) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني - نسبة إلى شوكان قرية من قرى السحامية - ثم الصنعاني أحد العلماء الجهابذة الأعلام فقيه محدث أصولي مفسر لغوي ، تربو مؤلفاته على المائة ، ولد سنة ١١٧٣ وتوفي بصنعاء سنة ١٢٥٠ .
البدر الطالع (٢/٢١٤ - ٢٢٥) ونيل الوطر (٢/٢٩٧ - ٣٠٢) .
والأعلام (٦/٢٩٨) .

(٤) نيل الأوطار (٧/٢٠٣) .

وبسط هذه القضية - هنا - بسرد ما ورد فيها وقيل عنها يطول جدا ويستغرق وقتا ، وتكفي الإشارة إلى مظان ذلك ومصادره لمن شاء الرجوع إليه والاطلاع عليه بغية الإفادة والاستزادة .[1]

والذي يهم في هذا المقام هو إظهار قول أبي سليمان الخطابي وبيان وجهته ، إلا أنه - عليه رحمة الله - عند عرضه المسألة وشرح بعض نصوصها وذكر طرف مما قيل فيها ، لم يفصح عن رأيه نحوها ، ولعله - والعلم عند الله تعالى - قد بث ذلك في مؤلفه المفرد في شأنها[2] ، أو أن أدلتها تساوت عنده وأقوالها تكافأت لديه .

ومهما يكن رأيه نفياً أو إثباتاً أو توقفاً فله في ذلك سلف من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من أئمة الهدى المرضيين . والله الموفق الهادي .

---

(١) راجع : التذكرة للقرطبي (ص ٧٧٥ - ٧٧٩ و ٧٩٠ - ٧٩١) .
وصحيح مسلم بشرح النووي (١٨/٤٦ - ٤٧) .
والفرقان لابن تيمية (ص ١٦٦ - ١٦٧) .
وكتاب الفتن والملاحم لابن كثير (١/٥٧) وما بعدها .
وفتح الباري (١٣/٣٢٨ - ٣٢٩) .
ولوامع الأنوار البهية (٢/١٠٧ - ١٠٩) .
ونيل الأوطار (٧/٢٠٣ - ٢٠٧) .

(٢) وهو مما لم أعثر عليه ، وقد أشار إليه فيما سبق نقله في هذا البحث .

** المبحث الثاني **

-((عذاب القبر وأسبابه))-

لم أجد لأبي سليمان الخطابي - رحمه الله عليه - كلاما طويلا في هذا المبحث غير نتف وإشارات قليلة متفرقة في ثنايا بعض كتبه، أردت ذكرها - وإن كانت على الحالة التي وصفت - بغية الوقوف على ذلك والاطلاع عليه وبيان منهجه فيه، وقد أدرجتها تحت مطلبين صغيرين :

المطلب الأول : فتنة القبر وعذابه :

قد ثبت من حديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، وفيه : ((فأما فتنة القبر فبي تفتنون وعني تسألون، فإذا كان الرجل الصالح أُجلس في قبره غير فزع ولا مشعوف))[1] الحديث.[2]

---

(١) قال الخطابي في غريب الحديث (١/٣٦٧ - ٣٦٨) : (غير مشعوف : أي غير فزع ولا مذعور، والشعف : الفزع، وقد يستعار فيوضع موضع الحب، يقال : شُعف فلان بفلانة إذا أحبها فوجد بها كما يجد الفزع في قلبه ..).
وانظر النهاية لابن الأثير (٢/٤٨١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٦/١٣٩ - ١٤٠) وأورده الحافظ الهيثمي في المجمع (٣/٤٨ - ٤٩) مكتفيا بعزوه للإمام أحمد.
وقد صحح الحافظ المنذري إسناده في الترغيب والترهيب (٦/١٦١)
وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع ح ١٣٦١ (١/٢٨٩ - ٢٩٠).

قال الخطابي : (قوله : ((فبي تفتنون)) أي : تمتحنون ، يريد سؤال الملك إياه وقوله من ربك ؟ ومن نبيك ؟) .[1] اهـ

فتنة القبر - نسأل الله الرحيم الثبات عندها - هي مساءلة الملكين : منكر ونكير[2] للميت عن ربه ودينه ونبيه ، فمن هدى فيها ووفق سعد وفاز ونجا ، وكان ما بعد ذلك عليه أهون وأيسر ، ومن خذل عندها وارتاب شقي وخسر وهلك ، وكان مابعد

---

(١) غريب الحديث (١/٣٦٧) .
وانظر معالم السنن (١/١٩) ففيه - أيضا - إثباته لعذاب القبر .

(٢) ثبت في الصحيحين وغيرهما سؤال الملكين للعبد في قبره ، وقد جاء في سنن الترمذي من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - في كتاب الجنائز باب ٧٠ ح ١٠٧١ (٣/٣٧٤) تسميتهما بالمنكر والنكير .
قال الترمذي : حديث أبي هريرة حسن غريب .
وقد أخرجه - أيضا - ابن أبي عاصم في السنة ح ٨٦٤ ، والآجري في الشريعة (ص ٣٦٥) وحسن الشيخ الألباني إسناده في السلسلة الصحيحة ح ١٣٩١ (٣/٣٧٩ - ٣٨٠) وفي صحيح سنن الترمذي ح ٨٥٦ (١/٣١١) وفي تخريج أحاديث المشكاة ح ١٣٠ (١/٤٦ - ٤٧) .
وأطلق هذه التسمية - على هذين الملكين - غير واحد من أهل العلم الأثبات ، كالإمام أحمد في كتابه السنة (ص ٤٧) . وقد قال أحمد بن القاسم : (قلت يا أبا عبد الله تقر بمنكر ونكير وما يروى في عذاب القبر؟ فقال : نعم ، سبحان الله ، نقر بذلك ونقوله .
قلت : هذه اللفظة " منكر ونكير " تقول هذا أو تقول ملكين ؟ قال : نقول منكر ونكير ، وهما ملكان ، وعذاب القبر) . اهـ
طبقات الحنابلة (١/٥٥) والروح لابن القيم (١/٢٩٦) والمقصد الأرشد (١/١٥٥) . وممن أقر بهذه التسمية أيضا أبو الحسن الأشعري في المقالات (١/٣٤٨) وفي الإبانة (ص ٦٢) والآجري في الشريعة (ص ٣٦٥) وابن بطة في الشرح والإبانة (ص ١٩٧) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٦/١١٢٧) وقوام السنة في الحجة (١/٤٧٥)

======

ذلك عليه أشر وأشد ، كما ورد في الحديث : ((إن القبر أول منازل الآخـــرة ، فمن نجا منه فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج فما بعده أشد منه)) [(١)].

وقد صح قوله عليه الصلاة والسلام : ((إن هذه الأمة تبتلى في قبورها ، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه)) [(٢)].

وقوله صلى الله عليه وسلم : ((إنه قد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور قريبـــا أو مثل فتنة المسيح الدجال)) [(٣)].

(=) وابن القيم في الروح (١/ ٢٨٤ و ٣٦٣) والسفاريني في اللوامـــع (٢/ ٥ﻫ) وغيرهم كثير .
أما ضبطها فهي بكسر الكاف في مُنْكِر ، على خلاف الشائع بفتحها . قال في التاج مادة (نكر) (٣/ ٥٨٤) : (ومنكر ونكير كمحسن وكريـــم اسما ملكين) .

(١) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الزهد باب ٥ ح ٢٣٠٨ (٤/ ٥٥٣) وابن ماجه في سننه ، كتاب الزهد باب ٣٢ ح ٤٢٦٦ (٢/ ١٤٢٦) والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٣٠) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، جميعهم من حديث عثمان بن عفان - رضي الله عنـــه - وقد حسن الشيخ الألباني سنده في تخريج المشكاة ح ١٣٢ (١/ ٤٨) وكذا في صحيح سنن الترمذي ح ١٨٧٨ (٢/ ٢٦٧) وفي صحيح سنن ابن ماجه ح ٣٤٤٢ (٢/ ٤٢١) .

(٢) هو طرف من حديث زيد بن ثابت - رضي الله عنه - أخرجه مسلم فـــي صحيحه ، كتاب الجنة وصفة نعيمها ح ٦٧ (٤/ ٢١٩٩ - ٢٢٠٠) وأحمد في المسند (٥/ ١٩٠) .

(٣) هو قطعة من حديث طويل عن أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي اللـــه عنهما - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب العلم باب ٢٤ ح ٨٦ ، (الفتح ١/ ١٨٢) وفي مواطن عدة متفرقة في الصحيح ، ومسلم فـــي صحيحه ، كتاب الكسوف ح ١١ (٢/ ٦٢٤) .
وأحمد في المسند (٦/ ٣٤٥ - ٣٤٦ و ٣٥٤ - ٣٥٥) .

إلى غير هذين النصين من أدلة كثيرة مستفيضة متظاهرة على إثبات عذاب القبر ونعيمه وفتنته ، بلغت أحاديثه مبلغ التواتر[1] ، وأجمع على ذلك أئمة السلف من صحابة وتابعين فمن بعدهم من أهل السنة والجماعة ، وهذه بعض أقوالهم :

قال الإمام أحمد : (وعذاب القبر حق ، يسأل العبد عن دينه وعن ربه ، ويرى مقعده من النار والجنة . ومنكر ونكير حق ، وهما فتانا القبور ، نسأل الله عز وجل الثبات)[2] .

وقال أبو الحسن الأشعري – وهو يعدد ما أجمع عليه السلف من الأصول – :

(وأجمعوا على أن عذاب القبر حق ، وأن الناس يفتنون في قبورهم بعد أن يحيون فيها[3] ويسألون ، فيثبت الله من أحب تثبيته)[4] .

وقال الطحاوي : (ونؤمن بعذاب القبر لمن كان له أهلا ، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعن الصحابة رضوان الله عليهم)[5] .

وقال ابن تيمية : (ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم- مما يكون بعد الموت ، فيؤمنون بفتنة القبر وبعذاب القبر

---

(١) راجع : مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٨ / ٥١) والروح (١ / ٢٨٤) ومفتاح دار السعادة (١ / ٤٣) وقطف الأزهار للسيوطي ح ١٠٩ (ص: ٢٩٤ — ٢٩٥) ولوامع الأنوار البهية (٢ / ٥) ونظم المتناثر ح : ١١١ (ص ٨٢) وح ١١٣ و ١١٤ (ص ٨٤) ومعارج القبول (٢ / ١٤٢) وما بعدها وسلسلة الأحاديث الصحيحة (١ / ٢٤٥) .

(٢) السنة (ص ٤٦ - ٤٧) .

(٣) أي حياة أخرى غير حياتهم الأولى ، فتعاد أرواحهم إليهم غير الإعادة المألوفة في الدنيا ، وذلك من أجل امتحانهم ومساءلتهم . راجع كتاب الروح لابن القيم (١ / ٢٦٢ - ٢٦٣) وما بعدهما ، وشرح العقيدة الطحاوية (٢ / ٥٧٨) .

(٤) رسالة إلى أهل الثغر (ص ٢٧٩) .

(٥) شرح العقيدة الطحاوية (٢ / ٥٧٢) .

ونعيمه . فأما الفتنة فإن الناس يمتحنون في قبورهم ، فيقال للرجل : من ربك وما دينك ، ومن نبيك ؟) الخ .[1]

ومما سبق ذكره من بعض النصوص وكذا ما نقل عن بعض أعلام السلف في هذه المسألة تظهر صحة ما تقدم نقله عن الإمام الخطابي في إثباته لفتنة عذاب القبر وتفسيره لها بامتحان المقبور ومساءلته عن ربه ودينه ونبيه .

** **

**

(١) العقيدة الواسطية مع شرحها للهراس (ص ٢٠١ - ٢٠٢) .

* المطلب الثاني *

((بعض أسباب عذاب القبر))

عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال : مر النبي - صلى الله عليه وسلم - بقبرين فقال : ((إنهما ليعذبان ، وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان لا يستتر[(١)] من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة)) . ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين ، فغرز في كل قبر واحدة . قالوا يارسول الله لم فعلت هذا ؟ قال : ((لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا)) [(٢)] .

قال الخطابي : (قوله : ((وما يعذبان في كبير)) معناه أنهما لم يعذبا في أمر كان يكبر عليهما أو يشق فعله لو أرادا أن يفعلاه ، وهو التنزه من البول

---

(١) قال الحافظ في الفتح (١/٣١٨) : (قوله ((لا يستتر)) كذا في أكثر الروايات بمثناتين من فوق ، الأولى مفتوحة والثانية مكسورة ، وفي رواية ابن عساكر ((يستبرئ)) بموحدة ساكنة من الاستبراء ، ولمسلم وأبي داود في حديث الأعمش ((يستنزه)) بنون ساكنة بعدها زاي ثم هاء ، فعلى رواية الأكثر معنى الاستتار أنه لا يجعل بينه وبين بوله سترة ، يعني لا يتحفظ منه ، فتوافق رواية لا يستنزه لأنها من التنزه وهو الابعاد ، وقد وقع عند أبي نُعيم في المستخرج من طريق وكيع عن الأعمش : ((كان لا يتوقى)) وهي مفسرة للمراد) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الوضوء باب ٥٦ ح ٢١٨ (الفتح ١/٣٢٢) وفي الكتاب نفسه ح ٢١٦ وفي الجنائز ح ١٣٦١ و ١٣٧٨ وفي الأدب ح ٦٠٥٢ و ٦٠٥٥ .
ومسلم في صحيحه كتاب الطهارة ح ١١١ (١/٢٤٠ - ٢٤١) .
وأبو داود في سننه كتاب الطهارة باب ١١ ح ٢٠ (١/٢٥ — ٢٦)
والنسائي في سننه كتاب الطهارة باب ٢٧ ح ٣١ (١/٢٨ — ٣٠)
وفي الجنائز ح ٢٠٦٨ - ٢٠٧٠ (٤/١٠٦) والترمذي في سننه أبواب الطهارة باب ٥٣ ح ٧٠ (١/١٠٢ - ١٠٣) وابن ماجه في سننه كتاب الطهارة وسننها باب ٢٦ ح ٣٤٧ (١/١٢٥) وأحمد في المسند ١/٢٢٥ .

وترك النميمة . ولم يرد أن المعصية في هاتين الخصلتين ليست بكبيرة في حق الدين ، وأن الذنب فيهما هين سهل . .

وأما غرسه شق العسيب على القبر وقوله : ((لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا)) فإنه من ناحية التبرك بأثر النبي -صلى الله عليه وسلم- ودعائه بالتخفيف عنهما ، وكأنه -صلى الله عليه وسلم- جعل مدة النداوة فيهما حدا لما وقعت به المسألة من تخفيف العذاب عنهما ، وليس ذلك من أجل أن في الجريد الرطب معنى ليس في اليابس ، والعامة في كثير من البلدان تغرش الخوص[1] في قبور موتاهم ، وأراهم ذهبوا إلى هذا ، وليس لما تعاطوه من ذلك وجه . والله أعلم).[2] اهـ

---

(١) الخوص بالضم : ورق النخل ، الواحدة خوصة ، والخواص : بائعه . القاموس المحيط مادة (خوص) (ص ٧٩٨) .

(٢) معالم السنن (١/ ١٩ - ٢٠) .

نص بعض أهل العلم على أن أسباب عذاب القبر تنقسم إلى قسمين :
مجملة ومفصلة .

فالأول منها ما كان شركا بالله تعالى وجهلا به وإضاعة لأوامره وارتكابا لمعاصيه .

وثانيها : ما جاء الخبر به عن الله سبحانه أو عن رسوله - عليه الصلاة والسلام - مفصلا في نصوص كثيرة بذكر أعمال مخصوصة ، يطول بسطها وإيرادها هنا[1] .

ويُعد عدم الاستبراء من البول والمشي بين الناس بالنميمة آحادها ، وقد أشار بعض العلماء إلى لطيفة في مناسبة الجمع بين هاتين الخصلتين قائلا : (إن القبر أول منازل الآخرة ، وفيه أنموذج ما يقع في يوم القيامة من العقاب والثواب . والمعاصي التي يعاقب عليها يوم القيامة نوعان :
حق لله وحق لعباده ، وأول ما يقضى فيه يوم القيامة من حقوق الله الصلاة ، ومن حقوق العباد الدماء .

وأما البرزخ فيقضى فيه في مقدمات هذين الحقين ووسائلهما ، فمقدمة الصلاة :
الطهارة من الحدث والخبث ، ومقدمة الدماء : النميمة والوقيعة في الأعراض .
وهما أيسر أنواع الأذى ، فيبدأ في البرزخ بالمحاسبة والعقاب عليهما)[2] .

وفي قول الخطابي - رحمه الله - : (ولم يرد أن المعصية في هاتين الخصلتين ليست بكبيرة في حق الدين ، وأن الذنب فيهما هين سهل) . يفيد أن عدم

---

(١) انظر : التذكرة للقرطبي (ص ١٥٤) وما بعدها ، والروح لابن القيم (١ / ٣٤٠ - ٣٤٤) .

(٢) أهوال القبور لابن رجب (ص ١١٦) وانظر : فتح الباري (١٠ / ٤٧٢) .

الاستبراء من البول والمشي بين الناس بالنميمة من جملة الكبائر ، وهو ما صرح به جمع من الأئمة وذهب إليه كثير من العلماء[١] ، وهو الحق – إن شاء الله – بدليل قوله عليه الصلاة والسلام : ((يعذبان وما يعذبان في كبير – ثم قال – بلى))[٢]. أي إنه لكبير[٣] . وفي الرواية الأخرى : ((يعذبان وما يعذبان في كبيرة ، وإنه لكبير))[٤] .

وقوله : (وليس ذلك من أجل أن في الجريد الرطب معنى ليس في اليابس والعامة في كثير من البلدان تفرش الخوص في قبور موتاهم ، وأراهم ذهبوا إلى هذا . وليس لما تعاطوه من ذلك وجه) . كلام جيد ورأي حسن وتوجيه سديد ، تؤيده الأدلة وتشهد له صحاح الآثار كما سيأتي بيانه إن شاء الله .

وقد ذهب البعض إلى جواز فعل ذلك واستحباب عمله ، بل إن بعض الصحب الكرام[٥] – رضي الله عن جميعهم – أوصى بأن يوضع في قبره جريدتان[٦] اقتداء – حسب

---

(١) منهم الإمام البخاري ، إذ بوب على ذلك من كتاب الوضوء بقوله : (باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله) ، وكذا في كتاب الأدب بقوله : (باب النميمة من الكبائر) والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١١٥) والإمام الذهبي في الكبائر (ص ١١٣ - ١١٤) و (ص ١٥٢ - ١٥٣) والهيتمي في الزواجر (١/ ١٢٥ - ١٢٦) و (٢/ ٢٣ - ٢٦) وملا علي القاري في المرقاة (٢/ ٥٦ - ٥٩) .

(٢) صحيح البخاري كتاب الوضوء باب ٥٥ ح ٢١٦ (الفتح ١/ ٣١٧) .

(٣) قاله الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ٣١٧) .

(٤) صحيح البخاري كتاب الأدب باب ٤٩ ح ٦٠٥٥ (الفتح ١٠/ ٤٧٢) .

(٥) وهو بريدة بن الحصيب الأسلمي – رضي الله عنه – .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز معلقا مجزوما . انظر فتح الباري (٣/ ٢٢٢) .

الفعل ولا الدعوة إليه ، ولو كان فعله مسنونا لبادروا إليه وعملوا بمقتضاه كعادتهم فيما صحت مشروعيته وثبتت سنيته - .

وأما فعل ذلك الصحابي - رضي الله عنه - فهو منه اجتهاد[1] والمجتهد معرض للخطأ والصواب. والصواب في المسألة هنا مع من ترك ذلك من الصحابة لعلمهم بالسنة وحفظهم لها أكثر من غيرهم .[2]

فبان بهذا صحة ما ذكره الخطابي في استنكاره وضع الجريد أو غيره على القبور تمسكاً بهذا النص الذي لا يدل في حقيقة أمره على العمل بمقتضاه بالنسبة لكل ميت، وإنما هو من خصوصيات الرسول صلى الله عليه وسلم كما تم بيانه وتوضيحه ، وبالله وحده التوفيق والرشاد .

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٣/٢٢٣) : (وكأن بريدة حمل الحديث على عمومه ولم يره خاصا بذينك الرجلين) .

(٢) انظر لزاماً تعليق الشيخ أحمد شاكر على سنن الترمذي (١/١٠٢ — ١٠٣) عند حديث ابن عباس تحت رقم ٧٠ من أبواب الطهارة ، وكذا تعليق الشيخ عبد العزيز بن باز على فتح الباري (١/٣٢٠) هامش (١) و (٣/٢٢٣) هامش (١) وتعليق الشيخ الألباني على مشكاة المصابيح (١/١١٠) هامش (٥) وأحكام الجنائز وبدعها (ص ٢٥٣— ٢٥٨) .

* المبحث الثالث *

ـ((حكم من مات من أطفال المشركين))ـ

ثبت من حديث سمرة بن جندب [(١)] ـ رضي الله عنه ـ في نص طويل في قصة رؤيا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفيه : ((وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة)) قال : فقال بعض المسلمين : يارسول الله وأولاد المشركين ؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((وأولاد المشركين)) الحديث [(٢)].

قال الخطابي ـ عند هذه الفقرة من الحديث ـ : (وأما قول القائل : يارسول الله (وأولاد المشركين) فإن ظاهر هذا الكلام أنه ألحقهم بأولاد المسلمين في حكم الآخرة ، وإن كان قد حكم لهم بحكم آبائهم في الدنيا ، وذلك أنه سئل عن ذراري

---

(١) هو أبو عبد الله وقيل أبو عبد الرحمن وأبو سعيد وأبو سليمان ، سمرة ابن جندب بن هلال ، أحد الصحب الكرام والحفاظ المكثرين عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وكان قد نزل البصرة واستوطنها إلى أن توفي بها سنة ٥٨ وقيل فيما بعدها في خلافة معاوية رضي الله عنه .
الاستيعاب (٢/ ٦٥٣ - ٦٥٥) وأسد الغابة (٢/ ٤٥٤ - ٤٥٥)
والإصابة (٣/ ١٧٨ - ١٧٩) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (مطولا) في كتاب التعبير باب ٤٨ ح : ٧٠٤٧ (الفتح ١٢/ ٤٣٨ - ٤٣٩) ومقطعا في الأذان ح ٨٤٥ وفي التهجد ح ١١٤٣ وفي الجنائز ح ١٣٨٦ وفي البيوع ح ٢٠٨٥ وفي الجهاد ح ٢٧٩١ وفي بدء الخلق ح ٣٢٣٦ وفي الأنبياء ح ٣٣٥٤ وفي التفسير ح ٤٦٧٤ وفي الأدب ح ٦٠٩٦ .
ومسلم في صحيحه (مختصرا) في كتاب الرؤيا ح ٢٣ (٤/ ١٧٨١) .
والنسائي في السنن الكبرى كتاب التعبير باب ٢٣ ح ٧٦٥٨ (٤/ ٣٩١ - ٣٩٢) .
والترمذي في سننه (مختصرا) كتاب الرؤيا باب ١٠ ح ٢٢٩٤ (٤/ ٥٤٣) .

المشركين فقال : ((هم من آبائهم)) .[(١)]

وللناس في أطفال المشركين اختلاف . وعامة أهل السنة على أن حكمهم حكم آبائهم في الكفر .

وقد ذهبت طائفة منهم إلى أنهم في الآخرة من أهل الجنة[(٢)] ، وقد روى آثار عن نفر من الصحابة ، واحتجوا لهذه المقالة بحديث النبي -صلى الله عليه وسلم-:

((كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه))[(٣)] ،

واحتجوا بقول الله عز وجل : ﴿ وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت ﴾[(٤)] ،

واحتجوا بقول الله عز وجل : ﴿ يطوف عليهم ولدان مخلدون ﴾[(٥)] .

---

(١) هو قطعة من حديث عائشة - رضي الله عنها - وسيأتي قريباً بتمامه .

(٢) سيأتي إن شاء الله تعيين القائلين بذلك .

(٣) هو طرف من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - ، وقد أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجنائز باب ٧٩ ح ١٣٥٨ و ١٣٥٩ (الفتح ٣/٢١٩) وح ١٣٨٥ وفي التفسير ح ٤٧٧٥ وفي القدر ح ٦٥٩٩ .
ومسلم في صحيحه كتاب القدر ح ٢٢ (٤/٢٠٤٧ - ٢٠٤٨) .
وأبو داود في سننه ، كتاب السنة باب ١٨ ح ٤٧١٤ (٥/٨٦ - ٨٨)
والترمذي في سننه كتاب القدر باب ٥ ح ٢١٣٨ (٤/٤٤٧) ومالك في موطئه ، كتاب الجنائز باب ١٦ ح ٥٢ (١/٢٤١) .
وأحمد في مسنده (٢/٢٧٥ و ٣٩٣ و ٤١٠ و ٤٨١) ، وقد وقع في متنه اختلاف يسير في بعض ألفاظه وحروفه .

(٤) سورة التكوير آية (٨ - ٩) .

(٥) سورة الواقعة آية (١٧) وقد وردت الآية في سورة الإنسان بعض آية (١٩) .

قال بعض أهل التفسير : إنهم أطفال الكفار ، واحتجوا لذلك بأن اسم الولدان مشتق من الولادة ، ولا ولادة في الجنة ، فكانوا هم الذين نالتهم الولادة في الدنيا .[١]

وروى عن بعضهم أنهم كانوا سبياً وخدماً للمسلمين فهم كذلك خدم لهم في الجنة[٢]) .اهـ[٣]

وعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين فقال : ((الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين))[٤] .

قال الخطابي : (ظاهر هذا الكلام يوهم أنه صلى الله عليه وسلم لم يُفت السائل عنهم وأنه رد الأمر في ذلك إلى علم الله جل وعز من غير أن يكون قد جعلهم من المسلمين أو ألحقهم بالكافرين ، وليس هذا وجه الحديث ، وإنما معناه أنهم كفار ملحقون في الكفر بآبائهم ، لأن الله سبحانه قد علم أنهم لو بقوا أحياء حتى يكبروا لكانوا يعملون عمل الكفار . يدل على صحة هذا التأويل قوله في حديث عائشة قالت : قلت يارسول الله ذراري المؤمنين ؟ فقال : ((من آبائهم)) ، فقلت : يارسول الله بلا عمل ؟ قال : ((الله أعلم بما كانوا عاملين))

---

(١) لم أقف على هذا فيما رجعت إليه من كتب التفسير .

(٢) سيأتي - بإذن الله تعالى - تعيين أصحاب هذا القول .

(٣) أعلام الحديث (٤/٢٣٢٣ - ٢٣٢٥) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجنائز باب ٩٢ ح ١٣٨٣ (الفتح ٣/٢٤٥) وفي القدر ح ٦٥٩٧ .
وسلم في صحيحه كتاب القدر ح ٢٨ (٤/٢٠٤٩) .
وأبو داود في سننه كتاب السنة باب ١٨ ح ٤٧١١ (٥/٨٤ - ٨٥)
والنسائي في سننه ، كتاب الجنائز باب ٦٠ ح ١٩٥١ (٤/٥٨-٥٩)
وفي الباب عن أبي هريرة - رضي الله عنه - .

قلت : يارسول الله فذراري المشركين ؟ قال : ((من آبائهم)) قلت : بلا عمل ؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين)) .[1]

فهذا يدل على أنه قد أفتى في المسألة ولم يغفل الجواب عنها على حسب ما توهمه من ذهب إلى الوجه الأول في تأويل الحديث) .[2] اهـ

قضية أطفال المشركين الذين ماتوا قبل بلوغهم الحنث ووصولهم سن الرشد والتكليف من كبريات القضايا ومعارك المسائل التي خاضها العلماء سلفاً وخلفاً ، فتعددت في ذلك أقوالهم وتباينت وجهات أنظارهم ، إذ اعتمد كل منهم على نص أو ركن إلى أثر.

وهاهي تلك الأقوال أعرضها مع نسبتها لمن وقفت عليه من قائليها بدون ذكر أدلتها وسرد حجج أهلها خشية الإفاضة والإطالة[3] ، ولولا أن الخطابي - رحمه الله - لم يشر إلى ذلك لما ذكرته ، إذ المهم - هنا - بيان رأيه وإيضاح قوله لا غير .

القول الأول : أن أطفال المشركين في الجنة ، وهو ما ذهب إليه الإمام البخاري وابن حزم وابن الجوزى والنووي والجبائي من المعتزلة وطائفة من المفسرين والمتكلمين وجماعة من أصحاب الإمام أحمد ، وهو الظاهر من كلام الحافظ ابن حجر .[4]

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة باب ١٨ ح ٤٧١٢ (٥/ ٨٥) وقد صحح الشيخ الألباني إسناده في صحيح سنن أبي داود ح ٣٩٤٣ (٣/ ٨٩٣) .

(٢) معالم السنن (٤/ ٣٢٤ - ٣٢٥) .

(٣) سوف أشير في آخر هذا المبحث للمصادر والمراجع التي تناولت هذه المسألة إن شاء الله تعالى .

(٤) انظر : الأصول الخمسة (ص ٤٧٧) والفصل لابن حزم (٤/ ١٢٧) وشرح النووي لصحيح مسلم (١٦/ ٢٠٨) ومجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٧٢) ودرء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤٣٥) وطريق الهجرتين (ص ٦٤٢) وفتح الباري (٣/ ٢٤٦) .

. القول الثاني : أن أطفال المشركين في النار ، وهو قول الأزارقة من الخوارج ، وحكاه عياض عن الإمام أحمد[(١)] ، واختاره أبو يعلى ، وهو قول جماعة من المتكلمين والمفسرين وطائفة من أصحاب الإمام أحمد[(٢)].

القول الثالث : التوقف في الحكم عليهم ، وأنهم تحت المشيئة ، وهذا منقول عن الحمادين[(٣)] وهو مقتضى صنيع مالك في الموطأ[(٤)] ، وقول عبد الله بن المبارك والشافعي ومنصوص عن الإمام أحمد وذهب إليه إسحاق بن راهويه . (٥)

(١) هكذا ذكره ابن حجر في الفتح (٣/ ٢٤٦)، ولعله وَهِمَ في نسبة ذلك إلى القاضي عياض، وإنما هو القاضي أبو يعلى ، فقد قال ابن تيمية كما هو في المجموع (٢٤/ ٣٧٢) : (فطائفة من أهل السنة وغيرهم قالوا إنهم كلهم في النار ، واختار ذلك القاضي أبو يعلى وغيره ، وذكر أنه منصوص عن أحمد ، وهو غلط على أحمد) . وراجع : درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤٣٥) وكذا طريق الهجرتين (ص ٦٣٧ - ٦٣٨) .

(٢) انظر: الفصل (٤/ ١٢٧) ومجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٧٢) ودرء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤٣٥) وطريق الهجرتين (ص ٦٣٧ - ٦٣٨) .

(٣) حماد بن سلمة وحماد بن زيد - رحمهما الله تعالى - .

(٤) قال ابن عبد البر في التمهيد (١٨/ ١١٢) بعد أن ذكر القائلين بالتوقف في المسألة - : (وهو يشبه ما رسمه مالك في أبواب القدر في موطئه وما أورد في ذلك من الأحاديث ، وعلى ذلك أكثر أصحابه ، وليس عن مالك فيه شيء منصوص ، إلا أن المتأخرين من أصحابه ذهبوا إلى أن أطفال المسلمين في الجنة وأطفال الكفار - خاصة - في المشيئة لآثار وردت في ذلك) .

(٥) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٨/ ١١١ - ١١٢) ودرء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤٣٥) وطريق الهجرتين (ص ٦٤٧ - ٦٤٨) وفتح الباري (٣/ ٢٤٦) .

القول الرابع : أنهم في منزلة بين منزلتين ، فيكونون في برزخ بين الجنة والنار ، إذ ليس لهم إيمان ولا هم قد عملوا حسنات يدخلون بذلك الجنة ، كما ليست لهم — أيضا — سيئات يدخلون بها النار ، وإلى هذا القول ذهبت طائفة من المفسرين ، قالوا : وهم أهل الأعراف .(١)

القول الخامس : أنهم خدم أهل الجنة ومماليكهم .(٢)

القول السادس : أن حكمهم حكم آبائهم في الدنيا والآخرة ، فلا يفردون عنهم بحكم في الدارين ، ومعناه أنهم مؤمنون بإيمان آبائهم كافرون بكفرهم ، فهم — إذا — في نار جهنم ، وهذا قول الإمام الخطابي ونسبه إلى عامة أهل السنة — كما قد سبق نقل ذلك عنه — ، وذكر النووي أنه قول الأكثرين ، ونسبه ابن تيمية لبعض الحنابلة .(٣)

---

(١) طريق الهجرتين (ص ٦٤٧) وفتح الباري (٣/٢٤٦) .

(٢) لم أقف على تسمية من ذهب إلى هذا ، وانظر : أعلام الحديث : (٢٣٢٥/٤) وطريق الهجرتين (ص ٦٤٨ - ٦٤٩) وفتح الباري (٣/٢٤٦)

(٣) أعلام الحديث (٤/٢٣٢٤) ومعالم السنن (٤/٣٢٤ - ٣٢٥) والتمهيد لابن عبد البر (١٨/٩٦ - ٩٧) وصحيح مسلم بشرح النووي : (١٦/٢٠٧ - ٢٠٨) ومختصر الفتاوى المصرية (ص ٦٤٢) وطريق الهجرتين (ص ٦٤٩ - ٦٥٢) وفتح الباري (٣/٢٤٦) .

وقد فرق الإمام ابن القيم - رحمه الله - بين هذا القول وقول من يقول بأنهم في النار — كقول الأزارقة وغيرهم — فقال في طريق الهجرتين (ص ٦٤٩) : (إن صاحب هذا المذهب يجعلهم معهم تبعا لهم — يعني الأطفال مع آبائهم — ، حتى لو أسلم الأبوان بعد موت أطفالهما لم يحكم لأفراطهما بالنار ، وصاحب القول الآخر يقول هم في النار لكونهم ليسوا بمسلمين لم يدخلوها تبعا) .

القول السابع : أنهم يمتحنون في عرصات القيامة فيرسل إليهم رسول ، فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار ،أو ترفع لهم نار ، ويؤمرون باقتحامها ، فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ، ومن أبى أدخل النار ، ومقتضى هذا أن بعضهم في الجنة وبعضهم في جهنم على حسب طاعتهم وعصيانهم ، وإلى هذا ذهب الإمام أبو الحسن الأشعري ، وهو الظاهر من كلام الحافظ البيهقي واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية ونص على أنه منقول عن غير واحد من السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم ، ورجحه العلامة ابن القيم وانتصر له .(١)

القول الثامن : أنهم يصيرون ترابا ،قاله ثمامة بن أشرس النميري .(٢)

القول التاسع : الإمساك عن الخوض في هذه المسألة مطلقا وكراهة الكلام فيها جملة ، وهو منقول عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ومحمد بن الحنفية والقاسم بن محمد وغيرهم . (٣)

(١) الإبانة (ص ٦٣) والاعتقاد للبيهقي (ص ١٦٩ - ١٧٠) ومجموع الفتاوى (٤/ ٢٤٥ - ٢٤٧ و٣١١ - ٣١٢) ودرء تعارض العقل والنقل: (٨/ ٤٣٦ - ٤٣٧) ومختصر الفتاوى المصرية (ص ٦٤٣) وطريق الهجرتين (ص ٦٥٢) وما بعدها .

(٢) وهو أحد كبار المعتزلة ومن رؤوس الغواية والضلالة ، زعيم الطائفة الثمامية منهم وإليه تنسب ، هلك قتيلا سنة ٢١٣ .
ترجمته في : فرق وطبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار (ص ٧٠ — ٧٣) وميزان الاعتدال (١/ ٣٧١ - ٣٧٢) ولسان الميزان (٢/ ٨٣ — ٨٤) .
وقوله المذكور عن حكم الأطفال ذكره البغدادي في الفرق بين الفرق (ص ١٧٢) وابن حزم في الفصل (٥/ ٦٢) وابن حجر في الفتح (٣/ ٢٤٦) .

(٣) حكاه ابن القيم في طريق الهجرتين (ص ٦٦١ — ٦٦٢) .

وبعد هذه النقول ومراجعتي واطلاعي على أدلتها في مظانها وتوجيهها من قائليها ترجح لي واستبان - والعلم عند الله تعالى - أن القول الأول القاضي بدخول أطفال المشركين الجنة هو الصائب منها لظهور نصوصه ووضوح حجته وكثرة أدلته ، أسوق بعضاً من ذلك تدليلا له وبرهاناً عليه .

١) قال الله تعالى : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ .[١]

٢) وقال عز وجل : ﴿ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلوا عليهم ءايتنا وماكنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون ﴾ .[٢]

وجه الدلالة من هاتين الآيتين الكريمتين أن الله سبحانه وتعالى أخذ على نفسه أن لا يعذب أحداً إلا بعد إرسال الرسل لينذروهم ويبلغوهم ما أمر الله به ، والأطفال ليسوا محلاً للتبليغ لأنهم غير مكلفين ، لذا فهم في الجنة ، والله سبحانه وتعالى لا يظلم عباده إلا بعد صدور الظلم منهم ، والأطفال لم يصدر منهم الظلم فكيف يعذبهم ، فهم في الجنة .[٣]

وهناك آيات أخرى دالة بلفظها ومدلولها على هذا المعنى .

ومن نصوص السنة النبوية :

١) قوله عليه الصلاة والسلام : ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ؟)) ثم يقول أبو هريرة - رضي الله عنه -

---

(١) سورة الإسراء بعض آية (١٥) .

(٢) سورة القصص آية (٥٩) .

(٣) أهل الفترة ومن في حكمهم (ص ٩٢) .

((فطرت الله التي فطر الناس عليها))) .[1] [2]

ووجهه أن الله سبحانه وتعالى قد فطر عباده جميعا على ملة الإسلام الحنيف ، ومعلوم أن الطفل إذا مات قبل أن يهوده أبواه أو ينصرانه أو يمجسانه فقد مات مسلما على أصل فطرته ، فيدخل بذلك الجنة إن شاء الله .

٢) قوله صلى الله عليه وسلم : ((النبي في الجنة ، والشهيد في الجنة والمولود في الجنة ، والوئيد في الجنة)) .[3]

ودلالته واضحة ، إذ حكم عليه الصلاة والسلام لهؤلاء جميعا وقضى لهم بدخول الجنة ، ولفظ المولود هنا عام يشمل من كان أبواه مسلمين أو كافرين .

٣) قوله صلى الله عليه وسلم : ((سألت ربي اللاهين[4] من ذرية البشر ألا يعذبهم ، فأعطانيهم)) .[5]

---

(١) سورة الروم بعض آية (٣٠) .

(٢) تقدم تخريجه قريبا (ص٥٣٤) .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الجهاد باب ٢٧ ح ٢٥٢١ (٣ / ٣٣-٣٤) ، وأحمد في مسنده (٥ / ٥٨) وابن عبد البر في تمهيده (١٨ / ١١٦) .
وقد حسن الحافظ ابن حجر إسناده في الفتح (٣ / ٢٤٦) وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود ح ٢٢٠٠ (٢ / ٤٧٩) .
والحديث من رواية عوف عن خنساء (ويقال حسناء) بنت معاوية عن عمها مرفوعا .

(٤) قال ابن عبد البر في التمهيد (١٨ / ١١٧) : (إنما قيل للأطفال اللاهين لأن أعمالهم كاللهو واللعب من غير عقد ولا عزم ، من قولهم : لهيت عن الشيء أي لم أعتمده ، كقوله : ((لاهية قلوبهم)) سورة الأنبياء بعض آية (٣) .

(٥) أخرجه أبو يعلى في مسنده ح ٤٠٨٧ (٤ / ١٤٦) من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - وانظر منه ح ٣٥٥٨ و ٣٦٢٤ .

=====

ووجه دلالة النص أن عدم تعذيبهم يدل على أنهم في الجنة .

٤) ما ثبت في حديث سمرة بن جندب ـ رضي الله عنه ـ مرفوعا وفيه قوله عليه الصلاة والسلام : ((وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم صلى الله عليه وسلم، وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة)) . قال : فقال بعض المسلمين : يارسول الله وأولاد المشركين ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((وأولاد المشركين)) الحديث .[1]

وفي رواية أخرى لهذا الحديث نفسه وفيه : ((والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام والصبيان حوله أولاد الناس)) الحديث .[2]

قال الحافظ ابن عبد البر : (وهذا يقتضي ظاهره وعمومه جميع الناس)[3] .

(=) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٩/٧) : (رواه أبو يعلى من طرق ورجال أحدها رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن المتوكل وهو ثقة) .
وقال ابن حجر في الفتح (٢٤٦/٣) : (إسناده حسن) .
وقد أدرجه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ح ١٨٨١ (٥٠٢/٤)
وقال في آخر كلامه عليه : (وجملة القول أن الحديث حسن عندي بمجموع طرقه) .

(١) تقدم تخريجه (ص ٥٣٣) .

(٢) صحيح البخاري كتاب الجنائز باب ٩٣ ح ١٣٨٦ (الفتح ٢٥١/٣ ـ ٢٥٢) وقد سبقت الإشارة إلى هذا الموضع (ص ٥٣٢) .

(٣) التمهيد (١١٨/١٨) .

وقال العلامة ابن القيم : (فهذا الحديث الصحيح صريح في أنهم في الجنة ورؤيا الأنبياء وحي) . (١)

قال النووي ـ رحمه الله ـ : (الصحيح الذي ذهب إليه المحققون أنهم من أهل الجنة ، ويستدل له بأشياء ، منها حديث إبراهيم الخليل ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين رآه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الجنة وحوله أولاد الناس ، قالوا يارسول الله وأولاد المشركين قال : ((وأولاد المشركين)) رواه البخاري في صحيحه (٢) ، ومنها قوله تعالى : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ (٣) ، ولا يتوجه على المولود التكليف ويلزمه قول الرسول حتى يبلغ ، وهذا متفق عليه والله أعلم) . (٤)

وقال الإمام ابن القيم ـ بعد ذكره لنصوص كثيرة لأصحاب هذا القول ـ : (وهذه حجج كما ترى قوة وكثرة ، ولا سبيل إلى دفعها) . (٥)

---

(١) طريق الهجرتين (ص ٦٤٢) .

(٢) وقد مر تخريجه (ص : ٥٣٣) .

(٣) سورة الإسراء بعض آية (١٥) .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/٢٠٨) .

(٥) طريق الهجرتين (ص ٦٤٦ - ٦٤٧) .
وراجع لهذه المسألة : الفصل لابن حزم (٤/١٢٧ - ١٣٦) والاعتقاد للبيهقي (ص ١٦٤ - ١٧٠) والتمهيد لابن عبد البر (١٨/٥٧-١٤١) والتذكرة للقرطبي (ص ٥٩١ - ٦٠٠) وشرح صحيح مسلم للنووي (١٦/٢٠٧) وما بعدها ومجموع الفتاوى (٤/٢٤٥) وما بعدها وكذا (ص ٣١٢) و (٢٤/٣٧٢ - ٣٧٣) ومختصر الفتاوى المصرية (ص ٦٤٢-٦٤٤) ودرء تعارض العقل والنقل (٨/٤٣٥) وما بعدها ، وطريق الهجرتين ـ وهو أوسع سابقيه ـ (ص ٦٣٤ - ٦٦٢) وفتح الباري (٣/٢٤٦) وما بعدها ، وأهل الفترة ومن في حكمهم (ص ٨٩ -١٠١) .

* المبحث الرابـــع *

-((يـــوم القيامـــة))-

المطلب الأول : الشفاعة العظمى .

عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :

((أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي ، نُصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة))[1].

قال الخطابي – رحمه الله تعالى – عند شرحه لهذا الحديث : (.. وقوله : ((أعطيت الشفاعة)) فإنها هي الفضيلة العظمى التي لم يشاركه فيها أحد من الأنبياء ، وبها ساد الخلق كلهم حتى يقول : ((أنا سيد ولد آدم))[2] ، وذلك في القيامة حين يشفع للخلق في الحساب ولا يشفع غيره)[3]. اهـ

قال الراغب الأصفهاني : (الشفاعة : الانضمام إلى آخر ناصرا له وسائلا عنه ،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التيمم باب ١ ح ٣٣٥ (١/٤٣٥ – ٤٣٦) وفي الصلاة ح ٤٣٨ وقطعة منه في فرض الخمس ح ٣١٢٢ .
ومسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة ح ٣ (١/ ٣٧٠ – ٣٧١)
والنسائي في سننه كتاب الغسل والتيمم باب ٢٦ ح ٤٣٢ (١/ ٢٠٩ – ٢١١) .
والدارمي في سننه كتاب الصلاة باب ١١١ ح ١٣٨٩ (١/ ٣٧٤ – ٣٧٥) .

(٢) ورد هذا النص في أحاديث متعددة ، وقد مضى بعضها .
انظر (ص : ٤٠١، ٤٠٧، ٤١٣)

(٣) أعلام الحديث (١/ ٣٣٥) .

وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى ، ومنه الشفاعة يوم القيامة)(١) .

وقال ابن الأثير : (قد تكرر ذكر الشفاعة في الحديث فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة ، وهي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم ، يقال شفع يشفع شفاعة ، فهو شافع وشفيع ، والمشفع الذى يقبل الشفاعة والمشفع الذي تقبل شفاعته)(٢) .

وأمر الشفاعة في الآخرة قد ثبت بنصوص كثيرة جدا - قرآنية وحديثية - ودلت هذه النصوص وخاصة منها الحديثية على أن الشفاعة أنواع عدة ، منها ما يخص نبينا محمدا -صلى الله عليه وسلم- لا يشاركه فيه غيره ، ومنها ما يكون لإخوانه الأنبياء والرسل - صلوات الله وسلامه عليهم جميعا - ، ومنها ما يكون للملائكة وغيرهم من المؤمنين (٣) .

وأعظم تلك الشفاعات كلِّها وأكبرُها وأجلُّها الشفاعة العامة العظمى للرسول -صلى الله عليه وسلم- في أهل الموقف التي يتأخر عنها أولوا العزم من الرسل فمن دونهم ، لإراحة الخلائق من هول وشدة ذلك اليوم العصيب بتعجيل حسابهم وفصل القضاء بينهم بين يدي الله تبارك وتعالى أحكم الحاكمين بقسطه وعدله .

---

(١) المفردات (ص ٢٦٣) .

(٢) النهاية (٢/٤٨٥) .

(٣) ومما يدل على ذلك - وهو كثير - ما صح من حديث أبي سعيد الخدرى - رضي الله عنه - من نص مطول مرفوع وفيه : ((فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين ،
=====

وإلى هذه الشفاعة يشير قوله سبحانه :- ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾[1] .

وثبت من قوله عليه الصلاة والسلام : ((أنا سيد الناس يوم القيامة ، هل تدرون بمن يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي وتدنوا منهم الشمس ، فيقول بعض الناس : ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما بلغكم ؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس : أبوكم آدم ، فيأتونه فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ، ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا ؟ فيقول : ربي غضب غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله ، ونهاني عن الشجرة فعصيت ، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح ، فيأتون نوحا فيقولون : يانوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وسماك الله عبدا شكورا ، أما ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما بلغنا ؟ ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ فيقول : ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب

(=) فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط)) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان ح ٣٠٢ (١/١٦٧ - ١٧١) .
وأحمد في مسنده (٣/٩٤ - ٩٥) .

(١) سورة الإسراء آية (٧٩) .
قال العلامة ابن جرير الطبري - رحمه الله تعالى - في تفسيره (١٥/١٤٣ - ١٤٤) - عند هذه الآية - : (..فقال أكثر أهل العلم : ذلك هو المقام الذي هو يقومه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ماهم فيه من شدة ذلك اليوم) .
ثم ساق أقوال من ذهب إلى ذلك من العلماء .
وراجع تفسير الحافظ ابن كثير (٣/٥٨ - ٦٢) .

قبله مثله ولا يغضب بعده مثله . نفسي نفسي ، ائتوا النبي-صلى الله عليه وسلم-

فيأتوني فأسجد تحت العرش ، فيقال : يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفع وسل

تعطه)) .[1]

إلى غير هذا الحديث من أحاديث كثيرة أخرى ثابتة في الصحيحين وغيرهما عن

جمع من الصحابة - رضوان الله عليهم - تثبت هذه الشفاعة الكبرى لرسولنا الكريم

- عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم- يطول جدا بسطها في هذا المقام ، ويكفي

- بحمد الله - أنها بلغت حد التواتر المقطوع بصحته .[2]

ولقد أخذ السلف الصالح بهذه النصوص واعتقدوا مدلولها ، فكان ذلك من جملة

إيمانهم وأصول عقيدتهم وصحة مذهبهم .

قال ابن أبي زمنين : (وأهل السنة يؤمنون بالشفاعة ، وقال عز وجل : ﴿ عسى

أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾[3])[4] .

وقال القرطبي - متحدثا عن الشفاعة العظمى - : (هذه الشفاعة العامة التي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء باب ٣ ح ٣٣٤٠ (الفتح ٦/٣٧١) وح ٣٣٦١ (مختصرا) وفي التفسير ح ٤٧١٢ بأتم وأطول مما هنا .

ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان ح ٣٢٧ (١/١٨٤ - ١٨٦) .

والترمذي في سننه كتاب صفة القيامة باب : ١٠ ح ٢٤٣٤ (٤/٦٢٢ - ٦٢٣) .

(٢) تواتر أحاديث الشفاعة العظمى حكاه غير واحد من أهل العلم .

راجع : قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة ح ١١٢ (ص ٣٠٣ - ٣٠٥) ونظم المتناثر ح ٣٠١ (ص ١٤٩) .

(٣) سورة الإسراء بعض آية (٧٩) .

(٤) أصول السنة (٢/٥٩٥) .

خص بها نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من بين سائر الأنبياء هي المراد بقوله عليه السلام : ((لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي)) ، ورواه الأئمة البخاري ومسلم وغيرهما[1] وهذه الشفاعة العامة لأهل الموقف إنما هي ليعجل حسابهم ويراحوا من هول الموقف وهي الخاصة به ـ صلى الله عليه وسلم ـ . .)[2].

وقال النووي : (قوله صلى الله عليه وسلم : ((وأعطيت الشفاعة)) هي الشفاعة العامة التي تكون في المحشر بفزع الخلائق إليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، لأن الشفاعة في الخاصة جعلت لغيره أيضا)[3].

وتحدث ابن تيمية عن شفاعاته ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقال : (أما الشفاعة الأولى فيشفع في أهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أن يتراجع الأنبياء ، آدم ، ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم عن الشفاعة حتى تنتهي إليه . .)[4].

---

(١) البخاري في صحيحه كتاب الدعوات باب ١ ح ٦٣٠٤ (الفتح ١١ / ٩٦) وفي التوحيد ح ٧٤٧٤ . ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان ح ٣٣٤ ، وما بعده (١ / ١٨٨ - ١٩٠) وأحمد في مسنده (٣ / ١٣٤ و ٢٥٨) وفي مواضع أخرى منه ، وهو من حديث أبي هريرة وأنس بن مالك ـ رضي الله عنهما ـ . وانظر : كتاب السنة لابن أبي عاصم ح ٧٩٧ و ٧٩٨ و ٧٩٩ (ص ٣٥٧ - ٣٥٨) .

(٢) التذكرة (ص ٢٨١) .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (٥ / ٤) .

(٤) شرح العقيدة الواسطية (ص ٢١٥) .

وراجع : كتاب التوحيد لابن خزيمة (٢ / ٥٨٨) والدرة فيما يجب اعتقاده (ص ٢٩٤ - ٢٩٧) والشفا للقاضي عياض (١ / ٢١٦ — ٢٢٤) ، وشرح العقيدة الطحاوية (١ / ٢٨٢ — ٢٩٤) ولوامع الأنوار البهية (٢ / ٢٠٤ - ٢١٨) ومعارج القبول (٢ / ٣٠٥ — ٣١٢) .

وبعد سرد هذه النقول والأقوال والإحالة إلى غيرها في مظانه مما هو في معناها يتبين التوافق بين قول الخطابي رحمه الله وبين أقوال السلف رحمهم الله جميعا .

** **

**

* المطلب الثاني *

—((رؤيــة اللــه عــز وجــل في الآخرة))—

عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : كان النبي-صلى الله عليه وسلم-بارزا يوما للناس[1] ، فأتاه رجل فقال : ما الإيمان ؟ قال : ((الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث)) الحديث .[2]

قال الخطابي - رحمه الله - عند شرحه لفقرات هذا الحديث - : (وقوله : ((أن تؤمن بلقائه)) ، فيه إثبات رؤية الله عز وجل في الآخرة).[3]

وعن جرير بن عبد الله بن جابر البجلي[4] - رضي الله عنه - قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة - يعني البدر - فقال : ((إنكم

---

(١) أي ظاهرا لهم غير محتجب عنهم ولا ملتبس بغيره . قاله الحافظ في الفتح (١/١١٦) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب ٣٧ ح ٥٠ (الفتح ١/١١٤) وفي التفسير ح ٤٧٧٧ .
وسلم في صحيحه كتاب الإيمان ح ٥ و٧ (١/٣٩ - ٤٠) .
وابن ماجه في سننه المقدمة باب ٩ ح ٦٤ (١/٢٥) .

(٣) أعلام الحديث (١/١٨٢) .

(٤) هو أبو عمرو وقيل : أبا عبد الله جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك البجلي ، صحابي شهير ، وقد اختلف أهل العلم في وقت إسلامه على أقوال ، كما اختلفوا - أيضا - في تاريخ ومكان وفاته فقيل سنة ٥١ وقيل ٥٤ .
الاستيعاب (١/٢٣٦ - ٢٤٠) وأسد الغابة (١/٣٣٣ - ٣٣٤) والإصابة (١/٤٧٥ - ٤٧٦) .

ويقول - رحمه الله - في موضع آخر : (قوله ((تضامون)) هو من الانضمام ، يريد أنكم لا تختلفون في رؤيته حتى تجتمعوا للنظر وينضم بعضكم إلى بعض ، فيقول واحد هو ذاك ، ويقول الآخر ليس بذاك على ماجرت به عادة الناس عند النظر إلى الهلال أول ليلة من الشهر ، ووزنه تفاعلون ، وأصله تتضامون ، حذفت منه إحدى التاءين .

وقد رواه بعضهم تضامون - بضم التاء وتخفيف الميم - فيكون معناه على هذه الرواية أنه لا يلحقكم ضيم ولا مشقة في رؤيته .

وقد تخيل إلى بعض السامعين أن الكاف في قوله ((كما ترون)) كاف التشبيه للمرئي ① ، وإنما هو كاف التشبيه للرؤية وهو فعل الرائي ، ومعناه ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك وتنتفي معها المرية[2] كرؤيتكم القمر ليلة البدر لا ترتابون به ولا تمترون فيه)[3] .

---

(١) كما تزعمه المعتزلة فقد قال قاضيهم عبد الجبار : (إن هذا الخبر يتضمن الحيز والتشبيه ، لأنا لا نرى القمر إلا مدورا عاليا منورا ، ومعلوم أنه لا يجوز أن يرى القديم تعالى على هذا الحد ، فيجب أن نقطع على أنه كذب على النبي - صلى الله عليه وسلم - وأنه لم يقله) .
شرح الأصول الخمسة (ص ٢٦٨) .
قال أبو بكر ابن السمعاني - رحمه الله تعالى - : (ورد المعتزلة هذا الحديث وقالوا : إنه تشبيه لله بالقمر وذلك لا يجوز على الله تعالى وسموا أهل السنة مشبهة بروايتهم وقبولهم له ولما يشاكله من الأحاديث وذلك خذلان من الله تعالى أدركهم ، فَسَدَّ عن سواء الحق مسلكهم ، وكثيرا ما يرمون أهل السنة بالأباطيل وهي أليق بهم ، وهم أولى منهم بكل فضيحة وسمة قبيحة ، وليس في الحديث تشبيه الخالق بالخلق ولا المرئي بالمرئي ، وإنما فيه تشبيه النظر بالنظر والرؤية بالرؤية على ما بينا والله أعلم) . ضوء الساري لأبي شامة (ص ١٠٢) .

(٢) المرية : بالكسر ، هي الشك في الشيء والاختلاف فيه .
أفاده الخطابي في أعلام الحديث (١/٥٢٣) .

(٣) معالم السنن (٤/٣٢٩) . وانظر له غريب الحديث (٣/٢٥٩ - ٢٦٠) .

ويصرح أبو سليمان في موطن آخر بإثباته رؤية المؤمنين ربهم-جل وعلا- في الدار الآخرة عيانا كما كان اعترافهم بربوبيته في دار الدنيا علما واستدلالا ، وأما المنافقون فلا يستحقون ذلك أبدا ، إذ منه يمنعون وعنه يحجبون[(١)] .

هكذا يُثبت الإمام الخطابي - عليه رحمة الله - رؤية المؤمنين ربهم الباري-جل وعلا- يوم القيامة بأبصارهم عيانا بيانا بدون أستار ولا حجب ، وهو شيء قد دل عليه صريح الكتاب العزيز وتواترت به الأحاديث النبوية وأجمع عليه الصحابة والتابعون ومن بعدهم من أئمة الدين المرضيين وأعلامه المتبوعين خلفا عن سلف عبر القرون وتعاقب الأجيال . إلا ما كان من شراذم قليلة خاسرة، وطوائف ضالة مبتدعة ، لا يأبه لها ولا ينظر لرأيها ولا يسمع لقولها ، خرجت بذلك عن الجماعة وخالفت الأمة ., فهم عن نور الهدى محجوبون وعن صراط الله المستقيم ناكبون ، ولكتابه الكريم مخاصمون ، ولسنة نبيه المصطفى جاحدون ، ولاتباع آثار السلف الصالح معادون .

فعلى عقولكم العفاء فإنكم ** عاديتم المعقول والمنقولا

وطلبتم أمرا محالا وهو إدراك ** الهدى لا تبتغون رسولا

لا يستقل العقل دون هداية ** بالوحي تأصيلا ولا تفصيلا

فإذا النبوة لم ينلك ضياؤها ** فالعقل لا يهديك قط سبيلا

طرق الهدى محدودة إلا على ** من أم هذا الوحي والتنزيلا

ياطالبا درك الهدى بالعقل ** دون النقل لن تلق لذاك دليلا[(٢)]

---

(١) انظر أعلام الحديث (١/ ٥٢٣ - ٥٢٦) .

(٢) هذه الأبيات مختارة من قصيدة للعلامة ابن القيم - رحمه الله تعالى - بثها في كتابه الماتع الصواعق المرسلة (٣/ ٩٧٨ - ٩٨١) .

وبسط نصوص هذه المسألة ـ هنا ـ وعرض أقوال علماء السلف فيها يطول جداً إذ حبلها المتين مديد قد حفلت به كتب الأحاديث والعقائد والتفاسير بل وكثير من أهل العلم أفردوها بالتأليف لاستيعاب أدلتها وجمع مئات أقوال الأئمة بشأنها ودحض شبه اولئك المارقين عنها.(1)

ويكفي ما نقل عن الإمام أبي سليمان، إذ وافق به قول ومذهب أهل السنة والجماعة قاطبة.

---

(1) إضافة إلى ما رسمه الأئمة العلماء في ثنايا كتب كثيرة جداً عن هذه المسألة فإن مجموعة منهم خصوها بالتأليف، أذكر ما علمت في ذلك:

- كتاب فيه ما جاء من الحديث في النظر إلى الله تعالى للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن وضاح الأندلسي (ت ٢٨٦ هـ) ذكره الزركلي في الأعلام (٧/١٣٣) وكحالة في معجم المؤلفين (١٢/٩٤) ولم أقف عليه عند غيرهما، وأفاد الزركلي أن مخطوطة الكتاب محفوظة بخزانة السيد حسن حسني عبد الوهاب الصمادحي التونسي.
- [كتاب] العمد في الرؤية و[كتاب] جواز رؤية الله بالأبصار، كلاهما للإمام أبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ) قال ـ رحمه الله ـ عن الأخير: (نقضنا فيه جميع اعتلالات المعتزلة في نفيها وإنكارها وإبطالها). ذكرهما ابن عساكر في التبيين (ص ١٢٨ - ١٢٩) والبغدادي في هدية العارفين (١/٦٧٧).
- كتاب التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن الحسين الآجرى (ت ٣٦٠) وهو مطبوع متداول.
- كتاب الرؤية للإمام الحافظ الطبراني ـ صاحب المعاجم الثلاثة ـ (ت ٣٦٠) ذكره الذهبي في السير (١٦/١٢٨) وابن تيمية في المجموع (٦/٤٨٦).
- كتاب رؤية الله جل وعلا للإمام الحافظ علي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥) وهو مطبوع متداول.

=====

. . . .

(=) — كتاب في رؤية الله تبارك وتعالى للإمام الفقيه المحدث أبي محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد المعروف بابن النحاس (ت ٤١٦) وهو مطبوع متداول .

— كتاب تثبيت الرؤية لله في القيامة للحافظ أبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) ذكره السمعاني في التحبير (١/ ١٨١) وابن تيمية في المجموع (٦/٤٨٦) .

— كتاب الرؤية للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١٤٢١) والبغدادي في هدية العارفين (١/ ٧٨) .

— ضوء الساري إلى معرفة رؤية الباري عز وجل للإمام الحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة (ت: ٦٦٥هـ) وهو مطبوع متداول .

— لشيخ الإسلام ابن تيمية مؤلف في رؤية النساء لربهم جل وعلا أشار إليه ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٣٨٤) .

— إطلاق العنان في رؤية الله تعالى في العيان، وكتاب: القول العلي في رؤية الملك العلي ، كتابان للشيخ محمد حجازى بن محمد بن عبد الله المصري الشافعي القلقشندى الشهير بالواعظ (ت : ١٠٣٥) . ذكر الأول البغدادي في الذيل (١/ ٩٥) وفي الهدية (٢/ ٢٧٤) والثاني في الذيل (٢/ ٢٥٠) .

— البُغية في مسألة الرؤية للشيخ العلامة محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠) ذكره في البدر الطالع (٢/ ٢٢١) وأشار إليه في فتح القدير (٥/ ٣٤٠) .

* المطلب الثالث *

((وجود الجنة والنار وأنهما مخلوقتان أبديتان))

يقول الخطابي - رحمه الله - عند شرحه لاسم الله تعالى : (الباقي)[١] : (هو الذي لا تعترض عليه عوارض الزوال ، وهو الذي بقاؤه غير متناه ولا محدود، وليست صفة بقائه ودوامه كبقاء الجنة والنار ودوامهما ، وذلك أن بقاءه أزلي أبدي ، وبقاء الجنة والنار أبدي غير أزلي . ومعنى الأزل : ما لم يزل ، ومعنى الأبد : مالا يزال[٢] والجنة والنار مخلوقتان كائنتان بعد أن لم تكونا .

فهذا فرق ما بين الأمرين ، والله أعلم)[٣].

---

(١) لم يرد في القرآن الكريم هذا الاسم ، وقد ورد في حديث الترمذي وغيره في عد الأسماء الحسنى ، ومعلوم أن ذلك لم يثبت مرفوعا كما نبه عليه الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/٢١٧) وغيره من أهل العلم ،إلا أن كثيرا من العلماء قد أدرج هذا الاسم في تَعداد أسماء الله تعالى اعتمادا على النص المذكور أو استنباطا من بعض الآيات القرآنية .
انظر: اشتقاق أسماء الله الحسنى (ص ٢٠٠ - ٢٠١) ، وكتاب التوحيد لابن منده (٢/٨٦ - ٨٨) ، والأسماء والصفات للبيهقي (ص ٢٦) ، والمقصد الأسنى للغزالي (ص ١٣١) والحجة في بيان المحجة (١/١٢٧ - ١٢٩) .

(٢) الأزل : استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب الماضي كما أن الأبد استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب المستقبل . والأزلي : مالا يكون مسبوقا بالعدم .
تعريفات الجرجاني (ص ١٧) . وفي كشاف اصطلاحات الفنون (١/١٢٢) الأزل بفتح الألف والزاى المعجمة : دوام الوجود في الماضي كما أن الأبد دوامه في المستقبل .

(٣) شأن الدعاء (ص ٩٦) .

ويقول عند شرحه للحديث : ((الاختصار في الصلاة راحة أهل النار))[1]:

(الاختصار : وضع اليد على الخاصرة ، والمعنى أنه فعل اليهود في صلاتهم[2] وهم أهل النار ، ليس على أن لأهل النار الذين هم أهلها خالدين فيها راحة. قال الله تعالى : ﴿ لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون ﴾[3]. فأما قوله تعالى : ﴿ خٰلدين فيها مادامت السموٰت والأرض إلا ما شاء ربك ﴾[4] فمعناه إلا ما شاء ربك من زيادة التأبيد بعد زوالهما ، والله أعلم).اهـ[5]

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ح ٩٠٩ (٢/٥٧) وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان ح ٢٢٨٦ (٦/٦٣) والبيهقي في سننه (٢/٢٨٧ — ٢٨٨) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعا إلا أن في سنده عبد الله بن الأزور ، قال عنه الذهبي في الميزان (٢/٣٩١ - ٣٩٢): (عبد الله بن الأزور عن هشام بن حسان بخبر منكر ، قال الأزدي: ضعيف جدا ، له عن هشام عن محمد عن أبي هريرة مرفوعا : ((الاختصار في الصلاة استراحة أهل النار))). وأعاد الحافظ ابن حجر كلام الذهبي والأزدي بحروفه في اللسان (٣/٢٥٧ - ٢٥٨) . وقال الحافظ الهيثمي في المجمع (٢/٨٥) بعد أن ذكره : رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد الله بن الأزور ضعفه الأزدي وذكر له هذا الحديث وضعفه به .
وانظر : فتح الباري (٣/٨٩) وكذا تعليق الشيخ الألباني على صحيح ابن خزيمة في الموضع المذكور أعلاه .

(٢) فعن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أنها كانت تكره أن يجعل المصلي يده في خاصرته وتقول : (إن اليهود تفعله) .
أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب أحاديث الأنبياء باب ٥٠ ح ٣٤٥٨ (الفتح ٦/٤٩٥) .

(٣) سورة الزخرف : آية (٧٥) .

(٤) سورة هود بعض آية (١٠٧) .

(٥) غريب الحديث (١/٢٧٧) .

ما قرره الإمام الخطابي في هذه المسألة ونص عليه من أن الجنة والنار مخلوقتان بعد أن لم تكونا ،أبديتان بعد خلقهما وإيجادهما ، هو قول السلف عامة بمقتضى أدلة وافرة من الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، خلافا للمعتزلة والقدرية النفاة المعطلين ، إذ النصوص الواردة الدالة على خلقهما ووجودهما وأبديتهما أكثر من أن تحصى وتحصر أورد طرفا منها ،إذ الإيمان ببعضها إيمان بأجمعها وكذا نفي بعضها نفي لكليتها .

فمما يدل على خلق الجنة والنار ووجودهما الآن — من الكتاب — قوله سبحانه : ﴿ وقلنا يـٰآدم اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾[1] .

وقوله : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السمٰوٰت والأرض أعدت للمتقين ﴾[2] .

وقوله : ﴿ ولقد رءاه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ﴾[3] .

وقوله : ﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين ءامنوا بالله ورسله ﴾[4] .

وقال جل شأنه عن النار : ﴿ فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكٰفرين ﴾[5] .

وقال : ﴿ وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا ﴾[6] .

---

(١) سورة البقرة بعض آية (٣٥) .
(٢) سورة آل عمران آية (١٣٣) .
(٣) سورة النجم آية (١٣ - ١٥) .
(٤) سورة الحديد بعض آية (٢١) .
(٥) سورة البقرة بعض آية (٢٤) .
(٦) سورة الفرقان بعض آية (١١) .

اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال : أى رب وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها ، فحفها بالشهوات ثم قال : ياجبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال : أى رب وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها)) .[1]

عن عمران بن حصين - رضى الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :
((اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء)) .[2]

ومن كلام أهل العلم - سلف الأمة وأئمتها - ما يلي :

قال الإمام أحمد : (وإن الله خلق الجنة قبل الخلق وخلق لها أهلا ونعيمها دائم ، ومن زعم أنه يبيد من الجنة شيء فهو كافر ، وخلق النار قبل خلق الخلق وخلق لها أهلا وعذابها دائم) .[3]

(=) والنسائي في سننه كتاب السهو باب ١٠٢ ح ١٣٦٣ (٣/٨٣) .

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة باب ٢٥ ح ٤٧٤٤ (٥/١٠٨-١٠٩) والنسائي في سننه كتاب الأيمان والنذور باب ٣ ح ٣٧٦٣ (٧/٣-٤) . والترمذى في سننه كتاب صفة الجنة باب ٢١ ح ٢٥٦٠ (٤/٦٩٣-٦٩٤) وأحمد في مسنده (بتحقيق أحمد شاكر) ح ٨٣٧٩ (١٦/١٦٩) وقال : إسناده صحيح .

(٢) أخرجه البخارى في صحيحه ، كتاب بدء الخلق باب ٨ ح ٣٢٤١ ، (الفتح ٦/٣١٨) وفي النكاح ح ٥١٩٨ وفي الرقاق ح ٦٤٤٩ ، وح ٦٥٤٦ ، ، والترمذى في سننه كتاب صفة جهنم باب ١١ ح : ٢٦٠٢ (٤/٧١٦) والنسائي في الكبرى كتاب عشرة النساء باب ١١٣ ح ٩٢٥٩ ، وباب ١١٤ ح ٩٢٦٠ (٥/٣٩٨-٣٩٩) .

(٣) من رسالة للإمام أحمد لمسدد بن مسرهد بن مسربل البصري أوردها ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (١/٣٤٢-٣٤٥) وفيها النص المذكور .

وقال أبو الحسن الأشعري - وهو يحكي ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة - : (ويقرون أن الجنة والنار مخلوقتان)[1].

وقال الآجري : (اعلموا - رحمنا الله وإياكم - أن القرآن شاهد أن الله عز وجل خلق الجنة والنار قبل أن يخلق آدم عليه السلام ، وخلق للجنة أهلا وللنار أهلا قبل أن يخرجهم إلى الدنيا ، لا يختلف في هذا من شمله الإسلام وذاق حلاوة طعم الإيمان ، دل على ذلك القرآن والسنة ، فنعوذ بالله ممن كذب بهذا) ثم ساق - رحمه الله - نصوصا كثيرة - قرآنية وحديثية - برهانا على هذا[2].

وقال ابن بطة - وهو يعدد ما ينبغي على العبد التمسك به - : (ثم الإيمان بأن الله عز وجل خلق الجنة والنار قبل خلق الخلق)[3].

وقال ابن أبي العز الحنفي : (اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ، ولم يزل على ذلك أهل السنة حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية فأنكرت ذلك وقالت : بل ينشئها الله يوم القيامة ، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله ، وأنه ينبغي أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا ، وقاسوه على خلقه في أفعالهم ، فهم مشبهة في الأفعال ، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة ، وقالوا : خلق الجنة قبل الجزاء عبث ، لأنها تصير معطلة مُدَداً متطاولة ، فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى ، وحرفوا النصوص عن مواضعها

---

(١) مقالات الإسلاميين (١/ ٣٤٩) .

(٢) الشريعة (ص ٣٨٧) وما بعدها .

(٣) الشرح والإبانة (ص ٢٠٦) .

وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم) . (١)

ومما يدل على دوام الجنة والنار وأبديتهما من نصوص القرءان قولـه تعالـى :

﴿ وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا ، كذلك يريهم الله أعمٰلهم حسرٰت عليهم وما هم بخٰرجين من النار ﴾ (٢) . وقوله : ﴿ والذين ءامنوا وعملوا الصٰلحٰت سندخلهم جنٰت تجرى من تحتها الأنهٰر خٰلدين فيها أبدا ، وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا ﴾ (٣) . وقوله : ﴿ يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخٰرجين منها ولهم عذاب مقيم ﴾ (٤) . وقولـه : ﴿ يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوٰن وجنٰت لهم فيها نعيم مقيم ، خٰلدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم ﴾ (٥) وقوله : ﴿ مثل الجنة التي وُعد المتقون تجري من تحتها الأنهٰر أُكُلُها دائِم وظلها تلك عُقْبى الذين اتقوا وعقبى الكٰفرين النار ﴾ (٦) وقوله : ﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقٰبلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين)) (٧) .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦١٤ - ٦١٥) .
وراجع : مقالات الإسلاميين (٢/ ١٦٨) والإبانة (ص ٦٣) وشرح أصول الاعتقاد (٦/ ١١٨٤ - ١١٩٦) وعقيدة السلف للصابوني (ص ٦٦) والبعث والنشور (ص ١١٢) وما بعدها والحجة في بيان المحجة (١/ ٤٧١ — ٤٧٥) وحادي الأرواح (ص ٣٥) وما بعدها ، ولوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٣٠) وما بعدها .

(٢) سورة البقرة آية (١٦٧) .

(٣) سورة النساء آية (١٢٢) .

(٤) سورة المائدة آية (٣٧) .

(٥) سورة التوبة : آية (٢١ - ٢٢) .

(٦) سورة الرعد : آية (٣٥) .

(٧) سورة الحجر آية (٤٧ - ٤٨) .

وقوله : ﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور ﴾.[1] وقوله : ﴿ إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون ،لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون ، وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ، ونادوا يامالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون ﴾.[2]

إلى غير ما ذكر من الآيات القاضية بهذا المعنى صراحة وإشارة.

ومن أدلة السنة – وهي أيضا كثيرة – : قوله عليه الصلاة والسلام : ﴿ إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ، ثم ينادي منادٍ يا أهل الجنة لا موت ،يا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم ،ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم ﴾[3] وقوله : ﴿ يدخل الله أهل الجنة الجنة ، ويدخل أهل النار النار ،ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول : يا أهل الجنة لا موت ، ويا أهل النار لا موت ،كل خالد فيما هو فيه ﴾.[4]

---

(١) سورة فاطر آية (٣٦).

(٢) سورة الزخرف آية (٧٤ - ٧٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق باب ٥١ ح ٦٥٤٨ (الفتح ١١/٤١٥).
وسلم في صحيحه ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ح ٤٣ (٤/ ٢١٨٩) وأحمد في المسند (٢/١١٨ و ١٢٠ - ١٢١) جميعهم من حديث عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - وفي الباب عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة - رضى الله عنهما - في الصحيحين وغيرهما.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق باب ٥٠ ح ٦٥٤٤ (الفتح ١١/٤٠٦) وسلم في صحيحه (واللفظ له) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ح ٤٢ (٤/٢١٨٩) عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما .

وقوله : ((ينادي مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا ، وإن لكم أن تَحْيَـوا فلا تموتوا أبدا ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا ، وإن لكم أن تنعمـــوا فلا تيأسوا أبدا)) ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ ونُودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾[1] [2] .

وقوله : ((أما أهل النار الذين هم أهلها (وفي رواية : الذين لا يريد اللـه عز وجل إخراجهم) ، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناس أصابتهم النـار بذنوبهم أو قال بخطاياهم (يريد الله عز وجل إخراجهم) ، فأماتهم إماتـة حتى إذا كانوا فحما أذن بالشفاعة ، فجيء بهم ضبائر ضبائر[3] ، فبثوا على أنهـار الجنة ، ثم قيل : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم ، فينبتون نبات الحبة تكون فـي حميل السيل))[4] .

---

(١) سورة الأعراف بعض آية (٤٣) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريـرة - رضي الله عنهما - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ح ٢٢ (٤/٢١٨٢) والنسائي في سننه الكبرى كتاب التفسير باب ١٤٥ ح ١١١٨٤ (٦/ ٣٤٥) والترمذي في سننه ، كتاب التفسير باب ٤١ ح ٣٢٤٦ (٥/ ٣٧٤) وأحمد في مسنده (٢/٣١٩) و (٣/٣٨ و ٩٥) .

(٣) الضبائر جمع ضبارة ، وهم الجماعات من الناس في تفرقة .
انظر : النهاية لابن الأثير (٣/ ٧١ - ٧٢) ولسان العرب مادة (ضبر) (٤/ ٤٨٠) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان ح ٣٠٦ (١/ ١٧٢ - ١٧٣) وابن ماجه في سننه كتاب الزهد باب ٣٧ ح ٤٣٠٩ (٢/ ١٤٤١) والدارمي في سننه كتاب الرقاق باب ٩٦ ح ٢٨١٧ (٢/ ٤٢٧) ، وأحمد في مسنده (٣/ ٥ و ١١ و ٢٠ و ٧٨ - ٧٩) جميعهم من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - .

وفي حديث الشفاعة الطويل وفيه : ((ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة)) (قال الراوي : فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة قال) فأقول : يارب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود))[١].

قال البخاري ـ رحمه الله ـ : (إلا من حبسه القرآن يعني قول الله تعالى : ﴿ خٰلدين فيها ﴾)[٢].

ومن كلام أئمة السلف في هذه المسألة فأذكر منه ما يلي :

قال الإمام أحمد في كلام له : (وقد خلقت النار وما فيها ، وخلقت الجنة وما فيها خلقهما الله عز وجل ثم خلق الخلق لهما ، لا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبدا . فإن احتج مبتدع بقوله : ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾[٣] ونحو هذا من متشابه القرآن ، قيل له : كل شيء مما كتب الله عز وجل عليه الفناء والهلاك هالك ، والجنة والنار خلقهما الله عز وجل للبقاء لا للفناء ولا للهلاك ، وهما من الآخرة لا من الدنيا)[٤].

وقال أبو جعفر الطحاوي : (والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدا ولا تبيدان)[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير (سورة البقرة) باب ١ ح : ٤٤٧٦ (الفتح ٨/ ١٦٠) وفي الرقاق ح ٦٥٦٥ وفي التوحيد ح ٧٤١٠ و ٧٤٤٠ . ومسلم في صحيحه (واللفظ له) كتاب الإيمان ح : ٣٢٢ (١/ ١٨٠ - ١٨١) وابن ماجه في سننه كتاب الزهد باب ٣٧ ح ٤٣١٢ (٢/ ١٤٤٢ - ١٤٤٣) وأحمد في مسنده (٣/ ٢٤٤ - ٢٤٥) كلهم من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ .

(٢) فتح الباري (٨/ ١٦٠) .

(٣) سورة القصص بعض آية (٨٨) .

(٤) كتاب السنة (ص ٤٧) .

(٥) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦١٤) .

وقال ابن بطة : (ونعيم الجنة لا يزول دائم أبدا في النضرة ، والنعيم والأزواج من الحور العين لا يمتن ولا ينقصن ولا يهرمن ، ولا ينقطع ثمارها ونعيمها ، كما قال عز وجل : ﴿ أكلها دائم وظلها ﴾[1] . وأما عذاب النار فدائم أبدا بدوام الله وأهلها فيها خالدون من خرج من الدنيا غير معتقد للتوحيد ولا متمسك بالسنة)[2].

وقال ابن أبي زمنين : (وأهل السنة يؤمنون بأن الجنة والنار لا يفنيان ولا يموت أهلوهما)[3].

وقال الصابوني : (ويشهد أهل السنة ويعتقدون أن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما باقيتان لا تفنيان أبدا ، وأن أهل الجنة لا يخرجون منها أبدا ، وكذلك أهل النار الذين هم أهلها خلقوا لها لا يخرجون أبدا)[4].

ويقول ابن حزم : (اتفقت فرق الأمة كلها على أنه لا فناء للجنة ولا لنعيمها ، ولا للنار ولا لعذابها ، إلا جهم بن صفوان وأبا الهذيل العلاف[5] وقوما من الروافض ، فأما جهم فقال : إن الجنة والنار يفنيان ويفنى أهلهما ، وقال أبو الهذيل : إن الجنة والنار لا يفنيان ولا يفنى أهلهما ، إلا أن حركاتهم تفنى ويبقون بمنزلة الجماد لا يتحركون وهم في ذلك أحياء متلذذون أو معذبون ..)[6].

---

(١) سورة الرعد بعض آية (٣٥) .
(٢) الشرح والإبانة (ص ٢٠٨ - ٢٠٩) .
(٣) أصول السنة (٢/٤٥٣) .
(٤) عقيدة السلف (ص ٦٦) .
(٥) هو محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي البصري مولى عبد القيس ، من رؤوس المعتزلة وأشياخهم ومصنف الكتب في مذهبهم ولد بالبصرة سنة ١٣٥ ، ومات بسامرا — سر من رأى - سنة ٢٣٥ وقيل غير ذلك . فرق وطبقات المعتزلة (ص ٥٤-٥٩) وتاريخ بغداد (٣/٣٦٦ - ٣٧٠) ولسان الميزان (٥/٤١٣ - ٤١٤) .
(٦) الفصل (٤/١٤٥) .

وقال ابن تيمية : (وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات مالا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائعة من أهل الكلام المبتدعين ، كالجهم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم ، وهذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله وإجماع سلف الأمة وأئمتها)[1].

وقال العلامة ابن القيم : (ولما كان الناس على ثلاث طبقات : طيب لا يشينه خبث ، وخبيث لا طيب فيه ، وآخرون فيهم خبث وطيب ، كانت دورهم ثلاثة : دار الطيب المحض ، ودار الخبيث المحض ، وهاتان الداران لا تفنيان ، ودار لمن معه خبث وطيب ، وهي الدار التي تفنى وهي دار العصاة ، فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد ، فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة ، ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبث المحض)[2].

وقال ابن أبي العز الحنفي : (وقال بفناء الجنة والنار الجهم بن صفوان إمام المعطلة ، وليس له سلف قط لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ولا من أئمة المسلمين ولا من أهل السنة ، وأنكره عليه عامة أهل السنة وكفروه به وصاحوا به وبأتباعه من أقطار الأرض ، وهذا قاله لأصله الفاسد الذي اعتقده ، وهو وهو امتناع وجود مالا يتناهى من الحوادث . . وقد دلت السنة المستفيضة أنه

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨/٣٠٧).

(٢) الوابل الصيب (ص ٢٥) .
وللمزيد من الاطلاع على قولي شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن القيم - رحمهما الله - في هذه المسألة الهامة العقدية وموافقتهما التامة الصريحة لمذهب أهل السنة والجماعة فيها ، يراجع كتاب كشف الأستار

= = = = = =

يخرج من النار من قال لا إله إلا الله[١] ، وأحاديث الشفاعة صريحة في خروج عصاة الموحدين من النار ، وأن هذا حكم مختص بهم ، فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم ، ولم يختص الخروج بأهل الإيمان ، وبقاء الجنة والنار ليس لذاتهما بل بإبقاء الله لهما).[٢]

(=) لإبطال ادعاء فناء النار ، المنسوب لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية ، للدكتور علي بن علي جابر الحربي اليماني .

(١) تقدم تخريجه ص (٣٦٩) .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢ / ٦١٢ و ٦٢٩) .
وراجع : كتاب السنة لعبد الله بن الإمام احمد (١ / ١٣٠ - ١٣١) ، ومقالات الإسلاميين (١ / ٢٤٤) ، ومراتب الإجماع (ص ١٧٣) ، والبعث والنشور (ص ١١٢) وما بعدها ، وحادي الأرواح (ص ٤٢٦) ومابعدها والتخويف من النار (ص ١٤٢ و ١٥٢ و ١٩٢) ولوامع الأنوار البهية (٢ / ٢٣٢) وما بعدها .

الباب الرابع

** البـاب الرابـع **

—((منهج الخطابي في الإمامة والخلافة))—

ويشتمل على أربعة فصول :

الفصل الأول : تعريف الإمامة لغة واصطلاحا .

الفصل الثاني : نصب الإمام .

الفصل الثالث : طاعة الأئمة والنصح لهم .

الفصل الرابع : بعض صفات الإمام اللازمة .

================

* الباب الرابع *

-((منهج الخطابي في الإمامة والخلافة))-

الفصل الأول : تعريف الإمامة لغة واصطلاحا :

أ) التعريف اللغوى :

الإمامة مصدر من أمّ يؤم . تقول : (أم القوم وأمّ بهم : تقدمهم ، وهي الإمامة .

والإمام : كل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين ، والجمع أئمة .

وإمام كل شيء : قيّمه والمصلح له . والقرآن إمام المسلمين ، وسيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إمام الأئمة .

والخليفة : إمام الرعية .

وإمام الجند : قائدهم . وأممت القوم في الصلاة إمامة . وأتم به : أي اقتدى به .

والإمام : المثال ، وإمام الغلام في المكتب : ما يتعلم كل يوم ، وإمام المثال : ما امتُثل عليه ، والإمام : الخيط الذى يمد على البناء فيبنى عليه ويسوى عليه ساق البناء).[1]

ب) التعريف الإصطلاحي : (الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا).[2]

وعرفها الجويني بأنها : (رياسة تامة ، وزعامة عامة ، تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا).[3]

---

(١) انظر : لسان العرب مادة (أمم) (١٢/ ٢٤ - ٢٥) والقاموس المحيط مادة (أمم) (ص ١٣٩٢ - ١٣٩٣) .

(٢) الأحكام السلطانية للماوردى (ص ٥) .

(٣) غياث الأمم في التيات الظلم (ص ٢٢) .

وقال ابن خلدون [1]: (هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها ، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة ، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به) [2].

وليس هناك فرق بين لفظتي الإمامة والخلافة ، إذ عامة النصوص الواردة في هذا الباب تدل على إطلاق إحدى الكلمتين على الأخرى ولم يرد في شيء منها ما ينبيء على تغاير معنييهما أو الفرق بينهما ، وهذا ما أفاده جمع من أهل العلم ـ أيضا ـ ووُجد في منصوص كلامهم .

قال النووي : (يجوز أن يقال للإمام الخليفة والإمام وأمير المؤمنين) [3]. وقال ابن خلدون ـ بعد كلام سابق له ـ : (وإذ قد بينا حقيقة هذا المنصب وأنه نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا به سمي خلافة وإمامة والقائم به خليفة وإماما . . فأما تسميته إماما فتشبيها بإمام الصلاة في اتباعه والاقتداء به ، ولهذا يقال : الإمامة الكبرى ، وأما تسميته خليفة فلكونه يخلف النبي صلى الله عليه وسلم في أمته ، فيقال خليفة بإطلاق وخليفة رسول الله) [4].

وقال ابن منظور : (والخليفة : الذي يستخلف ممن قبله ، والجمع خلائف ، والخلافة الإمارة) [5].

---

(١) هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن خلدون ولي الدين الحضرمي ، العالم الاجتماعي المؤرخ الشهير ، ولد بتونس سنة ٧٣٢ وتوفي بالقاهرة سنة ٨٠٨ .
الضوء اللامع (٤/١٤٥ - ١٤٩) وتوشيح الديباج (ص ١١٨ - ١١٩) وجذوة الاقتباس (٢/٤١٠ - ٤١٣) .

(٢) المقدمة (ص ١٧٠ - ١٧١) .

(٣) روضة الطالبين (١٠/٤٩) .

(٤) المقدمة (ص ١٧١) وانظر : تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة (١/٢٠)

(٥) اللسان مادة (خلف) (٩/٨٣) .

* الفصل الثاني *

–((نصب الإمام))–

عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال : (قيل لعمر ألا تستخلف ؟ قال : إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني أبو بكر ، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأثنوا عليه فقال : راغب وراهب وددت أني نجوت منها كفافا لا لي ولا علي ، لا أتحملها حيا وميتا).[1]

قال الخطابي – رحمه الله – : (قلت : معنى قول عمر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف[2] أي لم يسم رجلا بعينه للخلافة فيقوم بأمر الناس باستخلافه إياه ، فأما أن يكون أراد به أنه لم يأمر بذلك ولم يرشد إليه وأهمل الناس بلا راع يرعاهم أو قيم يقوم بأمورهم ويمضي أحكام الله فيهم فلا ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : ((الأئمة من قريش))[3] ، فكان معناه الأمر بعقد البيعة لإمام من قريش ولذلك رؤيت الصحابة يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقضوا شيئا من أمر دفنه وتجهيزه حتى أحكموا أمر البيعة ونصبوا أبا بكر إماما وخليفة[4] ، وكانوا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأحكام باب ٥١ ح ٧٢١٧ (الفتح : ١٣/ ٢٠٥ – ٢٠٦) ومسلم في صحيحه كتاب الإمارة ح ١١ و١٢ (٣/ ١٤٥٤ – ١٤٥٥) وأبو داود في سننه كتاب الخراج والإمارة والفيء باب ٨ ح ٢٩٣٩ (٣/ ٣٥٠ – ٣٥١) والترمذي في سننه كتاب الفتن باب ٤٨ ح ٢٢٢٥ (٤/ ٥٠٢) وأحمد في مسنده (١/ ٤٣) .

(٢) كما في رواية سالم عن ابن عمر عند أبي داود والترمذي .

(٣) سيأتي إن شاء الله ذكره وتخريجه .

(٤) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٦٦٢) والبداية والنهاية (٣/ ٢١٤ و٢٢٨) .

يسمونه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم طول عمره إذ كان الذي فعلوه من ذلك صادراً عن رأيه ومضافا إليه ، وذلك من أدل الدليل على وجوب الخلافة وأنه لا بد للناس من إمام يقوم بأمر الناس ويمضي فيهم أحكام الله ويرد عهم عن الشر[١] ويمنعهم من التظالم والتفاسد .

وقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية يوم مؤتة زيد بن حارثة[٢] وقال : ((إن قتل فأميركم جعفر بن أبي طالب[٣] ، فإن قتل فأميركم عبد الله بن رواحة[٤]))[٥]

---

(١) في بعض نسخ معالم السنن : (ويرد عنهم الشر) والمعنى صائب على الوجهين .

(٢) هو أبو أسامة زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب الكلبي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبه ، لم يسم أحد من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام في القرآن غيره ، استشهد بمؤتة من أرض الشام سنة ٨ .
الاستيعاب (٢/٥٤٢ - ٥٤٧) وأسد الغابة (٢/٢٨١ — ٢٨٤) والإصابة (٢/٥٩٨ - ٦٠٢) .

(٣) هو أبو عبد الله جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشبه الناس به خلقا وخلقا ، وقد كان إسلامه بعد إسلام شقيقه علي بن أبي طالب ، استشهد يوم مؤتة سنة ٨ .
الاستيعاب (١/٢٤٢ - ٢٤٥) وأسد الغابة (١/٣٤١ — ٣٤٤) والإصابة (١/٤٨٥ - ٤٨٨) .

(٤) هو أبو محمد وقيل أبو رواحة وقيل أبو عمرو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي الشاعر المشهور ، كان أحد النقباء وممن شهد العقبة والمشاهد كلها إلا الفتح وما بعده إذ استشهد في غزوة مؤتة سنة ٨ . الاستيعاب (٣/٨٩٨ - ٩٠١) وأسد الغابة (٣/٢٣٤ - ٢٣٨) والإصابة (٤/٨٢ - ٨٦) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب ٤٤ ح ٤٢٦١ (الفتح ٧/٥١٠) وأحمد في مسنده (١/٢٠٤ و ٢٥٦) و (٥/٢٩٩) وغيرهما
= = = = =

فأخذها زيد فاستشهد ، ثم أخذها جعفر فاستشهد ، ثم أخذها عبد الله ابن رواحة فاستشهد ، ثم أخذها خالد بن الوليد[1] ولم يكن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تقدم إليه في ذلك ، ففتح الله عليه وحمد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أثره وأثنى عليه خيرا .[2]

وكل ذلك يدل على وجوب الاستخلاف ونصب الإمام .

ثم إن عمر لم يهمل الأمر ولم يبطل الاستخلاف ، ولكن جعله شورى في قوم معدودين لا يعدوهم ، فكل من أقام بها كان رضا ولها أهلا ، فاختاروا عثمان[3] وعقدوا له البيعة .

(=) وهو من حديث ابن عمر وابن عباس وعبد الله بن جعفر وأبي قتادة -رضي الله عن جميعهم- . انظر : إرواء الغليل ح ١٤٦٣ (٥/ ٢٨٤ - ٢٨٦) .

(١) هو أبو سليمان وقيل أبو الوليد خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي ، سيف الله المسلول ، كان أحد أشراف قريش في الجاهلية ، اختلف في وقت إسلامه وهجرته ، مات بحمص سنة ٢١ وقيل بل كانت وفاته بالمدينة ، والأكثر على الأول . الاستيعاب (٢/ ٤٢٧ - ٤٣١) وأسد الغابة (٢/ ١٠٩ - ١١٢) والإصابة (٣/ ٢٥١ - ٢٥٦) .

(٢) فعن أنس -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- نعى زيدا وجعفرا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم ، فقال : ((أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذ جعفر فأصيب ، ثم أخذ ابن رواحة -وعيناه تذرفان- حتى أخذها سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم)) ، وفي رواية : ((ثم أخذها خالد بن الوليد عن غير إمرة ففتح له ، وقال : ما يسرنا أنهم عندنا)) .
أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب ٢٥ ح ٣٧٥٧ (الفتح ٧/ ١٠٠ - ١٠١) وفي الجهاد ح ٢٧٩٨ و ٣٠٦٣ وفي المغازي ح ٤٢٦٢ .

(٣) هو أبو عبد الله وقيل أبو عمرو ، عثمان بن عفان بن أبي العاص ====

فالاستخلاف سنة اتفق عليها الملأ من الصحابة وهو اتفاق الأمة لم يخالف فيه إلا الخوارج المارقة الذين شقوا العصا وخلعوا ربقة الطاعة).[1] اهـ

قلت: القول بوجوب نصب إمام للناس مذهب أهل السنة والجماعة قاطبة، بل إجماعهم انعقد عليه، اعتمادا على نصوص شرعية كثيرة تحتم ذلك وتفرضه، ولما فيه من المصالح العامة والخاصة دنيوية وأخروية.

فبوجود الإمامة تجتمع الكلمة، وتقام أحكام الشريعة، فتصان الأعراض، ويرفع الظلم، وينشر العدل، ويستتب الأمن، وتفض المنازعات، وتحمى حوزة البلاد، ويقمع أهل الشر والفساد، إلى غير ذلك من المصالح والمنافع التي لا يمكن قيامها ولا تطبيقها إلا تحت إمرة خليفة وسلطة إمام.

وإلى هذه المعاني السامية والأهداف النبيلة يشير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بقوله: (لا بد للناس من إمارة برة كانت أو فاجرة، قيل له: هذه البرة قد عرفناها فما بال الفاجرة؟ قال: يؤمن بها السبيل ويقام بها الحدود ويجاهد بها العدو ويقسم بها الفيء).[2]

(=) ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي أمير المؤمنين الخليفة الراشد ذو النورين كان رابع أربعة دخلوا الإسلام، مناقبه كثيرة وفضائله غزيرة، مات شهيدا صابرا محتسبا في المدينة النبوية يوم الدار سنة ٣٥.
الاستيعاب (٣/١٠٣٧ - ١٠٥٣) وأسد الغابة (٣/٥٨٤ — ٥٩٦) والإصابة (٤/٤٥٦ - ٤٥٩).

(١) معالم السنن (٣/٥ - ٦).

(٢) منهاج السنة (١/٥٤٨) والسياسة الشرعية (ص ٦٣ - ٦٤).

ويقول ابن حزم : (وقد علمنا بضرورة العقل وبديهته أن قيام الناس بما أوجبه الله تعالى من الأحكام عليهم في الأموال والجنايات والدماء والنكاح والطلاق وسائر الأحكام كلها ومنع الظالم وإنصاف المظلوم وأخذ القصاص على تباعد أقطارهم وشواغلهم واختلاف آرائهم وامتناع من تحرى في كل ذلك ممتنع غير ممكن ، إذ قد يريد واحد أو جماعة أن يحكم عليهم إنسان ، ويريد آخر أو جماعة أخرى أن لا يحكم عليهم ، وهذا الذي لا بد منه ضرورة ، وهذا مشاهد في البلاد التي لا رئيس لها ، فإنه لا يقام هناك حكم حق ولا حد ، حتى قد ذهب الدين في أكثرها ، فلا تصح إقامة الدين إلا بالإسناد إلى واحد أو إلى أكثر من واحد ، فإذ لا بد من أحد هذين الوجهين ، فإن الاثنين فصاعدا بينهما أو بينهم ما ذكرنا فلا يتم أمر ألبته)[1].

ويقول الجويني : (ولا يرتاب من معه مسكة من عقل أن الذب عن الحوزة والنضال دون حفظ البيضة محتوم شرعا ، ولو ترك الناس فوضى لا يجمعهم على الحق جامع ولا يزعهم وازع ، ولا يردعهم عن اتباع خطوات الشيطان رادع ، مع تفنن الآراء ، وتفرق الأهواء لانتثر النظام ، وهلك العظام ، وتوثبت الطغام[2] والعوام ، وتحزبت الآراء المتناقضة ، وتفرقت الإرادات المتعارضة ، وملك الأرذلون سراة الناس ، وفضت المجامع ، واتسع الخرق على الراقع ، وفشت الخصومات ، واستحوذ على أهل الدين ذو العرامات[3] ، وتبددت الجماعات ، ولا حاجة إلى الإطناب بعد حصول

---

(١) الفصل (٤/١٤٩ - ١٥٠) مع شيء يسير من الاختصار .

(٢) الطغام كسحاب ، وهم أراذل الناس وأوغادهم ، ويطلق - أيضا - على الأحمق . انظر : القاموس المحيط مادة (طغم) (ص ١٤٦٣) والمعجم الوسيط (٢/٥٥٨) .

(٣) العرامة : الشدة والقوة والشراسة والجهل والأذى . انظر : اللسان مادة (عرم) (١٢/٣٩٥) والقاموس المحيط مادة (عرم)

====

البيان ، وما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن).[١]

وقال أبو حامد الغزالي بعد كلام جيد له في تقرير هذه المسألة : (إن الدنيا والأمن على الأنفس والأموال لا ينتظم إلا بسلطان مطاع ، فتشهد له مشاهدة أوقات الفتن بموت السلاطين والأئمة ، وإن ذلك لو دام ولم يتدارك بنصب سلطان آخر مطاع دام الهرج وعم السيف وشمل القحط وهلكت المواشي وتعطلت الصناعات وكان كل من غلب سلب ، ولم يتفرغ أحد للعبادة والعلم إن بقي حيا ، والأكثرون يهلكون تحت ظلال السيوف ، ولهذا قيل : الدين والسلطان توأمان ، ولهذا قيل : الدين أس والسلطان حارس ، ومالا أس له فمهدوم ، ومالا حارس له فضائع ، وعلى الجملة لا يتمارى العاقل في أن الخلق على اختلاف طبقاتهم وما هم عليه من تشتت الأهواء وتباين الآراء لو خلوا وشأنهم[٢] ولم يكن لهم رأى مطاع يجمع شتاتهم لهلكوا من عند آخرهم ، وهذا داء لا علاج له إلا بسلطان قاهر مطاع يجمع شتات الآراء ، فبان أن السلطان ضروري في نظام الدين ونظام الدنيا ، ونظام الدنيا ضروري في نظام الدين ونظام الدين ضروري في الفوز بسعادة الآخرة ، وهو مقصود الأنبياء قطعا ، فكان وجوب نصب الإمام من ضروريات الشرع الذى لا سبيل إلى تركه فاعلم ذلك).[٣]

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين ، بل لا قيام للدين إلا بها ، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض) إلى أن قال : (لأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة ، وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجمع والأعياد ونصر المظلوم . وإقامة الحدود

(=) (ص ١٤٦٧) .
(١) غياث الأمم في التياث الظلم (ص ٢٣ - ٢٤)
(٢) في بعض نسخ الاقتصاد : (وراءهم) .
(٣) الاقتصاد في الاعتقاد (ص ١٤٨ - ١٤٩) .

لا تتم إلا بالقوة والإمارة ..) . اهـ [١]

أما النصوص الدالة على إقامة هذا المنصب العظيم من الكتاب العزيز والسنة المطهرة فأذكر منها ما يلي :

١) قال الله تعالى : ﴿ يَٰأيها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ [٢].

فدلالة الآية أن الحق سبحانه أوجب على عباده المؤمنين طاعة أولي الأمر منهم - في حدود المعروف شرعا - وهذا لا يكون إلا بوجودهم وقيام أمرهم ، إذ لا تتصور ولا تتأتى طاعة من ليس بكائن ولا موجود . فدل هذا على لزوم نصب إمام لتتحقق طاعته والانقياد له ، ويستجاب بذلك لأمر الباري جل وعلا .

٢) قوله سبحانه : ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أرىك الله ﴾ [٣].

٣) قوله سبحانه : ﴿ وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ﴾ [٤]. إلى غير ذلك من نصوص القرآن الدالة على هذا المعنى والتي يطول ذكرها وإيضاح وجه المراد منها وبيان معانيها ، ويكفي أن جميع آيات الحدود والقصاص والأحكام التي لا يستطيع القيام بها وتنفيذها إلا الإمام دالة على وجوب وجوده وإقامة منصبه .

---

(١) السياسة الشرعية (ص ١٦١ - ١٦٢) .

(٢) سورة النساء بعض آية (٥٩) .

(٣) سورة النساء بعض آية (١٠٥) .

(٤) سورة المائدة بعض آية (٤٩) .

وثبت من قوله عليه الصلاة والسلام : ((من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة ، مات ميتة جاهلية)) [(١)].

وفي لفظ : ((من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه حتى يراجعه ، ومن مات وليس عليه إمام جماعة فإن موتته موتة جاهلية)) [(٢)].

ودلالة هذين النصين ظاهرة بحمد الله .

وقوله صلى الله عليه وسلم : ((إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم)) [(٣)].

قال ابن تيمية - رحمه الله - : (فإذا كان قد أوجب في أقل الجماعات وأقصر الاجتماعات أن يولي أحدهم ، كان هذا تنبيهاً على وجوب ذلك فيما هو أكثر من ذلك) [(٤)].

وبهذه النصوص وغيرها - مما لم يذكر مما هو في معناها - أجمع علماء الإسلام على وجوب عقد الإمامة ونصبها ، من لدن الصحابة - رضوان الله عليهم - ومن بعدهم من أئمة الدين وأعلامه البارزين ، خلافاً لمن شذ عنهم ممن لا ينظر لقوله ولا يلتفت لرأيه ولا يعتد بخلافه ووفاقه . ((ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا)) [(٥)].

أما الإجماع المذكور فقد حكاه غير واحد من أهل العلم ، وهذه بعض أقوالهم في ذلك :

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة ح ٥٨ (٣/ ١٤٧٨) من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٧٧ - ٧٨ و ١١٧) وقد قال في الموضع الأول : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الجهاد باب ٨٧ ح ٢٦٠٨ (٣/ ٨١) وقد صححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ح ١٣٢٢ (٣/ ٣١٤-٣١٥)

(٤) الحسبة في الإسلام (ص١٢) والسياسة الشرعية (ص ١٦١) .

(٥) سورة النساء آية (١١٥) .

قال ابن حزم : (اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع المعتزلة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة ، وأن الأمة فرض واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حاشا النجدات من الخوارج فإنهم قالوا : لا يلزم الناس فرض الإمامة ، وإنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم .. وقول هذه الفرقة ساقط يكفي من الرد عليه وإبطاله إجماع كل من ذكرنا على بطلانه ، والقرآن والسنة قد وردا بإيجاب الإمام ..) .[1]

وقال القرطبي عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾[2] : (هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يسمع له ويطاع ، لتجتمع به الكلمة وتنفذ به أحكام الخليفة ، ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة إلا ما روى عن الأصم[3] حيث كان عن الشريعة أصم ، وكذلك كل من قال بقوله واتبعه على رأيه ومذهبه وأجمعت الصحابة على تقديم الصديق بعد اختلاف وقع بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة في التعيين حتى قالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير فلو كان فرض الإمام غير واجب لا في قريش ولا في غيرهم لما ساغت هذه المناظرة والمحاورة عليها ، ولقال قائل : إنها ليست بواجبة لا في قريش ولا في غيرهم ، فما لتنازعكم وجه ولا فائدة في أمر ليس بواجب . ثم إن الصديق - رضي الله عنه - لما حضرته الوفاة عهد إلى عمر في الإمامة ، ولم يقل له أحد هذا أمر غير واجب علينا ولا عليك

---

(١) الفصل (٤ / ١٤٩) .

(٢) سورة البقرة بعض آية (٣٠) .

(٣) هو أبو بكر عبد الرحمن بن كيسان الملقب بالأصم ، من كبار المعتزلة ومشايخهم مات نحو سنة ٢٢٥ . فرق وطبقات المعتزلة (ص ٦٥ - ٦٦) ولسان الميزان (٣ / ٤٢٧) والأعلام (٣ / ٣٢٣) .

فدل على وجوبها وأنها ركن من أركان الدين الذي به قوام المسلمين والحمد لله رب العالمين) .(١)

وقال النووي : (وأجمعوا على أنه يجب على المسلمين نصب خليفة) .(٢)

ويقول ابن خلدون : (إن نصب الإمام واجب ، وقد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين ، لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته بادروا إلى بيعة أبي بكر - رضي الله عنه - وتسليم النظر إليه في أمورهم ، وكذا في كل عصر من بعد ذلك ولم تترك الناس فوضى في عصر من الأعصار ، واستقر ذلك إجماعا دالا على وجوب نصب الإمام) .(٣)

وقال ابن حجر الهيتمي(٤) (اعلم أيضا أن الصحابة - رضوان الله عليهم - أجمعوا على أن نصب الإمام بعد انقراض زمن النبوة واجب ، بل جعلوه أهم الواجبات حيث اشتغلوا به عن دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واختلافهم في التعيين لا يقدح في الإجماع المذكور) .(٥)

وبعد سرد ما تقدم من نصوص في هذه المسألة الهامة وعرض بعض أقوال أهل العلم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١/ ١٨٢ - ١٨٣) مع شيء يسير من الاختصار .

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم (١٢/ ٢٠٥) .

(٣) المقدمة (ص ١٧١) .

(٤) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي المكي السعدى الأنصارى شهاب الدين الشافعي ، المصرى الفقيه ، ولد في محلة أبى الهيتم - من مديرية الغربية بمصر - سنة ٩٠٩ ومات بمكة سنة ٩٧٤ البدر الطالع (١/ ١٠٩) ومقدمة كتابه الصواعق ، والأعلام (١/ ٢٣٤) .

(٥) الصواعق المحرقة (ص ٧ - ٨) .

فيها ، تظهر موافقة أبي سليمان الخطابي - رحمه الله تعالى - لما عليه الكافة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة المهديين وما أجمعوا عليه من القول بوجوب نصب إمام للمسلمين كما أبانه وأوضحه ونسبه للملأ من الصحابة ولاتفاق الأمة . والله ولي التوفيق .

** **

**

* الفصل الثالث *

-((طاعة الأئمة والنصح لهـــم))-

ثبت من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - في قصة تقسيم رسول اللـه - صلى الله عليه وسلم - لذُهيبة بين أربعة نفر[1] يتألفهم بها، وفيه: فأقبل رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناتئ الجبين، كث اللحية، محلوق، فقال: اتق الله يا محمد. فقال: ((من يطع الله إذا عصيت؟ أيأمنني الله على أهل الأرض ولا تأمنوني؟)). فسأله رجل قتله، أحسبه خالد بن الوليد، فمنعه، فلما ولى قال: ((إنه من ضئضئ هذا[2] - أو قال: في عقب هذا - قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد)).[3]

---

(١) وهم: الأقرع بن حابس الحنظلي ثم المجاشعي، وعيينة بن حصن الفزاري وزيد الطائي ثم أحد بني نبهان، وعلقمة بن علاثة العامري ثم أحد بني كلاب.

(٢) الضئضئ: الأصل. يقال ضئضئ صدق، وضوضؤ صدق، وحكى بعضهم ضئضيء، بوزن قنديل. يريد أنه يخرج من نسله وعقبه. أفاده ابن الأثير في النهاية (٣/٦٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء باب ٦ ح ٣٣٤٤ (الفتح ٦/٣٧٦) وفي المناقب ح ٣٦١٠ وفي المغازي ح ٤٣٥١ وفي التفسير ٤٦٦٧ وفي فضائل القرآن ح ٥٠٥٨ وفي الأدب ح ٦١٦٣ وفي استتابة المرتدين ح ٦٩٣١ و ٦٩٣٣ وفي التوحيد ح ٧٤٣٢ و ٧٥٦٢ ومسلم في صحيحه كتاب الزكاة ح ١٤٣ (٢/٧٤١ - ٧٤٢) وأبو داود في سننه كتاب السنة باب ٣١ ح ٤٧٦٤ (٥/١٢١ - ١٢٣).
والنسائي في سننه كتاب الزكاة باب ٧٩ ح ٢٥٧٨ (٥/٨٧ - ٨٨)
وفي الكبرى كتاب التفسير باب ١٧٠ ح ١١٢٢١ (٦/٣٥٦) وفي المحاربة باب ٢٦ ح ٣٥٦٤ (٢/٣١١ - ٣١٢).

قال الخطابي - رحمه الله - : (وقوله : ((لا يجاوز حناجرهم)) أي لا يرفع في الأعمال الصالحة .[(١)]

وقوله : ((يمرقون من الدين)) المروق النفوذ حتى يخرج من الطرف الآخر والدين هاهنا الطاعة ، يريد أنهم يخرجون من طاعة الأئمة كما يخرج السهم من الرمية ، وهذا نعت الخوارج الذين لا يدينون الأئمة ويخرجون على الناس يستعرضونهم بالسيف . فإن قيل : أليس قد قال : ((لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد)) . فكيف لم يدع خالداً أن يقتله وقد أدركه ؟ . قيل : إنما أراد به إدراك زمان خروجهم إذا كثروا وامتنعوا بالسلاح ، فأعرضوا الناس بالسيف ، ولم تكن هذه المعاني مجتمعة إذ ذاك فيوجد الشرط الذي علق به الحكم ، وإنما أنذر -صلى الله عليه وسلم- بأن سيكون ذلك في الزمان المستقبل وقد كان كما قال -صلى الله عليه وسلم-، وأول ما نجم من ذلك في أيام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ثم اتصل إلى زماننا هذا).[(٢)]

وقال - رحمه الله - مبينا معنى ((النصيحة لأئمة المسلمين))[(٣)] : (وأما النصيحة لأئمة المؤمنين[(٤)] فإن الأئمة هم الولاة من الخلفاء الراشدين ومن بعدهم ممن يلي

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٦١٨/٦) : (يحتمل أنه لكونه لا تفقهه قلوبهم ويحملونه على غير المراد به ، ويحتمل أن يكون المراد أن تلاوتهم لا ترتفع إلى الله) .

(٢) أعلام الحديث (١٥٣٣/٣ - ١٥٣٤) وانظر منه أيضا (ص ١٠٦٥ — ١٦٠٦) و (ص ١٧٧٥ — ١٧٧٦) ومعالم السنن (١٣٦/١) و(٣٩/٢) .

(٣) وهو فيما ثبت من قوله-عليه الصلاة والسلام- : ((الدين النصيحة)) قلنا لمن ؟ قال : ((لله ولكتابه ولرسوله ولأئمتهم المسلمين وعامتهم)) . وقد تقدم تخريجه(ص : ٤٤٧)

(٤) في بعض نسخ أعلام الحديث : (المسلمين) بدل (المؤمنين) . كما هي رواية الحديث . أفاده محقق الكتاب .

أمر الأمة ويقوم به ، ومن نصيحتهم بذل الطاعة لهم في المعروف ، والصلاة خلفهم وجهاد الكفار معهم ، وأداء الصدقات إليهم ، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حَيف أو سوء سيرة ، وتنبيههم عند الغفلة ، وأن لا يُغَرّوا بالثناء الكاذب عليهم ، وأن يدعى بالصلاح لهم).[1]

وتحدث أبو سليمان الخطابي عن مفهوم الفرقة والجماعة فقال : (الفرقة فرقتان فرقة الآراء والأديان وفرقة الأشخاص والأبدان ، والجماعة جماعتان ، جماعة هي الأئمة والأمراء ، وجماعة هي العامة والدهماء .

فأما الافتراق في الآراء والأديان فإنه محظور في العقول ، محرم في قضايا الأصول لأنه داعية الضلال ، وسبب التعطيل والإهمال ، ولو ترك الناس متفرقين لتفرقت الآراء والنحل ، ولكثرت الأديان والملل ، ولم تكن فائدة في بعثة الرسل ، وهذا هو الذي عابه الله عز وجل من التفرق في كتابه وذمه في الآي التي تقدم ذكرها.[2]

وعلى هذه الوتيرة تجرى الأمر أيضا في الافتراق على الأئمة والأمراء ، فإن في مفارقتهم مفارقة الألفة ، وزوال العصمة ، والخروج من كنف الطاعة وظل الأمنة ، وهو الذي نهى النبي صلى الله عليه وسلم وأراده بقوله صلى الله عليه وسلم ((من فارق الجماعة فمات فميتته جاهلية))[3] . وذلك أن أهل الجاهلية لم يكن لهم إمام

---

(١) أعلام الحديث (١/١٩٢ — ١٩٣) .

(٢) يعني ما ذكره في الباب الأول من كتابه العزلة (ص ٥٣) وما بعدها .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة ح ٥٣ (٣/١٤٧٦ - ١٤٧٧) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - والنسائي في سننه كتاب تحريم الدم باب ٢٨ ح ٤١١٤ (٧/١٢٣) وابن ماجه في سننه (مختصرا) كتاب الفتن باب ٧ ح ٣٩٤٨ (٢/١٣٠٢) وأحمد في مسنده (٢/٢٩٦ و ٣٠٦ ، ٤٨٨) .

=====

يجمعهم على دين ويتألفهم على رأي واحد ، بل كانوا طوائف شتى وفرقا مختلفين آراؤهم متناقضة ، وأديانهم متباينة ، وذلك الذي دعا كثيراً منهم إلى عبادة الأصنام وطاعة الأزلام ، رأيا فاسدا اعتقدوه في أن عندها خيرا ، وأنها تملك لهم نفعا أو تدفع عنهم ضرا ..) [1] . اهـ

في هذا النص الذي تحدث فيه الخطابي عن وجوب طاعة الأئمة وبذل النصح لهم وعدم الخروج عليهم بسل السيوف في وجوههم ، والصلاة خلفهم ، وجهاد العدو معهم ، وأداء ما أوجبه الله تعالى من الحقوق والصدقات إليهم ، وتنبيههم عند غفلتهم ، والدعاء الصالح لهم ، هو عينه ما قرره السلف الصالح - رضوان الله ورحمته عليهم - وذهبوا إليه نحو أئمتهم وأمرائهم ، لدلالة النصوص المحكمة القاضية بذلك والقاطعة به ، وهو شيء قد أجمعوا عليه واتفقوا على القول به . ما عدا شرذمة من المخالفين لنهجهم الناكبين عن طريقهم ، يرون غير رأيهم ويذهبون لغير قولهم ، وهم - بحمد الله - محجوبون بالأدلة المتظاهرة المتظافرة .

والكلام هنا - كما هو ظاهر - يخص أئمة العدل ، المقر بإمامتهم وصحة خلافتهم القائمين بكل ما أنيط بهم وقُلدوه من تدبير أمور وشئون رعيتهم المحكمين في ذلك كله كتاب ربهم وسنة نبيهم .

(=) وتمام الحديث كما هو في رواية مسلم : ((من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات ، مات ميتة جاهلية ، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة فقتل فقتلة جاهلية ، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاش من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه)) .

(١) العزلة (ص ٥٧ - ٥٨) .
وانظر مزيدا لكلام الخطابي في وجوب طاعة الأئمة وعدم الخروج عليهم في كتابه غريب الحديث (١ / ٣٦١ - ٣٦٣ و ٧٠٧ - ٧٠٩) آثرت عدم ذكره هنا لبنائه له على أحاديث ضعيفة ، وفي الذي ذكر عنه كفاية وغنية إن شاء الله تعالى .

فقد قال عز وجل : ﴿ يَـٰأيها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ، فإن تنـٰزعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذٰلك خير وأحسن تأويلا ﴾[1].

قال الطيبي : (أعاد الفعل في قوله : ﴿ وأطيعوا الرسول ﴾ إشارة إلى استقلال الرسول بالطاعة ، ولم يعده في أولي الأمر إشارة إلى أنه يوجد فيهم من لا تجب طاعته ، ثم بين ذلك بقوله : ﴿ فإن تنـٰزعتم في شيء ﴾ كأنه قيل فإن لم يعملوا بالحق فلا تطيعوهم وردوا ما تخالفتم فيه إلى حكم الله ورسوله)[2].

ويقول ابن تيمية متحدثا عن مذهب أهل السنة والجماعة : (إنهم لا يوجبون طاعة الإمام في كل ما يأمر به ، بل لا يوجبون طاعته إلا فيما تسوغ طاعته فيه في الشريعة فلا يُجَوِّزون طاعته في معصية الله وإن كان إماما عادلا ، فإذا أمرهم بطاعة الله

---

(١) سورة النساء آية (٥٩) .
وقد اختلف أهل العلم - رحمهم الله تعالى - في المراد بأولي الأمر في الآية ، وقد أورد الطبري (بسنده) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : (هم الأمراء) ثم ساق أقوالا أخرى إلى أن قال : (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال هم الأمراء والولاة لصحة الأخبار عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان طاعة وللمسلمين مصلحة) جامع البيان (٥/ ١٤٧ - ١٥٠) . وقد قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/ ٥٣٠) : (والظاهر والله أعلم أنها عامة في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء) .
وانظر : أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٥٢) وفتح الباري (٨/ ٢٥٤) .

(٢) فتح الباري (١٣/ ١١١ - ١١٢) .

فأطاعوه ، مثل أن يأمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والصدق والعدل والحج والجهاد في سبيل الله ، فهم في الحقيقة إنما أطاعوا الله . . فأهل السنة لا يطيعون ولاة الأمور مطلقا إنما يطيعونهم في ضمن طاعة الرسول -صلى الله عليه وسلم-[1] .

وأما النصوص الواردة في الحض والحث على طاعة ولاة الأمور — في غير معصية — وهم الذين سبق ذكر وصفهم ونعتهم فهي كثيرة مستفيضة جدا ، أذكر -فيما يلي- بعضها ثم أردفه بكلام بعض علماء السلف تدليلا على أخذهم بها وقولهم بمقتضاها .

عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال :

((السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ، ما لم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة))[2] .

وعن عبادة بن الصامت[3] -رضي الله عنه- قال : دعانا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

---

(١) منهاج السنة (٣/٣٨٧) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأحكام باب ٤ ح ٧١٤٤ (الفتح ١٣/١٢١-١٢٢) وفي الجهاد ح ٢٩٥٥ ومسلم في صحيحه كتاب الإمارة ح ٣٨ (٣/١٤٦٩) وأبو داود في سننه كتاب الجهاد باب ٩٦ ح ٢٦٢٦ (٣/٩٣-٩٤) والنسائي في سننه كتاب البيعة باب ٣٤ ح ٤٢٠٦ (٧/١٦٠) والترمذي في سننه كتاب الجهاد باب ٢٩ ح : ١٧٠٧ (٤/٢٠٩) وابن ماجه في سننه كتاب الجهاد باب ٤٠ ، ح ٢٨٦٤ (٢/٩٥٦) وأحمد في مسنده (٢/١٧ و١٤٢) .

(٣) هو أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر الأنصاري الخزرجي ، شهد العقبة الأولى والثانية وكان أحد النقباء ، وقد شهد -رضي الله عنه- بدرا والمشاهد كلها ، مات بالرملة سنة ٣٤ وقيل غير ذلك . الاستيعاب (٢/٨٠٧-٨٠٩) وأسد الغابة (٣/١٦٠-١٦١) والإصابة (٣/٦٢٤-٦٢٦) .

فبايعناه ، فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، قال : ((إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان)) [1].

وعن عوف بن مالك [2] - رضي الله عنه - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، ويصلون عليكم وتصلون عليهم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنوهم ويلعنونكم)) . قيل : يارسول الله أفلا ننابذهم بالسيف ؟ فقال : ((لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة ، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئا تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يدا من طاعة)) [3].

إلى غير هذه النصوص الدالة على معناها وفحواها .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الفتن باب ٢ ح ٧٠٥٧ (الفتح : ١٣/٥) وفي الأحكام ح ٧١٩٩ و ٧٢٠٠ ، ومسلم في صحيحه (واللفظ له) كتاب الإمارة ح ٤٢ (٣/١٤٧٠ - ١٤٧١) وأحمد في مسنده (٥/٣١٤ و ٣٢١) .

(٢) هو أبو عبد الرحمن ، ويقال أبو حماد ، وقيل أبو عمرو ، عوف بن مالك ابن أبي عوف الأشجعي ، كان يوم خيبر أول مشاهده ، وكانت معه راية أشجع يوم الفتح ، وقد سكن الشام وتوفي بدمشق سنة ٧٣ في خلافة عبد الملك بن مروان .
الاستيعاب (٣/١٢٢٦) وأسد الغابة (٤/٣١٢ - ٣١٣) والإصابة (٤/٧٤٢ - ٧٤٣) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة ح ٦٥ (٣/١٤٨١) والدارمي في سننه كتاب الرقاق باب ٧٨ ح ٢٧٩٧ (٢/٤١٧ - ٤١٨) وأحمد في مسنده (٦/٢٤ و ٢٨) والبيهقي في السنن الكبرى (٨/١٥٨) .

وقد ذُكر للإمام أحمد السنة والجماعة والسمع والطاعة فحث على ذلك وأمر به .[1]

وسئل - رحمه الله عن طاعة السلطان فقال بيده :(عافا الله السلطان ، تنبغي . سبحان الله ، السلطان).[2]

وقال - أيضا - : (والجهاد ماض قائم مع الإمام ، برا أو فاجرا ، ولا يبطله جَوْر جائر ولا عدل عادل ، والجمعة والحج والعيدان مع الأئمة وإن لم يكونوا بررة عدولاً أتقياء ، ودفع الصدقات والأعشار والخراج والفيء والغنائم إلى الأمراء عدلوا فيها أو جاروا ، والانقياد لمن ولاه الله عز وجل أمركم لا تنزع يدا من طاعته ولا تخرج عليه بسيفك ، يجعل الله لك فرجا ومخرجا ، ولا تخرج على السلطان بل تسمع وتطيع ، فإن أمرك السلطان بأمر هو لله عز وجل معصية فليس لك أن تطيعه وليس لك أن تخرج عليه ، ولا تمنعه حقه ، ولا تعن على فتنة بيد ولا لسان ، بل كف يدك ولسانك وهواك ، والله عز وجل المعين) .[3]

وقال أبو الحسن الأشعري - وهو يعدد ما أجمع عليه السلف من الأصول - :

(وأجمعوا على السمع والطاعة لأئمة المسلمين ، وعلى أن كل من ولي شيئا من أمورهم عن رضى أو غلبة وامتدت طاعته من بر وفاجر لا يلزم الخروج عليهم بالسيف جَارَ أو عَدَل ، وعلى أن يغزو معهم العدو ، ويحج معهم البيت ، وتدفع إليهم الصدقات إذا طلبوها ويصلي خلفهم الجمع والأعياد).[4]

---

(١) السنة للخلال (١ / ٧٣ - ٧٤) .

(٢) المصدر السابق (١ / ٧٥ - ٧٦) .

(٣) السنة للإمام أحمد (ص ٤٦) وطبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١ / ٢٦ - ٢٧) مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ .

(٤) رسالة إلى أهل الثغر (ص ٢٩٦ - ٢٩٧) .

وقال ابن بطة : (وقد أجمعت العلماء من أهل الفقه والعلم والنساك والعباد والزهاد من أول هذه الأمة إلى وقتنا هذا أن صلاة الجمعة والعيدين ومنى وعرفات والغزو والجهاد والهدي مع كل أمير بر وفاجر ، وإعطاءهم الخراج والصدقات والأعشار جائز ، والصلاة في المساجد العظام التى بنوها والمشي على القناطر والجسور التي عقدوها والبيع والشراء وسائر التجارة والزراعة والصنائع كلها في كل عصر ومع كل أمير جائز على حكم الكتاب والسنة لا يضر المحتاط لدينه والمتمسك بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ظلم ظالم ولا جور جائر إذا كان ما يأتيه هو على حكم الكتاب والسنة ، كما أنه لو باع واشترى في زمن الإمام العادل بيعا يخالف الكتاب والسنة لم ينفعه عدل الإمام . والمحاكمة إلى قضاتهم ورفع الحدود والقصاص وانتزاع الحقوق من أيدى الظلمة بأمرائهم ، وشرطهم السمع والطاعة لمن ولوه وإن كان عبدا حبشياً ، إلا في معصية الله عز وجل ، فليس لمخلوق فيها طاعة)[1] .

وقال الصابوني : (ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم برا كان أو فاجرا ، ويرون جهاد الكفرة معهم وإن كانوا جورة فجرة ، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح وبسط العدل في الرعية ، ولا يرون الخروج عليهم بالسيف وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف ، ويرون قتال الفئة الباغية حتى ترجع إلى طاعة الإمام العدل) . (٢)

وقال النووي : (لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا

---

(١) الشرح والإبانة (ص ٢٧٨ - ٢٨٠) .

(٢) عقيدة السلف (ص ٩٢ - ٩٣) .

منهم منكرا محققا تعلمونه من قواعد الإسلام ،فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم وقولوا بالحق حيث ما كنتم ،وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين ،وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته ،وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق ..) .[1]

** **

**

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٢٩/١٢) .
وراجع : العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز (٢/ ٥٤٠-٥٤٤) ومقالات الإسلاميين (٣٤٨/١) والإبانة لأبي الحسن الأشعري (ص٦١) والشريعة للآجرى (ص ٣٨ - ٤١) واعتقاد أئمة الحديث للإسماعيلي (ص ٧٥ - ٧٦) والشرح والإبانة لابن بطة (ص ٢٧٦ - ٢٧٨) والاعتقاد للبيهقي (ص ٢٤٢ - ٢٤٦) والعقيدة الواسطية مع شرحها للهراس (ص ٢٥٧ - ٢٥٩) .

* الفصل الرابع *

ـ((بعض صفات الإمام اللازمة))ـ

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم:
((اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة))[(١)].

قال الخطابي ـ رحمه الله ـ : (هذا في الأمراء والعمال دون الخلفاء والأئمة فإن الحبشة لا تُولى الخلافة ، ولا يستخلف إلا قرشي لما جاء من الحديث فيه. وقد ذهب بعض المتكلمين إلى أن الخلافة قد يجوز أن تكون في سائر قبائل العرب وفي أفناء العجم[(٢)] . وهذا خلاف السنة وقول الجماعة)[(٣)].

ويقول عند شرحه لقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : ((أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا)) الحديث[(٤)] : (قوله : ((وإن عبدا حبشيا)) يريد به طاعة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأحكام باب ٤ ح ٧١٤٢ (الفتح ١٣/١٢١) وفي الأذان ح ٦٩٣ و ٦٩٦ ، وابن ماجه في سننه كتاب الجهاد باب ٣٩ ح ٢٨٦٠ (٢/٩٥٥) وأحمد في مسنده (٣/١١٤ و ١٧١).

(٢) أفناء : أي أخلاط ، الواحد فنو ، ورجل من أفناء القبائل : أي لا يدري من أي قبيلة هو ، فتفسير الأفناء : قوم نزاع من هاهنا وهاهنا .
انظر: اللسان : مادة (فني) (١٥/١٦٥).

(٣) أعلام الحديث (٤/٢٣٣٤ - ٢٣٣٥).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب السنة باب ٦ ح ٤٦٠٧ (٥/١٣ - ١٥) والترمذي في سننه كتاب العلم باب ١٦ ح ٢٦٧٦ (٥/٤٤ - ٤٥) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، كما أخرجه ابن ماجه في سننه المقدمة ح ٤٢ (١/١٥ - ١٦) وأحمد في مسنده (٤/١٢٦ - ١٢٧) والدارمي في سننه ، المقدمة باب ١٦ ح ٩٥ (١/٥٧) وقد صححه

= = = = =

من ولاء الإمام عليكم وإن كان عبدا حبشيا ، وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((الأئمة من قريش))[1] . وقد يضرب المثل في الشيء بما لا يكاد يصح منه الوجود ، كقوله صلى الله عليه وسلم : ((من بنى لله مسجدا ولو مثل مفحص قطاة[2] بنى الله له بيتا في الجنة))[3] ، وقدر مفحص قطاة لا يكون مسجدا لشخص

(*) الحاكم في المستدرك (١/٩٥-٩٦) ووافقه الذهبي ، وكذا صححه الشيخ الألباني ، انظر صحيح الجامع ح ٢٥٤٩ (١/٤٩٩) .
والحديث عن العرباض بن سارية - رضي الله عنه - وفيه قصة .

(١) هذا النص النبوي وما في معناه ورد من أحاديث كثيرة عن جمع من الصحابة - رضوان الله عليهم - منهم أنس بن مالك وعلي بن أبي طالب وأبو برزة الأسلمي ، وقد أخرجه جماعة من العلماء المحدثين في تصانيفهم كالإمام أحمد وأبى داود الطيالسي والطبراني وأبي يعلى والبزار وابن أبى عاصم في السنة ، أما ما في معناه ففي الصحيحين وغيرهما من كتب السنن ، وقد قال ابن حزم في الفصل : (٤/١٥٢) : وهذه رواية جاءت مجيء التواتر ، ورواها أنس بن مالك وعبد الله بن عمر بن الخطاب ومعاوية ، وروى جابر بن عبد الله وجابر بن سمرة وعبادة بن الصامت معناها) . وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٧/٣٢) عن هذا الحديث : ((الأئمة من قريش)) : (وقد جمعت طرقه عن نحو أربعين صحابيا لما بلغني أن بعض فضلاء العصر ذكر أنه لم يرو إلا عن أبي بكر الصديق) .
قلت : وقد سمى ابن حجر مؤلفه هذا بـ ((لذة العيش بطرق الأئمة من قريش)) ذكره - أيضا - في الفتح (٦/٥٣٠) .
وانظر لزاما إرواء الغليل ح ٥٢٠ (٣/٢٩٨-٣٠١) ففيه ما يشفي العليل .

(٢) المفحص : على وزن مفعل من الفحص ، كالأفحوص ، وجمعه مفاحص وأفحوص القطاة : هو موضعها الذى تجثم فيه وتبيض ، كأنها تفحص عنه التراب ، أى تكشفه ، والفحص : البحث والكشف .
انظر : النهاية لابن الأثير (٣/٤١٥) .

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان ح ١٦١٠ و ١٦١١
======

آدمي . وكقوله : ((لو سرقت فاطمة لقطعتها))[1] ، وهي ـ رضوان الله عليها وسلامه ـ لا يتوهم عليها السرقة ، وقال : ((لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده)) .[2]

ونظائر هذا في الكلام كثير) . اهـ[3]

(=) (٤/٤٩٠-٤٩١) والطبراني في الصغير (١٣٨/٢) والبيهقي في السنن الكبرى (٤٣٧/٢) وأبو داود الطيالسي في المسند ح ٤٦١ (ص ٦٢) وآخرون غيرهم ، وهو من حديث أبي ذر ـ رضى الله عنه ـ وقد صححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب ح ٢٦٥ (١٠٩/١)

(١) هو قطعة من حديث أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ في شأن المخزومية التي سرقت ، وفي آخره من قوله عليه الصلاة والسلام : ((وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)) .
أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء باب ٥٤ ح ٣٤٧٥ ، الفتح (٥١٣/٦) وفي الحدود ح ٦٧٨٧ و ٦٧٨٨ ، ومسلم في صحيحه كتاب الحدود ح ٨ (١٣١٥/٣) والترمذي في سننه كتاب الحدود باب ٦ ح ١٤٣٠ (٣٧/٤ - ٣٨) وأبو داود في سننه كتاب الحدود باب ٤ ح ٤٣٧٣ (٥٣٧/٤ - ٥٣٨) والنسائي في سننه كتاب قطع السارق باب ٦ ح ٤٨٩٥ وما بعده (٧٢/٨) وما بعدها ، وابن ماجه في سننه كتاب الحدود باب ٦ ح ٢٥٤٧ (٨٥١/٢) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الحدود باب ٧ ح ٦٧٨٣ (الفتح ٨١/١٢) وفي الكتاب نفسه ح ٦٧٩٩ ، ومسلم في صحيحه كتاب الحدود ح ٧ (١٣١٤/٣) والنسائي في سننه كتاب قطع السارق باب ١ ح ٤٨٧٣ (٦٥/٨) وابن ماجه في سننه كتاب الحدود باب ٢٢ ح ٢٥٨٣ (٨٦٢/٢) وأحمد في مسنده (٢٥٣/٢) جميعهم من حديث أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ وتمامه : ((لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده)) .

(٣) معالم السنن (٣٠٠/٤ - ٣٠١) .

ما صرح به الإمام الخطابي - هنا - من اشتراط النسب القرشي للإمامة العظمى هو ما دلت عليه وأكدته نصوص حديثية وافرة ، وانعقد عليه الإجماع من لدن الصحابة وتابعيهم ، وكذا أطبقت عليه جماهير علماء وأئمة المسلمين ، ولم يخالف في ذلك إلا بعض المتكلمين - كما أفده الخطابي - وبعض أقوام من طوائف ضالة ونحل مارقة ، وأيضا من بعض العقلانيين من الكتاب المحدثين المعاصرين .

وسوف أورد بعض تلك النصوص ، وألحق بها جملة من أقوال السلف بيانا لهذه المسألة وتأييداً لما أبداه الخطابي فيها وقرره ، مع التنبيه إلى بعض ما يتصل بهذه القضية ويتعلق بها .

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((الناس تبع لقريش في هذا الشأن ، مسلمهم تبع لمسلمهم ، وكافرهم تبع لكافرهم))[1].

وعن معاوية بن أبي سفيان[2] - رضي الله عنه - قال : قال

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب باب ١ ح ٣٤٩٥ (الفتح ٥٢٦/٦) ومسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ح ٢ (١٤٥١/٣) ، وأبو داود الطيالسي في مسنده ح ٢٣٨٠ (ص ٣١٣) .

(٢) هو أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين ، واسم أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي ، كان هو وأبوه وأخوه يزيد وأمه هند من مسلمة الفتح ، واتخذه النبي صلى الله عليه وسلم من كتاب الوحي ، وقد ولي إمارة الشام عشرين سنة ، والخلافة على المسلمين عشرين سنة وتوفي في دمشق سنة ٦٠ على الصحيح .
الاستيعاب (١٤١٦/٣ - ١٤٢٢) وأسد الغابة (٢٠٩/٥-٢١٢) والإصابة (١٥١/٦ - ١٥٥) .

رسول الله ـصلى الله عليه وسلم ـ: ((الناس تبع لقريش في هذا الأمر ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ، والله لولا أن تبطر قريش لأخبرتها ما لخيارها عند الله عز وجل)) .[1]

وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـصلى الله عليه وسلم ـيقول : ((إن هذا الأمر في قريش ، لا يعاديهم أحد إلا كبه الله في النار على وجهه ما أقاموا الديـــــن)) .[2]

ومن حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : كنا في بيت رجل من الأنصار ، فجاء النبي ـصلى الله عليه وسلم ـحتى وقف فأخذ بعضادة الباب فقال : ((الأئمة من قريش ، ولهم عليكم حق ولكم مثل ذلك ، ما إذا استرحموا رحموا ، وإذا حكموا عدلوا ، وإذا عاهدوا وفوا ، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكـــة والناس أجمعين)) .[3]

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/١٠١) بإسناد صحيح ، وقد صححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/٧) بعد ح ١٠٠٧ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب باب ٢ ح ٣٥٠٠ (الفتح ٦/٥٣٢ - ٥٣٣) وفيه قصة ، وكذا أخرجه في كتاب الأحكام ح ٧١٣٩ والإمام أحمد في المسند (٤/٩٤) وابن أبي عاصم في السنة ح ١١١٢ (٢/٥١٤) وذكره الشيخ الألباني في صحيح الجامع ح ٢٢٤٤ (١/٤٤٦) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/١٨٣) وأبو يعلى في مســـنده ح ٤٠٢٠ (٤/١٢٤) وابن أبي عاصم في السنة ح ١١٢٠ (٢/٥١٧) وقد قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/١١٤) : (أخرجه الطبراني وأخرجه الطيالسي والبزار والمصنف ـ يعني البخاري ـ في التاريـــخ ، وأخرجه النسائي والبخاري أيضاً في التاريخ وأبو يعلى من طريق بكيـــر

= = = = =

وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ : ((لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان))[1] .

قال الإمام مالك : (لا يقاتل إلا مع إمام عادل يقدمه أهل الحق لأنفسهم ولا يكون إلا قرشيا ، وغيره لا حكم له ، إلا أن يدعو إلى الإمام القرشي ، لأن الإمامة لا تكون إلا لقرشي))[2] .

وقال الإمام أحمد : (والخلافة في قريش ما بقي من الناس اثنان ، ليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها ولا يخرج عليهم ، ولا نقر لغيرهم بها إلى قيام الساعة)[3] .

وقال القاضي عياض : (اشتراط كونه ـ يعني الإمام الخليفة ـ قرشياً هو مذهب العلماء كافة ، وقد احتج به أبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ على الأنصار يوم السقيفة فلم ينكره أحد ، وقد عدها العلماء في مسائل الإجماع ولم ينقل عن أحد من السلف فيها قول ولا فعل يخالف ما ذكرنا ، وكذلك من بعدهم في جميع الأعصار ، ولا اعتداد بقول النظام ومن وافقه من الخوارج وأهل البدع أنه يجوز

(=) الجزري عن أنس) الخ . وقد صححه الألباني كما في صحيح الجامع ح ٢٧٥٨ (١/٥٣٥) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب باب ٢ ح ٣٥٠١ (الفتح ٦/٥٣٣) وفي الأحكام ح ٧١٤٠ ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ح ٤ (٣/١٤٥٢) وابن ابي عاصم في السنة ح ١١٢٢ (٢/٥١٧ — ٥١٨) ورواية مسلم : ((لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان)) .

(٢) انظر أحكام القرآن لابن العربي (٤/١٧٢١) .

(٣) كتاب السنة للإمام أحمد (ص ٤٦) وطبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١/٢٦) .

كونه من غير قريش ، ولا بسخافة ضرار بن عمرو[1] في قوله أن غير القرشي من النبط وغيرهم يقدم على القرشي لهوان خلعه إن عرض منه أمر ، وهذا الذي قاله من باطل القول وزخرفه ، مع ما هو عليه من مخالفة إجماع المسلمين والله أعلم) . (٢)

وقال النووي بعد سوق الإمام مسلم لأحاديث عدة في هذا الباب : (هذه الأحاديث وأشباهها دليل ظاهر أن الخلافة مختصة بقريش ، لا يجوز عقدها لأحد من غيرهم ، وعلى هذا انعقد الإجماع في زمن الصحابة فكذلك بعدهم ، ومن خالف فيه من أهل البدع أو عرض بخلاف من غيرهم فهو محجوج بإجماع الصحابة والتابعين فمن بعدهم بالأحاديث الصحيحة)[3] . اهـ

وبعد ، فإن ما دلت عليه النصوص السالفة ، وأجمع عليه السلف وقرره أهل السنة والجماعة ، من اشتراط القرشية للإمامة العظمى هو الحق الذي لا مرية فيه والصواب الذي لا محيد عنه ، يجب اعتقاده واعتناقه وطرح ماعداه ونبذه . إلا أن هذا الشرط الثابت مشروط - هو أيضا - باستقامة هؤلاء الأئمة على أمر الله تعالى وطاعتهم له سبحانه ولرسوله وإقامة دينه وشرعه علما وعملا.

---

(١) وهو من كبار المعتزلة ، ثم خالفهم فكفروه وطردوه ، له مقالات خبيثة منكرة شنيعة ، وإليه تنسب فرقة الضرارية ، هلك نحو سنة ١٩٠ .
اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (ص ١٠٦) وميزان الاعتدال (٢/ ٣٢٨ - ٣٢٩) ولسان الميزان (٣/ ٢٠٣) .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٢/ ٢٠٠) .

(٣) المصدر السابق (١٢/ ٢٠٠)
وراجع أصول الدين (ص ٢٧٥ - ٢٧٧) والأحكام السلطانية للماوردي (ص ٦) والفصل لابن حزم (٤/ ١٥٢ - ١٥٣) وأضواء البيان (١/ ٥٢) .

أما إذا خالفوا ذلك وانحرفوا عنه ولم يحافظوا عليه فلا يمنع أن يخرج ذلك من أيديهم إلى غيرهم ممن يقيم الملة وينفذ الأحكام ويحمي الشرع وينشر العدل كما دل عليه صحيح الأخبار والآثار ، فقد سبق حديث معاوية - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : ((إن هذا الأمر في قريش، لا يعاديهم أحد إلا كبه الله في النار على وجهه ما أقاموا الدين))[1].

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - عند هذه اللفظة : ((ما أقاموا الدين)) : (ما . فيه مصدرية ظرفية ، مقيدة لقوله : ((إن هذا الأمر في قريش)) ، وتقرير المعنى أن هذا الأمر في قريش مدة إقامتهم الدين ، ومفهومه أنهم إن لم يقيموه لم يكن فيهم ، وهذا هو التحقيق الذي لا شك فيه في معنى الحديث . .)[2].

وإلى معنى حديث معاوية أشار أبو بكر الصديق - رضي الله عنهما - في كلمته للأنصار في سقيفة بني ساعدة قائلا : (وإن هذا الأمر في قريش ما أطاعوا الله واستقاموا على أمره) . [3]

وقد ثبت من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - مرفوعا : ((أما بعد يا معشر قريش ، فإنكم أهل هذا الأمر ما لم تعصوا الله ، فإذا عصيتموه بعث

---

(١) تقدم تخريجه قريبا (ص٥٩٧)

(٢) أضواء البيان (١/٥٣) وانظر فتح الباري (١٣/١١٦-١١٧) ففيه تقرير جيد لهذه المسألة تركتُ نقله لطوله .

(٣) ذكره الحافظ في الفتح (١٣/١١٦) نقلا عن محمد بن إسحاق في الكتاب الكبير . ولعله يعني كتابه السيرة .

إليكم من يلحاكم[1] كما يلحي هذا القضيب)) - لقضيب في يده ، ثم لحا قضيبه فإذا هو أبيض يصلد)[2] [3].

وبعد ، فهذا ما وُفقت لجمعه مما ورد عن الإمام أبي سليمان الخطابي رحمه الله في مباحث العقيدة وبعض مسائلها وما يتعلق بها . أرجو أن أكون قد أصبت في ذلك وبيانه على الوجه المطلوب والعرض المرغوب .

** والحمد لله رب العالمين في البدء والختام **
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) اللحت : القشر ، ولحت العصا اذا قشرها ، ولحته اذا أخذ ما عنده ولم يدع له شيئا . أفاده ابن الأثير في النهاية (٤/٢٣٥) .

(٢) أي : يبرق ويبيض . المصدر السابق (٣/٤٦) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (بتحقيق شاكر) ح ٤٣٨٠ (٦/١٧٦)
وكذا أبو يعلى في مسنده ح ٥٠٠٢ (٥/٢٨) .
وذكره الهيثمي في المجمع (٥/١٩٢) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الأوسط ، ورجال أحمد رجال الصحيح ، ورجال أبي يعلى ثقات . وقال الشيخ أحمد شاكر في الموضع المذكور : إسناده صحيح .
وكذا صححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ح ١٥٥٢ (٤/ ٦٩ - ٧٠) .

الخاتمة

((الخاتمة))

بعد حمد الله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وتبلغ الغايات ، وتنال المكرمات ، فقد تم إنجاز هذا البحث وإتمامه بحول منه سبحانه وعونه . وإنني لا أدعي فيه الكمال والإحاطة ، وحسبي أني بذلت فيه قصارى جهدى وكامل مكنتي ، فإن أصبت فيما بحثته وعرضته فهو من فضل ربي وتوفيقه ، فله الحمد والفضل والثناء الحسن ، وإن أخطأت في ذلك أو بعضه فهو مني ومن الشيطان والله ورسوله منه براء ، وأستغفر المولى جل وعز وأتوب إليه .

وهذا عرض لأبرز وأهم النتائج التي توصلت إليها من خلال عملي في هذا البحث:

١) إن الإمام أبا سليمان الخطابي - عليه من الله الرحمة - كان من الأئمة الأعلام وأحد الجهابذة الأفذاذ ، رأسا في حفظ الحديث والاطلاع على أسانيده وروايات متونه ، إماما ضليعا في اللغة العربية وفقهها وغريبها ومعرفة صحيحها من سقيمها ووحشيها من أليفها ، فقيها أديبا إخباريا ناقدا .

٢) إن كلامه في معرفة أول الواجب يُوهم ظاهره موافقة المتكلمين وليس كذلك - بحمد الله - كما بُين في موضعه .

٣) إنه سلك طريق السلف في الاستدلال على وجود الله تعالى وإثبات وحدانيته ، وهو مسلك شرعي دل عليه القرآن الكريم ، لكنه لم يبطل طريق الحدوث والأعراض في الاستدلال على حدوث العالم ، وإن كان قد عابه وذم أهله .

٤) استدل للطريق المذكور بقصة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام كما فعل ذلك المتكلمون ، وقد أبنت أنه استدلال غير صحيح مخالف لمذهب السلف .

٥) يتفق مع أهل السنة والجماعة في إثبات أسماء الله تعالى ، ولم أقف له على خلاف هذا ، وكذا يوافقهم في القول بعدم حصرها في عدد معين ، وينفي بعض الأسماء والصفات لعدم ورودها وصحة ثبوتها .

٦) أثبت لله سبحانه بعض الصفات وأوّل أكثرها ، ومنهجه في هذا الباب مضطرب جدا ، فمما أثبته ـ وهو قليل ـ صفة اليد والاستواء والعلو ، ومما أوله ـ وهو كثير ـ صفة اليمين والأصابع والساق والقدم والرجل والنزول والمجيء والإتيان والفرح والضحك والعجب .

وقد أوضحت مذهب السلف عند ذكر هذه الصفات مدعما بالأدلة والبراهين .

٧) صرح بالقول بخروج عصاة الموحدين من النار إن هم دخلوها ، جامعا بين نصوص ظاهرها التعارض في هذه المسألة .

٨) تعرض لبيان شروط صحة قبول العبادة ، ذاكراً بعض أنواعها بمزيد من البيان والتفصيل .

٩) ذكر جملة وافرة من المسائل التي تعد من نواقض التوحيد ، مبينا وجه بطلانها وسوء اعتقادها .

١٠) وافق ما عليه السلف في كل ما ذكره من مسائل الإيمان وما يتعلق به من قضايا ومباحث مما هو مُثبت في موضعه .

١١) نهج مذهب أهل السنة والجماعة فيما بحثه وأبانه في أمر الإمامة والخلافة .

وبعد، فهذا ما أمكنني حصره ~~في~~ سردته في هذه النقاط وهو مبسوط في مكانه بذكر ما قيل فيه وعنه .

والله ولي التوفيق .

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

أ) ((فهرس الآيات القرآنية))

فهرس الاحاديث النبوية

ب)) ((فهرس الأحاديث النبوية))

طرف الحديث	رقم الصفحة

((أ))

فهرس الآثار

ج) ((فهرس الآثار))

فهرس الابيات الشعرية

د - ((فهرس الأبيات الشعرية))

الشطر الأول	قافيته	قائله	الصفحة
لا تسألني بني آدم حاجة *	... لا تحجب	؟	٢٩٦
الله يغضب إن تركت سؤاله *	... يغضب	؟	..
وقائل ورأى من حجبتي عجبا *	... محجوب	الخطابي	٣٧
فقلت حلت نجوم العمر منذ بدا *	... مطلوب	"	..
فلذت من وجل بالاستتار عن الـ *	... مرهوب	"	..
فما هو إلا الاستعاذة ضارعا *	... مطلوب	؟	٣٧٨
فهذا دواء الداء من شر ما يرى *	... محجوب	؟	..
ينادي ربه باللحن ليث *	... لا يجيب	الأصمعي	٣٠٦
مادمت حيا فدار الناس كلهم *	... المداراة	الخطابي	٣٧
من يدر داري ومن لم يدر سوف يرى * .. للندامات			..
صفاته كذاته قديمه *	... عظيمة	السفاريني	١٦١
وقد كان حمدا كاسمه حمد الورى *	... ممادح	أبو بكر عبد الله الحنبلي	٢٢
خلائق ما فيها معاب لعائب *	... مدائح	"	..
تغمده الله الكريم بعفوه *	... وصافح	"	..
وسال غرب عينه فلخا *	... الدخا	العجاج	٥١٣
لا خير في الشيخ إذا ما اجلخا *	... ولخا	"	..
وكان أكلا قاعدا وشخا *	... الدخا	"	..
فأعطى ثم أعطى ثم عدنا *	... فعادا	زياد الأعجم	٢٥٢
مرارا ما أعود إليه إلا *	... الوسادا	"	..
سألناه الجزيل فما تأبى *	... وزادا	"	..
وأحسن ثم أحسن ثم عدنا *	... فعادا	"	..
مرارا ما دنوت إليه إلا *	... الوسادا	"	..

فهرس الاعلام المترجم لهم

العلـــــــم	الصفحــة

العلـــــــــــــم	رقم الصفحـة

فهرس الفرق والطوائف والمصطلحات المعرف بها

و)) ((فهرس الفرق والطوائف والمصطلحات المعرف بها))

==========

=============

فهرس المصادر والمراجع

ـ((فهرس المصادر والمراجع))ـ[1]

((حرف الألف))

١) الإبانة عن أصول الديانة :
لأبي الحسن الأشعرى (ت ٣٢٤) . تقديم الشيخ حماد بن محمد الأنصارى .
مطابع الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ١٤٠٥

٢) الإبانة عن شريعة الفرق الناجية :
لابن بطة العكبرى (ت ٣٨٧) . تحقيق ودراسة رضا بن نعسان معطي .
الطبعة الأولى ١٤٠٩ - ١٩٨٨م . دار الراية للنشر والتوزيع ـ الرياض.

٣) إبطال التأويلات لأخبار الصفات :
لأبي يعلى الفراء (ت ٤٥٨) . تحقيق ودراسة أبي عبد الله محمد بن حمد الحمود النجدى .
الطبعة الأولى ١٤١٠ . مكتبة دار الإمام الذهبي للنشر والتوزيع .
وكذا القسم المخطوط من الكتاب (غير المطبوع) نسختي مصورة عن أصل الكتاب المحفوظ بمكتبة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ بالرياض.

٤) أبو العتاهية ،أخباره وأشعاره :
عني بتحقيقها الدكتور شكرى فيصل .
مكتبة دار الملاح ـ دمشق .

٥) إتحاف السادة المتقين ، بشرح إحياء علوم الدين :
لمرتضى الزبيدى (ت ١٢٠٥)
دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان .

---

(١) بما في ذلك مصادر ومراجع الترجمة .

٦) إثبات الاستواء والفوقية :
لأبي محمد الجويني (ت ٤٣٨)
ضمن مجموعة الرسائل المنيرية . دار احياء التراث العربي / بيروت/لبنان

٧) إثبات صفة العلو :
لابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠) حققه وعلق عليه الدكتور أحمد بن عطية ابن على الغامدى .
الطبعة الأولى ١٤٠٩ - ١٩٨٨م مؤسسة علوم القرآن ببيروت ، ومكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة .

٨) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية :
لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١) دراسة وتحقيق الدكتور عواد عبد الله المعتق .
الطبعة الأولى ١٤٠٨ - ١٩٨٨م مطابع الفرزدق التجارية / الرياض.

٩) الإجماع :
لابن المنذر (ت ٣١٨) حققه وقدم له وخرج أحاديثه أبو حماد صغير أحمد بن محمد حنيف .
الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م دار طيبة للنشر والتوزيع /الرياض.

١٠) الاحتجاج بالقدر :
لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)
ضمن مجموعة الرسائل الكبرى / مكتبة ومطبعة محمد على صبيح / مصر

١١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان :
للأمير علاء الدين الفارسي (ت ٧٣٩) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الارنؤوط .
الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م / بيروت / لبنان .

١٢) أحكام أهل الذمة :

لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١) حققه وعلق حواشيه الدكتور/ صبحي الصالح .

الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م / دار العلم للملايين / بيروت / لبنان .

١٣) أحكام أهل الملل :

للخلال (ت ٣١١) (مخطوط) يوجد بقسم المخطوطات بالجامعة الاسلامية (مصورات) تحت رقم ٢٧٢٩ في ٢١٩ ص .

مصور من المتحف البريطاني .

١٤) أحكام الجنائز وبدعها :

للألباني .

الطبعة الأولى للطبعة الجديدة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م / مكتبة المعارف الرياض .

١٥) الأحكام السلطانية والولايات الدينية :

للماوردى (ت ٤٥٠) .

الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م / شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

١٦) أحكام القرآن :

لابن العربي (ت ٥٤٣) تحقيق على محمد البجاوى .

الناشر / دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت / لبنان .

١٧) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة :

لابن قتيبة (ت ٢٧٦) قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه عمر بن محمود أبو عمر .

الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م / دار الراية للنشر والتوزيع/ الرياض.

١٨) اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى :

لابن رجب (ت ٧٩٥) . تحقيق وتعليق جاسم الفهيد الدوسري .

الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م / مكتبة دار الأقصى / الكويت .

١٩) الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية :

لابن اللحام (ت ٨٠٣) بتحقيق محمد حامد الفقي .

دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت / لبنان .

٢٠) أدب الفقهاء :

لعبد الله كنون (ت ١٩٨٩م) .

دار الكتاب اللبناني / بيروت / لبنان .

٢١) أدب القضاء :

لابن أبي الدم (ت ٦٤٢هـ) تحقيق الدكتور محمد مصطفى الزحيلي .

الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م / دار الفكر / دمشق / سوريا .

٢٢) الأذكار :

للنووي (ت ٦٧٦هـ) حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه محي الدين مستو .

الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م/ مكتبة دار التراث بالمدينة ودار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع / دمشق /و بيروت .

٢٣) الأربعين في دلائل التوحيد :

للهروي (ت ٤٨١هـ) / حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي .

الطبعة الاولى ١٤٠٤ هـ — ١٩٨٤م .

٢٤) الأربعين في صفات رب العالمين :

للذهبي (ت ٧٤٨هـ) (ضمن ست رسائل للذهبي) تقديم وتحقيق جاسم سليمان الدوسري .

الدار السلفية للنشر والتوزيع / الكويت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

٢٥) الارشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد :

للجويني (ت ٤٧٨هـ) تحقيق أسعد تميم .

الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م / مؤسسة الكتب الثقافية بيروت / لبنان .

٢٦) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل :

للألباني ، بإشراف زهير الشاويش / الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م / المكتب الاسلامي / بيروت ودمشق .

٢٧) الازدهار في ما عقده الشعراء من الأحاديث والآثار :

للسيوطي (ت ٩١١ هـ) تحقيق الدكتور علي حسين البواب .

الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م / المكتب الاسلامي / بيروت/ ودمشق ، ودار الخاني للنشر والتوزيع / الرياض .

٢٨) الأزهية في أحكام الأدعية :

للزركشي (ت ٧٩٤هـ) تحقيق أم عبد الله بنت محروس /اشراف أبو عبد الله محمود بن محمد الحداد

الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م / دار الفرقان .

٢٩) أساس البلاغة :

للزمخشري (ت ٥٣٨هـ)

الطبعة الثانية ١٩٧٢م / مطبعة دار الكتب / مصر .

٣٠) أساس التقديس في علم الكلام :

للرازي (ت ٦٠٦هـ)

مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٥٤هـ — ١٩٣٥م.

٣١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب :

لابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) تحقيق علي محمد البجاوي .

مكتبة نهضة مصر ومطبعتها بمصر .

٣٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة :

لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) تحقيق وتعليق محمد ابراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور .

دار الشعب / القاهرة / مصر .

٣٣) أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعانيها :

لابن فارس (ت ٣٩٥هـ) تحقيق ماجد الذهبي .

الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م / منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق ، الصفاة / الكويت .

٣٤) الأسماء والصفات :

للبيهقي (ت ٤٥٨هـ)

الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ — ١٩٨٤م / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان

٣٥) اشتقاق أسماء الله :

للزجاجي (ت ٣٤٠هـ) تحقيق الدكتور عبد الحسين المبارك

الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ — ١٩٨٦م / مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت / لبنان .

٣٦) الإصابةفي تمييز الصحابة :
لابن حجر (ت ٨٥٢هـ) حقق أصوله وضبط أعلامه ووضع فهارسه
علي محمد البجاوي .
دار نهضة مصر للطبع والنشر / القاهرة / مصر .

٣٧) أصول الدين :
لعبد القاهر البغدادي (ت ٤٢٩هـ) .
الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م / دار الكتب العلمية / بيروت/ لبنان

٣٨) أصول السنة :
لابن أبي زمنين (ت ٣٩٩) تحقيق وتخريج ودراسة الطالب
محمد ابراهيم محمد هارون .
لنيل شهادة العالمية (الماجستير) في الجامعة الاسلامية بالمدينة
النبوية عام ١٤٠٣هـ — ١٤٠٤هـ.

٣٩) أصول في التفسير :
لمحمد بن صالح العثيمين :
الطبعة الاولى ١٤٠٩هـ — ١٩٨٩م . / دار ابن القيم للتوزيع والنشر
الدمام .

٤٠) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن .
لمحمد الأمين الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)
الناشر / مكتبة ابن تيمية / القاهرة / مصر.

٤١) إظهار الحق :
لرحمت الله الهندي (ت ١٣٠٨هـ) دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور
محمد أحمد محمد عبد القادر ملكاوي .
طبع ونشر الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة
والارشاد بالرياض .

٤٢) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد :

للبيهقي (ت ٤٥٨هـ) قدمله وخرج أحاديثه وعلق حواشيه أحمد عصام الكاتب

الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م منشورات دار الافاق الجديدة بيروت/ لبنان .

٤٣) اعتقاد أئمة الحديث :

لأبي بكر الاسماعيلي (ت٣٧١هـ) تحقيق الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس .

الطبعة الاولى ١٤١٢هـ — ١٩٩٢م / دار العاصمة / الرياض .

٤٤) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين :

للرازي (ت ٦٠٦)

الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة / مصر ١٣٩٨ — ١٩٧٨م

٤٥) اعجاز القرآن :

للباقلاني (ت ٤٠٣) تحقيق السيد احمد صقر .

الطبعة الرابعة / دار المعارف بمصر .

٤٦) الأعلام :

للزركلي (ت ١٣٩٦هـ)

الطبعة الثامنة ١٩٨٩م / دار العلم للملايين / بيروت / لبنان .

٤٧) أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري :

للخطابي (ت ٣٨٨هـ) تحقيق ودراسة الدكتور محمد بن سعد ابن عبد الرحمن آل سعود

من منشورات مركز احياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

٤٨) أعلام السنة المنشورة :

للحكمي (ت ١٣٧٧هـ) خرج أحاديثه وعلق عليه مصطفى أبو النصر الشلبي .

الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ — ١٩٨٩م / الناشر مكتبة السوادى للتوزيع بجدة .

٤٩) إعلام الموقعين عن رب العالمين :

لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) تحقيق محي الدين عبد الحميد .

المكتبة العصرية / صيدا / بيروت / ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

٥٠) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان :

لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) بتصحيح وتحقيق وتعليق محمد عفيفي .

الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ — ١٩٨٩م / المكتب الاسلامي ببيروت لبنان / ودار الخاني للنشر والتوزيع بالرياض .

٥١) الأغاني :

للأصبهاني (ت ٣٥٦هـ)

مصور عن طبعة دار الكتب / مؤسسة جمال للطباعة والنشر / بيروت لبنان .

٥٢) إقامة الحجة على أن الاكثار في التعبد ليس ببدعة :

لعبد الحي اللكنوى (ت ١٣٠٤هـ) حققه وخرج نصوصه وعلق عليه عبد الفتاح أبو غدة .

الطبعة الثانية ١٤١٠هـ — ١٩٩٠م / الناشر مكتب المطبوعات الاسلامية حلب / سوريا .

٥٣) أقاويل الثقات في تأويل الاسماء والصفات والآيات المحكمات المشتبهات :

لمرعي بن يوسف الكرمي (ت ١٠٣٣هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط .

ط/ الاولى ١٤٠٦-١٩٨٥م/ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر/ بيروت / لبنان

٥٤) الاقتصاد في الاعتقاد :

للغزالي (ت ٥٠٥ هـ)

الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م / دار الكتب العلمية / لبنان

٥٥) أكمل البيان في شرح حديث نجد قرن الشيطان :

لحكيم سند هو .

الطبعة الاولى ١٤٠٢هـ — ١٩٨٢م / المطبعة العربية بباكستان

الناشر / حديث اكادمي فيصل اباد / باكستان .

٥٦) الألفـــاظ :

لعبد الرحمن الهمذاني / (ت ٣٢٧هـ) حققه وضبطه وعلق

عليه وقدم له الدكتور البدراوى زهران .

الطبعة الثالثة / الناشر / دار المعارف بمصر .

٥٧) الأم :

للشافعي (ت ٢٠٤هـ)

طبعة كتاب الشعب بالقاهرة / مصر ١٣٨٨هـ — ١٩٦٨م .

٥٨) الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع :

للسيوطي (ت ٩١١هـ) تقديم وتحقيق الدكتور ذيب بن مصرى

ابن ناصر القحطاني .

مطابع الرشيد بالمدينة المنورة ١٤٠٩هـ .

٥٩) إنباه الرواة على أنباه النحاة :

للقفطي (ت ٦٤٦هـ) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .

الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ — ١٩٨٦م / دار الفكر العربي بالقاهرة

ومؤسسة الكتب الثقافية / بيروت .

٦٠) الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد :

للخياط (ت ٢٩٠هـ) تقديم ومراجعة محمد حجازي .

مطبعة المدني بمصر / الناشر / مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة .

٦١) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء :

لابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)

عنيت بنشره مكتبة القدسي / مطبعة المعاهد بمصر سنة ١٣٥٠هـ

٦٢) الأنساب :

للسمعاني (ت ٥٦٢هـ) اعتني بتصحيحه والتعليق عليه

عبد الرحمن بن يحي المعلمي .

الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ — ١٩٦٢م / مطبعة مجلس دائرة المعارف

العثمانية بحيدر آباد الدكن / الهند .

٦٣) الأنساب المتفقه :

لابن القيسراني (ت ٥٠٧هـ)

مكتبة المثنى / بغداد .

٦٤) الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به

للباقلاني (ت ٤٠٣هـ) تحقيق عماد الدين أحمد حيدر .

الطبعة الاولى ١٤٠٧هـ — ١٩٨٦م / عالم الكتب / بيروت / لبنان

٦٥) أهل الفترة ومن في حكمهم :

لموفق أحمد شكرى / اعتنى بتصحيحه سمير أحمد العطار

الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م / مؤسسة علوم القرآن / عجمان

الامارات العربية المتحدة / ودار ابن كثير بدمشق وبيروت .

٦٦) أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور :

لابن رجب (ت٧٩٥هـ) تحقيق محمد نظام الفتيح

الطبعة الاولى ١٤١٠هـ — ١٩٩٠م / مكتبة دار التراث للنشر والتوزيع المدينة المنورة .

٦٧) ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون :

للبغدادى (ت ١٣٣٩هـ) عنى بتصحيحه وطبعه محمد شرف الدين بالتقايا .

منشورات مكتبة المثنى / بغداد .

٦٨) الايمان :

لابي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) حققه محمد ناصر الدين الالباني .

نشر وتوزيع دار الارقم / الكويت .

٦٩) الايمـــــان :

لابن ابي شيبة (ت ٢٣٥هـ) حقق وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد ناصر الدين الالباني .

نشر وتوزيع دار الارقم / الكويت .

٧٠) الايمـــــان :

أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)

(مخطوط) يوجد بقسم المخطوطات بالجامعة الاسلامية تحت رقم ٢٧٧٤ مصور عن الأصل الموجود في المتحف البريطاني بلندن .

٧١) الايمـــــان :

لابن منده (ت ٢٩٥) . حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه الدكتور علي ابن محمد بن ناصر الفقيهي .

الطبعة الاولى ١٤٠١هـ — ١٩٨١م من منشورات احياء التـــراث الاسلامي بالمجلس العلمي بالجامعة الاسلامية .

٧٢) الايمـــــان :

لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني .

الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م / المكتب الاسلامي / بيروت/لبنان ودمشق .

٧٣) ((حرف الباء))

٧٣) الباعث على إنكار البدع والحوادث :

لأبي شامة (ت ٦٦٥) . ضبط نصه وقدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه مشهور حسن سلمان .

الطبعة الأولى ١٤١٠هـ — ١٩٩٠م / دار الراية للنشر والتوزيع الرياض .

٧٤) بدائع الفوائد :

لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) عنى بتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله ادارة الطباعة المنيرية .

الناشر / دار الكتاب العربي / بيروت / لبنان - .

٧٥) البداية والنهاية :

لابن كثير (ت ٧٧٤هـ) دقق أصوله وحققه جماعة .

الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م مطابع الاهرام التجارية بالقاهرة ونشرته دار الريان للتراث بالقاهرة .

٧٦) بداية السول في تفضيل الرسول :

للعز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ) تحقيق محمد ناصر الدين الالباني

الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م / المكتب الاسلامي / بيروت ودمشق .

٧٧) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع :

للشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)

الناشر : مكتبة ابن تيمية / القاهرة / مصر .

٧٨) البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان :

للسكسكي (ت ٦٨٣هـ) تحقيق الدكتور بسام علي سلامة العموش.

الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م / مكتبة المنار / الزرقاء /الاردن

٧٩) البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن :

للزملكاني (ت ٦٥١هـ) تحقيق الدكتورة خديجة الحديثي

والدكتور أحمد مطلوب .

الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ — ١٩٧٤م / مطبعة العاني / بغداد .

٨٠) البعث والنشور :

للبيهقي (ت ٤٥٨هـ) تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن

بسيوني زغلول .

الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ / مؤسسة الكتب الثقافية / بيروت/ لبنان

٨١) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس :

للضبي (ت ٥٩٩هـ) .

دار الكتاب العربي ١٩٦٧م.

٨٢) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة :

للسيوطي (ت ٩١١) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .

المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت / لبنان .

٨٣) البيان والتبيين :

للجاحظ (ت ٢٥٥هـ) بتحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون .

الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ — ١٩٨٥م / مكتبة الخانجي للطباعة

والنشر والتوزيع / القاهرة / مصر .

٨٤) البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة.
لابن رشد (ت ٥٢٠هـ) تحقيق جماعة من العلماء .
دار الغرب الاسلامي / بيروت / لبنان ١٤٠٤هـ — ١٩٨٤م.

٨٥) بيان اعجاز القرآن :
للخطابي (ت ٣٨٨هـ) طبع ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن
حققها وعلق عليها محمد خلف الله أحمد والدكتور محمد زغلول سلام .
الطبعة الثالثة / دار المعارف بمصر .

٨٦) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية :
لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) تصحيح وتكميل وتعليق محمد بن
عبد الرحمن بن قاسم .
الطبعة الأولى ١٣٩١هـ / مطبعة الحكومة بمكة المكرمة .

((حرف التاء))

٨٧) تاج العروس من جواهر القاموس :
للزبيدى (ت ١٢٠٥هـ)
الطبعة الأولى ١٣٠٦هـ / المطبعة الخيرية بمصر .

٨٨) التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول :
للقنوجي (ت ١٣٠٧هـ) بتصحيح وتعليق عبد الحكيم شرف الدين
الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ — ١٩٦٣م / المطبعة الهندية العربية / الهند

٨٩) تاريخ الأدب العربي :
لبروكلمان (ت ١٣٧٥) نقله الى العربية الدكتور عبد الحليم
النجـار .
الطبعة الثانية / دار المعارف بمصر .

٩٠) تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام :
للذهبي (ت ٧٤٨هـ) تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري .
الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ — ١٩٨٨م / الناشر / دار الكتاب العربي
بيروت / لبنان .

٩١) تاريخ بغداد :
للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣)
الناشر / دار الكتاب العربي / بيروت / لبنان .

٩٢) تاريخ التراث العربي :
لفؤاد سزكين . نقله الى العربية الدكتور محمود فهمي حجازي
وراجعه آخرون .
أشرفت على طباعته ونشره ادارة الثقافة والنشر بجامعة الامام محمد بن
سعود الاسلامية بالرياض ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م.

٩٣) التاريخ الصغير :
للبخاري (ت ٢٥٦هـ) تحقيق محمود ابراهيم زايد .
الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م / دار الوعي بحلب ، ومكتبة
دار التراث بالقاهرة .

٩٤) تاريخ فلاسفة الاسلام في المشرق والمغرب :
لمحمد لطفي جمعة .
المكتبة العلمية .

٩٥) تاريخ قضاة الأندلس :
للنباهي (ت ٧٩٣) تحقيق لجنة احياء التراث العربي .
دار الآفاق الجديدة / بيروت / لبنان / ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م

٩٦) التاريخ الكبير :

للبخاري (ت ٢٥٦هـ)

مؤسسة الكتب الثقافية / بيروت / لبنان .

٩٧) تاريخ المذاهب الاسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية :

لأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ)

دار الفكر العربي ١٩٨٩م.

٩٨) تاريخ مولد العلماء ووفياتهم :

لابن زبر الربعي (ت ٣٧٩هـ) دراسة وتحقيق الدكتور عبد الله بن أحمد بن سليمان الحمد .

الطبعةالأولى ١٤١٠هـ / دار العاصمة / الرياض .

٩٩) تأويل مختلف الحديث :

لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) تحقيق محي الدين الأصفر .

الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ — ١٩٨٩م.

المكتب الاسلامي ودار الاشراق / بيروت / لبنان .

١٠٠) تأويل مشكل القرآن :

لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) شرحه ونشره السيد أحمد صقر .

الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان .

١٠١) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين :

للاسفرايني (ت ٤٧١) علق عليه الكوثري .

الناشر / مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد سنة ١٣٧٤هـ — ١٩٥٥م.

١٠٢ تبصير المنتبه بتحرير المشتبه :

لابن حجر (ت ٨٥٢هـ) تحقيق محمد علي النجار / مراجعة علي محمد البجاوي .

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر بمصر .

١٠٣ التبيان في اعراب القرآن :

للعكبري (ت ٦١٦هـ) تحقيق علي محمد البجاوي .

دار احياء الكتب العربية / عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصـــر .

١٠٤ التبيان في أقسام القرآن :

لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)

صححه وعلق هوامشه محمد حامد الفقي / الناشر / دار المعرفة / لبنان

١٠٥ تبيين كذب المفترى فيما نسب الى الامام أبي الحسن الأشعرى .

لابن عساكر (ت ٥٧١هـ)

الطبعة الثالثة ١٤٠٤ — ١٩٨٤م / دار الكتاب العربي / بيروت / لبنان

١٠٦ تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد أو التقصي لحديث الموطأ وشيوخ الامام مالك :

لابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)

عنيت بنشره مكتبة القدسي بالقاهرة سنة ١٣٥٠هـ.

١٠٧ تجريد التوحيد المفيد :

للمقريزى (ت ٨٥٤ هـ) علق عليه وصحح أصوله طه محمد الزيني .

الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ / مطابع الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

١٠٨ التحبير في المعجم الكبير :

للسمعاني (ت ٥٦٢هـ) تحقيق منيرة ناجي سالم .

مطبعة الارشاد / بغداد / سنة ١٩٧٥م / نشر رئاسة ديوان الاوقاف احياء التراث الاسلامي بالعراق .

١٠٩ تحرير ألفاظ التنبيه (أو لغة الفقهاء) :

للنووى (ت ٦٧٦هـ) حققه وعلق عليه عبد الغني الدقر.

الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م / دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع / دمشق وبيروت .

١١٠ تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى :

للمباركفورى (ت ١٣٥٣هـ) أشرف على مراجعة أصوله وتصحيحه عبد الوهاب عبد اللطيف .

الطبعة الثانية / الفاروق الحديثة للطباعة والنشر / القاهرة .

١١١ تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف :

للمزى (ت ٧٤٢هـ) صححه وعلق عليه عبد الصمد شرف الدين نشرته الدار القيمة بمباى ـ الهند ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

١١٢ تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين :

للشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)

الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م / مؤسسة الكتب الثقافية بيروت / لبنان .

١١٣ تحفة المريد على جوهرة التوحيد :

للبيجورى (ت ١٢٧٧هـ)

الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م / دار الكتب العلمية / لبنان .

١١٤ التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية :

لفالح بن مهدى آل مهدى (ت ١٣٩٢هـ) تصحيح وتعليق الشيخ عبد الرحمن بن صالح المحمود .

الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ / الناشر / مكتبة الحرمين / الرياض .

١١٥ التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار :

لابن رجب (ت ٧٩٥هـ) تحقيق بشير محمد عيون .

الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ — ١٩٧٩م / مكتبة دار البيان / دمشق .

١١٦ التدمرية / تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع :

لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) تحقيق محمد بن عودة السعوى

الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م / شركة العبيكان للطباعة والنشر / الرياض .

١١٧ تذكرة الحفاظ :

للذهبي (ت ٧٤٨هـ)

دار احياء التراث العربي / بيروت / لبنان .

١١٨ التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة :

للقرطبي (ت ٦٧١هـ)

توزيع المكتبة التجارية بمكة المكرمة .

١١٩ تذكرة الموضوعات :

لمحمد بن طاهر الهندى الفتني (ت ٩٨٦هـ) :

الناشر / أمين دمج ببيروت والشيخ عبد الوكيل بدمشق .

١٢٠ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك :

للقاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) حققه جماعة من العلماء .

طبعة وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالمملكة المغربية .

١٢١ الترغيب والترهيب :

للمنذرى (ت ٦٥٦هـ) حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد .

الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ — ١٩٧٣م / دار الفكر / بيروت / لبنان .

١٢٢ التعريفات :

للجرجاني (ت ٨١٦هـ)

الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م / دار الكتب العلمية / لبنان .

١٢٣ تعظيم قدر الصلاة :

للمروزى (ت ٢٩٤هـ) حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره

الدكتور عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي .

الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ / الناشر / مكتبة الدار بالمدينة المنورة .

١٢٤ تفسير أبي السعود ،أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم :

لأبي السعود (ت ٩٨٢هـ) تحقيق عبد القادر أحمد عطا .

مطبعة السعادة بمصر / الناشر / مكتبة الرياض الحديثة بالرياض.

١٢٥ تفسير أسماء الله الحسنى :

للزجاج (ت ٣١١هـ) حققه ونشره أحمد يوسف الدقاق .

مطبعة محمد هاشم الكتبي سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م / منشورات دار

المأمون للتراث / دمشق .

١٢٦ تفسير البحر المحيط :

لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٥٤هـ)

الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م / دار الفكر للطباعة والنشر

والتوزيع / بيروت / لبنان .

١٢٧ تفسير البغوى (المسمى معالم التنزيل) :

للبغوى (ت ٥١٦هـ) اعداد وتحقيق خالد عبد الرحمن

العك ومروان سوار .

الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م / دار المعرفة للطباعة والنشر

والتوزيع / بيروت / لبنان .

١٢٨ تفسير التحرير والتنوير :

لابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)

الدار التونسية للنشر بتونس سنة ١٩٨٤م.

١٢٩ تفسير سورة الاخلاص :

لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)

ضمن مجموع الفتاوى الكبرى / المجلد السابع عشر .

١٣٠ تفسير غريب القرآن :

لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) بتحقيق السيد أحمد صقر .

دار احياء الكتب العربية بمصر سنة ١٣٧٨هـ — ١٩٥٨م.

١٣١ تفسير القرآن العظيم :

لابن كثير (ت ٧٧٤هـ) قدم له الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي .

الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ — ١٩٨٧م / دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت / لبنان .

١٣٢ تقريب التهذيب :

لابن حجر (ت ٨٥٢هـ) قدم له وحققه محمد عوامة .

الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م / دار البشائر الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت / لبنان .

١٣٣ التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير :

لابن حجر (ت ٨٥٢هـ) عني بتصحيحه وتنسيقه والتعليق عليه عبد الله هاشم اليماني المدني .

دار المعرفة / بيروت / لبنان / سنة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٣٤ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد :

لابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) حققه جماعة من العلماء .

طبع وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالمملكة المغربية .

١٣٥ تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل :

للباقلاني (ت ٤٠٣هـ) تحقيق عماد الدين احمد حيدر .

الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ — ١٩٨٧م / مؤسسة الكتب الثقافية / لبنان .

١٣٦ التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية :

لعبد العزيز بن ناصر الرشيد .

مطبعة الامام بمصر .

١٣٧ التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة :

للسعدى (ت ١٣٧٦هـ) علق عليها الشيخ عبد العزيز بن باز ، ضبط نصها وخرج أحاديثها على حسن على عبد الحميد .

الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ — ١٩٨٩م / دار ابن القيم للنشر والتوزيع الدمام .

١٣٨ تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة :

لابن عراق الكناني (ت ٩٦٣هـ) حققه وراجع أصوله وعلق عليه عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصديق .

الطبعة الأولى / مطبعة عاطف / الناشر مكتبة القاهرة بمصر .

١٣٩ تهافت الفلاسفة :

للغزالي (ت ٥٠٥ هـ)

الطبعة السابعة / دار المعارف بمصر .

١٤٠ تهذيب الأسماء واللغات :
للنووى (ت ٦٧٦هـ)
دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان .

١٤١ تهذيب التهذيب :
لابن حجر (ت ٨٥٢هـ)
الطبعة الأولى ١٣٢٥هـ / مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن / الهند .

١٤٢ تهذيب اللغة :
للأزهرى (ت ٣٧٠هـ) حققه وقدم له عبد السلام محمد هارون راجعه محمد على النجار .
طبع سنة ١٣٨٤هـ — ١٩٦٤م / المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والترجمة .

١٤٣ تهذيب مختصر سنن أبى داود :
لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد حامد الفقي .
الناشر / دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت / لبنان .

١٤٤ التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل :
لابن خزيمة (ت ٣١١هـ) دراسة وتحقيق الدكتور عبد العزيز ابن ابراهيم الشهوان .
الطبعة الأولى ١٤٠٨ - ١٩٨٨م / دار الرشد للنشر والتوزيع/الرياض
وكذا الطبعة التى راجعها وعلق عليها محمد خليل هراس / توزيع دار الباز بمكة المكرمة ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨م .

١٤٥ التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد :
لابن منده (ت ٣٩٥هـ) حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه الدكتور علي محمد بن ناصر الفقيهي .
الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ / مطابع الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة مركز شئون الدعوة بالجامعة .

١٤٦ توشيح الديباج وحلية الابتهاج :
للقرافي (ت ٩٤٦هـ) تحقيق وتقديم أحمد الشتيوى .
الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م / دار الغرب الاسلامي /بيروت/لبنان

١٤٧ التيسير في القراءات السبع :
لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ) عنى بتصحيحه أوتوبرتزل .
مطبعة الدولة ١٩٣٠م . وأعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد .

١٤٨ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد :
لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٣٣هـ)
الطبعة الخامسة ١٤٠٢هـ / المكتب الاسلامي / بيروت / لبنان .

١٤٩ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان :
للسعدى (ت ١٣٧٦هـ) تقديم محمد زهرى النجار .
طبع ونشر وتوزيع دار المدني بجدة ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م.

((حرف الجيم))

١٥٠ الجامع لأحكام القرآن :
للقرطبي (ت ٦٧١هـ)
الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م / دار الكتب العلمية / لبنان .

١٥١ جامع البيان عن تأويل آى القرآن :
لابن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ)
الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ — ١٩٦٨م / شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

١٥٢ جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله :
لابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)
دار الفكر / بيروت / لبنان .

١٥٣ جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم :
لابن رجب (ت ٧٩٥هـ)
الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م / مؤسسة الكتب الثقافية / لبنان .

١٥٤ جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس :
لابن القاضي (ت ١٠٢٥)
دار المنصور للطباعة والوراقة بالرباط / المغرب / سنة ١٩٧٣م.

١٥٥ الجرح والتعديل :
للرازى (ت ٣٢٧هـ)
الطبعة الأولى ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / مصورة عن طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند .

١٥٦ جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام :
لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) تحقيق شعيب الارنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط .
الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م/دار العروبة للنشر والتوزيع/الكويت

١٥٧ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح :
لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)
مطابع المجد التجارية .

١٥٨ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي :
لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) تحقيق أبي حذيفة عبيد الله ابن عاليه .
الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م / الناشر / دار الكتاب العربي بيروت / لبنان .

١٥٩ الجواهر في تفسير القرآن الكريم :
للجوهري طنطاوي (ت ١٣٥٨هـ)
الطبعة الثانية ١٣٥٠هـ / مطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده بمصر.

١٦٠ الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد :
لابن المبرد (ت ٩٠٩هـ) حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين .
الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م / مطبعة المدني بمصر / الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة .

((حرف الحاء))

١٦١ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح :
لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) حققه وعلق عليه علي الشربجي وقاسم النوري .
الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م / مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت / لبنان .

١٦٢ حاشية رد المحتار على الدر المختار :
لابن عابدين (ت ١٢٥٢هـ)
الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م / دار الفكر / بيروت / لبنان
١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٦٣ الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة :
لأبي القاسم قوام السنة (ت ٥٣٥هـ) تحقيق ودراسة الدكتور محمد بن ربيع المدخلي والدكتور محمد بن محمود أبو رحيم .
الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م / دار الراية للنشر والتوزيع/ الرياض.

١٦٤ الحسبة في الاسلام :
لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) تحقيق سيد بن محمد بن أبي سعدة
الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م / نشر وتوزيع مكتبة دار الأرقم الكويت .

١٦٥ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة :
للسيوطي (ت ٩١١هـ) بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .
الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م / دار احياء الكتب العربية / مصر.

١٦٦ الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين :
للسعدى (ت ١٣٧٦هـ)
الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م / دار ابن القيم للنشر والتوزيع الدمام .

١٦٧ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء :
لأبي نعيم (ت ٤٣٠هـ)
الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م / دار الكتب العلمية / بيروت/ لبنان .

١٦٨ الحماسة :

لأبي تمام (ت ٢٣١هـ) تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان :

أشرفت على طباعته ونشره ادارة الثقافة والنشر بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض سنة ١٤٠١هـ — ١٩٨١م.

١٦٩ الحنين الى الأوطان :

للجاحظ (ت ٢٥٥هـ) صحح أصلها وعلق حواشيها الشيخ طاهر الجزائري .

الطبعة الثانية ١٣٥١هـ / المطبعة السلفية ومكتبتها / القاهرة .

١٧٠ حياة الحيوان الكبرى :

للدميري (ت ٨٠٨هـ)

الطبعة الثالثة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م / شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

١٧١ الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن :

لعبد العزيز الكناني (ت ٢٤٠هـ) حققه وعلق عليه الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي .

مطابع الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٤١٢هـ.

((حرف الخاء))

١٧٢ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب :

للبغدادي (ت ١٠٩٣هـ) تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية ١٩٧٩م / الهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٧٣ الخصائص الكبرى :

للسيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق الدكتور محمد خليل هـــراس.

الناشر / دار الكتب الحديثة / مصر .

١٧٤ الخطط (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) :

للمقريزي (ت ٨٤٥هـ)

الناشر / مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة .

((حرف الدال))

١٧٥ الدارس في تاريخ المدارس :

للنعيمي (ت ٩٢٧هـ) تحقيق جعفر الحسني .

الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م / دار الكتاب الجديد .

١٧٦ الدر المنثور في التفسير بالمأثور :

للسيوطي (ت ٩١١هـ)

الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م / دار الفكر للطباعة والنشـــر

بيروت / لبنان .

١٧٧ درء تعارض العقل والنقل :

لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم .

توزيع مكتبة ابن تيمية / القاهرة / مصورة عن طبعة جامعة الامـــام محمد

ابن سعود الاسلامية .

١٧٨ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة :

لابن حجر (ت ٨٥٢هـ) حققه وقدم له ووضع فهارسه محمـــد

سيد جاد الحق .

الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م / مطبعة المدني بمصر .

١٧٩ الدرة فيما يجب اعتقاده :

لابن حزم (ت ٤٥٦هـ) دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور أحمد بن ناصر الحمد والدكتور سعيد بن عبد الرحمن القزقي .

الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م / مطبعة المدني بمصر / توزيع مكتبة التراث بمكة المكرمة .

١٨٠ الدعاء :

للطبراني (ت ٣٦٠هـ) دراسة وتحقيق الدكتور محمد سعيد بن محمد البخارى .

الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م / دار البشائر الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت / لبنان .

١٨١ الدعاء المأثور وآدابه ، وما يجب على الداعي اتباعه واجتنابه :

لأبي بكر الطرطوشي (ت ٥٢٠هـ) تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية .

الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م / دار الفكر المعاصر / بيروت/لبنان

١٨٢ دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب / عرض ونقض :

لعبد العزيز محمد بن على العبد اللطيف .

الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / دار الوطن للنشر .

١٨٣ دلائل النبوة :

لأبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) حققه الدكتور محمد رواس قلعه جي ، وعبد البر عباس .

الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م / دار النفائس / بيروت / لبنان

١٨٤ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة :

للبيهقي (ت ٤٥٨هـ) وثق أصوله وخرج حديثه وعلق عليه الدكتور عبد المعطي قلعجي .
ط/اولى / ١٤٠٨- ١٩٨٨م/ دار الكتب العلمية / بيروت/ودار الريان / مصر

١٨٥ دول الاسلام :

للذهبي (ت ٧٤٨هـ) تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم .

الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.

١٨٦ الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب :

لابن فرحون (ت ٧٩٩هـ) تحقيق الدكتور محمد الاحمدى أبو النور

دار التراث للطبع والنشر / القاهرة .

١٨٧ ديوان امرئ القيس (ت نحو ٨٠) ق . هـ

تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .

الطبعة الثالثة / دار المعارف بمصر .

١٨٨ ديوان حسان بن ثابت (ت ٥٤هـ)

حققه وعلق عليه الدكتور وليد عرفات .

دار صادر / بيروت / لبنان / ١٩٧٤م.

١٨٩ ديوان زهير بن أبي سلمى :

دار صادر / بيروت / لبنان / ودار بيروت للطباعة والنشر .

١٩٠ ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني / (ت ٢٢هـ)

حققه وشرحه صلاح الدين .

دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٨م.

١٩١ ديوان طرفة بن العبد :

حققه وقدم له المحامي فوزى عطوى .

الطبعة الأولى ١٩٦٩م / الشركة اللبنانية للكتاب / للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت / لبنان .

١٩٢ ديوان العجاج (ت نحو ٩٠هـ) :
رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه . تحقيق الدكتور عبد الحفيظ السطلي .
توزيع مكتبة أطلس / دمشق .

١٩٣ ديوان قيس بن الخطيم :
تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد :
الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م / دار صادر / بيروت / لبنان .

١٩٤ ديوان كثير عزة :
جمعه وشرحه الدكتور احسان عباس .
نشر وتوزيع دار الثقافة / بيروت / لبنان .

١٩٥ ديوان لبيد :
دار صادر / بيروت / لبنان / سنة ١٩٦٦م - ١٣٨٦هـ .

١٩٦ ديوان النابغة الذبياني :
جمع وتحقيق وشرح محمد الطاهر بن عاشور .
طبع سنة ١٩٧٦م / نشر الشركة التونسية للتوزيع / والشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر .

((حرف الذال))

١٩٧ الذريعة الى مكارم الشريعة :
للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) تحقيق ودراسة الدكتور أبو اليزيد العجمي .
الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م / دار الصحوة بالقاهرة ودار الوفاء بالمنصورة .

١٩٨ ذكر أخبار اصبهان :

لأبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)

طبع سنة ١٩٣٤م / في مدينة ليدن بمطبعة بريل هولاندا .

١٩٩ ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين ، المخالفة للسنة والمبتدعين :

لليافعي (ت ٧٦٨هـ) تحقيق الدكتور موسى بن سليمان الدويش.

الطبعة الأولى ١٤١٠هـ / دار البخارى للنشر والتوزيع بالمدينة المنورة والقصيم بريدة .

٢٠٠ ذم التأويل :

لابن قدامة (ت ٦٢٠هـ) حققه وخرج أحاديثه بدر بن عبدالله البدر .

الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م / الدار السلفية / الكويت .

٢٠١ الذيل على طبقات الحنابلة :

لابن رجب (ت ٧٩٥هـ) .

الناشر / دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت / لبنان .

٢٠٢ ذيل الأمالي والنوادر :

لأبي على القالي (ت ٣٥٦هـ)

الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م.

((حرف الراء))

٢٠٣ رد الامام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد :

للدارمي (ت ٢٨٢هـ) صححه وعلق عليه محمد حامد الفقي .

الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان .

٢٠٤ الرد على الجهمية :

للدارمي (ت ٢٨٢هـ)

ضمن عقائد السلف ،جمع الدكتور على سامي النشار وعمار جمعي الطالبي . الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٧١م.

٢٠٥ الرد على الجهمية :

لابن منده (ت ٣٩٥هـ) حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه الدكتور على بن محمد ناصر الفقيهي .

الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٢٠٦ رسالة الى أهل الثغر :

لأبي الحسن الأشعرى (ت ٣٢٤هـ) تحقيق ودراسة عبد الله شاكر محمد الجنيدى .

الطبعة الاولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م / مؤسسة علوم القرآن / دمشق ومكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة .

٢٠٧ الرسالة الشافية في الاعجاز :

لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١) ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ،حققها وعلق عليها محمد خلف الله أحمد والدكتور محمد زغلول سلام .

الطبعة الثالثة / دار المعارف بمصر .

٢٠٨ الرسالة الفقهية :

لابن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦هـ) اعداد وتحقيق الدكتور الهادى حمو والدكتور محمد أبو الأجفان .

الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م / دار الغرب الاسلامي / لبنان .

٢٠٩ رسالة في الذب عن أبي الحسن الأشعرى :

لابن درباس (ت ٦٥٩هـ) حققها وعلق عليها وخرج أحاديثها الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي .

الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

٢١٠ رسالة في الرد على الرافضة :

لأبي حامد المقدسي (ت ٨٨٨هـ) تحقيق عبد الوهاب خليل الرحمن .

الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م / الناشر / الدار السلفية بومباى الهند .

٢١١ الرسالة القشيرية :

للقشيرى (ت ٤٦٥هـ) تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمد بن الشريف .

دار الكتب الحديثة / القاهرة .

٢١٢ الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة :

للكتاني (ت ١٣٤٥هـ) كتب مقدمتها ووضع فهارسها محمد المنتصر بن محمد الزمزمي الكتاني .

الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م / دار البشائر الاسلامية/لبنان .

٢١٣ رفع الإصر عن قضاة مصر :

لابن حجر (ت ٨٥٢هـ) بتحقيق الدكتور حامد عبد المجيد ومحمد المهدى ومحمد اسماعيل الصاوى .

المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٩٥٧م .

٢١٤ الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء :

لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) دراسة وتحقيق الدكتور /بسام علي سلامة العموش .

الطبعة الاولى ١٤٠٦ - ١٩٨٦م/ منشورات دار ابن تيمية للنشر والتوزيع والإعلام / الرياض

٢١٥ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :

للألوسي (ت ١٢٧٠هـ)

الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م / دار احياء التراث العربي / بيروت

٢١٦ روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات :

للخوانساری الاصبهاني (ت ١٣١٣هـ) تحقيق أسد الله اسماعيليان .

عنيت بنشره مكتبة اسماعيليان . قم .

٢١٧ روضةالطالبين وعمدة المتقين :

للنووی (ت ٦٧٦هـ) اشراف زهير الشاويش .

الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م / المكتب الاسلامي / بيروت ودمشق

٢١٨ روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين .

لمحمد بن عثمان بن صالح بن عثمان .

مطبعة الحلبي بمصر .

((حرف الزای))

٢١٩ زاد المسير في علم التفسير :

لابن الجوزی (ت ٥٩٧هـ)

الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م / المكتب الاسلامي / بيروت/ لبنان .

٢٢٠ زاد المعاد في هدى خير العباد :

لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الارنؤوط وعبد القادر الارنؤوط .

الطبعة الرابعة عشر ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م/ موسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت / لبنان .

٢٢١ الزواجر عن اقتراف الكبائر :

لابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ)

الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م / شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

٢٢٢ الزينة في الكلمات الاسلامية العربية :

لأبي حاتم الرازى (ت ٣٢٢هـ) عارضه بأصوله وعلق عليه حسين ابن فيض الله الهمداني .

الطبعة الثانية ١٩٥٧م / مطابع دارالكتاب العربي بمصر .

((حرف السين))

٢٢٣ السبعة في القراءات :

لابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) تحقيق الدكتور شوقي ضيف .

الطبعة الثالثة / دار المعارف بمصر .

٢٢٤ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها :

للألباني .

المكتب الاسلامي / بيروت ودمشق / والمكتبة الاسلامية بالأردن ، ومكتبة المعارف بالرياض .

٢٢٥ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة :

للألباني :

المكتب الاسلامي ببيروت ودمشق ومكتبة المعارف بالرياض .

٢٢٦ سنن ابن ماجه :

لابن ماجه (ت ٢٧٥هـ) حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي .

المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع / استانبول - تركيا .

٢٢٧ سنن أبي داود :

لأبي داود (ت ٢٧٥هـ) اعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد .

الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٩م / دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت / لبنان .

٢٢٨ سنن الترمذي :

للترمذي (ت ٢٧٩هـ) بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، وأكمله آخرون .

الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م / شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

٢٢٩ سنن الدارمي :

للدارمي (ت ٢٥٥هـ) حقق نصه وخرج أحاديثه وفهرسه فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي .

الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م / الناشر / دار الريان للتراث بالقاهرة ودار الكتاب العربي / بيروت / لبنان .

٢٣٠ السنن الكبرى :

للنسائي (ت ٣٠٣هـ) تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن .

الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م / دار الكتب العلمية /بيروت/لبنان .

٢٣١ السنن الكبرى :

للبيهقي (ت ٤٥٨هـ)

دار المعرفة / بيروت / لبنان .

٢٣٢ سنن النسائي (المجتبى) :

للنسائي (ت ٣٠٣هـ) اعتنى به ورقمه وصنع فهارسه عبد الفتاح أبو غدة

الطبعة الأولى المفهرسة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م / دار البشائر الاسلامية

للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت / لبنان .

٢٣٣ السنة :

لأحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) ضمن شذرات البلاتين من طيبات

كلمات سلفنا الصالحين :

جمع وتحقيق محمد حامد الفقي . مطبعة السنة المحمدية

بالقاهرة سنة ١٣٧٥هـ — ١٩٥٦م.

٢٣٤ السنة :

لابن أبي عاصم (ت ٢٨٧هـ) . معه ظلال الجنة في تخريج

السنة للألباني .

الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م / المكتب الاسلامي / بيروت/ ودمشق

٢٣٥ السنة :

لعبد الله بن الامام أحمد (ت ٢٩٠هـ) تحقيق ودراسة الدكتور

محمد بن سعيد القحطاني .

الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م / دار ابن القيم للنشر والتوزيع

الدمام .

٢٣٦ السنة :

للخلال (ت ٣١١هـ) دراسة وتحقيق الدكتور عطية الزهراني

الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م / دار الراية للنشر والتوزيع

الرياض .

٢٣٧ السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية :

لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)

دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت / لبنان .

٢٣٨ السير والمغازى :

لابن اسحاق (ت ١٥١هـ) تحقيق الدكتور سهيل زكـــــار.

الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م / دار الفكر / بيروت / لبنان .

٢٣٩ سير أعلام النبلاء :

للذهبي (ت ٧٤٨هـ) حقق نصوصه وخرج أحاديثه شـــعيب

الارنؤوط مع آخرين .

الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م / مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر

والتوزيع / بيروت / لبنان .

٢٤٠ السيرة النبوية :

لابن هشام (ت ٢١٣هـ) حققها وضبطها وشرحها ووضــــع

فهارسها مصطفى السقا وابراهيم الابيارى وعبد الحفيظ شلبي .

٢٤١ السيرة النبوية :

لابن كثير (ت ٧٧٤هـ) تحقيق مصطفى عبد الواحد .

الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ — ١٩٧٨م / دار الفكر / بيروت / لبنان .

((حرف الشين))

٢٤٢ الشامل في أصول الدين :

للجويني (ت ٤٧٨هـ) حققه وقدم له الدكتور علي سامي النشار

وفيصل بد ير عون ، وسهير محمد مختار .

الناشر / منشأة المعارف بالاسكندرية سنة ١٩٦٩م.

٢٤٣ شأن الدعاء :

للخطابي (ت ٣٨٨هـ) تحقيق أحمد يوسف الدقاق .

الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م / دار المأمون للتراث / دمشق وبيروت .

٢٤٤ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية :

لمحمد بن محمد مخلوف (ت ١٣٦٠هـ) .

الناشر : دار الكتاب العربي / بيروت / لبنان / مصور عن الطبعة الأولى بالمطبعة السلفية لسنة ١٣٤٩هـ .

٢٤٥ شذرات الذهب في أخبار من ذهب :

لابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)

الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م / دار المسيرة / بيروت / لبنان .

٢٤٦ الشرح والابانة على أصول السنة والديانة :

لابن بطة العكبرى (ت ٣٨٧هـ) تحقيق وتعليق ودراسة الدكتور رضا بن نعسان معطي .

طبعة ١٤٠٤ - ١٩٨٤م / دار التوفيق النموذجية للطباعة والجمع الآلي ، توزيع المكتبة الفيصلية بمكة المكرمة .

٢٤٧ شرح أشعار الهذليين :

لأبي سعيد الحسن السكرى (ت ٢٧٥هـ) حققه عبد الستار أحمد فراج ، راجعه محمود محمد شاكر /

مطبعة المدني بالقاهرة ، توزيع مكتبة دار العروبة بالقاهرة .

٢٤٨ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة :

للالكائي (ت٤١٨) تحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان الغامدى .

الطبعة الأولى / الناشر / دار طيبة للنشر والتوزيع / الرياض .

٢٤٩ شرح الأصول الخمسة :

للقاضي عبد الجبار (ت ٤١٥) حققه وقدم له الدكتور عبد الكريم عثمان .

الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م / طبعة أم القرى للطباعة والنشر بمصر / الناشر / مكتبة وهبه مصر .

٢٥٠ شرح جوهرة التوحيد :

للباجوري (ت ١٢٧٧) نسقه وخرج أحاديثه محمد أديب الكيلاني وعبد الكريم تتان ، راجعه وقدم له عبد الكريم الرفاعي .

طبع سنة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

٢٥١ شرح حديث النزول :

لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)

الطبعة السادسة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م / المكتب الاسلامي / بيروت/ لبنان .

٢٥٢ شرح ديوان الحماسة :

للمرزوقي (ت ٤٢١هـ) نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون .

الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م / مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر .

٢٥٣ شرح السنة :

للبغوى (ت٥١٦) تحقيق زهير الشاويش وشعيب الارنؤوط .

الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م / المكتب الاسلامي / بيروت ودمشق .

٢٥٤ شرح صحيح مسلم :

للنووى (ت ٦٧٦هـ)

الطبعة الأولى ١٣٤٧ ــ ١٩٢٩م / المطبعة المصرية بالأزهر / القاهرة.

٢٥٥ شرح العقيدة الأصفهانية :

لابن تيمية (٧٢٨) قدم له وعرف به حسنين محمد مخلوف .

دار الكتب الحديثة بمصر .

٢٥٦ شرح العقيدة الطحاوية :

لابن أبي العز الحنفي (ت ٧٩٢هـ) حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الارنؤوط .

الطبعة الأولى ١٤٠٨ - ١٩٨٧م / مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر بيروت / لبنان .

٢٥٧ شرح العقيدة الواسطية :

للهراس (ت ١٩٧٥م) ضبط نصه وخرج أحاديثه علوى السقاف .

الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م / دار الهجرة للنشر والتوزيع الرياض .

٢٥٨ شرح القصائد السبع الطوال :

للأنبارى (ت ٣٢٨هـ) تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون .

الطبعة الثانية / دار المعارف بمصر .

٢٥٩ شرح كتاب التوحيد من صحيح البخارى :

لعبد الله الغنيمان .

الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ / مطبعة المدني بالقاهرة / توزيع مكتبة الدار بالمدينة المنورة .

٢٦٠ شرح لمعة الاعتقاد الهادى الى سبيل الرشاد :

لمحمد صالح العثيمين .

الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م / مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت / لبنان ، ومكتبة الرشد بالرياض .

٢٦١ شرح المقاصد :

للتفتازاني (ت ٧٩٣هـ) تحقيق وتعليق الدكتور عبد الرحمن عميرة

الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م / عالم الكتب / بيروت / لبنان .

٢٦٢ شرح المواقف :

للايجي (ت ٧٥٦) .

دار الطباعة العامرة / استانبول / تركيا .

٢٦٣ الشريعة :

للآجري (ت ٣٦٠هـ) تحقيق محمد حامد الفقي .

الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م / دار الكتب العلمية/بيروت /لبنان .

٢٦٤ الشعر والشعراء :

لابن قتيبة (ت ٢٧٦) تحقيق وشرح أحمد شاكر .

الطبعة الثالثة ١٩٧٧م / دار التراث العربي للطباعة / القاهرة .

٢٦٥ الشفا بتعريف حقوق المصطفى :

للقاضي عياض (ت ٥٤٤هـ)

دار الفكر / بيروت / لبنان .

٢٦٦ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل :

لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) تحرير الحساني حسن عبد الله .

الناشر / مكتبة دار التراث بالقاهرة .

٢٦٧ الشمائل المحمدية :

للترمذي (ت ٢٧٩هـ) اخراج وتعليق محمد عفيف الزعبي .

الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م / مطابع دار العلم للطباعة والنشر جدة .

٢٦٨ شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم :

لابن كثير (ت ٧٧٤هـ) تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد .

الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م / دار القبلة للثقافة الاسلامية بجدة ومؤسسة علوم القرآن بدمشق .

((حرف الصاد))

٢٦٩ الصارم الحديد في عنق صاحب سلاسل الحديد :

للسويدى (ت ١٢٤٦) (مخطوط) بقسم المخطوطات بجامعة الملك سعود بالرياض تحت رقم ١٨٦٣ .

٢٧٠ الصارم المسلول على شاتم الرسول :

لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محيى الدين عبد الحميد .

الطبعة الأولى ١٣٧٩ - ١٩٦٠م / مطبعة السعادة بمصر / الناشر مكتبة تاج بطنطا .

٢٧١ الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) :

للجوهرى (ت ٣٩٣هـ) تحقيق أحمد عبد الغفور عطار .

الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٣٧٩هـ / دار العلم للملايين / بيروت / لبنان .

٢٧٢ الصحائف الالهية :

لشمس الدين السمرقندى (ت بعد ٦٩٠هـ) حققه وعلق عليه وخرج نصوصه الدكتور احمد عبد الرحمن شريف .

الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م / مكتبة الفلاح / الكويت .

٢٧٣ صحيح ابن خزيمة :

لابن خزيمة (ت ٣١١) حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له الدكتور محمد مصطفى الاعظمي المكتب الاسلامي .

٢٧٤ صحيح البخارى :
للبخارى (ت ٢٥٦هـ)
المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع / استانبول / تركيـــــا .

٢٧٥ صحيح الترغيب والترهيب :
للألباني .
الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م / المكتب الاسلامي / بيروت/ لبنان ودمشـــق .

٢٧٦ صحيح الجامع الصغير وزيادته :
للألباني . أشرف على طبعه زهير الشاويش .
الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م / المكتب الاسلامي / بيروت/ ودمشق .

٢٧٧ صحيح سنن ابن ماجه :
للألباني :
الطبعة الأولى ١٤٠٧ - ١٩٨٦م/ الناشر / مكتب التربية العربـــي لدول الخليج . توزيع المكتب الاسلامي / بيروت .

٢٧٨ صحيح سنن أبى داود :
للالباني .
الطبعة الأولى ١٤٠٩ - ١٩٨٩م / الناشر مكتب التربية العربـــي لدول الخليج . توزيع المكتب الاسلامي / بيروت .

٢٧٩ صحيح سنن الترمذى :
للألباني .
الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م / الناشر مكتب التربية العربـــي لدول الخليج . توزيع المكتب الاسلامي / بيروت .

٢٨٠ صحيح سنن النسائي :

للألباني .

الطبعة الأولى ١٤٠٩ - ١٩٨٨م / الناشر / مكتب التربية العربي لدول الخليج . توزيع المكتب الاسلامي / بيروت .

٢٨١ صحيح مسلم :

مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ) وقف على طبعه وتحقيق نصوصه وتصحيحه وترقيمه وعد كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي .

المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع / استانبول / تركيا .

٢٨٢ الصحيح المسند من دلائل النبوة :

للوادعي .

الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م / الناشر / مكتبة ابن تيمية القاهرة.

٢٨٣ الصفات :

للدارقطني (ت ٣٨٥هـ) حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي .

الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢٨٤ الصفات الالهية في الكتاب والسنة النبوية :

للدكتور محمد أمان بن علي الجامي .

الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / مطابع الجامعة الاسلامية / نشر المجلس العلمي ، احياء التراث الاسلامي بالجامعة .

٢٨٥ الصلة :

لابن بشكوال (ت ٥٧٨)

الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٦م.

٢٨٦ الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة :
لابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ) تخريج وتعليق عبد الوهاب عبد اللطيف .
الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م / شركة الطباعة الفنية المتحدة
الناشر / مكتبة القاهرة / مصر .

٢٨٧ الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة :
لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه وقدم له الدكتور علي بن محمد الدخيل الله .
الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - دار العاصمة / الرياض .

٢٨٨ صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام :
للسيوطي (ت ٩١١هـ) علق عليه علي سامي النشار .
توزيع عباس أحمد الباز مكة المكرمة / دار الكتب العلمية / بيروت/ لبنان .

((حرف الضاد))

٢٨٩ الضعفاء الكبير :
للعقيلي (ت ٣٢٢) حققه ووثقه الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي .
الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م / دار الكتب العلمية / بيروت/ لبنان .

٢٩٠ ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة :
لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني .
الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م / دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع دمشق / وبيروت .

٢٩١ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع :
للسخاوي (ت ٩٠٢هـ)
منشورات دار مكتبة الحياة / بيروت / لبنان .

((حرف الطاء))

٢٩٢ طبقات الحفاظ :

للسيوطي (ت ٩١١هـ) بتحقيق على محمد عمر .

الطبعة الأولى ١٣٩٣ - ١٩٧٣/ مطبعة الاستقلال الكبرى بالقاهرة

الناشر / مكتبة وهبة بمصر .

٢٩٣ طبقات الحنابلة :

لابن أبي يعلى (ت ٥٢٦)

الناشر / دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت / لبنان .

٢٩٤ طبقات الشافعية الكبرى :

للسبكي (ت ٧٧١هـ) تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو .

دار احياء الكتب العربية بمصر .

٢٩٥ طبقات الشافعية :

للأسنوى (ت ٧٧٢هـ) تحقيق عبد الله الجبورى .

دار العلوم للطباعة والنشر بالرياض ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٢٩٦ طبقات الشافعية :

لابن كثير (ت ٧٧٤هـ) (مخطوط) نسختي مصورة عن مخطوطة الكتاب الموجود بجامعة برنستن الامريكية تحت رقم ٤٦٧٤ امريكا .

٢٩٧ طبقات الشافعية :

لابن قاضي شهبة (ت ٨٥١هـ) اعتنى بتصحيحه وعلق عليه ورتب فهارسه الدكتور الحافظ عبد الحليم خان .

الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م / مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند .

٣٠٥ العبوديـــــة :

لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)

مطبعة المدني بمصر سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٣٠٦ العرش وما روى فيه :

لابن أبي شيبة (ت ٢٩٧هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليـــه محمد بن حمد الحمود .

الطبعة الثانية ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م / مكتبة السنة ، الدار السلفيـــة لنشر العلم / القاهرة .

٣٠٧ العزلـــــة :

للخطابي (ت ٣٨٨هـ) حققه وعلق عليه ياسين محمد السواس .

الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م / دار ابن كثير للطباعة والنشـــر والتوزيع / دمشق / وبيروت .

٣٠٨ العصر الجاهلي :

للدكتور شوقي ضيف .

الطبعة الثانية عشرة / دار المعارف بمصر .

٣٠٩ العظمة :

لأبي الشيخ الأصبهاني (ت ٣٦٩هـ) دراسة وتحقيق رضا الله ابن محمد ادريس المباركفوري .

الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - دار العاصمة / الرياض .

٣١٠ عقائد السلف :

جمعها الدكتور على سامي النشار وعمار جمعي الطالبي .

منشأة المعارف بالاسكندرية سنة ١٩٧١م.

٣١١ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين :

للفاسي (ت ٨٣٢هـ)

مطبعة السنة المحمدية / القاهرة / سنة ١٣٧٩هـ.

٣١٢ عقيدة السلف أصحاب الحديث :

للصابوني (ت ٤٤٩) حققها وخرج أحاديثها وعلق عليهـــــا بدر البدر .

الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م / الناشر / الدار السلفية/الكويت

٣١٣ علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم :

لصالح السليمان العمرى .

الطبعة الاولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م/ مطابع الاشعاع / الرياض .

٣١٤ علماء نجد خلال ستة قرون :

للبسام .

الطبعة الاولى ١٣٩٨هـ / مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة / مكةالمكرمة.

٣١٥ العلو للعلي الغفار :

للذهبي (ت ٧٤٨هـ) قدم له وصححه وراجع أصوله عبد الرحمن محمد عثمان .

الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م / الناشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

٣١٦ عمل اليوم والليلة :

للنسائي (ت ٣٠٣هـ) دراسة وتحقيق الدكتور فاروق حمادة .

الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م / مؤسسة الرسالة / بيروت / لبنان .

٣١٧ عمل اليوم والليلة :

لابن السني (ت ٣٦٤هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه بشيـــر محمد عيون .

الطبعة الاولى١٤٠٧ - ١٩٨٧ /الناشر مكتبة دار البيان / دمشـــق .

٣١٨ العواصم من القواصم :

لأبي بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ) تحقيق عمار طالبي .

الطبعة الثانية ١٩٨١م / الشركة الوطنية للنشر والتوزيع / الجزائر .

((حرف الغين))

٣١٩ غاية المرام في علم الكلام :

للآمدى (ت ٦٣١هـ) تحقيق حسن محمود عبد اللطيف .

مطابع الاهرام / الناشر / المجلس الأعلى للشئون الاسلامية / القاهرة

سنة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م

٣٢٠ غريب الحديث :

لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) تحقيق الدكتور عبد الله الجبورى .

الطبعة الأولى ١٣٩٧ - ١٩٧٧م / مطبعة العاني ببغداد / نشر

وزارة الأوقاف / احياء التراث الاسلامي بالجمهورية العراقية .

٣٢١ غريب الحديث :

لأبي اسحاق الحربي (ت ٢٨٥هـ) تحقيق ودراسة الدكتور

سليمان بن ابراهيم العايد .

الطبعة الأولى ١٤٠٥ - ١٩٨٥م / دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع

بجدة / الناشر / مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة

أم القرى بمكة المكرمة .

٣٢٢ غريب الحديث :

للخطابي (ت ٣٨٨هـ) تحقيق عبد الكريم ابراهيم العزباوى .

دار الفكر / بدمشق ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م / الناشر / مركز البحث

العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

٣٢٣ غياث الأمم في التيات الظلم (الغياثي)

للجويني (ت ٤٧٨هـ) تحقيق ودراسة الدكتور عبد العظيم الديب

الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ / على نفقة الشئون الدينية بدولة قطر .

((حرف الفاء))

٣٢٤ الفائق في غريب الحديث :

للزمخشري (ت ٥٣٨هـ) تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد

أبو الفضل ابراهيم .

الطبعة الثانية / مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر .

٣٢٥ الفتاوى السعدية :

للسعدي (ت ١٣٧٦هـ)

منشورات المؤسسة السعيدية بالرياض .

٣٢٦ الفتاوى الكبرى :

لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) تحقيق وتعليق وتقديم محمد عبد القادر

عطا ومصطفى عبد القادر عطا .

الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م / دار الكتب العلمية / بيروت/لبنان .

٣٢٧ فتاوى السبكي :

للسبكي (ت ٧٥٦هـ)

عنيت بنشره مكتبة القدسي سنة ١٣٥٦هـ / القاهرة .

٣٢٨ فتاوى ومسائل ابن الصلاح :

لابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ) حققه وخرج حديثه وعلق عليه

الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي .

الطبعة الأولى ١٤٠٦ - ١٩٨٦م / دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت / لبنان .

٣٢٩ فتح البارى بشرح صحيح البخارى :

لابن حجر (ت ٨٥٢هـ) قرأ أصله تصحيحا وتعليقا الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي .

دار المعرفة / بيروت / لبنان .

٣٣٠ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد :

للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ت ١٢٨٥هـ)

طبع ونشر الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالرياض / ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

٣٣١ فتح رب البرية بتلخيص الحموية :

لمحمد بن صالح العثيمين (ضمن رسائل في العقيدة) .

الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م / مكتبة المعارف / بالرياض .

٣٣٢ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير :

للشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)

الناشر / دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت / لبنان .

٣٣٣ الفتن والملاحم :

لابن كثير (ت ٧٧٤هـ) تصحيح وتعليق الشيخ اسماعيل الانصارى .

الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م / نشر وتوزيع مؤسسة النور ومكتبة الحرمين / الرياض .

٣٣٤ الفتوى الحموية :

لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)

الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ / القاهرة .

٣٣٥ فرق وطبقات المعتزلة :

للقاضي عبد الجبار (ت ٤١٥هـ) تحقيق وتعليق الدكتور علي سامي النشار وعصام الدين محمد علي .

دار المطبوعات الجامعية ١٩٧٢م.

٣٣٦ الفرق بين الفرق :

لعبد القاهر البغدادى (ت ٤٢٩هـ) حقق أصوله وفصلـــه وضبط مشكله وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد .

الناشر / دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت / لبنان .

٣٣٧ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان :

لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) حققه وخرج أحاديثه عبد القـــادر الارنؤوط .

الناشر/ مكتبة دار البيان بدمشق / توزيع مكتبة المؤيد بالطائف ســـنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣٣٨ الفــــروق :

للقرافي (ت ٦٨٤هـ)

عالم الكتب / بيروت / لبنان .

٣٣٩ الفصل في الملل والأهواء والنحل :

لابن حزم (ت ٤٥٦هـ) تحقيق الدكتور محمد ابراهيم نصـــر والدكتور عبد الرحمن عميرة .

الطبعة الاولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م / شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع بالمملكةالعربية السعودية .

٣٤٠ فض الوعاء في حديث رفع اليدين في الدعاء :

للسيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق وتخريج محمد شكور بن محمود الميادني .

الطبعة الأولى ١٤٠٥ - ١٩٨٥م / مكتبة المنار / الاردن / الزرقاء .

٣٤١ الفهرسة :

لأبي بكر بن خير (ت ٥٧٥هـ) وقف على نسخها وطبعها ومقابلتها فرنسشكه وطرغوه .

الطبعة الثانية ١٣٨٢ - ١٩٦٣م / منشورات مؤسسة الخانجي / القاهرة .

٣٤٢ الفوائـــد :

لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) تخريج وحواشي أحمد راتب عرموش .

الطبعة الثانية ١٤٠٦ - ١٩٨٦م / دار النفائس / بيروت / لبنان .

٣٤٣ فيض القدير شرح الجامع الصغير :

للمناوى (ت ١٠٣١)

الطبعة الثانية ١٣٩١ - ١٩٧٢م / دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت لبنان .

((حرف القاف))

٣٤٤ القاموس المحيط :

للفيروز أبادى (ت ٨١٧)

الطبعة الثانية ١٤٠٧ - ١٩٨٧ / مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت / لبنان .

٣٤٥ القصيدة النونية :

لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) شرحها الدكتور محمد خليل هراس .

الناشر / مكتبة ابن تيمية بالقاهرة / سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .

٣٤٦ قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة :

للسيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق الشيخ خليل محي الدين بن الميس.

الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م / المكتب الاسلامي / بيروت / لبنان .

٣٤٧ القلائد في تصحيح العقائد :

لأحمد بن يحى بن المرتضى المعتزلي (ت ٨٤٠هـ) حققه وقدم له وأعده الدكتور البير نصري نادر .

منشورات دار المشرق سنة ١٩٨٥م / بيروت / لبنان .

٣٤٨ القند في ذكر علماء سمرقند :

لنجم الدين النسفي (ت ٥٣٧هـ) قدم له واعتنى به : نظـــر محمد الفاريابي .

الطبعة الاولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م / مكتبة الكوثر / الرياض .

٣٤٩ قواعد العقائد :

للغزالي (ت ٥٠٥هـ) تحقيق وتعليق موسى محمد علي .

الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م / عالم الكتب / بيروت / لبنان .

٣٥٠ القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى :

للشيخ ابن عثيمين . حققه وخرج أحاديثه أشرف بن عبد المقصود ابن عبد الرحيم .

الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م / مكتبة السنة / القاهرة .

٣٥١ قواعد المنهج السلفي في الفكر الاسلامي :

للدكتور مصطفى حلمي .

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع / مصر .

٣٥٢ قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية :

لابن جزى (ت ٧٤١هـ)

طبع سنة ١٩٧٤م / دار العلم للملايين / بيروت / لبنان .

٣٠٣ القول السديد شرح كتاب التوحيد :

للسعدى (ت ١٣٧٦هـ)

الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / دار الوطن للنشر / الرياض .

((حرف الكاف))

٣٠٤ الكامل :

للمبرد (ت ٢٨٦هـ) عارضه بأصوله وعلق عليه محمد ابو الفضل ابراهيم .

دار نهضة مصر للطبع والنشر / القاهرة .

٣٠٥ الكامل في ضعفاء الرجال :

لابن عدى (ت ٣٦٥هـ) تحقيق يحيى مختار غزاوى .

الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م / دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت / لبنان .

٣٠٦ الكبائر :

للذهبي (ت ٧٤٨هـ) تحقيق مشهور حسن محمود سلمان .

الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م / مكتبة المنار / الاردن / الزرقاء .

٣٠٧ كشاف اصطلاحات الفنون :

للتهانوى (ت ١١٥٨) حققه الدكتور لطفي عبد البديع ، وترجم النصوص الفارسية الدكتور عبد النعيم محمد حسنين .

طبع سنة ١٣٨٢ - ١٩٦٣م / مكتبة النهضة المصرية بمصر .

وكذا الطبعة بتصحيح المولوى محمد وجيه والمولوى عبد الحق والمولوى غلام قادر .

دار قهرمان للنشر والتوزيع / استانبول ١٤٠٤ - ١٩٨٤م .

٣٥٨ كشف الأستار عن زوائد البزار :

للهيثمي (ت ٨٠٧هـ) تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي .

الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م / مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت / لبنان .

٣٥٩ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون :

لحاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ)

منشورات مكتبة المثنى / بغداد .

٣٦٠ كلمة الاخلاص وتحقيق معناها :

لابن رجب (ت ٧٩٥هـ) ضمن مجموعة الرسائل الكمالية في التوحيد .

الناشر / مكتبة المعارف بالطائف .

٣٦١ الكليات :

لأبي البقاء (ت ١٠٩٤هـ) قابله على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه الدكتور عدنان درويش ومحمد المصرى .

منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي / دمشق ١٩٧٤م.

٣٦٢ كنوز الأجداد :

لمحمد كرد علي (ت ١٣٧٢هـ)

الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م / دار الفكر للطباعة والتوزيع/ دمشق .

٣٦٣ الكواشف الجلية عن معاني الواسطية :

لعبد العزيز المحمد السلمان .

الطبعة العاشرة ١٤٠١ - ١٩٨١م / مطابع المجد التجارية / الرياض .

((حرف اللام))

٣٦٤ اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة :

للسيوطي (ت ٩١١هـ)

الطبعة الثانية ١٣٩٥ - ١٩٧٥م / الناشر / دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت / لبنان .

٣٦٥ اللباب في تهذيب الأنساب :

لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)

دار صادر / بيروت / لبنان .

٣٦٦ لسان العرب :

لابن منظور (ت ٧١١هـ)

دار صادر / بيروت / لبنان .

٣٦٧ لسان الميزان :

لابن حجر (ت ٨٥٢هـ)

الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ - ١٩٧١ / منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات / بيروت / لبنان .

٣٦٨ لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف :

لابن رجب (ت ٧٩٥هـ) ضبطها وكتب هوامشها ابراهيم رمضان وسعيد اللحام .

الطبعة الاولى ١٤٠٩ - ١٩٨٩م / دار الكتب العلمية / بيروت/لبنان .

٣٦٩ لوامع الأنوار البهية :

للسفاريني (ت ١١٨٨) عليها تعليقات الشيخ عبد الرحمن أبابطين والشيخ سليمان بن سحمان .

الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

((حرف الميم))

٣٧٠ المبسوط في القراءات العشر :

لابن مهران (ت ٣٨١هـ) تحقيق سبيع حمزة حاكمي .

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .

٣٧١ مجالس ثعلب :

لأبي العباس أحمد بن يحى ثعلب (ت ٢٩١هـ) شرح وتحقيق عبد السلام هارون .

الطبعة الخامسة / دار المعارف بمصر .

٣٧٢ المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين :

لابن حبان (ت ٣٥٤هـ) تحقيق محمود ابراهيم زائد .

الطبعة الأولى ١٣٩٦ / دار الوعي بحلب .

٣٧٣ مجمع الأمثال :

للميداني (ت ٥١٨هـ) حققه وفصله وضبط غرائبه وعلق حواشيه محمد محى الدين عبد الحميد .

الطبعة الثانية ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م / مطبعة السعادة بمصر .

٣٧٤ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد :

للهيثمي (ت ٨٠٧هـ)

الناشر / دار الريان للتراث بالقاهرة ، ودار الكتاب العربي / بيروت لبنان / ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٣٧٥ مجمل اللغة :

لابن فارس (ت ٣٩٥هـ) حققه الشيخ هادى حسن حمودى .

الطبعة الأولى ١٤٠٥ - ١٩٨٥م/ منشورات معهد المخطوطات العربية / الكويت .

٣٧٦ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية :

لابن تيمية (ت ٧٢٨) جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدى وابنه محمد .

الطبعة الأولى ١٣٨١ / مطابع الرياض .

٣٧٧ مجموعة الرسائل الكبرى :

لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)

مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر ١٣٨٥ - ١٩٦٦م.

٣٧٨ مجموعة الرسائل الكمالية في التوحيد :

الناشر / مكتبة المعارف بالطائف .

٣٧٩ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز :

لابن عطية (ت ٥٤٦هـ) تحقيق المجلس العلمي بفاس .

من مطبوعات وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالمغرب .

٣٨٠ محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين :

للرازى (ت ٦٠٦) راجعه وقدم له طه عبد الرؤوف سعد .

الناشر / مكتبة الكليات الأزهرية / القاهرة .

٣٨١ المحلى :

لابن حزم (ت ٤٥٦هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر .

دار التراث بالقاهرة .

٣٨٢ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لمحمد الصادق عرجون .

الطبعة الأولى ١٤٠٥ - ١٩٨٥م / دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع دمشق / وبيروت .

٣٨٣ المحيط بالتكليف :

للقاضي عبد الجبار (ت ٤١٥) . جمعه ابن متويه . تحقيق عمر السيد عزمي .

الهيئة العامة للكتاب / القاهرة .

٣٨٤ مختصر ابطال التأويلات :

لأبي يعلى (ت ٤٥٨هـ) (مخطوط) نسختي مصورة عن نسخة الشيخ حماد بن محمد الأنصارى .

٣٨٥ مختصر سنن أبى داود :

للمنذرى (ت ٦٥٦) تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد حامد الفقي

الناشر / دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت / لبنان .

٣٨٦ مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة :

اختصره محمد بن الموصلي . بتصحيح الناشر / زكريا على يوسف.

مطبعة دار البيان / مصر .

٣٨٧ مختصر العلو للعلي الغفار :

اختصره وحققه وعلق عليه وخرج آثاره محمد ناصر الدين الألباني .

الطبعة الأولى ١٤٠١ - ١٩٨١م / المكتب الاسلامي /بيروت ودمشق.

٣٨٨ مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية :

لأبي عبد الله بدر الدين البعلي (ت ٧٧٧هـ) صححه محمد حامد الفقي .

الطبعة الثانية ١٤٠٦- ١٩٨٦م/دار ابن القيم للنشر والتوزيع/الدمام.

٣٨٩ مختصر كتاب البلدان :

لابن الفقيه (ت نحو ٣٤٠)

مطبعة بريل / ليدن / سنة ١٣٠٢هـ.

٣٩٠ المخصص :

لابن سيده (ت ٤٥٨هـ)

المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر / بيروت / لبنان .

٣٩١ مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين :

لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) بعناية لجنة من العلماء .

الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م / دار الكتب العلمية /بيروت/لبنان .

٣٩٢ مذاهب الاسلاميين :

للدكتور عبد الرحمن بدوى .

الطبعة الثانية ١٩٨٣م / دار العلم للملايين / بيروت / لبنان .

٣٩٣ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان :

لليافعي (ت ٧٦٨هـ)

الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ - ١٩٧٠م / منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت / لبنان .

٣٩٤ مراتب الاجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات :

لابن حزم (ت ٤٥٦هـ)

دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان .

٣٩٥ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح :

للقارى (ت ١٠١٤) قرأه وخرج حديثه وعلق عليه وصنف فهارسه صدقي محمد جميل العطار .

الطبعة الأولى ١٤١٢ - ١٩٩٢م/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت / لبنان .

٣٩٦ مسائل الامام أحمد :

لعبد الله بن الامام أحمد (ت٢٩٠هـ) تحقيق ودراسة الدكتور علي سليمان المهنا .

الطبعة الاولى ١٤٠٦- ١٩٨٦م/توزيع مكتبة الدار بالمدينة المنورة .

٣٩٧ مسائل الامام أحمد :

لابن هاني (ت ٢٧٥هـ) تحقيق زهير الشاويش .

طبع ما بين سنة ١٣٩٤هـ /و ١٤٠٠هـ / المكتب الاسلامي / بيروت .

٣٩٨ مسائل الايمان :

لأبي يعلى (ت ٤٥٨هـ) حققه وعلق عليه سعود بن عبد العزيز الخلف .

الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - دار العاصمة / الرياض .

٣٩٩ المستدرك على الصحيحين :

للحاكم (ت ٤٠٥هـ)

طبع ١٣٩٨ - ١٩٧٨م / دار الفكر / بيروت / لبنان .

٤٠٠ المسند :

لأبي داود الطيالسي (ت ٢٠٤هـ)

دار المعرفة / بيروت / لبنان .

٤٠١ المسند :

للامام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)

الطبعة الخامسة ١٤٠٥ - ١٩٨٥م / المكتب الاسلامي /بيروت/لبنان

وكذا الطبعة التى شرحها ووضع فهارسها الشيخ أحمد محمد شاكر .

الطبعة الثالثة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م / دار المعارف للطباعة والنشر بمصر .

٤٠٢ المسند :

لأبي يعلى الموصلي (ت ٣٠٧هـ) تحقيق وتعليق ارشاد الحق الأثرى .

الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م / دار القبلة للثقافة الاسلامية بجدة ومؤسسة علوم القرآن ببيروت .

٤٠٣ المسند :

للقضاعي (ت ٤٥٤هـ) حققه وخرج أحاديثه حمدى عبد المجيد السلفي .

الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م / مؤسسة الرسالة / بيروت / لبنان .

٤٠٤ مشاهير علماء نجد وغيرهم :

للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ (ت ١٤٠٦هـ)

الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ / باشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر .

٤٠٥ مشكاة المصابيح :

للخطيب التبريزى (ت بعد ٧٣٧هـ) بتحقيق محمد ناصر الدين الألباني .

الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م / المكتب الاسلامي / بيروت ودمشق .

٤٠٦ مشكل الحديث وبيانه :

لابن فورك (ت ٤٠٦هـ)

دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان - ١٤٠٠ - ١٩٨٠م.

٤٠٧ مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه :

للبوصيرى (ت ٨٤٠هـ) تحقيق وتعليق موسى محمد علي والدكتور عزت علي عطية .

مطبعة حسان بالقاهرة .

٤٠٨ المصباح المنير :

للفيومي (ت ٧٧٠هـ)

طبع سنة ١٩٨٧م / مكتبة لبنان / بيروت / لبنان .

٤٠٩ المصنف :

لعبد الرزاق ابن الهمام الصنعاني (ت ٢١١هـ) عنى بتحقيق نصوصه وتخريج أحاديثه والتعليق عليه حبيب الرحمن الاعظمي .

الطبعة الثانية ١٤٠٣ - ١٩٨٣م / توزيع المكتب الاسلامي / بيروت .

٤١٠ المصنف :

لابن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ) تقديم وضبط كمال يوسف الحوت .

الطبعة الأولى ١٤٠٩ - ١٩٨٩م / دار التاج / بيروت / لبنان .

٤١١ معارج القبول بشرح سلم الوصول الى علم الأصول في التوحيد :

لحافظ الحكمي (ت ١٣٧٧هـ)

المطبعة السلفية ومكتبتها بمصر .

٤١٢ معالم السنن :

للخطابي (ت ٣٨٨هـ)

الطبعة الثانية ١٤٠١ - ١٩٨١م / منشورات المكتبة العلمية / بيروت

٤١٣ معاني القرآن :

لأبي زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ) حققه جماعة من العلماء وطبعات أجزائه الثلاثة مصرية مختلفة الدور .

٤١٤ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص :

للعباسي (ت ٩٦٣هـ) حققه وعلق حواشيه وصنع فهارسه محمد محيى الدين عبد الحميد .

مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٦٧هـ.

٤١٥ المعتمد في أصول الدين :

للقاضي أبي يعلى (ت ٤٥٨هـ) تحقيق الدكتور وديع زيد ان حداد .

دار المشرق / بيروت / لبنان .

٤١٦ معجم الأدباء :

لياقوت الحموى (ت ٦٢٦هـ)

دار احياء التراث العربي / بيروت / لبنان .

٤١٧ معجم البلدان :

لياقوت الحموى (ت ٦٢٦هـ)

دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر / لبنان / ١٤٠٤

١٩٨٤م، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٤١٨ معجم الشعراء :

للمرزباني (ت ٣٨٤هـ) تحقيق عبد الستار أحمد فراج .

دار احياء الكتب العربية / القاهرة ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.

٤١٩ المعجم الصغير :

للطبراني (ت ٣٦٠هـ) صححه وراجع أصوله عبد الرحمن محمد عثمان

طبع سنة ١٣٨٨ - ١٩٦٨م / الناشر / المكتبة السلفية بالمدينة المنورة

مطبعة المعرفة بمصر .

٤٢٠ المعجم الفلسفي :

للدكتور جميل صيليا .

طبع سنة ١٩٧٨م / دار الكتاب اللبناني / بيروت ودار الكتاب المصرى

بالقاهرة .

٤٢١ المعجم الكبير :

للطبراني (ت ٣٦٠هـ) حققه وخرج أحاديثه حمدى عبد المجيد

السلفي .

الدار العربية للطباعة / الجمهورية العراقية .

٤٢٢ معجم ما ألف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

للدكتور / صلاح الدين المنجد .

الطبعة الأولى ١٤٠٢ - ١٩٨٢م / دار الكتاب الجديد / بيروت/ لبنان .

٤٢٣ معجم مقاييس اللغة :

لابن فارس (ت ٣٩٥هـ) بتحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون .

الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م / شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

٤٢٤ معجم المؤلفين :

لعمر رضا كحالة .

الناشر / مكتبة المثنى / بيروت / ودار احياء التراث العربي / بيروت.

٤٢٥ المعجم الوسيط :

وضعته لجنة عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع / استانبول / تركيا .

٤٢٦ معرفة القراء الكبار :

للذهبي (ت ٧٤٨هـ) حققه وقيد نصه وعلق عليه بشار عواد معروف وشعيب الارناؤوط وصالح مهدي .

الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م / مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت / لبنان .

٤٢٧ المعلقات العشر وأخبار شعرائها :

للشيخ أحمد الأمين الشنقيطي .

دار الكتاب العربي / سورية - حلب - .

٤٢٨ المغني :

للقاضي عبد الجبار (ت ٤١٥هـ) حققه جماعة من العرب والمستشرقين

وزارة الثقافة والارشاد القومي / المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر / القاهرة .

٤٢٩ المغني :

لابن قدامة (ت ٦٢٠هـ)

مكتبة الرياض الحديثة / الرياض .

٤٣٠ المغني في الضعفاء :

للذهبي (ت ٧٤٨هـ) تحقيق نور الدين عتر .

مطابع الدوحة الحديثة / قطر .

٤٣١ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والارادة .

لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)

دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان .

٤٣٢ مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم :

لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ)

الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م / دار الكتب العلمية / بيروت/ لبنان

٤٣٣ المفردات في غريب القرآن :

للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٨١- ١٩٦١م

٤٣٤ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم :

لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي (ت ٦٥٦) (مخطوط) .

يوجد بقسم المخطوطات بالجامعة الاسلامية تحت رقم ٢٣٤٣ (مصورات)

وبمكتبة الشيخ حماد تحت رقم ١٣٧٦هـ .

٤٣٥ مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين :

لأبي الحسن الأشعرى (ت ٣٢٤هـ) بتحقيق محمد محيي الدين

عبد الحميد .

الطبعة الثانية ١٣٨٩ - ١٩٦٩م / مكتبة النهضة المصرية / القاهرة .

٤٣٦ المقدمات الممهدات .. :

لابن رشد (ت ٥٢٠هـ)

دار صادر / بيروت / لبنان .

٤٣٧ المقدمة :

لابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)

طبعة دار الشعب / القاهرة .

٤٣٨ المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الامام أحمد :

لابن مفلح الحنبلي (ت ٨٨٤هـ) تحقيق وتعليق الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين .

الطبعة الأولى ١٤١٠ - ١٩٩٠م / مكتبة الرشد للنشر والتوزيع/الرياض.

٤٣٩ الملل والنحل :

للشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) تحقيق محمد سيد كيلاني .

طبع سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م / دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت / لبنان .

٤٤٠ من الضائع من معجم الشعراء للمرزباني :

للدكتور ابراهيم السامرائي .

الطبعة الأولى ١٤٠٤ - ١٩٨٤م / مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت / لبنان .

٤٤١ مناهج الأدلة في عقائد الملة :

لابن رشد (ت ٥٩٥) تقديم وتحقيق الدكتور محمد قاسم .

الطبعة الثانية ١٩٦٤م / مطبعة مخيمر بمصر / توزيع مكتبة الانجلو المصرية .

٤٤٢ المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور :

انتخبه ابراهيم بن محمد الصريفيني (ت ٦٤١هـ) تحقيق محمد أحمد عبد العزيز .

الطبعة الأولى ١٤٠٩ - ١٩٨٩م / دار الكتب العلمية / بيروت/ لبنان

٤٤٣ المنتظم في تاريخ (الملوك) والامم:

لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا .

الطبعة الأولى ١٤١٢ - ١٩٩٢م / دار الكتب العلمية / بيروت/ لبنان

٤٤٤ المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الامام أحمد :

للعليمي (ت ٩٢٨هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد راجعه وعلق عليه عادل نويهض .

الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م / عالم الكتب / بيروت / لبنان .

٤٤٥ منهج القرآن في الدعوة الى الايمان :

للدكتور علي بن محمد ناصر الفقيهي .

الطبعة الاولى ١٤٠٥ - ١٩٨٤م.

٤٤٦ المنهاج في شعب الايمان :

للحليمي (ت ٤٠٣هـ) تحقيق حلمي محمد فوده .

الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م / دار الفكر / بيروت / لبنان .

٤٤٧ منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية :

لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم .

الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م / أشرفت على طباعته ونشره ادارة الثقافة والنشر بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض .

٤٤٨ موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان :

للهيثمي (ت ٨٠٧هـ) حققه ونشره محمد عبد الرزاق حمزة .

المطبعة السلفية ومكتبتها / القاهرة .

٤٤٩ المواقف في علم الكلام :

للايجي (ت ٧٥٦هـ)

عالم الكتب / بيروت / لبنان .

٤٥٠ الموطـــأ :

للامام مالك (ت ١٧٩هـ) . (رواية يحيى الليثي) . صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي .

المكتبة الثقافية / بيروت / لبنان / ١٤٠٨ - ١٩٨٨م .

وكذا (رواية محمد بن الحسن الشيباني) . تعليق وتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف .

الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م / المجلس الأعلى للشئون الاسلامية لجنة احياء التراث / القاهرة .

٤٥١ ميزان الاعتدال في نقد الرجال :

للذهبي (ت ٧٤٨هـ) تحقيق علي محمد البجاوى .

دار المعرفة / بيروت / لبنان .

((حرف النون))

٤٥٢ النبوات :

لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) دراسة وتحقيق محمد عبد الرحمن عوض .

الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م / دار الكتاب العربي / بيروت / لبنان .

٤٥٣ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة :

لابن تغرى بردى (ت ٨٧٤هـ)

طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب / وزارة الثقافة والارشاد القومي

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .

٤٥٤ النشر في القراءات العشر :

لابن الجزرى (ت ٨٣٣هـ) أشرف على تصحيحه ومراجعته علي

محمد الضباع .

دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان .

٤٥٥ النصيحة في صفات الرب جل وعلا :

لابن شيخ الحزاميين (ت ٧١١هـ) تحقيق زهير الشاويش.

الطبعة الثالثة ١٤٠٣ - ١٩٨٣م / المكتب الاسلامي / بيروت/ ودمشق

٤٥٦ نظم المتناثر من الحديث المتواتر :

للكتاني (ت ١٣٤٥هـ)

دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٤٥٧ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب :

للمقرى (ت ١٠٤١هـ) حققه الدكتور احسان عباس .

طبع ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م / دار صادر / بيروت / لبنان .

٤٥٨ نقض أساس التقديس :

لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) (مخطوط) بمكتبة الشيخ حماد بن

محمد الانصارى تحت رقم ١٧١٧ مصور عن مكتبة جامعة الرياض تحت

رقم ٢٥٩٠.

٤٥٩ نهاية الاقدام في علم الكلام :

للشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) حرره وصححه الفرد جيوم .

٤٦٠ النهاية في غريب الحديث والأثر :

لابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي .

دار احياء الكتب العربية بمصر .

٤٦١ النـــوادر :

لأبي علي القالي (ت ٣٥٦هـ) .

الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م .

٤٦٢ نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبـــــار .

للشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)

دار الحديث / القاهرة .

٤٦٣ نيل الابتهاج بتطريز الديباج (وهو على هامش الديباج) .

للتنبكتي (ت ١٠٣٦هـ)

الطبعة الأولى ١٣٥١هـ / بالفحامين / مصر .

٤٦٤ نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر :

لمحمد بن محمد زبارة اليماني (ت ١٣٨١هـ)

عنيت بنشره المطبعة السلفية ومكتباتها / القاهرة / مصر / سنة ١٣٥٠

((حرف الهاء))

٤٦٥ هدية العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين :

للبغدادي (ت ١٣٣٩هـ)

طبع سنة ١٩٥١م / منشورات مكتبة المثنى ببغداد .

((حرف الواو))

٤٦٦ الوابل الصيب من الكلم الطيب :

لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ضبطه وكتب هوامشه الشيخ ابراهيم العجوز .

الطبعة الأولى ١٤٠٥ - ١٩٨٥م / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان

٤٦٧ الوافي بالوفيات :

للصفدى (ت ٦٧٤هـ) بعناية جماعة من المحققين .

الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م / دار صادر / بيروت / لبنان .

٤٦٨ الوفيات :

لابن قنفذ (ت ٨٠٩هـ) حققه وعلق عليه عادل نويهض .

الطبعة الاولى ١٩٧١م / منشورات المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت / لبنان .

٤٦٩ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان :

لابن خلكان (ت ٦٨١هـ) حققه الدكتور احسان عباس .

دار صادر / بيروت / لبنان .

((حرف الياء))

٤٧٠ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر :

للثعالبي (ت ٤٢٩هـ) / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان .

—((المستدرك على قائمة المصادر والمراجع))—

٤٧١ الجامع لشعب الايمان :

للبيهقي (ت ٤٥٨) حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد / الطبعة الاولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م الدار السلفية ، بومباى - الهند .

٤٧٢ دليل القارى الى مواضع الحديث في صحيح البخارى :

للشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان

الطبعة الأولى ، دار الاصفهاني للطباعة بجدة / توزيع الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

٤٧٣ ضوء السارى الى معرفة رؤية البارى عز وجل :

لابى شامة (ت ٦٦٥هـ) تحقيق الدكتور أحمد عبد الرحمن الشريف / الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م / دار الصحوة للنشر والتوزيع بالقاهرة .

استدراك : ٤٧٤ الرد على المنطقيين لشيخ الاسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨) الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م إدارة ترجمان السنة . لاهور / باكستان

==============

فهرس الموضوعات

ح - ((فهرس الموضوعات التفصيلي))

الموضـــــوع	رقم الصفحـة

الموضـــــــــوع	رقم الصفحـــة

الموضـــــــــــوع	رقم الصفحة

الموضـــــــوع	رقم الصفحـــة

الموضـــــوع	رقم الصفحـة

الموضـــــوع	رقم الصفحـــة

الفهـــارس :

قام بطباعة هذا البحث :

عصام الدين عبد السلام//